الوفا

بأحوال المصطفى ﷺ

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧هـ

صححه ونسقه وعلق عليه

محمد زهري النجار

من علماء الأزهر الشريف

يطلب من

المؤسسة السعيدية بالرياض

شارع الخزان ، بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه

هاتف ٢٥٥٦١

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	٣
مقدمة المصحح	٥
مقدمة المؤلف	٢١
تراجم الأبواب	٢٣
أبواب بداية نبينا	٦٥
ذكر التنويه بذكر نبينا	٦٧
ذكر الطينة التى خلق منها	٧٠
دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد	٧٢
بيان ذكره فى التوراة والإنجيل «يجدونه مكتوباً عندهم»	٧٣
ميثاق الله على النبيين	٧٤
صفة رسول الله فى التوراة	٧٤
روايات عن كعب الأحبار	٧٥
خبر عن مالك بن سنان	٨١
معرفة أبى عامر الراهب بالرسول	٨٢
استفتاح اليهود على الأوس والخزرج بمحمد	٨٣
المغيرة بن شعبة يحكى عن المقوقس	٨٤
الراهب يخبر ورقة بن نوفل عن محمد	٨٦
كيف سماك أبوك محمداً ؟	٨٦
خبر عن سلمة بن وقش	٨٧

الموضوع	الصفحة
يهودى يعترف بذكر محمد فى التوراة	٨٨
أحبار اليهود يخبرون تبعاً بظهور محمد وصفته	٨٩
الزبير بن باطا يعرف محمداً ثم ينكره	٩٠
اليهود ينكرون نبوة محمد حسدا	٩٠
عمر بن الخطاب يسأل أحبار اليهود	٩٢
حديث أبى سفيان عن أمية ابن أبى الصلت	٩٤
حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن اليهود	٩٨
قصة سلمان الفارسى	٩٩
حديث جبير بن مطعم عن نصارى بصرى	١٠٠
حديث صفية بنت حيى عن أبيها وأمها	١٠٢
حديث مخيريق اليهودى وإسلامه	١٠٣
المشركون يسألون أحبار اليهود عن محمد	١٠٤
إسلام عمرو بن عبسة	١٠٥

الموضوع	الصفحة
خبر أساقفة نجران	١٠٦
«خبر الذين اسودت وجوههم»	١٠٦
خبر سهل مولى عثيمة النصرانى	١٠٦
خبر عن عمر بن عنبس	١٠٧
مما أوحى الله إلى عيسى	١٠٧
حديث لوهب بن منبه عن شعيا	١٠٨
رجل من أهل الشام يبشر نساء قريش بمحمد	١٠٨
من أعلام نبينا الموجودة فى التوراة	١٠٩
تعليق لابن قتيبة على هذا الخبر	١٠٩
ومن أعلامه فى التوراة «جاء الله من سيناء . .»	١١٠
«إنى أقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم . .»	١١١
من أقوال حقبو المتنبئ	١١٢
من ذكر شعيا لمحمد صلى الله عليه وسلم	١١٤
من قول كعب عن الرسول	١١٤
من ذكر شعيا لمحمد	١١٤
من ذكر داود له	١١٤
من ذكر شعيا له يصفه بركوب الجمل	١١٦
ذكر النبى فى الإنجيل	١١٧
ذكر مكة والحرم فى الكتب المتقدمة	١١٩

الموضوع	الصفحة
ذكر طريق مكة فى شعيا	١٢٢
ذكر الحرم فى كتاب شعيا	١٢٣
تعليق لابن قتيبة على هذه الأخبار	١٢٣
وتعليق للمؤلف عليها	١٢٥
إعلام كعب بن غالب ببعثته صلى الله عليه وسلم	١٢٦
ذكر منام رآه نصر بن ربيعة يدل على وجوده صلى الله عليه وسلم	١٢٨
ذكر نسب محمد صلى الله عليه وسلم	١٣١
ذكر طهارة آبائه وشرفهم	١٣٢
بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله	١٣٤
قوله : « ولدت من نكاح »	١٣٥
ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجوده	١٣٦
ذكر منام رآه خالد بن سعيد ابن العاص	١٣٨
ذكر منام رآه عمرو بن مرة الجهنى	١٣٩
ذكر تزويج عبد المطلب وأبنه عبد الله إلى بنى زهرة	١٤٥
ذكر عبد الله أبى نبينا	١٤٦
تزوج عبد الله آمنة بنت وهب	١٤٨
ذكر ما جرى لآمنة فى حملها بالرسول	١٥٢

الموضوع	الصفحة
ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب	١٥٣
مولد نبينا صلى الله عليه وسلم	١٥٤
قصة الفيل	١٥٦
ذكر ما جرى عند وضع آمنة رسول الله	١٦٠
ولادته مسروراً مختوناً	١٦٤
ذكر الحوادث التى كانت ليلة ولادته	١٦٥
ذكر أمهات الحوادث فى سنيه صلى الله عليه وسلم	١٦٩
ذكر أسماء نبينا محمد	١٧٣
« كنيته	١٧٦
« أول من أرضعه	١٧٨
« حليمة التى أرضعته بعد ثوبية	١٨٠
« شرح صدره فى صغره	١٨٥
« ما جرى لرسول الله بعد تمام خمس سنين	١٩٣
ذكر وفاة أمه آمنة	١٩٥
« كفالة عبد المطلب لرسول الله	١٩٩
ذكر خروج عبد المطلب برسول الله يستسقون به	٢٠١
خروج عبد المطلب لتهنئة سيف ابن ذى يزن ، وبشارة سيف له	٢٠٤
ذكر موت عبد المطلب	٢١٣
كفالة أبى طالب رسول الله	٢١٦
خروج الرسول إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بحيرى	٢١٨
حضور الرسول حرب الفجار	٢٢٣
حضوره حلف الفضول	٢٢٥
ذكر ما كان رسول الله يتعبد به قبل النبوة	٢٢٨
ذكر حالة جرت لرسول الله مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة	٢٣١
ذكر رعيه الغنم	٢٣٣
« اشتغاله بالتجارة قبل النبوة	٢٣٤
« خروجه إلى الشام فى تجارة خديجة	٢٣٥
تزوجه بخديجة	٢٣٧
شهود رسول الله بنيان الكعبة ووضعه الحجر بيديه	٢٣٩
أبواب نبوته صلى الله عليه وسلم :	٢٤١
ذكر الهواتف بنبوة نبينا	٢٤٣
إعلام الوحش بنبوته	٢٥٣
ذكر أمارات النبوة التى رآها رسول الله قبل بعثه	٢٥٥
ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه	٢٥٧
ذكر بدء الوحى	٢٥٨
« تعليم جبريل رسول الله الوضوء والصلاة	٢٦٦

الموضوع	الصفحة
ذكر صلاة رسول الله فى بداية النبوة بخديجة وعلى	٢٦٨
صفة نزول الوحى عليه	٢٧٠
ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله من الملائكة فى نبوته	٢٧٦
سؤال رسول الله ربه أن يريه آية تقوى ما عنده	٢٧٧
رمى الشياطين بالشهب حين بعث ، وتنكيس الأصنام	٢٧٨
ذكر ما وقع من التغير فى أحوال كسرى أبرويز عند مبعثه صلى الله عليه وسلم	٢٨٢
ذكر دعاية رسول الله الناس إلى الإسلام	٢٨٩
ذكر إنذار رسول الله فى المواسم	٢٩١
« إنذاره عشيرته	٢٩٢
« عموم رسالته	٢٩٦
« إرساله إلى الجن	٢٩٧
« كونه خاتم النبيين	٢٩٨
« ما لاقى رسول الله من أذى الكفار وهو صابر	٢٩٩
ذكر ما روى عن إيمان أكثم ابن صيفى برسول الله	٣٠٧
أمر رسول الله أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة	٣٠٩
ذكر ما كتبه المشركون من التبرى من بنى هاشم وبنى المطلب	٣١٤
ذكر ما جرى لرسول الله مع ضماد الأزدى	٣١٩
ذكر ما جرى لرسول الله مع عتبة بن ربيعة	٣٢١
ذكر ما أشار به الوليد على قريش فى أمر رسول الله	٣٢٣
ذكر ما جرى لرسول الله مع الطفيل بن عمرو	٣٢٦
ذكر ما جرى لرسول الله مع أبى طالب عند موته	٣٣٠
ذكر ما جرى لرسول الله بعد موت أبو طالب وخديجة	٣٣٥
ذكر ما جرى لرسول الله فى خروجه إلى الطائف	٣٣٧
دخول رسول الله مكة لما رجع من الطائف	٣٤٣
عرض رسول الله نفسه على القبائل فى المواسم	٣٤٤
تعليق لابن الجوزى على دخول الرسول فى خفارة كافر وعرض نفسه على القبائل	٣٤٥
ذكر ما جرى لرسول الله مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة	٣٤٦

الموضوع	الصفحة
ذكر معراج رسول الله	٣٤٩
« لقاء رسول الله الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة	٣٥٨
علم قريش ما جرى للأنصار وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك	٣٦٣
أبواب هجرته إلى المدينة :	٣٦٩
ذكر خروج رسول الله إلى الغار	٣٧١
« ذكر ما جرى في الغار	٣٧٤
« ما جرى له في طريقه إلى المدينة	٣٧٧
ذكر حديث أم معبد	٣٨٢
تورية أبي بكر عن رسول الله في طريقهم إلى المدينة	٣٨٩
لقاء رسول الله في طريق المدينة بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه	٣٩٠
ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله ودخوله إليها	٣٩٢
ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله إلى المدينة	٣٩٣
ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة	٣٩٤
ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم	٣٩٧

الموضوع	الصفحة
ذكر لقاء رسول الله عبد الله ابن سلام حين دخل المدينة	٣٩٨
فضل المدينة	٣٩٩
ذكر بناء مسجد الرسول	٤٠٠
فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٠٣
ذكر ما بين بيته ومنبره	٤٠٤
ذكر بيوت رسول الله ومنازل أزواجه	٤٠٥
دعاء رسول الله أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة	٤٠٧
صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة	٤٠٨
ذكر الوقت الذي حولت فيه	٤٠٨
نزول فرض رمضان	٤٠٩
ذكر أن رسول الله كان يحرس بالمدينة	٤٠٩
أبواب معجزاته :	٤١١
كانت صورة نبينا وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه	٤١٢
ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز	٤١٣
أوجه إعجاز القرآن	٤١٣
عجز العرب عن معارضته	٤١٥
رد ابن عقيل على من قال إن إعجاز القرآن بالصرفة	٤١٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رأى المؤلف فى ذلك	٤١٧	رميه فى وجوه المشركين بكف من تراب فملأ أعينهم	٤٦٥
معنى حفظ الله للقرآن	٤١٨	إشارته إلى الأصنام فوقعت	٤٦٦
الدليل على أن القرآن ليس من قول الرسول	٤١٩	إخبار رسول الله بالغائبات	٤٦٧
هل يوضع للقرآن ترجمة ؟	٤١٩	معنى : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده »	٤٦٧
رأى ابن عقيل فى ذلك	٤٢٠	تعليق لابن عقيل على دلالة إخبار للرسول بالغائبات	٤٨٥
معنيان عجيبان للمؤلف فى إعجاز القرآن	٤٢٠	الإلانة الصخر له	٤٨٦
معجزه بشق القمر	٤٢٢	ذكر حنين الجذع إليه	٤٨٨
إظهار معجزاته فى تكثير الطعام	٤٢٤	تسبيح الحصى فى يده	٤٩٢
ذكر معجزه فى تكثير السمن	٤٣٣	ستره عمن قصد أذاه من المشركين	٤٩٣
معجزه فى تكثير التمر	٤٣٥	دفع من أراد أذاه من الإنس	٤٩٤
معجزته فى تكثير الماء	٤٣٨	كيفية هلاك بعض من أذاه	٤٩٨
ذكر نبع الماء من بين أصابعه	٤٤٦	دفع من قصد أذاه من الشياطين	٥٠٠
معجزه فى تكثير اللبن	٤٥٠	بيان أنه كان له شيطان	٥٠١
ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه	٤٥٣	دفع أذى الهوام عنه	٥٠٢
الفرق بين المعجزة والسحر	٤٥٧	إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت	٥٠٣
تحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره	٤٥٩	كلام الجدار بحضرته	٥٠٤
ذكر شكوى البهائم إليه وذل المستصعب منها له	٤٦٠	تكليم الظبية له	٥٠٥
ذكر معجزته التى ظهرت فى المركوب	٤٦٤	كلام الضب لرسول الله	٥٠٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
دلالة المعجزات فى مجموعها، وإن لم تنقل نقل التواتر	٥١٠	موقف الناس بعد ظهور معجزات الرسول	٥٢٢
إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبى	٥١١	موقف الملاحدة من الإسلام، ورأى لابن عقيل	٥٢٣
رؤيته الأشياء من وراء ظهره	٥١٦	الملحدون يندسون بين المسلمين	٥٢٤
ذكر أنه كان يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء	٥١٦	من أكبر الدلائل على صدق نبينا أن الله لم يخذله .	٥٢٤
إجابة دعائه	٥١٧		

تم بحمد الله وعونه الجزء الأول من كتاب « الوفاء بأحوال المصطفى » صلى الله عليه وسلم ويليه — إن شاء الله — الجزء الثانى، وأوله :

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء، ومثل ما بعث به ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ذكر فضله على الأنبيـــاء عليه وعليهم الصلاة والسلام	٥
ذكر خصائصه	٢٤
فى إنفاذ قطف له من الجنة	٢٥
فى إنفاذ مقاليد الدنيا إليه	٢٦
فى رفع ذكره	٢٦
فى ذكر مثله ومثل الأنبياء	٢٧
فى ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به	٢٨
فى فضل أمته على الأمم	٢٩
فى ذكر مثله ومثل أمته	٣١
فى ذكر مثل من قبل ما جاء به ومن لم يقبل	٣٣
فى وجوب طاعته	٣٥
فى وجوب تقـديم محبته على الوالد والولد والنفس	٣٧
فى وجوب تقديمه فى الذكر	٣٨
أبواب صفات جسده	٣٩
صفة رأسه	٤١
« جبينه	٤١
« حاجبيه	٤٢
« عينيه وأهدابه	٤٣
« خديه	٤٤
« أنفه	٤٤
صفة فمه وأسنانه	٤٥
« نكهته	٤٦
« وجهه	٤٦
ذكر اللحية الكريمة	٤٧
صفة شعره	٤٨
ذكر صفة عنقه	٥٠
بعد ما بين منكبيه	٥٠
غلظ الكتد	٥١
صفة صدره	٥١
« بطنه	٥١
« سرته	٥٢
ذكر أصابعه	٥٣
صفة عنقه	٥٣
« زنديه	٥٤
ذكر ساقيه	٥٥
ذكر صفة عقبه	٥٩
« قدميه	٥٩
ضخامة كراديسه	٦٠
ذكر اعتدال خلقه	٦٠
ذكر طوله	٦١
رقة بشرته	٦٢
صفة لونه	٦٢
ذكر حسنه	٦٣

الموضوع	الصفحة
ذكر عرقه	٦٥
« خاتم النبوة	٦٧
أبواب صفاته المعنوية	٧١
حسن خلقه	٧٣
ذكر حلمه وصفحه	٧٦
نهيه أن يبلغ مالا يصلح	٨٨
ذكر شفقته ومداراته	٨٩
« حيائه	٩٤
« تواضعه	٩٥
أنه بعث رحمة	١٠١
ذكر اشتراطه على ربه سبحانه أن يجعل سبه لمن سب من المسلمين أجرا	١٠٣
ذكر جوده	١٠٤
« شجاعته	١٠٦
« مزاحه وملاعبته وأنه لا ينطق إلا بالحق	١٠٧
﴿ أبواب آدابه وسمته ﴾	
جعله يده اليمنى للطهور واليسرى لدفع الأذى	١١٥
فعله عند عطسته	١١٥
محبته التيامن فى أفعاله	١١٦
ذكر جلسته	١١٦
« احتبائه	١١٦
« اتكائه	١١٧
« استلقائه	١١٧

الموضوع	الصفحة
صفة منطقه وألفاظه	١١٨
ذكر تحريكه يده حين يتكلم	١١٩
« منبره	١٢٠
« فصاحته	١٢١
تكلمه بالفارسية	١٢٣
ذكر ما تمثل به من الشعر	١٢٤
« ما سمع من الشعر	١٢٥
صفة مشيه	١٢٧
ذكر ضحكه وتبسمه	١٢٩
محبته الفأل والحسن من القول	١٣٢
تغييره الاسم القبيح	١٣٣
قبوله الهدية وإثابته عليها	١٣٣
كثرة مشاورته أصحابه	١٣٤
ذكر فعله فى أول مطر يقع	١٣٤
احتياطه فى نفى التهمة عنه	١٣٥
علامة رضاه وسخطه	١٣٦
مخالطته للناس	١٣٧
ذكر يمينه إذا حلف	١٤١
فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه	١٤٢
أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٣
ذكر إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم	١٤٥
اقتناعه باليسير من الدنيا	١٤٦
ذكر أنه كان لا يدخر شيئا صلى الله عليه وسلم	١٤٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ذكر ماروى أنه كان يدخر	١٤٧	ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر	١٧٠
ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم	١٤٨	صلاته الضحى	١٧١
صفة عيشه فى الدنيا صلى الله عليه وسلم	١٥١	ذكر صلاته بالليل	١٧٢
أبواب تعبده صلى الله عليه وسلم		« طول قيامه بالليل	١٧٧
﴿ أبواب طهارته ﴾	١٥٥	« قيامه طول الليل بآية	١٧٩
ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف	١٥٧	صفة قراءته	١٨٠
ذكر ما كان يقوله إذا خرج منه	١٥٧	ذكر حسن صوته	١٨١
ابتلاع الأرض لحدثه	١٥٨	« الزمان الذى كان يختم فيه	١٨١
ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم	١٥٩	« دعائه قائماً إذا ختم	١٨١
« أنه كان يتوضأ لكل صلاة	١٥٩	« وتره صلى الله عليه وسلم	١٨٢
جمعه الصلوات بوضوء واحد	١٦٠	« ما كان يصنع إذا فاته ورده من الليل	١٨٣
مسحه على الخفين	١٦٠	« صلاته التراويح وعددها	١٨٣
ذكر سواكه عليه السلام	١٦١	« قطعه إياها خوف أن تفرض عليهم	١٨٤
صفة غسله عليه السلام	١٦١	« سجوده للشكر	١٨٥
﴿ أبواب صلاته ﴾		﴿ أبواب صومه ﴾	
صفة صلاته عليه السلام	١٦٥	ذكر صومه من الشهر وفطره	١٨٩
مقدار ما كان يقرأ فى الصلوات المفروضات	١٦٧	« صومه ثلاثة أيام من كل شهر	١٩٠
ذكر ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة	١٦٨	« صومه الاثنين والخميس	١٩١
تنفله بالنهار	١٦٩	« صومه شعبان	١٩٢
ذكر ما كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة	١٧٠	مواصلته للصيام	١٩٣
		ذكر ما كان يفطر عليه	١٩٣
		« ما كان يقوله إذا أفطر عند قوم	١٩٤

الموضوع	الصفحة
ذكر جده واجتهاده فى العشر الأخير من رمضان	١٩٤
ذكر اعتكافه فى العشر الأواخر من رمضان	١٩٥
ذكر أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج	١٩٥
« حمل الحربة بين يديه يوم العيد	١٩٦
« عدد تكبيراته فى صلاة العيد	١٩٦
مخالفته الطريق يوم العيد	١٩٧
﴿أبواب حجه وعمرته﴾	
ذكر إحرامه عليه السلام	٢٠١
« تلبيته عليه السلام	٢٠١
« دعائه يوم عرفة عليه السلام	٢٠٢
« ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم	٢٠٣
« طوافه واستلامه الحجر	٢٠٤
« استلامه الركن اليمانى	٢٠٤
سعيه بين الصفا والمروة	٢٠٥
رميه الجمرة عليه السلام	٢٠٥
دخوله الكعبة عليه السلام	٢٠٦
خطبته فى حجة الوداع	٢٠٧
سياق حجه جملة	٢٠٩
عدد عمره عليه السلام	٢١٥

الموضوع	الصفحة
« أبواب خوفه وتضرعه وحزنه وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته »	
ذكر خوفه وتضرعه	٢١٩
« انزعاجه من الغيم والريح	٢٢٠
« ما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق	٢٢٠
« حزنه وفكره عليه السلام	٢٢١
« بكائه عليه السلام	٢٢١
« ورعه عليه السلام	٢٢٥
« قصر أمله عليه السلام	٢٢٦
« استغفاره وتوبته عليه السلام	٢٢٧
﴿أبواب دعائه﴾	
ذكر بسط يديه عند الدعاء	٢٣١
« دعائه عند الصباح والمساء	٢٣١
« دعائه عليه السلام عند الكرب	٢٣٣
« دعائه مطلقا عليه السلام	٢٣٤
﴿أبواب آلات بيته﴾	
« سريره صلى الله عليه وسلم	٢٤١
« حصيره عليه السلام	٢٤٢
« كرسيه عليه السلام	٢٤٣
« فراشه عليه السلام	٢٤٤
« لحافه عليه السلام	٢٤٦
« وسادته عليه السلام	٢٤٧

الموضوع	الصفحة
ذكر اتكائه على الوسادة	٢٤٧
« قطيفته عليه السلام	٢٤٨
« قبته عليه السلام	٢٤٨
﴿أبواب لباسه﴾	
« قميصه	٢٥١
« جبته	٢٥٢
« إزاره وكسائه	٢٥٣
« حلته	٢٥٤
« بردته	٢٥٥
« عمامته	٢٥٦
« قلنسوته	٢٥٧
« ردائه	٢٥٨
« سراويله	٢٥٩
لبسه الصوف	٢٦٠
لبسه ما يتفق من اللباس	٢٦٠
لبسه الثوب المستجد	٢٦١
ذكر ما كان يقوله عند اللبس	٢٦١
« خفه	٢٦١
« نعله عليه السلام	٢٦٢
﴿أبواب ذكر مراكبه﴾	
« خيله	٢٦٥
« ناقته	٢٦٦
« بغلته	٢٦٧
« حماره	٢٦٨
« سرجه	٢٦٨

الموضوع	الصفحة
ذكر ما كان يقوله إذا ركب	٢٦٩
صفة سيره	٢٦٩
« أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام »	
« ذكر مواليه عليه السلام	٢٧٣
« مولياته عليه السلام	٢٧٤
« من خدمه من الأحرار	٢٧٤
(أبواب زينته)	
« خاتمه	٢٧٧
« خضابه	٢٨٠
« استعماله للمشط	٢٨٣
« فرق رأسه	٢٨٣
« استعماله الدهن	٢٨٤
« المرآة	٢٨٤
« أخذه من اللحية	٢٨٥
« جز شاربه	٢٨٥
« استعماله النورة	٢٨٦
« محبته للطيب وتطيبه	٢٨٧
(أبواب أكله ومأكولاته)	
ذكر مائدته وسفرته	٢٩١
« قصعته	٢٩١
« صفة خبزه	٢٩٢
« اختياره البقل	٢٩٣
« ائتدامه بالخل	٢٩٣

الموضوع	الصفحة
ذكر أكله القثاء	٢٩٤
« أكله الدباء	٢٩٤
« أكله السمن والأقط	٢٩٥
« أكله الحيس	٢٩٥
« حبه الثريد	٢٩٥
« أكله وجمعه بين طعامين	٢٩٦
« أكله اللحم وما يختاره من الأعضاء	٢٩٧
أكله القديد	٢٩٨
أكلة الشواء	٢٩٨
أكله لحم الدجاج	٢٩٨
أكله لحم الحبارى	٢٩٩
تركه أكل ما يعافه	٢٩٩
اجتنابه ما يؤذى ريحه	٣٠١
أكله الجمار	٣٠١
حبه الحلواء والعسل	٣٠١
أكله التمر	٣٠٢
« العنب	٣٠٢
« الرطب	٣٠٣
ذكر ما كان يفعل إذا أتى بأول الرطب	٣٠٣
أكله الخبيص	٣٠٤
« بثلاث أصابع ولعقها	٣٠٤
« مما يليه	٣٠٥
« مقعيا من الجوع	٣٠٥

الموضوع	الصفحة
ذكر أنه لم يأكل متكئا	٣٠٦
« أنه لم يذم طعاما	٣٠٦
« أنه كان لا يأكل الصدقة	٣٠٧
حمده لله عند فراغه من الطعام وغسل يديه	٣٠٨
(أبواب شربه ومشروباته)	
ذكر أنه كان يستعذب له الماء	٣١١
اختياره الماء البائت	٣١١
إيثاره الماء البارد	٣١٢
ذكر الآنية التى كان يشرب منها	٣١٢
شربه اللبن	٣١٣
شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ	٣١٤
شربه السويق	٣١٤
كيفية شربه عليه السلام	٣١٤
تنفسه فى الإناء ثلاثا	٣١٥
شربه قائما وقاعدا	٣١٦
شربه وأصحابه إذا سقاهم	٣١٦
مناولته من عن يمينه	٣١٧
(أبواب نومه)	
مسامرته أزواجه بالليل	٣٢١
نزوله وصعوده ليلة الجمعة	٣٢٢
وضوؤه قبل النوم	٣٢٢
اكتحاله عند النوم عليه السلام	٣٢٢
صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
ذكر ما كان يصنع إذا أتى الفراش	٣٢٣
كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم	٣٢٤
ذكر ما كان يقوله إذا استيقظ	٣٢٥
« أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه	٣٢٦
« بعض مناماته صلى الله عليه وسلم	٣٢٨
(أبواب طبه)	
« كثرة أمراضه	٣٤١
« أنه سحر	٣٤١
« حجامته	٣٤٣
تداويه بالحناء عليه السلام	٣٤٤
(أبواب نكاحه)	
تحبيب النساء إليه	٣٤٧
ذكر أزواجه وعددهن	٣٤٨
« سراريه	٣٥٢
« قوته على الجماع	٣٥٢
« استتاره وغض بصره عند الجماع	٣٥٣
« طوافه على نسائه فى ساعة	٣٥٤
« أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد	٣٥٤
« اغتساله فى كل وطء	٣٥٤
« مداراته لنسائه	٣٥٥
« تأديبه أزواجه بالهجر	٣٥٨
ذكر أولاده وعددهم	٣٦١
(أبواب سفره)	
« اليوم الذى كان يسافر فيه	٣٦٥
« ما كان يقوله إذا خرج للسفر	٣٦٥
كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع المسافر	٣٦٧
كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر	٣٦٨
ذكر فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلا	٣٦٨
« ما كان يقوله فى السحر	٣٦٩
« تنقله على الراحلة	٣٦٩
« ما كان يقوله إذا رجع من السفر	٣٧٠
« ما كان يصنع إذا قدم من السفر	٣٧١
« أنه كان لا يطرق أهله ليلا	٢٧١
(أبواب آلات حربه)	
« سيفه	٣٧٥
« درعه	٣٧٦
« مغفره	٣٧٦
« قوسه	٣٧٧
« رمحه	٣٧٧
« حربته	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
ذكر رايته ولوائه	٣٧٨
« قضيبه	٣٧٩
« عصاته صلى الله عليه وسلم	٣٧٩
(أبواب غزواته)	
« ما كان يقوله إذا غزا	٣٨٣
« غزوة الأبواء	٣٨٤
« غزوة بواط	٣٨٥
« غزوة طلب كرز بن جابر	٣٨٥
« غزوة ذى العشيرة	٣٨٦
« غزاة بدر	٣٨٧
« إلقاء رءوس المشركين فى القليب	٣٩٥
« غزاة بنى قينقاع	٣٩٦
« غزاة السويق	٣٩٦
« غزاة قرقرة الكدر	٣٩٧
« غزاة غطفان	٣٩٧
« غزاة بنى سليم	٣٩٨
« غزاة أحد	٣٩٨
« غزاة حمراء الأسد	٤٠٤
« بنى النضير	٤٠٥
« غزاة بدر للموعد	٤٠٦
« غزاة ذات الرقاع	٤٠٧
« غزاة دومة الجندل	٤٠٨
« غزاة المريسيع	٤٠٩
« غزاة الخندق	٤١٠
« غزاة بنى قريظة	٤١٣
« « بنى لحيان	٤١٥

الموضوع	الصفحة
ذكر غزاة الغابة	٤١٥
« « الحديبية	٤١٦
« « خيبر	٤١٩
« « الفتح	٤٢٠
« « حنين	٤٢٤
« « الطائف	٤٣٠
« « تبوك	٤٣١
« شعاره فى حروبه	٤٣٢
(أبواب سراياه)	
عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا	٤٣٥
عدد سراياه صلى الله عليه وسلم	٤٣٥
ذكر وصاياه السرايا	٤٣٦
« إنكاره ما لا يصلح من فعل أمير السرايا	٤٣٨
(أبواب مكاتبته للملوك)	
« إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه	٤٤١
« إرساله إلى قيصر	٤٤٥
« إرساله إلى كسرى وكتابه إليه	٤٦٠
« إرساله إلى النجاشي وكتابه إليه	٤٦٤
« إرساله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى	٤٦٧
« إرساله إلى هوذة بن على الحنفى وكتابه إليه	٤٦٩

الموضوع	الصفحة
ذكر إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه	٤٧٠
« إرساله إلى ذى الكلاع	٤٧١
كتابه إلى فروة الجذامى	٤٧٢
« كتابه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى	٤٧٣
« إرساله إلى المنذر	٤٧٤
« كتابه إلى ملوك حمير	٤٧٤
دلالة مكاتبته صلى الله عليه وسلم للملوك على صدقه	٤٧٥
(أبواب ذكر الوفود عليه)	
ذكر وفد سعد بن بكر	٤٧٩
ذكر وفد مزينة	٤٨٢
« وفد فزارة	٤٨٣
« وفد تجيب	٤٨٤
« سعد هذيم وهم أهل اليمن	٤٨٦
« وفد محارب	٤٨٧
« وفد بجيلة	٤٨٨
« وفد نهد	٤٨٩
« وفد عامر بن صعصعة	٤٩١
« وفد عبد القيس	٤٩٣
« وفد بنى حنيفة	٣٩٤
﴿ أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ﴾	
استغفار رسول الله لأهل البقيع	٤٩٧

الموضوع	الصفحة
تأميره أسامة بن زيد	٤٩٩
مجىء الخبر بظهور مسيلمة	٥٠٠
ظهور الأسود العنسى	٥٠١
ظهور طليحة بن خويلد	٥٠١
(أبواب مرضه ووفاته)	
ذكر أنه سم صلى الله عليه وسلم	٥٠٥
« تقريب أجله له	٥٠٧
عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته	٥٠٨
« ابتداء المرض به	٥٠٨
سؤال أبى بكر أن يمرضه	٥٠٩
ذكر أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه	٥١٠
اشتداد الوجع عليه	٥١٠
ذكر أمره أن يصب عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد	٥١٣
ما روى أنه اقتص من نفسه	٥١٥
مدة مرضه وأمره أبا بكر أن يصلى بالناس	٥٢١
كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر ثم لم يكتب	٥٢٣
إخراجه شيئاً من المال كان عنده	٥٢٤
ذكر عتقه عبيده عند الموت	٥٢٥
إعلامه فاطمة ابنته بموته	٥٢٦
ذكر استعماله السواك قبل موته	٥٢٧

الموضوع	الصفحة
ذكر أنه خير بين البقاء والموت	٥٢٨
« جمعه أصحابه وإيصائهم	٥٢٩
« وصيته بالصلاة عند موته	٥٣١
« أنه ما أوصى بشيء من الدنيا	٥٣٢
تحذيره أن يتخذ قبره مسجدا	٥٣٢
تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأله عن حاله	٥٣٣
ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت	٥٣٦
صفة خروج روحه الطاهرة	٥٣٧
ذكر وقت موته	٥٣٧
صفة الثياب التي توفى فيها	٥٣٨
ذكر أن الناس شكوا فى موت رسول الله	٥٣٨
« مبلغ سنه	٥٤٢
« ما خلف وحكمه	٥٤٣
« غسله	٥٤٣
« كفنه	٥٤٨
« الصلاة عليه	٥٤٩
« موضع قبره	٥٥٠
« لحده	٥٥٢
« ما نزل فى قبره	٥٥٣
« وقت دفنه	٥٥٣
« الذين نزلوا فى قبره	٥٥٤
صفة قبر رسول الله وصاحبيه	٥٥٥
فضل زيارة قبره	٥٥٦
ذكر الاستسقاء بقبره	٥٥٨
ذكر ندب فاطمة عليها السلام	٥٦٠
فضل الصلاة عليه	٥٦١
تبليغ الملائكة إليه الصلاة والسلام	٥٦٥
كيفية الصلاة عليه	٥٦٦
ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه	٥٦٧
ذكر ما سمع من التعزية برسول الله من الهواتف	٥٦٨
« أنه لا يبلى	٥٦٨
« عرض أعمال أمته عليه	٥٦٩
« رؤيته فى المنام	٥٧٠
(أبواب بعثه وحشره وما يجرى له)	
« أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة	٥٧٣
حشر عيسى بن مريم مع نبينا	٥٧٤
كيفية حشره	٥٧٤
ذكر لوائه	٥٧٦
« أنه أكثر الأنبياء تبعاً	٥٧٦
« حوضه عليه السلام	٥٧٧
« شفاعته	٥٧٩
« المقام المحمود	٥٨٥
تخليصه المؤمنين على الصراط	٥٨٧
ذكر أنه أول من يدخل الجنة	٥٨٨
« فضل أمته	٥٨٩
« علو منزلته على الخلق فى الجنة	٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات: سيدنا ومولانا أفضل المخلوقات وإمام المرسلين، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. وبعد:

فقد تم — بعون الله وتوفيقه — طبع كتاب [الوفا بأحوال المصطفى] تأليف الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله، وذلك بمطبعة الكيلانى لصاحبها ومديرها: « الحاج رشاد كامل كيلانى »

وقد نجز طبعه فى ١٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩٦ هـ.

وقد يسر الله إخراجه بعرض جميل، وتنسيق أنيق، يسر الناظرين، وتقرُّ به أعين القارئين، مع تصحيح دقيق، وطبع متقن.

يرجع الفضل فى هذا، إلى العمال المَهَرَة، المخلصين فى عملهم.

وعلى رأسهم، السيد الفاضل « محمد عبد المقصود علام » الذى بذل أقصى ما فى وسعه من إتقان ودقة مراجعة لفرخ المكنة.

كما لا ننسى المساهمة الفعالة التى قدمها الأستاذ الفاضل: السيد / سالم السيد الجلاد.

وقد أعقب هؤلاء جميعاً بالإصلاح الفنىّ والدقة فى التعقيب الحاج «رشاد» نجل الكاتب القدير ، والأديب الشهير ، المرحوم السيد «كامل كيلانى» ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته .

فقد بذل — حفظه الله — أقصى ماوسعه بما عرف به من سداد الرأى وصواب الملاحظة .

ولا غرو فى ذلك ، فإن الشبل من ذاك الأسد !

أدامه الله ذخراً للعلم وأهله ، وأسبغ عليه الصحة والعافية الكاملة .

وآخر دعوانا : أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين .

محمد زهرى النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر (*)

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، ولك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

ونصلى ونسلم على خاتم رسلك ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، الذين اقتفوا سيرته العطرة ، وسنته المطهرة ، علماً وعملاً .

وبعد فلما رأيت الإقبال الكبير من الجمهور العظيم على إحياء سيرة المصطفى ، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، سارعت بإعادة طبعة كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لصاحب القلم السيال « الشيخ جمال الدين ، عبد الرحمن بن الجوزى » رحمه الله .

وقد شارك فى تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه صديقنا السلفى ، فضيلة الشيخ محمد زهرى النجار .

كما أننا اخترنا لهذا الكتاب ، ما يكمل جماله ، فى جودة الورق ، وجمال الحرف ، وإتقان المطبعة وإنجازها .

كما نرجو من الله العلى القدير ، أن يعيننا على إعادة طبعة كتاب « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » لمؤلفه رفاعة الطهطاوى ؟

(*) الناشر : فهد بن عبد العزيز السعيد صاحب المؤسسة السعيدية بالرياض هاتف ٢٥٥٦١ ش الخزان بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصحح

الحمد لله القائل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) .

والصلاة والسلام على سيد الخلق ، والهادى إلى الحق ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا أنفسهم وكل نفيس لديهم ، فى سبيل نصرة هذا الدين القويم .

وبعد ، فمعلوم لدى كل عاقل ، أن كل علم يشرف بشرف موضوعه .

وما خلق الله الإنس والجن إلا ليتزودوا من دنياهم بالأعمال الصالحة لحياتهم الخالدة ، كيلا يروا أعمالهم حسرات عليهم ، ويقول أحدهم متحسراً « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » .

ولا تتحقق السلامة من الاصطلاء بغضب الله ، نار الله الموقدة ، إلا بالعمل ، ولا يصح العمل إلا بترسم خطوات سيد المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعرُّف بسيرته العطرة .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارىء الكريم ، قد ضم بين دُفَّتَيْه خلاصةً طيبة من سيرة سيد الأنبياء وصفوة الأصفياء .

ألفه إمام نابهُ الذكر ، ووعاء من أوعية العلم فى شتى أنواعه .

قدّمه للناس عامة ، وللمسلمين خاصة ، ليتعرفوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف النواحي .

ولا أريد أن أستقصي تلك النواحي بل أترك ذلك لك أيها القارئ .

وخلاصة ما أصف به هذا الكتاب ، أنه كروضة حوت من جميع الثمار وأنواع الورود والأزهار .

فزائرها أشبه بالطيور التي تنتقل من شجرة إلى شجرة ، ومن فَنَنٍ إلى فنن ، وقد انطلقت حناجرها بأطرب الأغاريد وأعذب الألحان .

وكذلك من يقرأ هذا الكتاب ، ويتنقل في رياضه .

بينما يجد نفسه أمام التعرُّف بصفة النبي خَلْقًا ، إذا هو ينتقل إلى التعرُّف إلى صفة أخلاقه التي لا تُدانَى ، فضلا عن أن تُسامَى ، حتى استوى على عرش قلوب قومه ، فكان أعز إنسان في نفوسهم .

ثم ينتقل إلى بدء النبوة وما سبقه من الإرهاصات ، وإلى القيام بالدعوة ومراحلها ، وإلى صموده أمام تلك الصعاب والعقبات الكأداء ، التي اعترضت دعوته ، ثم إلى هجرته ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وقيامه بالجهاد ، والمعاملة الحسنة للأسرى ، وكيفية عشرته لأصحابه ولأزواجه .

فتنتهي رحلة القارئ من تلك الرياض ، وقد امتلأ معرفةً بأحوال المصطفى علماً وعملا ، وتعظيماً لقدره .

عملنا فى هذا الكتاب

قرأت الكتاب بتمعن وعلى مكث . فعمدت إلى الأخطاء المطبعية فصححتها ، وإلى الآيات القرآنية فضبطتها بالشكل الكامل وخرَّجتها ، وكذلك الأبيات الشعرية .

ثم تتبعت المفردات اللغوية فى النثر والنظم ، فأوضحت معانيها ، وذلك استجابة لطلب بعض أفاضل العلماء .

وقد بذلت جهداً فى ذلك يقدره من يعانى مثل هذا العمل .

ونسقته تنسيقاً يجمل فى عيون القراء ، وأخرجته إخراجاً ، أرجو أن يكون فى أبهى حلة وأجمل منظر .

وعمدت إلى التعريف بالمؤلف فأثبتُّه كما حرره أخونا الفاضل الدكتور مصطفى عبد الواحد ، اعترافاً بمجهوده ، وكراهيه منى لهضم حق الغير والسَّطْوِ على عمله .

واقتصرت من مقدمته على ما يخص ترجمة المؤلف .

التعريف بالمؤلف(١)

أما المؤلف فهو(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد ، ابن على بن عبد الله ابن حُمَّادى ، بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ .

---

(١) ترجمته فى شذرات الذهب ٤/٣٢٩ ووفيات الأعيان ٢/٣٢١ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٥ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .

والجَوْزى نسبة إلى فَرْضة الجوز ـ كما يقول ابن خِلّكان ـ أو إلى محلة الجوز بالبصرة ـ كما يقول ابن العماد .

ولد سنة عشر أو ثمان وخمسمائة ـ ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

نشأ يتيماً ، فمات أبوه وله ثلاث سنين ، فربَّتْه عمته .

قال عن نفسه(١) : « فإن أبى مات وأنا لا أعْقل ، والأم لم تلتفت إلىّ » .

فلما ترعرع حمَلَتْه عمته إلى مسجد أبى الفضل ابن ناصر ، وهو خاله ، فاعتنى به وأَسْمعه الحديث ، وحفظ القرآن ، وقرأه على جماعة من القراء ، بالروايات .

وقد نشأ شغوفاً بالمعرفة ، محباً للطلب ، فسمع الكثير ، ونظر فى جميع الفنون . كما قال :

« فركز فى طبعى حب العلم ، وما زال يوقعنى على المهم فالمهم ، ويحملنى إلى من يحملنى على الأصوب ، حتى قوَّم أمرى » .

وقد كان لابن الجوزى شيوخ كثيرون يبلغون سبعة وثمانين شيخاً .

منهم ابن ناصر ، وهو كثير النقل عنه ، وعلى بن عبد الواحد الدِّينَورى .

وابن الُحصَين ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو الوقت السجزى .

وكان معظِّماً لأبى الوفا بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه .

وقد بلغ ابن الجوزى منزلة عالية فى الحديث وصناعة الوعظ .

أما الحديث ، فقد اشتهر به ، ولقب فيه بالحافظ ، وصنف فيه الكثير ، وبلغ من وثوقه بنفسه فيه أن قال :

---

(١) عبارات المؤلف فى الحديث عن نفسه منقولة عن كتابه صيد الخاطر فى مواضع متفرقة .

« ولا يكاد يُذكر لى حديث ، إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ، أو حسن ، أو محال » .

وهذا القول ليس غروراً ولا ادعاء ، ولكنه قول من يعرف قدر نفسه ويحيط بموهبته .

والحق أن ابن الجوزى أخلص للحديث كثيراً ، وبذل الكثير فى سبيل بلوغ الرتبة العالية فيه .

ويحدثنا عن ذلك فيقول :

« كنت فى زمان الصبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقْدر على أكلها إلا عند الماء .

فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى ، لا ترى إلا لذة تحصيل العلم .

فأثّر ذلك عندى أنى عُرفت بكثرة سماعى لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله ، وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم » .

ويذكر ابن خِلّكان فى ذلك أنه قد جمعت بُراية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحصل منها شىء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ، ففُعل ذلك ، فكفَتْ وفضل منها !

وأما الوعظ ، فقد اتجه إليه ابن الجوزى منذ نشأته ، فوعظ من صغره ، وفاق فيه الأقران ، ونشأت له فى ذلك ملكة عجيبة ، وبديهة حاضرة ، وتاب على يديه الآلاف وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء .

ويقول ابن الجوزى :

« ولقد تاب على يدى فى مجالس الذِّكر ، أكثر من مائتى ألف ، وأسلم

على يدىَّ أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عينُ متجبِّرٍ بوعظى لم تكن تَسيل » .

وكان مجلسه يقدَّر فى بعض الأحيان بمائة ألف ، وحضر مجلسه الخليفة المستيضئ ، مرات من وراء السِّتر .

ومع اشتهار ابن الجوزى بالحديث والوعظ ، فقد تبحَّر فى غيرهما وشارك فى ألوان الثقافة الأخرى ، فبرع فى علوم مختلفة ، وحاز مكانةً فى أكثر من ميدان وطلب من كل فن ما أطاق . .

يقول عن نفسه : « إنى رجل حُبِّب إلىَّ العلم من زمن الطفولة ، فتشاغلتُ به ، ثم لم يحبَّب إلىَّ فن واحد منه ، بل فنونه كلها ، ثم لا تقتصر همتى فى فن على بعضه ، بل أروم استقصاءه » .

وقد جنَى ابنَ الجوزى من تحصيله الكثير ثمرة فائقة ، سمَتْ به إلى مكانة مرموقة فى ميدان الثقافة الإسلامية وأحَلَّتْهُ منزلة باهرة ، حتى ليقول عن نفسه « وما نِلْته من معرفة العلم لا يقاوَم ! » .

وليس ذلك ادعاءا ولا تعالما من ابن الجوزى ، فآثاره المتعددة تدلُّ على المدى البعيد الذى سار فيه ، فى تحصيله ودراسته .

فهذه كتبه فى التاريخ ، لا تقل مكانة عن المصادر الموثوق بها المعول عليها .

وأشهرها : « المنتظم فى تاريخ الأمم » .

وكتبه فى علوم اللغة مثل « تذكرة الأريب » فى اللغة ، و « الوجوه والنظائر » ، و « تقويم اللسان » ، و « المقيم المقعد » فى دقائق العربية ، تدل على مشاركته فى ذلك الميدان الذى لم يكن لواعظ محدث مثله ، أن يتسع اهتمامه به إلى ذلك الحد ، إلى جانب مراجعه فى التفسير ، وعلوم القرآن التى فُقد أكثرها ـ وغير ذلك من علوم الفقه ، ونقد الفكر الإسلامى . .

فإذا تجاوزنا النطاق العلمى إلى النطاق الاجتماعى والسياسى فإننا نجد لابن الجوزى موقفاً متميزاً فى صلته بعصره وموقفه من المجتمع الذى كان يعيش فيه . .

فمن جهة لم يكن ابن الجوزى من وعاظ السلاطين أو حاشية الملوك الذين تُستكمل بهم زينة الملك أو يملأون حيزاً حُدِّد لهم وأريد ألا يتجاوزه . .

بل كان الرجل ذا شخصية فذة ، عرف مكانه من عصره وبيئته ، فانطلق يجاهد بسلاحه الذى يمتلك ، وهو الوعظ والكتابة ـ وتجافى ، بنفسه ، عن ظل السلطان ، ونجا من المداهنة فى قوله أو الرياء بعلمه ، ومن هنا استطاع أن يستعلن بكلمة الحق وأن يعرف الإصرار على الرأى والحدّة فى الإقناع . .

وتلمح خطته فى الإصلاح ومنهجه فى الثورة على المفاسد فى كتابه « تلبيس إبليس » الذى حدد فيه موقفه من الفكر والسلوك فى عصره . .

وفى هذا الكتاب يختص شذوذَ المتصوّفة ومخالفاتهم للشريعة بجانب كبير ، وقد اشتهر ابن الجوزى بعدائه لمبتدعات الصوفية وإنكاره لكل ما يخرج عن حدود النقل الصحيح . .

وهو بهذا سُنِّىٌّ سلفى ، لا يرتبط بمذهب يحمله التعصب على نصرته ولا يأوِى إلى رأى يذود عنه أو يقنع به ، ولكنه مجتهد فى فهم الكتاب والسنة متقبِّل لما ساير العقل من الأثر ، ولهذا لم يبال أن يخالف أحداً ممن سبقوه ما دام ضياء العقل وبَهاء النَّقل فى يده !

ولذلك تراه يردُّ على الإمام الغزالى كلَّ ما لا يتسق مع المنهج الفقهى الذى ارتضاه الغزالى نفسه ، إذ كان الغزالى المتصوف ، يناقض فى بعض الأحيان ، الغزالىَّ الفقيه !

وقد كان ابن الجوزى يَعجب من ذلك ويلفت إليه .

وقد كان ابن الجوزى حنبلىَّ المذهب ، إلا أنك لا تحس منه جموداً عند رَأْيٍ ، بل إن سناء عقله ، يقف من التراث الإسلامى كله ، مُشْرِقاً يتطلع إلى الحق أين كان . .

ولهذا لم يرتض الحنابلة أنفسهم كثيراً من آراء ابن الجوزى ، بل إنهم نقموا عليه بعضها .

يقول عنه ابن رجب الحنبلى فى طبقات الحنابلة :

« نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل فى بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه فى ذلك ، ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو إن كان مطَّلعاً على الأحاديث والآثار ، فلم يكن يَحلّ شُبه المتكلمين وبيان فسادها » .

ثم علل اضطرابه بأنه : « كان معظما لأبى الوفاء ابن عقيل ، متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه ، وإن كان قد ردَّ عليه فى بعض المسائل .

وكان ابن عقيل ، بارعاً فى الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب فى هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له فى هذا التَّلوُّن » .

ويقول عنه الشيخ موفق الدين المقدسى : « كان ابن الجوزى حافظاً للحديث ، وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه فى السنة ولا طريقته فيها » .

والحق أن تعظيم ابن الجوزى لأبى الوفاء بن عقيل ، ليس تعصباً ولا جموداً ، ولا تعبداً بفكر .

إذ أن ابن عقيل هذا ـ حَسب نقوله التى يرويها عنه ابن الجوزى فى كتبه المختلفة ، ومن بينها الكتاب الذى بين أيدينا ـ رجل طليق الفكر والرَّأْيِ ، مشرق الفهم ، بصير فى اتجاهه .

فلعل إعجاب ابن الجوزى به ، إعجاب المشارب المتفقة والأذواق المتلائمة.

وخاصة ، حين نذكر أن ابن الجوزى ، لم يلتق بابن عقيل هذا ، ولم يتصل به ، فقد توفى ، قبل أن يولد ابن الجوزى .

وكل ما هناك ، أن الرجل التقى به بفكره ، وتلمَّح من آثاره ، سعة الأفق ، واستنارة البصيرة ، وحرارة الإخلاص . .

ولم يكن بدٌّ أن يتعرض ابن الجوزى ـ فى صراحته وجهره بالحق ـ لعداوات فكرية ، وسياسية ، جلبت له كثيراً من الحرج والأذى .

فقد كانت الخصومات المذهبية ، تشتد حتى يصيبه لَفْحُها ، وحتى تُدَبَّر له المكائد بسبب إعلانه ، لما يراه حقًّا ، دون خشية أو مواربة .

يروى الذهبى فى تذكرة الحفاظ(١) : « أنه قام عليه الركن عبد السلام ابن عبد الوهاب الحنبلى تجاه الوزير القصَّاب ، وكان الركن سَيِّىء النِّحلة ، أُحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزى ، وأُعطى مدرسة الحنبلى .

فحمل الركن عليه وقال : لابن القصَّاب الشِّيعى : أين أنت من ابن الجوزى ؟ ! فإنه ناصِبىٌّ ، ومن أولاد أبى بكر !

فجاءه من شتمه وأهانه ، وختم على داره ، وشتت عياله .

ثم أخذ فى سفينة إلى واسط ، فحبس بها فى بيت ، وبقى يغسل ثوبه ويطبخ ، ودام على ذلك خمس سنين ، وما دخل فيها حمَّاماً ! » .

أما الخصومات الفكرية فقد كان بعضها يصل إلى درجة الهجوم عليه ، مثل وصف ابن الأثير له ـ فى مقدمة كتابه اللباب ـ بالتدليس ، فى صدد دفاعه عن السمعانى ، وكان بعضها هيناً إلى درجة النقد الخفيف ، من أنه

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ٤/١٢٥

كان يقع السهو فى تصانيفه ، وأنه كان يتم الكتاب فلا يراجعه ، وأن معظم ما كتبه ليس من ممارسة العلماء .

* * *

كتبه

كان ابن الجوزى من المكثرين من الكتابة الموفقين فى التأليف ، حتى شاعت له شهرة فى ذلك ، وأحاطت المبالغة بعدد كتبه .

فهذا ابن العماد الحنبلى يذكر أن ابن الجوزى سئل عن عدد تصانيفه فقال : «زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً ، منها ما هو عشرون مجلداً وأقل».

ويقول الذهبي : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف ما صنف هذا الرجل » .

ويقول ابن خلكان : « وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعَدّ ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يُغالون فى ذلك » .

وفى الحق أن هذا الرجل كان عميق الثقافة ، مُتَّسِع المدارك ، خالياً من الشواغل والآفات ، فأكثر من الكتابة والتصنيف .

ولكن هذا العدد الذى يُذكر لكتبه ، محوط بالتهويل والمبالغة .

ولعلهم كانوا يعدون الأجزاء من الكتاب الواحد كُتباً متعددة !

والذى يذكر من كُتبه فى التراجم ، لا يكاد يبلغ المائة .

والمؤسف أن القدر الذى بقى من كُتبه لا يزال أكثره فى طوايا النسيان ، لا يجد من يعتنى به أو يصونه ، مع أن هذا التراث لرجل واحد ، كان خليقاً بأن تقوم عليه جامعة إسلامية ، تنفض عنه غبار الدهر وتدفع عنه

يد البِلى ، وقد كان الأزهر الشريف ، أحق بذلك فيستيقظ لرسالته ، وينتبه لأعبائه ، ويمارس فى عالم الواقع ، ما يُرْجى له !

إن ابن الجوزى يجد من يهتم بكتبه وآثاره من الأوربيين المستشرقين أكثر من العرب المسلمين ، والدليل على ذلك أن أكثر كُتبه المخطوطة فى المكتبات والجامعات الأوربية ، ولا أنسى أننى أخرجت كتابه «ذم الهوى» عن نسخة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ونسخة مكتبة باريس الأهلية ، على حين أننى لم أجد نسخة يعوّل عليها فى مكتباتنا العربية .

إننى أدعو من هذا إلى صيانة آثار ابن الجوزى وتتبع كتبه المفقودة أو التائية عنا واستردادها ـ عن طريق نشرها ـ من أيدى الأوربيين والمستشرقين الذين عنوا بتراثنا على غفلة منا واستهانة .

ولا بأس هنا أن نذكُر بعض ما عرف من كتب ابن الجوزى فى الفنون المختلفة ، ونشير إلى المطبوع منها :

(ا) فى علوم القرآن وتفسيره :

١ — المغنى فى علوم القرآن .

٢ — فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن .

٣ — زاد المسير فى علم التفسير . طبع فى دمشق .

٤ — المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن . ٥ — التفسير الكبير فى عشرين مجلداً .

٦ — إخبار أهل الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ طبع سنة ١٣٢٢

(ب) علوم الحديث :

١ — الكشف فى أحاديث الصحيحين .

٢ — تهذيب المسند ـ عشرون مجلداً .

٣ — المختار من أخبار المختار . ٤ — مشكل الصحاح — أربع مجلدات .
٥ — جامع المسانيد — سبع مجلدات . ٦ — الموضوعات .
٧ — الواهيات . ٨ — الضعفاء .
٩ — تلقيح فهوم أهل الأثر [مطبوع بالهند] .

(ح) الوعظ :

١ — بستان الواعظين . طبعه محمود صبيح مرتين .
٢ — نتيجة الإحياء [اختصر به إحياء علوم الدين] .
٣ — تبصرة الأخيار . ٤ — روح الأرواح [طبع] .
٥ — الثبات عند الممات . ٦ — المورد العذب .
٧ — لفتة الكبد إلى نصيحة لولد [طبع] . ٨ — القُصّاص والمذكرون .
٩ — منهاج المريدين . ١٠ — التبصرة . ١١ — المدهش [طبع] .
١٢ — رءوس القوارير فى الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير — طبع بالجمالية سنة ١٣٣٢
١٣ — تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر . ١٤ — الياقوتة فى الوعظ .

(د) التاريخ والتراجم :

١ — المنتظم [طبع جانب منه] . ٢ — مختصر المنتظم .
٣ — مناقب عمر بن عبد العزيز [طبع] .
٤ — شذوذ العقود فى تاريخ العهود .
٥ — صفوة الصفوة [طبع بالهند] .
٦ — مناقب أحمد بن حنبل . طبعه محمد أمين الخانجى .
٧ — الذهب المسبوك فى سير الملوك . ٨ — فضائل القدس .
٩ — أخبار الأخيار . ١٠ — أخبار النساء .

١١ — مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن .

١٢ — مناقب عمر بن الخطاب [طبع] .

١٣ — الوفا فى فضائل المصطفى [وهو الذى بين أيدينا] .

(ه) علم الكلام :

١ — التحقيق فى مسائل الخلاف . بدأ بتحقيقه المرحوم الشيخ أحمد شاكر ولم يطبعه .

٢ — الانتصاف فى مسائل الخلاف .

٣ — دفع شبهة التشبيه والرد على المجسِّمة [طبع] فى دمشق على نفقة حسام الدين القدسى .

٤ — تجريد التوحيد المفيد .

(و) اللغة والأدب :

١ — تقويم اللسان .

٢ — المقيم المقعد فى دقائق العربية .

٣ — تذكرة الأريب .

٤ — الوجوه والنظائر فى اللغة .

٥ — الأذكياء [طبع] .

٦ — المغفلون . طبعة حسام الدين القدسى بعنوان (الحمقى والمغفلون) .

٧ — ذم الهوى [طبع بتحقيق] .

٨ — لقط المنافع فى الطب ، والفراسة عند العرب .

٩ — المقامات .

(ز) النقد الدينى والاجتماعى :

١ — صيد الخاطر [طبع] .

٢ — تلبيس إبليس [طبع] .

وهكذا نرى القليل من كتب هذا الإمام العظيم قد عرف طريقه إلى النور ، فطبع طبعة رديئة ، وأكثرها نعرف اسمه ، ولا نهتدى إلى مكانه !

ويا لخسارة أمتنا الإسلامية حين تُحرم تراثَ رجل من رجالها الأفذاذ ، وحين ينفىء مصباح من مصابيحها دون أن يهتدى بنوره أحد !

هذا الكتاب

وكتابنا هذا أحد كتب ابن الجوزى التى تعبِّر عن جانب من اتجاهاته العلمية وتشفُّ عن لون من فكره وثقافته .

فهو فى موضوعه يعرض سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بدايتها إلى نهايتها ، وفى خلال ذلك يُدْرج المؤلف دلائلَ نبوة الرسول وشواهد صدقه فى دعوته ، كما يوضح خصائصه ويَجمع شمائله وهَدْيه ، وما يتعلق بنواحى حياته ونظام معيشته .

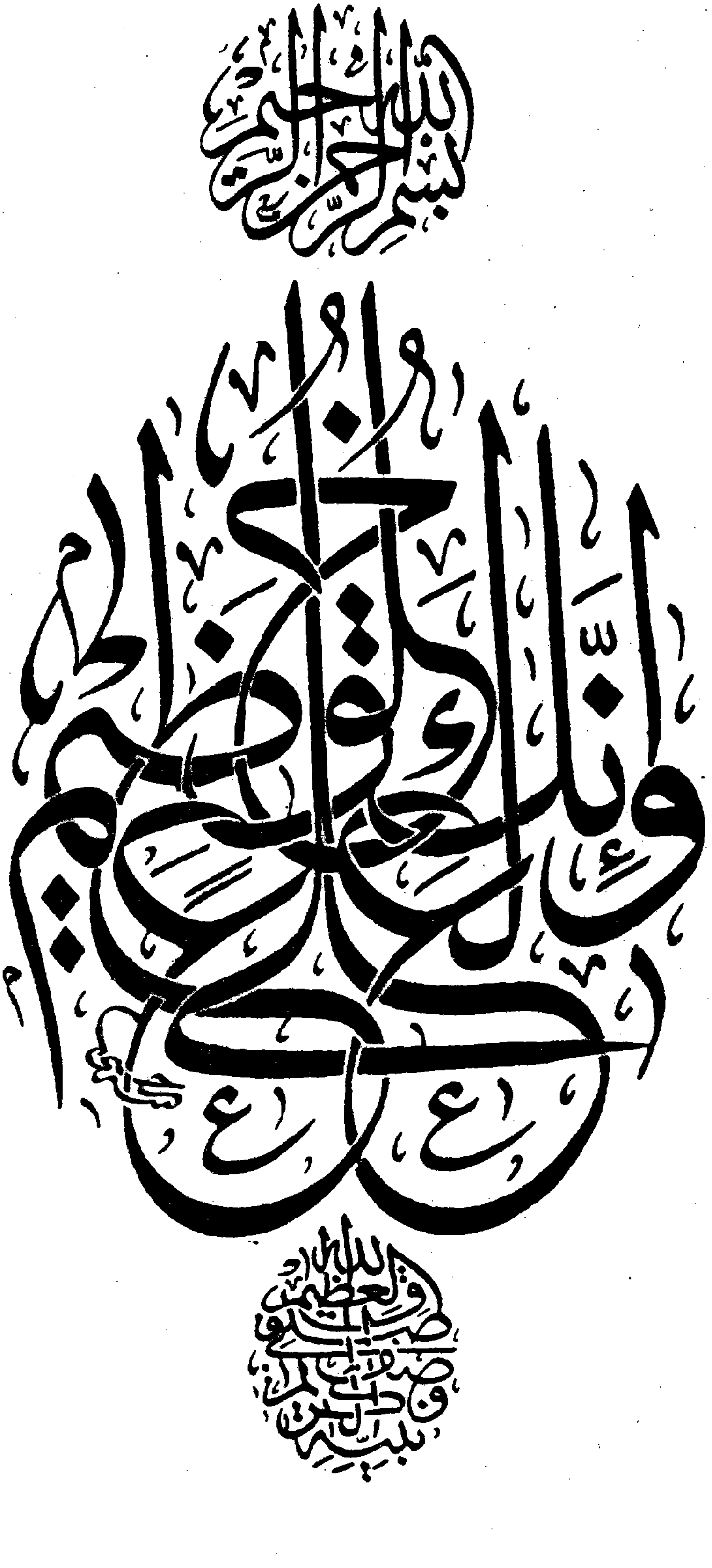
بسم الله الرحمن الرحيم
وإنك لعلى خلق عظيم
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى قدّم نبيّنا صلى الله عليه وسلم على كل نبى أرْسله ،
وفضّل كتابنا على كل كتاب أنزله ، وجعل أمتنا الأخيرة الأوّلة ،
فله الشكر من معتقدٍ أنه به ولَه .

اعلموا رحمكم الله(١) أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة(٢) الوجود ، وواسطة العقود ، لا يُدانِى باحةَ مجده بَشر ولا مَلَك ، ولا يَطرق ساحة جَدِّه مخلوقٌ إذا سَلك .

نُوِّه بذكره قبل خَلق آدم ، وأمر الأنبياء أن يُعْلِموا بوجوده العالمَ ، ولم يبعث نبى قبله إلى غير أمته ، وشُرِّف هو على الكل بعموم دعوته ، ونَسَخَ كثيراً من شرائع الأنبياء بشريعته .

وإنى رأيت خَلقا من أئمتنا لا يحيطون علما بحقيقة فضيلته .

فأحببت أن أجمع كتابا أشير فيه إلى مرْتبته ، وأشرح حاله من بدايته إلى نهايته ، وأُدْرج فى ذلك الأدلة على صحة رسالته ، وتَقَدُّمه على جميع الأنبياء فى رتبته .

---

(١) ز : اعلم رحمك الله .

(٢) ز : خالصة .

فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه فى تربته ، ذكرت فضل الصلاة عليه وعَرْض أعمال أمته ، وكيفية بعثته ، ومَوْقع شفاعته ، وأخبرت بقُرْبه من الخالق يوم القيامة ومنزلته .

ولا أطرِق الأحاديثَ خوفاً على السامع من ملامته ، ولا أخلط الصحيح بالكذب(١) كما يفعل من يقصد تكثير روايته ، مثل حديث هامة بين الميم ، وزريب بن برثملى وما جاء فى مجانسته .

إذ فى الصحيح ، غُنْيةٌ(٢) لمن قضى الله بهدايته .

وقد زادت أبواب هذا الكتاب على خمسمائة باب والله الموفق برحمته .

---

(١) ليته راعى هذا الوعد الذى قطعه على نفسه ، فلقد خلط الصحيح بالكذب فى بعض المواضع !

(٢) غنية : استغناء واكتفاء .

ذكر تراجم الأبواب

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : فى ذكر التَّنويه بذكر نبينا صلى الله عليه وسلم من زمن آدم صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى ذكر الطينة التى خلق منها صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : فى دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع : فى بيان ذِكره فى التوراة والإنجيل ، وذكر أمته واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك .

الباب الخامس : فى إعلام كعب بن لؤىٍّ بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا كان يسمع من أهل الكتاب .

الباب السادس : فى ذكر منام رآه نَصر بن ربيعة اللَّخمى يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع : فى ذكر نَسَب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الباب الثامن : فى ذكر طهارة آبائه وشرفهم .

الباب التاسع : فى بيان أن جميع العرب ولدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

الباب العاشر : فى قوله : « وُلدت من نكاح لا من سفاح » .

الباب الحادى عشر : فى ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى عشر : فى ذكر منام رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث عشر : فى ذكر منام رآه عمرو بن مُرَّة يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع عشر : فى ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بنى زُهْرة .
الباب الخامس عشر : فى ذكر أبى نبينا صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس عشر : فى ذكر تزويج عبد الله آمنة بنت وهب .
الباب السابع عشر : فى ذكر ما جرى لآمنة فى حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن عشر : فى ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب .
الباب التاسع عشر : فى ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم .
الباب العشرون : فى قصة الفيل .
الباب الحادى والعشرون : فى ذكر ما جرى عند وضع آمنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى والعشرون : فى ذكر ولادته مختونا مسروراً .
الباب الثالث والعشرون : فى ذكر الحوادث التى كانت ليلة ولادته .
الباب الرابع والعشرون : فى ذكر أمهات الحوادث .
الباب الخامس والعشرون : فى ذكر أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فى ذكر كنيته عليه السلام .
الباب السابع والعشرون : فى ذكر أول من أرضعته .
الباب الثامن والعشرون : فى ذكر حليمة وهى التى أرضعته بعد ثويبة .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر شَرْح صدره في صغره .

الباب الثلاثون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين من مولده .

الباب الحادى والثلاثون : فى ذكر وفاة آمنة .

الباب الثانى والثلاثون : فى ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث والثلاثون : فى ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون عند غمام رقيقة .

الباب الرابع والثلاثون : فى ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سيف ابن ذى يزن ، بالملك ، وتبشير سيف عبد المطلب بأن سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبله .

الباب الخامس والثلاثون : فى ذكر موت عبد المطلب .

الباب السادس والثلاثون : فى ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع والثلاثون : فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بَحِيرى .

الباب الثامن والثلاثون : فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفِجَار .

الباب التاسع والثلاثون : فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلْفَ الفضول .

الباب الأربعون : فى ذكر ما كان يتعبَّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

الباب الحادى والأربعون : فى ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة ، فأخبر بها عمّه أبا طالب .

الباب الثانى والأربعون : فى ذكر رَعْيه الغنم .

الباب الثالث والأربعون : فى ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر خروجه إلى الشام مرة أخرى فى تجارة لخديجة رضى الله عنها .

الباب الخامس والأربعون : فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها .

الباب السادس والأربعون : فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيان الكعبة ووضعه الحجرَ بيده صلى الله عليه وسلم.

أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : فى ذكر المواتف بنبوة نبيناصلى الله عليه وسلم .

الباب الثـــانى : فى ذكر إعلام الوحش بنبوته صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : فى ذكر أمارات النبوة التى رآها قبل بعثته .

الباب الرابع : فى ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه .

الباب الخامس : فى ذكر بَدء الوحى إليه صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس : فى ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة .

الباب السابع : فى ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بداية الإسلام وعلىّ .

الباب الثامن : فى صفة نزول الوحى عليه .

الباب التاسع : فى ذكر الخلاف فيمن قُرِن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة .

الباب العاشر : فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه أن يريه آية تُقَوِّى ما عنده .

الباب الحادى عشر : فى ذكر رَمْى الشياطين بالشهب حين بعث صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى عشر : فى ذكر ما وقع من التغيير فى أحوال كسرى المسمى بأبرويز عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث عشر : فى ذكر دعاية (دعوة) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام .

الباب الرابع عشر : فى ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المواسم .

الباب الخامس عشر : فى ذكر إنذاره عشيرته .

الباب السادس عشر : فى ذكر عموم رسالته .

الباب السابع عشر : فى ذكر إرساله إلى الجن .

الباب الثامن عشر : فى كونه خاتم النبيين .

الباب التاسع عشر : فى ذكر مالاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى الكفار وهو صابر .

الباب العشرون : فى ذكر ماروى من إيمان أكثم بن صيفى برسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بلغه خروجه .

الباب الحادى والعشرون : فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة .

الباب الثانى والعشرون : فى ذكر ما كتبه المشركون من التبرِّى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب .

الباب الثالث والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع ضماد الأزدى الوافد .

الباب الرابع والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عُتْبة بن ربيعة .

الباب الخامس والعشرون : فى ذكر ما أشار به الوليد بن المغيرة على قريش فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الطُّفيل بن عمرو .

الباب السابع والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى طالب عند موته .

الباب الثامن والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله علية وسلم عند موت أبى طالب وخديجة .

الباب التاسع والعشرون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه إلى الطائف .

الباب الثلاثون : فى ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف بجوار .

الباب الحادى والثلاثون : فى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى المواسم .

الباب الثانى والثلاثون : فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار فى سنة إحدى عشرة من النبوة .

الباب الثالث والثلاثون : فى ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع والثلاثون : فى ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فى العقبة الثانية فى سنة ثلاث عشرة من النبوة .

الباب الخامس والثلاثون : فى علم قريش بما جرى للأنصار وما تشاوروا أن يفعلوا فى ذلك .

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

الباب الأول : فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار .

الباب الثانى : فى ذكر ما جرى فى الغار .

الباب الثالث : فى ذكر ما جرى له فى طريقه إلى المدينة .

الباب الرابع : فى ذكر حديث أم مَعْبد .

الباب الخامس : فى تورية أبى بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقهم إلى المدينة .

الباب السادس : فى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة بريدة الأسلمَى وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه .

الباب السابع : فى ذكر تَلَقِّى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها .

الباب الثامن : فى ذكر اليوم الذى قدم فيه المدينة .

الباب التاسع : فى ذكر المكان الذى نزل به حين دخل المدينة .

الباب العاشر : فى ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم .

الباب الحادى عشر : فى لقاء عبد الله بن سَلاَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة .

الباب الثانى عشر : فى فضل المدينة .

الباب الثالث عشر : فى ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع عشر : فى فضل مسجده صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس عشر : فى ذكر ما بين بيته ومنبره .

الباب السادس عشر : فى ذكر بيوته صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه .

الباب السابع عشر : فى دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبّب إلى أصحابه المدينة .

الباب الثامن عشر : فى صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة .

الباب التاسع عشر : فى ذكر الوقت الذى حُوِّلت فيه .

الباب العشرون : فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحرس فى المدينة .

أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول	: فى ذكر معجزة القرآن العزيز .
الباب الثانى	: فى معجزته بشق القمر .
الباب الثالث	: فى إظهار معجزته فى تكثير الطعام .
الباب الرابع	: فى معجزته فى تكثير السمن .
الباب الخامس	: فى معجزته فى تكثير التمر .
الباب السادس	: فى معجزته فى تكثير الماء .
الباب السابع	: فى نبع الماء من بين أصابعه .
الباب الثامن	: فى معجزته فى تكثير اللبن .
الباب التاسع	: فى ظهور معجزته بمجىء الشجرة إليه .
الباب العاشر	: فى تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره .
الباب الحادى عشر	: فى ذكر شكوى البهائم إليه ، وذُلِّ المستصعَب منها له .
الباب الثانى عشر	: فى ذكر معجزته [التى ظهرت] فى المركوب .
الباب الثالث عشر	: فى رَمْيه وجوه المشركين بكف من تراب فملأ أعينهم .
الباب الرابع عشر	: فى إشارته إلى الأصنام فوقعت .
الباب الخامس عشر	: فى إخباره صلى الله عليه وسلم بالغائبات .
الباب السادس عشر	: فى إلانة الصخر له .
الباب السابع عشر	: فى حنين الجذع إليه .
الباب الثامن عشر	: فى تسبيح الحصى فى يده .
الباب التاسع عشر	: فى ستره عن أعين من قصد أذاه من المشركين .

الباب العشرون : فى دفع من أراد أذاه من الإنس .
الباب الحادى والعشرون : فى كيفية هلاك بعض من آذاه .
الباب الثانى والعشرون : فى دفع من قصد أذاه من الشياطين .
الباب الثالث والعشرون : فى دفع أذى الهوام عنه .
الباب الرابع والعشرون : فى إعادته عينَ بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت .
الباب الخامس والعشرون : فى كلام الجدار بحضرته .
الباب السادس والعشرون : فى تكليم الظَّبية له .
الباب السابع والعشرون : فى كلام الضَّب له .
الباب الثامن والعشرون : فى إجابته اليهود عن مسائل لا يعلمهن إلا نبى .
الباب التاسع والعشرون : فى رؤيته الأشياء من وراء ظهره .
الباب الثلاثون : فى أنه كان يرى فى الظُّلْمة كما يرى فى الضوء .
الباب الحادى والثلاثون : فى إجابة دعائه .

أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام وخصائصه، ومثل ما بعث به ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

الباب الأول : فى ذكر فضله على الأنبياء عليهم السلام .

الباب الثانى : فى ذكر خصائصه .

الباب الثالث : فى ذكر إنفاذ قطيفة له من الجنة .

الباب الرابع : فى رفع ذكره عليه السلام .

الباب الخامس : فى ذكر مَثَله ومثل النبيين عليهم السلام .

الباب السادس : فى ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به .

الباب السابع : فى فضل أمته على الأمم .

الباب الثامن : فى ذكر مَثَله ومثل أمته .

الباب التاسع : فى ذكر مثل من قَبِل ما جاء به ومثل من لم يقبل .

الباب العاشر : فى وجوب طاعته عليه السلام .

الباب الحادى عشرَ : فى وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس .

أبواب صفات جسده صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : في صفة رأسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني : في صفة جبينه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث : في صفة حاجبيه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع : في صفة عينه وأهدابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس : في صفة خديه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس : في صفة أنفه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع : في صفة فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن : في صفة نَكْهته صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع : في صفة وجهه صلى الله عليه وسلم .
الباب العاشر : في صفة اللحية الكريمة .
الباب الحادي عشر : في صفة شعره صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني عشر : في صفة عنقه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث عشر : في بُعْد ما بين مَنْكِبيه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع عشر : في غِلَظه الكثير صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس عشر : في صفة صدره صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس عشر : في صفة بطنه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع عشر : في صفة مَسْرُبته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن عشر : في صفة أصابعه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع عشر : في صفة كفيه صلى الله عليه وسلم .
الباب العشرون : في صفة زنديه صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادي والعشرون : في صفة ساقيه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني والعشرون : في ذكر عَقبه صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث والعشرون : فى ذكر قدميه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : فى ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : فى ذكر اعتدال خَلْقه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فى ذكر طوله صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع والعشرون : فى رقة بشرته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن والعشرون : فى صفة لونه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع والعشرون : فى ذكر حسنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثلاثون : فى ذكر عرَقه .
الباب الحادى والثلاثون : فى ذكر خاتم النبوة .

أبواب صفاته المعنوية

الباب الأول	: فى حسن خُلُقه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى	: فى ذكر حلمه وصَفحه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: فى نهيه أن يُبَلَّغ مالا يصلح .
الباب الرابع	: فى ذكر شفقته ومداراته صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى ذكر حيائه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: فى ذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع	: فى أنه بُعِث رحمةً صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن	: فى ذكر اشتراطه على ربه [أن يجْعل] سَبَّه لمن سَبَّه من المسلمين أجراً صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع	: فى ذكر كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .
الباب العاشر	: فى ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى عشر	: فى ذكر مزاحه ومداعبته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى عشر	: فى ذكر وفائه بالعهد صلى الله عليه وسلم .

أبواب آدابه وسمته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : فى جعله يده اليمنى للطهور واليسرى لدفع الأذى صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى فعله عند عطسه صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : فى محبته التيامُنَ فى أفعاله صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع : فى ذكر جلسته صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس : فى ذكر احتبائه صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس : فى ذكر اتكائه صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع : فى ذكر استلقائه صلى الله عليه وسلم .

الباب الثامن : فى صفة منطقه وألفاظه صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع : فى حركة يده حين يتكلم صلى الله عليه وسلم .

الباب العاشر : فى ذكر منبره صلى الله عليه وسلم .

الباب الحادى عشر : فى ذكر فصاحته صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى عشر : فى تكلُّمه بالفارسية .

الباب الثالث عشر : فى ذكر ما تمثل به من الشعر .

الباب الرابع عشر : فى ذكر ما سَمِع من الشعر .

الباب الخامس عشر : فى صفة مشيه صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس عشر : فى ذكر ضحكه وتبسمه صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع عشر : فى محبته للفأل والحسن من القول .

الباب الثامن عشر : فى تغييره الاسم القبيح بالحسن .

الباب التاسع عشر : فى قبوله الهدية وإثابته عليها .
الباب العشرون : فى كثرة مشاورته لأصحابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى والعشرون : فى ذكر فعله ، فى أول مطر يقع .
الباب الثانى والعشرون : فى احتياطه فى نفى التهمة عنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث والعشرون : فى علامة رضاه وسخطه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : فى مخالطته الناس صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : فى يمينه إذا حلف صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه صلى الله عليه وسلم .

أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : فى إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى : فى اقتناعه باليسير من الدنيا .
الباب الثالث : فى أنه كان لا يدّخر شيئا صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع : فيما روى أنه كان يدخر .
الباب الخامس : فى ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس : فى صفة عيشه فى الدنيا صلى الله عليه وسلم .

أبواب تعبده صلى الله عليه وسلم

أبواب طهارته

الباب الأول	: فى ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف .
الباب الثانى	: فى ما كان يقوله إذا خرج منه .
الباب الثالث	: فى ابتلاع الأرض لحدثه .
الباب الرابع	: فى ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى أنه كان يتوضأ لكل صلاة .
الباب السادس	: فى جمعه الصلوات بوضوء واحد .
الباب السابع	: فى مسحه على الخفين .
الباب الثامن	: فى ذكر سواكه عليه السلام .
الباب التاسع	: فى صفة غُسْله عليه السلام .

أبواب صلاته

الباب الأول	: فى صفة صلاته عليه السلام .
الباب الثانى	: فى مقدار ما كان يقرأ فى الصلوات المفروضات .
الباب الثالث	: فى ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة .
الباب الرابع	: فى تنفُّله بالنهار صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى ما كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة .
الباب السادس	: فى ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر .
الباب السابع	: فى صلاته الضحى صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن	: فى ذكر صلاته بالليل صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع	: فى طول قيامه بالليل .
الباب العاشر	: فى قيامه طول الليل بآية .
الباب الحادى عشر	: فى صفة قراءته .
الباب الثانى عشر	: فى حسن صوته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث عشر	: فى ذكر الزمان الذى كان يختم فيه .
الباب الرابع عشر	: فى دعائه قائماً ، إذا ختم .
الباب الخامس عشر	: فى ذكر وتره صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس عشر	: فى ما كان يصنع إذا فاته وِرْدُه من الليل .
الباب السابع عشر	: فى صلاة التراويح وعددها .
الباب الثامن عشر	: فى قطعه إياها خوف أن تفرض عليهم .
الباب التاسع عشر	: فى سجوده الشكر .

أبواب صومه

الباب الأول	: فى ذكر صومه من الشهر وفطره .
الباب الثانى	: فى صومه ثلاثة أيام من كل شهر .
الباب الثالث	: فى صومه الاثنين والخميس .
الباب الرابع	: فى صومه فى شعبان .
الباب الخامس	: فى مواصلته للصيام .
الباب السادس	: فى ما كان يفطر عليه .
الباب السابع	: فى ما كان يقوله إذا أفطر عند قوم .
الباب الثامن	: فى جده واجتهاده فى العشر الأخير من رمضان .
الباب التاسع	: فى ذكر اعتكافه فى العشر الأواخر من رمضان .
الباب العاشر	: فى أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج .
الباب الحادى عشر	: فى حمل الحربة بين يديه يوم العيد .
الباب الثانى عشر	: فى عدد تكبيراته فى صلاة العيد .
الباب الثالث عشر	: فى مخالفته الطريق يوم العيد .

أبواب حجه وعمرته

الباب الأول : في ذكر إحرامه عليه السلام .
الباب الثاني : في ذكر تَلْبيته عليه السلام .
الباب الثالث : في دعائه يوم عرفة عليه السلام .
الباب الرابع : في ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس : في طوافه واستلامه الحجر .
الباب السادس : في استلامه الركن اليماني .
الباب السابع : في سعيه بين الصفا والمروة .
الباب الثامن : في رميه الجمرة عليه السلام .
الباب التاسع : في دخوله الكعبة عليه السلام .
الباب العاشر : في خطبته في حجة الوداع .
الباب الحادي عشر : في سياق حجه جملة .
الباب الثاني عشر : في عدد عُمَره عليه السلام .

أبواب خوفه وتضرعه وحزنه وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته

الباب الأول : فى ذكر خوفه وتضرعه عليه السلام .

الباب الثانى : فى انزعاجه من الغيم والريح .

الباب الثالث : فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق .

الباب الرابع : فى ذكر حزنه وفكره عليه السلام .

الباب الخامس : فى ذكر بكائه عليه السلام .

الباب السادس : فى ذكر ورعه عليه السلام .

الباب السابع : فى قصر أمله عليه السلام .

الباب الثامن : فى استغفاره وتوبته عليه السلام .

أبواب دعائه

الباب الأول : فى بسط يديه عند الدعاء .

الباب الثانى : فى دعائه عند الصباح والمساء .

الباب الثالث : فى دعائه عليه السلام عند الكرب .

الباب الرابع : فى دعائه مطلقا عليه السلام .

أبواب آلات بيته

الباب الأول : فى ذكر سريره صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى ذكر حصيره عليه السلام .

الباب الثالث : فى ذكر كرسيه عليه السلام .

الباب الرابع : فى ذكر فراشه عليه السلام .

الباب الخامس : فى ذكر لحافه عليه السلام .

الباب السادس : فى ذكر وسادته عليه السلام .

الباب السابع : فى ذكر اتكائه على الوسادة .

الباب الثامن : فى ذكر قطيفته عليه السلام .

الباب التاسع : فى ذكر قنيته عليه السلام .

أبواب لباسه

الباب الأول	: فى ذكر قميصه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر جبته عليه السلام .
الباب الثالث	: فى ذكر إزاره وكسائه عليه السلام .
الباب الرابع	: فى ذكر حلته عليه السلام .
الباب الخامس	: فى ذكر بردته عليه السلام .
الباب السادس	: فى ذكر عمامته عليه السلام .
الباب السابع	: فى ذكر قلنسوته عليه السلام .
الباب الثامن	: فى ذكر ردائه عليه السلام .
الباب التاسع	: فى ذكر سراويله عليه السلام .
الباب العاشر	: فى لبسه الصوف .
الباب الحادى عشر	: فى لبسه ما يتفق من اللباس .
الباب الثانى عشر	: فى لبسه الثوب المستجد .
الباب الثالث عشر	: فيما كان يقوله عند اللبس .
الباب الرابع عشر	: فى ذكر خفه .
الباب الخامس عشر	: فى ذكر نعله عليه السلام .

أبواب ذكر مراكبه

الباب الأول : فى ذكر خيله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى ذكر ناقته عليه السلام .

الباب الثالث : فى ذكر بغلته عليه السلام .

الباب الرابع : فى ذكر حماره عليه السلام .

الباب الخامس : فى ذكر سرجه عليه السلام .

الباب السادس : فيما كان يقوله إذا ركب .

أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام

الباب الأول : فى ذكر مواليه عليه السلام .

الباب الثانى : فى ذكر مولياته عليه السلام .

الباب الثالث : فى ذكر من خدمه من الأحرار صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

الباب الأول	: فى ذكر خاتمه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر خضابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: فى استعماله المشط .
الباب الرابع	: فى فرق رأسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى استعماله الدهن عليه السلام .
الباب السادس	: فى ذكر المرآة .
الباب السابع	: فى أخذه من اللحية .
الباب الثامن	: فى جز شاربه .
الباب التاسع	: فى استعماله النورة .
الباب العاشر	: فى محبته للطيب وتطيبه .

أبواب أكله ومأكولاته

الباب الأول : فى ذكر مائدته وسفرته .
الباب الثانى : فى ذكر قصعته .
الباب الثالث : فى صفة خبزه عليه السلام .
الباب الرابع : فى اختياره البقل .
الباب الخامس : فى ائتدامه بالخل .
الباب السادس : فى أكله القثاء .
الباب السابع : فى أكله الدباء .
الباب الثامن : فى أكله السمن والأقط .
الباب التاسع : فى أكله الحيس .
الباب العاشر : فى أكله الثريد .
الباب الحادى عشر : فى أكله وجمعه بين طعامين .
الباب الثانى عشر : فى أكله اللحم وما يختاره من الأعضاء .
الباب الثالث عشر : فى أكله القديد .
الباب الرابع عشر : فى أكله الشواء .
الباب الخامس عشر : فى أكله لحم الدجاج .
الباب السادس عشر : فى أكله لحم الحُبَارى .
الباب السابع عشر : فى تركه أكل ما يعافه .
الباب الثامن عشر : فى اجتنابه ما يؤذى ريحه .
الباب التاسع عشر : فى أكله الجمار .
الباب العشرون : فى حبه الحلواء والعسل .
الباب الحادى والعشرون : فى أكله التمر .

الباب الثانى والعشرون : فى أكله العنب .
الباب الثالث والعشرون : فى أكله الرطب .
الباب الرابع والعشرون : فيما كان يفعل بأول الثمر .
الباب الخامس والعشرون : فى أكله الخبيص .
الباب السادس والعشرون : فى أكله بثلاث أصابع ولعقها .
الباب السابع والعشرون : فى أكله مما يليه .
الباب الثامن والعشرون : فى أكله مُقْعياً من الجوع .
الباب التاسع والعشرون : فى أنه لم يأكل متَّكئاً .
الباب الثلاثون : فى أنه لم يذمَّ طعاما .
الباب الحادى والثلاثون : فى أنه كان لا يأكل الصدقة .
الباب الثانى والثلاثون : فى حمده لله عند فراغه من الطعام وغسل يديه صلى الله عليه وسلم .

أبواب شربه ومشروباته

الباب الأول	: في أنه كان يُستعذب له الماء .
الباب الثاني	: في اختياره الماء البائت .
الباب الثالث	: في إيثاره الماء البارد .
الباب الرابع	: في ذكر الآنية التي كان يشرب منها .
الباب الخامس	: في شربه اللبن صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: في شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ .
الباب السابع	: في شربه السَّويق .
الباب الثامن	: في كيفية شربه عليه السلام .
الباب التاسع	: في تنفسه في الإناء ثلاثا .
الباب العاشر	: في شربه قائماً وقاعداً .
الباب الحادي عشر	: في شربه وأصحابه إذا مقام .
الباب الثاني عشر	: في مناولته مَن عن يمينه .

أبواب نومه

الباب الأول	: فى مسامرته أزواجه بالليل .
الباب الثانى	: فى نزوله وصعوده ليلة الجمعة .
الباب الثالث	: فى وضوئه قبل النوم .
الباب الرابع	: فى اكتحاله عند النوم عليه السلام .
الباب الخامس	: فى صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل .
الباب السادس	: فيما كان يصنع إذا أتى الفراش .
الباب السابع	: فى كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم .
الباب الثامن	: فيما كان يقوله إذا استيقظ .
الباب التاسع	: فى أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه .
الباب العاشر	: فى ذكر بعض مناماته صلى الله عليه وسلم .

أبواب طبه

الباب الأول	: فى كثرة أمراضه .
الباب الثانى	: فى ذكر حجامته .
الباب الثالث	: فى تداويه بالحناء عليه السلام .

أبواب نكاحه

الباب الأول	: فى تحبيب النساء إليه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر أزواجه وعددهن .
الباب الثالث	: فى ذكر سراريه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع	: فى ذكر قوّته على الجماع .
الباب الخامس	: فى استتاره وغض بصره عند الجماع .
الباب السادس	: فى ذكر طوافه على نسائه فى ساعة .
الباب السابع	: فى أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد .
الباب الثامن	: فى اغتساله فى كل وطء .
الباب التاسع	: فى ذكر مداراته لنسائه .
الباب العاشر	: فى تأديب أزواجه بالهجر .
الباب الحادى عشر	: فى ذكر أولاده وعددهم .

أبواب سفره

الباب الأول	: فى ذكر اليوم الذى كان يسافر فيه .
الباب الثانى	: فى ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر .
الباب الثالث	: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّع المسافر .
الباب الرابع	: كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر .
الباب الخامس	: فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلا .
الباب السادس	: فيما كان يقوله فى السفر .
الباب السابع	: فى ذكر تنفُّله على الراحلة .
الباب الثامن	: فيما كان يقوله إذا رجع من السفر .
الباب التاسع	: فيما كان يصنع إذا قدم من السفر .
الباب العاشر	: فى أنه كان لا يطرق أهله ليلا .

أبواب آلات حربه

الباب الأول	: فى ذكر سيفه .
الباب الثانى	: فى ذكر درعه .
الباب الثالث	: فى ذكر مِغْفَره .
الباب الرابع	: فى ذكر قوسه .
الباب الخامس	: فى ذكر رمحه .
الباب السادس	: فى ذكر حربه .
الباب السابع	: فى ذكر رايته ولوائه .
الباب الثامن	: فى ذكر قضيبه .
الباب التاسع	: فى ذكر عصاته صلى الله عليه وسلم .

أبواب غزواته

الباب الأول	: في ذكر ما كان يقوله إذا غزا .
الباب الثانى	: فى ذكر غزوة الأبواء .
الباب الثالث	: فى ذكر غزوة بواط .
الباب الرابع	: فى ذكر غزوة طلب كُرز بن جابر .
الباب الخامس	: فى ذكر غزاة ذى العشيرة .
الباب السادس	: فى ذكر غزاة بدر .
الباب السابع	: فى ذكر إلقاء رءوس المشركين فى القليب .
الباب الثامن	: فى ذكر غزاة بنى قينقاع .
الباب التاسع	: فى ذكر غزاة السويق .
الباب العاشر	: فى ذكر غزاة قرقرة الكدر .
الباب الحادى عشر	: فى ذكر غزاة غطفان .
الباب الثانى عشر	: فى ذكر غزاة بنى سليم .
الباب الثالث عشر	: فى ذكر غزاة أحد .
الباب الرابع عشر	: فى ذكر غزاة حمراء الأسد .
الباب الخامس عشر	: فى ذكر غزاة بنى النضير .
الباب السادس عشر	: فى ذكر غزاة بدر الموعد .
الباب السابع عشر	: فى ذكر غزاة ذات الرقاع .
الباب الثامن عشر	: فى ذكر غزاة دومة الجندل .
الباب التاسع عشر	: فى ذكر غزاة المريسيع .
الباب العشرون	: فى ذكر غزاة الخندق .
الباب الحادى والعشرون	: فى ذكر غزاة بنى قريظة .

الباب الثانى والعشرون : فى ذكر غزاة بنى لحيان .
الباب الثالث والعشرون : فى ذكر غزاة الغابة .
الباب الرابع والعشرون : فى ذكر غزاة خيبر .
الباب الخامس والعشرون : فى ذكر غزاة الفتح .
الباب السادس والعشرون : فى ذكر غزاة حنين وهى غزاة هوازن .
الباب السابع والعشرون : فى ذكر غزاة الطائف .
الباب الثامن والعشرون : فى ذكر غزاة تبوك .
الباب التاسع والعشرون : فى ذكر شعاره فى حروبه .

أبواب سراياه

الباب الأول : في عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا .
الباب الثانى : في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث : في وصايا السرايا .
الباب الرابع : في إنكاره مالا يصلح من فعل أمير السرايا .

أبواب مكاتبته الملوك

الباب الأول : في إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه .
الباب الثانى : في إرساله إلى قيصر .
الباب الثالث : في ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه .
الباب الرابع : في ذكر إرساله إلى النجاشى وكتابه إليه .
الباب الخامس : في ذكر إرساله إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسانى .
الباب السادس : في ذكر إرساله إلى هوذة بن على الجمفى وكتابه إليه .
الباب السابع : في إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه .
الباب الثامن : في ذكر إرساله إلى ذى الكلاع .
الباب التاسع : في كتابه إلى فروة الجذامى .
الباب العاشر : في ذكر كتابه إلى جيفر وعبد بن الجلندى .
الباب الحادى عشر : في إرساله إلى المنذر .
الباب الثانى عشر : في ذكر كتابه إلى ملوك حمير .

أبواب ذكر الوفود عليه

الباب الأول : فى ذكر وفد سعد بن بكر .

الباب الثانى : فى ذكر وفد مزينة .

الباب الثالث : فى ذكر وفد فزارة .

الباب الرابع : فى ذكر وفد تجيب .

الباب الخامس : فى ذكر وفد سعد هذيم وهم أهل اليمن .

الباب السادس : فى ذكر وفد محارب .

الباب السابع : فى ذكر وفد بجيلة .

الباب الثامن : فى ذكر وفد نهد .

الباب التاسع : فى ذكر وفد عامر بن صعصعة .

الباب العاشر : فى ذكر وفد عبد القيس .

الباب الحادى عشر : فى ذكر وفد بنى حنيفة .

أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

الباب الأول : فى استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع .

الباب الثانى : فى تأميره أسامة بن زيد .

الباب الثالث : فى مجيء الخبر بظهور مُسْلمة .

الباب الرابع : فى ظهور الأسود العَنسى .

الباب الخامس : فى ظهور طليحة بن خويلد .

أبواب مرضه ووفاته

الباب الأول : فى أنه سُمّ صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى تقريب أجله له .

الباب الثالث : فى عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته .

الباب الرابع : فى ذكر ابتداء المرض به .

الباب الخامس : فى سؤال أبى بكر أن يمرّضه .

الباب السادس : فى أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه .

الباب السابع : فى اشتداد الوجع عليه .

الباب الثامن : فى أمره أن يُصَبّ عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد .

الباب التاسع : فيما روى أنه أقصّ من نفسه .

الباب العاشر : فى مدة مرضه وأمره أبا بكر أن يصلى بالناس .

الباب الحادى عشر : فى كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر ثم لم يكتب .

الباب الثانى عشر : فى إخراجه شيئاً من المال كان عنده .

الباب الثالث عشر : فى ذكر عتقه عبيده عند الموت .

الباب الرابع عشر : فى إعلامه الناس أنه قد خُيِّرَ بين البقاء والموت .

الباب الخامس عشر : فى إعلامه فاطمة ابنته بموته .

الباب السادس عشر : فى تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأله عن حاله .

الباب السابع عشر : فى ذكر استعماله السواك قبل موته .

الباب الثامن عشر : فى تحذيره أن يتخذ قبره مسجداً .
الباب التاسع عشر : فى ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت .
الباب العشرون : فى جمعه أصحابه وإيصائهم .
الباب الحادى والعشرون : فى بيان أنه ما أوصى بشىء من الدنيا .
الباب الثانى والعشرون : فى وصيته بالصلاة عند موته .
الباب الثالث والعشرون : فى صفة خروج روحه الطاهرة .
الباب الرابع والعشرون : فى صفة الثياب التى توفى فيها .
الباب الخامس والعشرون : فى ذكر وقت موته .
الباب السادس والعشرون : فى أن الناس شكُّوا فى موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع والعشرون : فى ذكر سِنِّه .
الباب الثامن والعشرون : فى ذكر ما خلَّف وحكمه .
الباب التاسع والعشرون : فى ذكر غسله .
الباب الثلاثون : فى ذكر كفنه .
الباب الحادى والثلاثون : فى ذكر الصلاة عليه صلاة الجنازة .
الباب الثانى والثلاثون : فى ذكر موضع قبره .
الباب الثالث والثلاثون : فى ذكر لحده .
الباب الرابع والثلاثون : فى ذكر وقت دفنه .
الباب الخامس والثلاثون : فى ذكر الذين نزلوا فى قبره .
الباب السادس والثلاثون : فى ذكر ما نزل من قبره .
الباب السابع والثلاثون : فى صفة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه .

الباب الثامن والثلاثون : فى فضل زيارة قبره .

الباب التاسع والثلاثون : فى ذكر الاستسقاء بقبره .

الباب الأربعون : فى ذكر ندب فاطمة عليها السلام .

الباب الحادى والأربعون : فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى والأربعون : فى كيفية الصلاة عليه .

الباب الثالث والأربعون : فى ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر ما سمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم من الهواتف .

الباب الخامس والأربعون : فى أنه لا يبلى .

الباب السادس والأربعون : فى تبليغ الملائكة إليه الصلاة والتسليم .

الباب السابع والأربعون : فى بلوغ سلام أمته إليه ورده على من يسلم عليه .

الباب الثامن والأربعون : فى رؤيته فى المنام .

الباب التاسع والأربعون : فى عرض أعمال أمته عليه صلى الله عليه وسلم .

أبواب بعثه وحشره وما يجرى له

الباب الأول	: فى أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة .
الباب الثانى	: فى حشر عيسى بن مريم مع نبينا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: فى كيفية حشره عليه السلام .
الباب الرابع	: فى ذكر لوائه عليه السلام .
الباب الخامس	: فى أنه أكثر الأنبياء تبعاً .
الباب السادس	: فى ذكر حوضه عليه السلام .
الباب السابع	: فى ذكر شفاعته .
الباب الثامن	: فى ذكر المقام المحمود .
الباب التاسع	: فى تخليصه المؤمنين على الصراط .
الباب العاشر	: فى أنه أول من يدخل الجنة .
الباب الحادى عشر	: فى ذكر علو منزلته على الخلق فى الجنة صلى الله عليه وسلم .

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى ذكر التنويه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من زمن آدم عليه السلام[1]

● عن العِرْباض بن سارِيَة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند الله لَخَاتَمُ النبيين ، وإن آدم لمُنْجدلٌ فى طينتِه »[2] .

● عن مَيْسَرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟ قال : « وآدم بَيْنَ الروح والجسد » .

● عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟

قال : « لما خلق الله تعالى الأرض ، واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش ، كُتِبَ على ساق العرش (محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء) .

وخلق الله تعالى الجنة التى أسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمى على الأبواب ، والأوراق ، والقباب والخيام ، وآدمُ بين الروح والجسد .

فلما أحياه الله تعالى ، نظر إلى العرش ، فرأى اسمى .

فأخبره الله تعالى ، أنه سَيِّد ولدك .

فلما غرَّهما الشيطان ، تابا واستشفعا باسمى إليه » .

---

(١) يراد بهذا إظهار عظمة الرسول وإشهار كرامته عند الله .

(٢) دلائل النبوة ١٧

● عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصابَ آدمُ الخطيئة ، رفع رأسه فقال : رب بحقِّ محمد إلا غفرتَ لِيَهْ .

فأوحى الله تعالى إليه : وما محمد ؟ ومن محمد ؟

فقال : رب ، إنك لما أتممت خَلْقى ، رفعتُ رأسى إلى عرشك ، فإذا عليه مكتوب « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

فعلمت أنه أكرمُ خلقك عليك ، إذ قرنتَ اسمه مع اسمك .

قال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك » .

● وقال سعيد بن جبير : اختصم وَلَد آدم : أىُّ الخلق أكرمُ على الله تعالى ؟

فقال بعضهم : آدمُ ، خلقه الله بيده ، وأسْجَد له ملائكته .

وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله .

فذكروا ذلك لآدم ، فقال آدم : لمَّا نُفِخَ فىَّ الروحُ ، لم تبلغ قدمىَّ ، فاستويت جالسا ، فبرق لى العرش ، فنظرت فيه « محمد رسول الله » فذاك أكرمُ الخلق على الله عز وجل .

● عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم : أنا الله ، ذو بكّة(١) ، أهلُها خيرتى ، وزوارها وَفْدِى ، وفى كنفى(٢) ، [وفيها بيتى] أعمره بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجا ، شُعْثا غُبْرًا (٣) ، يَعُجون(٤)

---

(١) أى : صاحب مكة .

(٢) كنفى . أى : فى حفظى وسترى . كما يستفاد من القاموس .

(٣) أى مغبرة رءوسهم .

(٤) يعجون : أى يرفعون أصواتهم .

بالتكبير عجيجا ، ويزجون بالتلبية(١) زجيجا ، ويثجون(٢) بالبكاء ثجيجا .

فمن اعتمده لا يريد غيره فقد زارني وضافني ، ووفد إليَّ ونزل بي ، وحقٌّ لي أن أتحفه بكرامتي .

أجعل ذلك البيت ، وذِكره ، وشرفه ومجده ، وسناءه(٣) ، لنبيٍّ من ولدك يقال له إبراهيم .

أرفع له قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأنبِط(٤) له سقايته ، وأريه حِلَّه وحَرَمه ، وأعلِّمُه مشاعره .

ثم تَعْمُرُه الأمم والقرون حتى ينتهي إلى نبي من ولدك ، يقال له محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين ، أجعلهُ من سكانه ، وولاته ، وحجابه ، وسقاته .

فمن سأل عني يومئذ فأنا مع الشُّعْث الغُبْر ، المُوفين بنذرهم ، المقبلين إلى ربهم .

● عن ابن عباس : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : لولا محمد ما خلقت آدم ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » فسَكَن .

---

(١) يزجون بالتلبية هذا مجاز عن إتيانهم بالتلبية كثيراً كما يفهم من أساس البلاغة للزمخشري .

(٢) يثجون : أي : يكثرون من البكاء ، شبه كثرة الدموع السائلة على خدودهم بانصباب الماء من الأماكن المرتفعة .

(٣) سناءه ، أي : رفعته وشرفه كما يستفاد من الصحاح .

(٤) أي أخرج له الماء . والمراد : ماء زمزم .

الباب الثانى

فى ذكر الطينة التى خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

● عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم ، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه .

فأتاه بالقبضة البيضاء ، التى هى موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجنت بماء التَّسْنيم ، ثم غمست فى أنهار الجنة ، وطِيفَ بها فى السموات والأرض .

فعرفت الملائكة محمداً وفَضْله ، قبل أن تعرف آدم .

ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يُرى فى غُرَّة جبهة آدم .

وقيل له : يا آدم ، هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين .

فلما حملت حواء بـ « شيث » انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت تلد فى بطن ولدين إلا شِيثاً ، فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم(١) .

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر ، إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

● عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم فى الجنة ؟

---

(١) ومن أين لكعب هذا العلم الذى يخالف سنة الله فى خلقه ، والذى يعارض الواقع ، ولا يؤيده شاهد آخر صحيح ؟ !

قال : « كنت فى صُلْبه ، وأهبط إلى الأرض ، وأنا فى صلبه ، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذفت فى النار ، فى صلب أبى إبراهيم .

لم يلتق لى أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما .

أخذ الله لى بالنبوة ميثاق ، وفى التوراة بشَّر بى ، وفى الإنجيل شهر اسمى .

تشرق الأرض لوجهى ، والسماء لرؤيتى » .

وقال العباس : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك . فقال له : قل : لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِى الظِّلَالِ وَفِى ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْـ ... ـتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهـلَه الغرَقُ
وَرَدْتَ نَارَ الْخَلِيلِ مُكْتَتِماً ... تَجُولُ فِيهَا وَلَسْتَ تَحْتَرِقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفٍ(١) عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وَرَدْتَ(٢) أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِى ذَاكَ الضِّيَاءِ وَفِى النُّو ... رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ(٣)

---

(١) خندف : اسم امرأة الياس بن مضر واسمها ليلى بنت عمران بن قضاعة . اه من هامش تهذيب الصحاح .

(٢) البدء والتاريخ : لما ولدت .

(٣) من العجيب أن المؤلف نفسه حكم على هذا الحديث بالوضع ، وقال : إنه من وضع القصاص . انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطى .

الباب الثالث

فى دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم

● لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ(١).

قال السدى عن أشياخه : هو محمد صلى الله عليه وسلم.

● عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند الله ، لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم بأول ذلك :

أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين » .

ورواه ليث عن معاوية فقال: وإن أمه رأت — حين وضعته — نورا أضاءت منه قصور الشام .

(١) البقرة الآية ١٢٩ وبقيتها (يتلو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

الباب الرابع

فى بيان ذكره فى التوراة والانجيل
وذكر أمته ، واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك(١)

قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ(٢) » والمراد : أنهم يجدون نَعْته .

« يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ » وهو مكارم الأخلاق ، وصلة الأرحام .

« وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » وهو الشرك .

« وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ » وهو ما كانت العرب تستطيبه .

وقيل : هى الشحوم التى حرمت على بنى إسرائيل ، والبحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى .

« وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » وهى ما كانت العرب تستخبثه ، وما كانوا يستحلون من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .

---

(١) قال أبو نعيم فى دلائل النبوة : « ونعوته وصفاته فى الكتب المنزلة وعند الرهابنة والأساقفة والأحبار من أهل الكتابين ، مستفيضة .
وكانوا يرجعون فى أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن كالضرورى ، لتبشير الأنبياء صلوات الله عليهم به وبإرساله ، وإيصائهم أممهم بتصديقه إن أدركته ، وما كان فى أيديهم من الكتب والعهود المتقدمة المتواترة عن آبائهم وأسلافهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ » وهى الأثقال التى كانت على بنى إسرائيل ، من تحريم السبت ، والشحوم ، والعروق .

« وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ » قال أبو إسحاق الزجاج : ذِكر الأغلال تمثيلٌ . وكان عليهم أن لا يُقبل فى القتل دية ، وأن لا يعملوا فى السبت ، وأن يُقرِضُوا ما أصابهم من أموال .

● عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : « وإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ(١) » الآية . قال : لم يبعث الله تعالى نبياً ، آدم ومَن بعده ، إلا أخذ عليه العهد ، فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث وهو حَىٌّ ليؤمنن به ، ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه .

● عن قتادة : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ » .

قال : هذا ميثاقٌ أخـذه الله تعـالى على النبيين ، أن يصدق بعضهم بعضا .

وأخذ مواثيق أهل الكتاب فيما بلغتهم رسلهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه .

● عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة .

قال : أجَلْ . والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً(٢) » ، وحرزاً للأميّين .

---

(١) سورة آل عمران ٨١ (٢) سورة الأحزاب آية ٤٥

أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، لست بفظّ ولا غليظ ولا صَخّاب فى الأسواق ، ولا تجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن تجزى وتعفو .

ولن يقبضه الله ، حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا « لا إله إلا الله » ، فيفتح به أعيناً عميا ، وآذانا صماً وقلوباً غُلفاً » .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن عبد الله بن سَلام قال : صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو ويصفح ، ولن أتوفاه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به آذاناً صُماً وقلوباً غُلفاً وأعيناً عمياً ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله .

● عن ابن عباس أنه سأل كعباً كيف تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟

قال : نجده : محمدٌ رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجَرُه إلى طابَة(١) ، ويكون مُلـكه بالشام .

ليس بفحاش ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافىء بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو .

وقال كعب : نجده مكتوباً : محمد رسول الله ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو ويغفر .

وأمته : الحمادون ، يكبرون الله على كل نَجد(٢) ، ويحمدونه فى كل منزلة .

---

(١) يعنى : المدينة المنورة . (٢) أى مرتفع من الأرض .

يأتزرون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، بهم ينادَى في جو السماء .

صَفُّهم في القتال ، وصفهم في الصلاة ، سواء ، لهم بالليل دوِىّ كدوىّ النحل ، مولده بمكة ، ومهاجرهُ بطابة .

● عن كعب قال في الشطر الأول : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطَيبة ، ومُلكه بالشام .

في الشطر الثاني : محمدٌ رسول الله ، أمته الحامدون ، يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل شَرف(١) .

رعاةُ الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم .

وأصواتهم بالليل [في] جو السماء ، أصوات النحل .

● عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى لما نزلت التوراة وقرأها ، وجد فيها ذكرَ هذه الأمة » .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون ، المشفوع لهم ، فاجعلها أمتى » .

قال : تلك أمة محمد .

---

(١) أى مرتفع من الأرض .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة ، هم المستجيبون المستجاب لهم ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم ، يقرءونه ظاهراً ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها . فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب إنى أجد فى الألواح أمة يُؤتَون(١) العلم الأول والعلم الآخر ، يقتلون قرن الضلالة ، المسيح الدجال ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب : فاجعلنى من أمة أحمد ، فَأُعْطِىَ عند ذلك خصلتين .

قال : يا موسى ، إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٢) .

---

(١) أى : يعطيهم الله العلم .

(٢) الأعراف آية ١٤٤ .

قال : قد رضيت رب[١] .

• وروى أن كعب الأحبار رأى حَبرا من اليهود يبكى .

فقال له : ما يبكيك ؟

قال ذكرت بعض الأمر .

فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتَصْدُقنّى ؟

قال : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى عليه السلام نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمةً خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتى ؟

قال : تلك أمة أحمد .

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل : أن موسى نظر فى التوراة فقال « رب إنى أجد أمة هم الحَمَّادون ، رعاة الشمس المحكَّمون ، إذا أرادوا أمرًا قالوا : نفعله إن شاء الله . فاجعلهم أمتى ؟

قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم .

---

(١) ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوة ٣١ وقال عنه : وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لا أعلم أحدا رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، تفرد به الربيع ابن النعمان ، وبغيره من الأحاديث ، عن سهيل ، وفيه لين .

قال : فأنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد أمة إذا أشرف(١) أحدهم على شرف كبَّر الله ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيدُ لهم طهُور ، والأرض لهم مسجد ، حيث ما كانوا ، مطهَّرون من الجنابة ، طهُورهم بالصَّعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غُرٌّ محجَّلُون من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء ، يرثون الكتاب ، الذين اصطفيتهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً ، فاجعلهم أمتى .

قال : هم أمة أحمد يا موسى .

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد فى التوراة أمةً مصاحفهم فى صدورهم ، يَصفُّون فى صلاتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم فى مساجدهم كَدوِىِّ النحل ، لا يدخل النار منهم أحد ، إلا من برئ من الحسنات ، مثل ما برئ الحجر من الشجر ، فاجعلهم أمتى .

قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الحبر : نعم .

---

(١) قوله : إذا أشرف أحدهم على شرف الخ يعنى إذا صعد مرتفعاً من الأرض .

فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا ، وأمته ، قال : ليتنى من أصحاب محمد : فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن :

« يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِى وَبِكَلاَمِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ(١) » الآية .

وقال تعالى : « وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(٢) » .

فرضى موسى ، كلَّ الرضا .

● عن كعب أنه سمع رجلا يقول : إنى رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا للحساب ، فدُعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبى أمته ، ورأى لكل نبى نورين ، ولكلٍّ من اتبعه نوراً يمشى به .

فدعى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما .

فقال كعب ، وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدّثك هذا ؟ قال : أنا ، والله الذى لا إله إلا هو ، رأيتُ هذا المنام .

فقال : بالله الذى لا إله إلا هو ، لقد رأيتَ هذا فى منامك ؟ قال : نعم :

قال : والذى نفس كعب بيده ، أو ، والذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده ، إنها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وصفة الأنبياء وأممها فى كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

---

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥ (٢) سورة الأعراف ١٥٩

● وقال ابن أبى نملة : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويُعلّمون الولدان بصفته واسمه ، ومُهاجره(١) المدينة ، فلما ظهر ، حسدوا وبغوا وأنكروا(٢) .

● وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم ، ونحن - يومئذ - فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظلّ خروجُ نبى يقال له أحمد : يخرج من الحرم .

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى ، كالمستهزئ به .

ما صفته ؟

قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّملة ، ويركب الحمار ، وهذا البلد مُهاجَره .

قال : فرجعت إلى قومى - بنى خدرة - وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب(٣) تقول هذا .

قال أبى مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأخذوا جميعاً فتذاكروا النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذه مُهَاجَره .

قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر .

---

(١) موضع هجرته . (٢) دلائل النبوة ٤٠ .
(٣) يثرب : اسم للمدينة المنورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود ، لأسلمت يهودُ كلها ، إنما هم له تبع .

وقال محمد بن مسلمة : لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودى واحد ، يقال له يوشع ، فسمعته يقول وأنا غلام : قد أظلَّكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت ـ ثم أشار بيده إلى بيت الله تعالى ـ فمن أدركه فليصدقه .

فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ، وهو بين أظْهُرنا ولم يُسلم ، حسداً وبغيا .

● عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان فى الأوس والخزرج رجل أوْصفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبى عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذه دار هجرته .

ثم خرج إلى يهود تيماء ، فأخبروه بمثل ذاك .

ثم خرج إلى الشام ، فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن مهاجره يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا ديِّن على دين الحنيفية .

وأقام مترهبا، ولبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، حسد وبغَى ، ونافق .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، بم بعثت ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالحنيفية ، دين إبراهيم .

[قال : فأنا عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها](١) .

فقال : أنت تخلطها بغيرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيتُ بها بيضاء نقية ، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتى ؟

فقال : لستَ بالذى وصفوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت .

فقال : ما كذبتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكاذبُ أماته الله وحيداً طريدا .

فقال : آمين .

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه .

وفى رواية أخرى : فلما أسلم أهلُ الطائف ، لحق بالشام فمات بها طريدا وحيداً غريبا .

● وقال ابن عباس : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ، برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَثِهِ .

فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

---

(١) من دلائل النبوة .

فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البرَاء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه[1] لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذى كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه .

فأنزل الله تعالى فى ذلك مِنْ قولهم « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »[2] .

يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى العرب .

يعنى بذلك : أهل الكتاب .

فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، ورأوه من غيرهم ، كفروا به ، وحسدوه .

عن قتادة « وكانوا يستفتحون على الذين كفروا » قال :

كانت يهود ، تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب ، كانوا يقولون : اللهم ابعث النبيَّ الذى نجدُه فى التوراة ، نعذبهم ونقتلهم

فلما بُعثَ منْ غيرهم ، كفروا به ، حسدًا للعرب .

● وقال المغيرة بن شُعبة : إنه دخل على المقوْقس ، وإنه قال له : إن محمدًا نبى مُرْسل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه .

---

(١) الأصل : وتصفوه .　　　(٢) سورة البقرة ٨٩ .

قال المغيرة : فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفها ، من قبطها ، وروميها ، عمَّا يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أسْقُف من القبط هو رأسُ كنيسة أبي يحنس(١) ، كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً قط يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهادا منه .

فقلت : أخبرني ، هل بقي أحدٌ من الأنبياء ؟

قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ، ليس بيْنه وبين عيسى بن مريم أحدٌ ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأميُّ العربي ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حُمْرة .

وليس بالأبيض ولا بالآدم .

يُعْفي(٢) شعْره ، ويلبْس ما غلُظ من الثياب ويجتزئ(٣) . بالقليل من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يُبالي من لاقى ، يباشر القتال بنفسه .

ومعه أصحابُه يَفْدونه بأنفسهم ، هم له أشد حُبًّا من أولادهم وآبائهم .

يخرج(٤) من أرض القَرَظ(٥) ومن حرم يأتي إلى حرم .

ويهاجر إلى أرضٍ ذات سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبة : زِدْني في صفته .

قال : يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، ويُخَصُّ بما لا يُخَصُّ به الأنبياء قبله .

---

(١) دلائل النبوة : أبي غني . أو أبي غنيم .
(٢) أي لا يحلق شعره . (٣) أي يكتفي .
(٤) بالأصل محرفة : نخرج . (٥) القرظ : ورق شجر السلم .

كان النبي يبعث إلى قومه ، وبُعث (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة .
وجُعلت له الأرض مسجدا وطهُورا أينما أدركته الصلاة تيمم ويصلى .
من كان قبله مشدَّدٌ عليه ، لا يُصلون إلا في الكنائس والبيع .

ثم إن المغيرة جاء فأسلم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع ذلك ، فأعجبه(١) أن يسمعه أصحابه .

قال : فكنت أحدثهم ذلك ، في اليومين والثلاثة(٢) .

● ورُوِىَ أن ورقة بن نوفل ، وزيد بن سعيد خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموْصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت ؟

فقال : منْ بيت إبراهيم .

قال : وما تلتمس ؟

قال : ألتمس الدين .

قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهرَ الذى تطلب فى أرضك .

فرجع وهو يقول :

لبَّيْك حقًّا حقا ، تعبُّدًا ورِقًّا .

● عن خليفة بن عبدة المنقرى قال : سألت محمدَ بن عدىّ : كيف سمَّاك أبوك محمدًا .

قال : أمَا إنى سألتُ أبى عما سألتنى عنه ، فقال :

---

(١) أى : أحب النبي أن يسمع أصحابه كلام المغيرة .

(٢) كذا فى دلائل النبوة . وقد حرفت فى الأصل : قلت أحدثهم بذلك .
هذا وقد ذكر أبو نعيم هذا الخبر مفصلا فى دلائل النبوة ، واختصره ابن الجوزى .

خرجتُ رابع أربعة من بنى تميم ، أنا أحدهم ، وسفيان بن مُجاشع ابن دارم ، ويزيد بن عمرو بن ربيعة ، وأسامة بن مالك بن جنْدب ، نريد ابن جفْنة الغسَّانى .

فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقُرْبه ديرٌ ، وفيه ديرانى ، فأشرف علينا وقال : إن هذه اللغة ما هى لأهل هذا البلد .

قلنا : نعم نحن قومٌ من مُضر .

قال : من أىِّ المضرين .

قلنا : من خنْدف .

قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا(١) نبىٌّ فسارعوا إليه ، وخذوا بحظكم منه ترْشدوا ، فإنه خاتم النبيين ، واسمه محمد .

فلما انصرفنا من عند ابن جفْنة وصرنا إلى أهلنا ، ولد لكلِّ رجل منا غلام ، فسماه محمداً .

● عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان لنا جارٌ من يهود فى بنى عبد الأشهل .

قال : فخرج علينا يوما من بيته ، قبل مَبعث النبى صلى الله عليه وسلم بيسير ، حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ ، أحدَث(٢) من فيه سناً ، علىّ بُرْدة مضطجع فيها بفناء أهلى .

فذكر البعث والقيامة والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار .

---

(١) أى : قريباً .　　(٢) أى : أصغر .

فقال ذلك لقومٍ أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يروْن أن بعثاً كائن بعد الموت .

فقالوا : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ ، فيها جنة ونار ، يجزون فيها بأعمالهم ؟ .

قال : نعم ، والذى يحلف به ، لودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تَنُّور يُحْمُونه فى الدار ، ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك ! وما آية ذلك ؟

قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده نحو مكة ، واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلىّ وأنا من أحْدثهم سنا ، قال : إن يستنفد هذا الغلام عُمره يُدْركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حىٌّ بين أظهرنا ، فآمنّا به ، وكفر به حسداً وبغياً .

فقلنا له : ويلك يا فلان ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ !

قال : بلى ، وليس به .

● عن ابن مسعود : أن الله تعالى ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، وذلك أنه دخل الكنيسة فإذا هو بيهود . وإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة .

فلما أتوا على صفة النبى صلى الله عليه وسلم أمسكوا ، وفى ناحيتها رجل مريض .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالكم أمسكتم ؟

قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا . حتى جاء المريض يحبو ، حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : هذه صفتك ، وصفة أمتك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . ثم مات(١) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ادفنوا أخاكم .

• عن أُبيّ بن كعب قال : لمّا قدم تُبَّعٌ المدينة ونزل بقناة(٢) بعث إلى أحبار يهود ، فقال : إنى مُخْرِب هذا البلد حتى لا تقوم به يهوديةٌ ويرجع الأمر إلى دين العرب .

فقال له ساموكُ اليهوديُّ ، وهو أعلمهم يومئذ :

أيها الملك : إن هذا بلدٌ يكون إليه مهاجَرُ نبي من ولد اسماعيل ، مَولدُه مكة ، اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذى أنت به ، يكون به من القتل والجراح ، أمرٌ كثير فى أصحابه ، وفى عدوهم .

قال تُبَّع : ومنْ يقاتله يومئذ وهو نبي كما يزعمون ؟

قال : يسير إليه قومُه فيقتتلون هاهنا .

قال : فأين قبرُه ؟

قال : بهذا البلد .

قال : فإذا قوتل لمن تكون الدائرة ؟

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة ، ورواه ابن كثير باختلاف .

(٢) فى أعلام النبوة للماوردى : ونزل بسفح أحد .

قال : تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ، ويُقْتل به أصحابه قتلا لم يقتلوه فى مَوْطن ، ثم تكون له العاقبة ، ثم يظهر ، فلا ينازعه هذا الأمر أحد .

قال : وما صفته ؟

قال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يركب البعير ويلبس الشَّملة ، سيفهُ على عاتقه ، لا يبالى بمن لاقاه ، من أخ ، أو ابن عم ، أو عم حتى يظهر أمره .

قال تبع : مالى إلى هذه البلدة من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدى .

فخرج تُبَّع منصرفا إلى اليمن .

قال عبد الله بن سلام : لم يمت تُبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لِمَا كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبعا مات مُسْلما .

● عن الزبير بن باطا ، وكان أعلم اليهود قال : إنى وجدت سِفْرا كان أبى يختمه علىَّ ، فيه ذكر أحمد ، نبى يخرج بأرض القَرظ ، صفته كذا وكذا .

فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يبعث .

فما هو إلا أن سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السِّفر فمحاه ، وكتم شأن النبى صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقال : ليس به .

● عن ابن عباس قال : كانت يهود « قريظة » و « النضير » و « فَدَك »

و « خيبر » يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة .

فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة : هذا الكوكب قد طلع .

فلما تنبأ قالوا : تنبأ أحمد ، قد طلع الكوكب .

كانوا يعرفون ذلك وُيقِرُّون به ويصفونه ، إلا الحسد والبغى ! !

• وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بـ« منى » تجارات ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟

قالوا : لا نعلمه .

قال : انظروا يا معاشر قريش ، أحصوا ما أقول لكم : ولد الليلة ، نبىُّ هذه الأمة « أحمد » ، وبه شامة بين كتفيه ، فيها شعرات .

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه ، فلما صاروا فى منازلهم ، ذكروا ذلك لأهاليهم .

فقيل لبعضهم : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام ، وسماه محمداً .

وأتوا اليهودى فى منزله ، فقالوا : علمنا أنه ولد فينا مولود .

قال : أبعد خبرى ، أم قبله ؟ قالوا : قبله ، واسمه « أحمد » .

قال : فاذهبوا بنا إليه .

فخرجوا معه حتى دخلوا على آمنة رضى الله عنها ، فأخرجته إليهم ، فرأى الشامة بظهره ، فَغُشِىَ على اليهودى ، ثم أفاق . قالوا : مالك ويلك ؟

قال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب ، أنه يقتلهم ، ويُبيد أحبارهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطُونّ بكم سطوة ، يخرج نبؤها من المشرق والمغرب .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس(١) فقال : أخرِجوا إلىَّ أعلمكم .

فقالوا : عبد الله بن صوريا .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى ، وظللهم من الغمام ، أتعلم أنى رسول الله ؟

قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمُبَيَّنٌ فى التوراة ، ولكن حسدوك .

قال : فما يمنعك أنت ؟

قال : أكره خلافَ قومى ، عسى أن يتبعوك ويسلموا ، فأسلم .

● وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقة التوراة القرآن .

فقالوا : يا عمر ، ما أحدٌ أحب إلينا منك ، لأنك تغشانا .

قلت : إنما أجىء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً .

فبينا أنا عندهم ذات يوم ، إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذا صاحبك .

---

(١) بيت المدارس : البيت الذى يدرس فيه اليهود .

فقلت : أنشدكم الله ، وما أنزل عليكم من الكتاب ، أتعلمون أنه رسول الله ؟

قال سيدهم : نشدكم الله فأخبروه .

فقالوا : أنت سيدنا ، فأخبرْه .

فقال : إنا نعلم أنه رسول الله .

قلت : فما(١) أهلككم ، إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه .

قالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ، وسِلْما من الملائكة .

عدوُّنا جبريل ، وهو ملك الفظاظة والغلظة .

وسِلْمنا ، ميكائيل ، وهو ملك الرأفة واللين .

قلت : فإنى أشهد ، ما يحل لجبريل أن يعادى سِلم ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل !

ثم قمت ، فاستقبلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ألا أقرأتك آيات نزلت عَلَىَّ قبلُ ؟

فتلا : « قُلْ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ(٢) » .

فقلت : والذى بعثك بالحق ، ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود ، فإذا اللطيف الخبير قد سبقنى !

قال عمر : فلقد رأيتُنى فى دين الله أصلبَ من الحجَر .

---

(١) الأصل : فإنى أهلككم .
(٢) سورة البقرة ٩٧ .

• عن أبى سفيان بن حرب قال : خرجت أنا وأمية بن أبى الصَّلت تجاراً إلى الشام ، فكنا كلما نزلنا منزلا أخرجَ من رَحْله سِفْراً يقرؤه علينا .

فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى ، فرأوه وعرفوه ، وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بَيْعتهم ، ثم رجع فى وسط النهار ، فطرح ثوبيه ، واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان ، هل لك فى عالِم من علماء النصارى ، إليه تناهى علم الكتب ، تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا .

فمضى هو وحده ، وجاءنا بعد هَدْأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح .

وأصبح كئيبا حزينا ، ما يكلمنا ولا نكلمه .

فسرنا ليلتين ، على ما به من الهم .

فقلت له : ما رأيت مثل الذى رجعتَ به من عند صاحبك .

قال : لِمُنْقَلبى .

قلت : وهل لك من مُنْقَلب ؟

قال : إى والله ، لأموتن وَلأُحاسبَنّ .

قلت : فهل أنت قابلٌ أمانِى ؟

قال : عَلَى ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبعَث ولا تُحاسَب .

فضحك وقال : بلى والله ، لَتُبعثَنّ ولَتُحاسَبَنّ ، ولَيَدْخُلَنّ فريق فى الجنة وفريق فى النار .

قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟

قال : لا علم لصاحبي بذلك فيَّ ، ولا فى نفسه .

فكنا فى ذلك ليلتنا ، يعجب منا ونضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين .

ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاءنا مع نصف النهار .

فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ، حتى جاءنا بعد هَدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ، ثم رمى بنفسه على فراشه .

فوالله ما نام ولا قام ، فأصبح مبثوثاً حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى ، ثم قال : يا صخر ، حدِّثنى عن عُتبة بن ربيعة : أيجتنب المحارم والمظالم ؟

قلت : إى والله .

قال : ويَصِلُ الرحم ويأمر بصلتها ؟

قلت : نعم .

قال : وكريم(١) الطرفين ، وسط فى العشيرة ؟ قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قُرشيا أشرف منه ؟

قلت : لا والله .

قال : أمُحْوجٌ هو ؟

قلت : لا ، بل ذو مال كثير .

(١) بالأصل محرفة : ذكرتم الطرفين .

قال : كم أتى له من السنين ؟ قلت : هو ابن سبعين قد قاربها .

قال : فالسن والشرف ، أزْرَيا به ؟

قلت : لا والله ، بل زاداه خيراً . قال : هو ذاك .

ثم إن الذى رأيتَ بى أنى جئت هذا العالِم ، فسألته عن الذى يُنتظر .

فقال : هو رجل من العرب ، من أهل بيت تحجه العرب .

فقلت : فينا بيت تَحجُّه العرب ؟

قال : هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش .

فأصابنى شىء ، ما أصابنى مثله ، إذ خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون أنا هو .

قلت : فصِفْه لى .

قال : رجل شابٌّ حين دخل فى الكهولة .

بدء أمره ، أنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ، ويأمر بصلتها .

وهو مُحْوج ، كريم الطرفين ، متوسط فى العشيرة ، أكثر جنده من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟

قال : قد رجفت الشام – منذ رفع عيسى بن مريم – ثمانين رجفة ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة ، فيها مصيبة ، يخرج على أثرها .

فقلت : هذا هو الباطل ، لئن بعث الله رسولا ، لا يأخذه إلا مُسِنًّا شريفا .

قال أمية : والذى يحلف به ، إنه لهكذا .

فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان ، أدركنا راكب من خلفنا ، فإذا هو يقول : أصابت الشام بعدكم رجفة ، دُمِّر أهلها فيها ، وأصابتهم مصائب عظيمة .

فقال أمية : كيف ترى يا أبا سفيان ؟

فقلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقا .

وقدمنا مكة ، ثم انطلقتُ حتى جئت أرض الحبشة تاجرا ، فمكثت فيها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فجاء الناس يسلِّمون عليَّ وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهندُ تلاعب صبيانها ، فسلم عليَّ ورحَّب بي ، وسألني عن سَفري ومقدَمي ، ثم انطلق . فقلت : والله إن هذا الفتى لعجب ! ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألني عنها ، وما بلغَتْ . ووالله إن له معي لبضاعة ما هو بأغنام عنها ، ثم ما سألني عنها .

فقالت : أو ما علمتَ بشأنه ؟

فقلت وفزعت : وما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله !

فذكرتُ قول النصارى ووجمتُ(١) .

ثم قدمتُ الطائفَ فنزلتُ على أمية ، فقلت : هل تذكر حديث النصارى ؟ قال : نعم .

قلت : قد كان .

قال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فتصبَّب عرقا ، وقال : إنْ ظهَر وأنا حيٌّ لأُبلين الله(٢) في نصره ، عذرا .

---

(١) وجمت . أي: سكتُّ . (٢) لأبلين الله : أى لأبذلن ما أستطيع فى نصرته .

فعدت من اليمن ، فنزلت على أمية ، فقلت : قد كان من أمر الرجل ما بلغك ، فأين أنت منه ؟

قال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً ! !

● عن عاصم بن عمر بن قَتادة عن رجال من قومه قالوا[١] إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لَمَا كنا نسمعُ من يهود .

كنا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور .

فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقاربَ زمان نبيٍّ يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه ، قتلَ عاد وإرم .

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم : فلما بعث الله رسوله ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به .

فبادرنا إليه ، فآمنا به وكفروا .

ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ـ إلى قوله ـ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ[٢] » .

قال عاصم : وقال لى شيخ من بنى قريظة : هل تدرون عما كان إسلام ثعلبة وأسد ، ابنى سعية ، وأسدُ بن عبيد ، نفر من بنى ذهل ، إخوة بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام ؟

قلت : لا أدرى .

---

(١) الأصل : عن رجل من قوم قتادة قال : وهو تحريف . والتصويب من ابن هشام .

(٢) البقرة ٨٩ .

قال : فإن رجلا من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيِّبان ، قدم علينا قبل الإسلام ، فحلّ بين أظهرنا .

فما رأينا رجلا لا يصلى الخمس ، أفضل منه ، وكان إذا قحط المطر ، استسقى لنا ، فنُسْقَى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر يهود ، ما ترون أخرجنى إلى أرض الجوع والبؤس ؟

قلنا : أنت أعلم .

قال : فإنى قدمت هذه البلدة ، أتوكَّفُ خروج نبى قد أظَلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسبَقُنَّ إليه .

يا معشر اليهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسَبْى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قُريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يا بنى قريظة ، والله إنه النبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان .

قالوا : ليس به .

قالوا : بلى والله ، إنه لَهُوَ . فنزلوا فأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم .

● عن سَلمان الفارسى رضى الله عنه أنه صحب الرهبان فى طلب الدين ، إلى أن قال له آخر من صحبه : أى بنى : والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس بمكان تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى

مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرض بين حرَّتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوّة .

● وقال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بُصرى ، فإذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم : هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟

قال طلحة : فقلت : نعم ، أنا .

قال لى : ظهر بمكة بعدُ أحمدُ ؟

قلت : ومن أحمد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، ومَخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل ، وحَرة ، وسباخ .

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال الراهب .

فخرجت حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث ؟

قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، تنبَّأ ، وتابَعه ابن أبى قُحَافة .

فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فأخبرته وقلت له : اتبعت هذا الرجل ؟

قال : نعم ، انطلق فتابِعهْ ، فإنه يدعو إلى الحق . وذهب أبو بكر معه .

قال طلحة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب وما قال لى .

● عن جُبَير بن مُطْعم : لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فظهر أمره بمكة خرجتُ إلى الشام .

فلما كنت ببُصرى ، أتانى جماعة من النصاوى ، فقالوا لى : أَمِنْ أهل الحرم أنت ؟

قلت : نعم .

قالوا : فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟

قلت : نعم .

فأخذوا بيدى ، وأدخلونى دَيْراً لهم ، فيه تماثيل وصور .

فقالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا النبى الذى بعث فيكم ؟

فنظرت ، فلم أر صورته .

قلت : لا أرى صورته .

فأدخلونى ديراً أكبر من ذاك ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدير .

فقالوا لى : انظر ، هل ترى صورته ؟

فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته .

وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته ، آخذٌ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا لى : هل ترى صفته ؟

قلت : نعم .

قلت : لا أخبرهم ، حتى أعرف ما يقولون .

قالوا : هل هو هذا ؟

قلت : نعم .

فأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو .

قالوا : تعرف هذا الذى آخذٌ بعقبة ؟

قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده(١) .

• عن جبير بن مطعم قال : كنت أكره أذى قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظننت أنهم سيقتلونه ، خرجت حتى لحقت بدير من الديارات ، فذهب أهل الدير إلى رئيسهم فأخبروه ، فقال : أقيموا له حقه الذى ينبغى له ثلاثاً .

فلما مرت ثلاث أحضروه الصورة .

قال : قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشىء من هذه الصورة .

قال : فتخاف أن يقتلوه ؟

قلت : أظنهم قد فرغوا منه .

قال : والله لا يقتلونه ، ولَيَقْتُلَنَّ من يريد قتله ، وإنه لنبى ، ولَيُظْهِرَنَّه الله تعالى .

• عن صفية بنت حُيىّ قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء ، غدا عليه أبى : حُيَىُّ بن أخطب ، وعمى أبو ياسر ابن أخطب مغلسين .

قالت : فلم يرجعا ، حتى كان غروب الشمس .

فأتيا كالّيْنِ كسلانين ساقطين ، يمشيان الْهُوَيْنا .

---

(١) دلائل النبوة ١٨ .

فهششت إليهما ، فما التفت إلىَّ أحد منهما ، مع ما بهما من الهم .

فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله .

قال : أتثبته وتعرفه ؟ قال : نعم .

قال : فما فى نفسك منه ؟ قال عداوته والله ، ما بقيتُ أبداً(١) .

• ومن حديث مُخَيْريق وكان حَبراً عالمـاً كثير المـال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أُحُد ، وكان يوم السبت .

فقال : يا معشر اليهود ، والله إنكم لتعلمون أن نَصْر محمد عليكم لحقٌ .

قالوا : فإن اليوم ، يوم السبت .

قال : لا سبت .

ثم أخذ سلاحه وخرج ، حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بـ « أُحد » ، وكان يوم السبت ، وعهد إلى مَن وراءه من قومه : إن قُتِلتُ هذا اليوم فمالى لمحمد ، يصنع فيه ما أراه الله تعالى .

فقاتل حتى قتل .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول : مخيريق ، خير يهود .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله .

فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

---

(١) دلائل النبوة ٣٩ .

• عن ابن عباس : أن قريشاً اجتمعوا ، فيهم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو جهل ، وأمية ، وأبيّ ، ابنا خلف ، والأسود ابن المطلب ، وسائر قريش .

فبعثوا منهم خمسة رهط ، منهم عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث إلى المدينة ، يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ومبعثه .

وقالوا : يزعم أنه نبي ، واسمه محمد ، وهو يتيم فقير .

وإنا نزعم أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب .

فقالوا : نجد نعته وصفته في التوراة ، وخاتم النبوة بين كتفيه .

قالوا : إن كان كما وصفتم ، فهو نبي مرسل ، وأمره حق ، فاتبعوه .

ولكن سلوه عن ثلاث خصال ، فإنه يخبركم بخصلتين ، ولا يخبركم بالثالثة ، إن كان نبيًّا .

فإنا قد سألنا مسيلمة عن هؤلاء الثلاث خصال ، فلم يدر ما هي .

وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة .

فرجعت الرسل إلى قريش بالخبر من اليهود .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن خصال ثلاث .

أخبرنا عن ذي القرنين ، وعن الروح ، وعن أصحاب الكهف .

فقال : أخبركم بذلك غداً . ولم يقل إن شاء الله .

فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوما لترك الاستثناء ، فشق ذلك عليه .

فجاء جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبطأت علىّ فقال : لتركك الاستثناء : « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ(١) » .

ثم أخبره بخبر ذى القرنين ، وأصحاب الكهف .

وقال : « الروح من أمر ربى ، لا علم لى به » .

فقالوا : سحران تظاهرا . يعنون التوراة والفرقان .

● عن عمرو بن عبسة : رَغِبْتُ(٢) عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت أنها الباطل ، يعبدون الحجارة ، وهى لا تضر ولا تنفع .

فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال :

يخرج رجل من مكة ، ويرغب عن آلهة قومه ، ويأتى بأفضل الدين ، فإذا سمعت به ، فَاتَّبِعْهُ .

فلم يكن لى همٌّ إلا مكة آتيها ، فأسأل : هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون : لا .

فأنصرف إلى أهلى ، وأعترض الركبان ، فأسألهم ، فيقولون : لا .

فإنى لقاعد ، إذ مَرَّ بى راكب فقلت : من أين جئت ؟

قال : من مكة .

قلت : هل حدث فيها حدث ؟

قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ، ودعا إلى غيرها .

قلت : هذا صاحبى الذى أريد .

---

(١) سورة الكهف : ٢٣ و ٢٤ (٢) أى : أعرضت .

فشددت راحلتى وجئت فأسلمت(١) .

● عن ابن عباس قال : إن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم السيد ، والعاقب ، فأنزل الله تعالى فيهم : « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ »(٢) الآية .

قالوا : فَأَخِّرْنا ثلاثة أيام .

فذهبوا إلى بنى قريظة ، والنضير ، وبنى قينقاع ، فاستشاروهم .

فأشاروا عليهم ، أن يصالحوه ، ولا يلاعنوه ، فهو النبى الذى نجده فى التوراة ، والإنجيل .

فصالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على ألف حلة فى صَفَر ، وألف حلة فى رجب ، ودراهم .

● عن عكرمة أن أناسا من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، فلما بعث ، كفروا به . فذلك قوله تعالى :

« وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ »(٣) .

● عن سهل مولى عثيمة قال : إنه كان نصرانيا ، وكان يتيما فى حجر أبيه وعمه ، وكان يقرأ الإنجيل .

قال : فأخذت مصحفا لعمى ، فقرأته ، حتى مرتْ بى ورقة ، فأنكرت كثافتها ، فإذا هى ملصقة .

---

(١) الخبر مفصل فى دلائل النبوة ٢١١ — ٢١٢ .
(٢) سورة آل عمران ٦١ .
(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .

ففتقتها ، فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم : أنه لا قصير ، ولا طويل ، أبيض ، بين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد .

قال : فجاء عمى ، فرأى الورقة فضربنى ، وقال : مالك وفتحَ هذه الورقة ؟

فقلت : فيها نعت النبي أحمد . قال : إنه لم يأت بعد .

● عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال :

كان عند أبى ، أو عند جدى ، ورقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان ، فيها « بسم الله ، وقوله الحق ، وقول الظالمين فى تباب .

هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان ، يأتزرون على أوساطهم ، ويغسلون أطرافهم ، ويخوضون البحار على أعدائهم .

فيهم صلاة ، لو كانت فى قوم نوح ، ما أهلكوا بالطوفان ، أو فى ثمود ، ما أهلكوا بالصيحة » .

فأخبرنى أنهم جاءوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوها عليه ، وأخبروه خبرها ، فأمرهم أن يضعوها فى أضعاف المصحف .

● عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فيما أوحى إليه : أن صَدِّق بمحمد ، ومُرْ أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فسكن .

• وقال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى أشعياء(١) : إنى مبتعث نبيًا أميا ، أفتح به آذانا صما ، وقلوبا غلفا .

أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته . وأحمد : اسمه . أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، [وأغنى به بعد العَيْلة(٢)] وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب وأهواء متشتتة ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب .

• وقال أشعياء لإيلياء ، وهى قرية ببيت المقدس ، واسمها أورشليم :

أبشرى أورشليم ، يأتيك الآن راكب الحمار ، يعنى عيسى .

ويأتيك بعده راكب البعير ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

• وروى أن رجلا من أهل الشام من النصارى ، قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن فى يوم عيد من أعيادهم ، وقد غاب أزواجهن فى بعض أمورهن .

فقال : يا نساء قريش(٣) : إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد .

فأيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً ، فلتفعل .

---

(١) ويقال فيه سعيا ، قال فى القاموس : وسعيا بن أمصيا نبى من أنبياء بنى إسرائيل ، بعث بعد موسى ، بشر بعيسى .

قال ابن عباد : هو آخر نبى من بنى إسرائيل . والشين لغة فيه .

(٢) من دلائل النبوة . (٣) محرفة بالأصل وما أثبته من أعلام النبوة .

ومضى الرجل لحفظت خديجة حديثه .

• ومن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم الموجودة فى كتب الله القديمة قول الله تعالى فى السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام :

« قد أجبت دعاءك فى إسماعيل وباركت عليه ، وكثرته ، وعظمته جداً جداً ، وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة » .

ثم أخبر موسى بمثل ذلك فى السفر وزاد شيئا .

يقال : فلما(١) خرجت هاجر من سارة ، تراءى لها ملك الله ، وقال :

يا هاجر : أمة سارة ، ارجعى إلى سيدتك ، واخضعى لها ، فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه إسماعيل ، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك ، وتكون يده فوق يد الجميع ، ويدُ الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .

قال ابن قتيبة : فتدبر هذا القول ؛ فإن فيه دليلا بيناً على أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق ، ولا كانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع .

وكيف يكون ذلك والملك والنبوة ، فى ولد إسرائيل والعيص ، وهما ابنا إسحاق .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل .

---

(١) بالأصل محرفة : فما .

فدانت له الملوك ، وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شريعة ، وختم به النبيين ، وجعل لهم الخلافة والملك فى آخر الزمان .

فصارت أيديهم فوق أيدى الجميع ، وأيدى الجميع ، بالرغبة إليهم ، مبسوطة بالخضوع .

● ومن أعلامه فى التوراة قال : « جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران »(١) .

وليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجىء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، هكذا هو عند أهل الكتاب ، وعندنا .

وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل .

وكان المسيح يسكن ساعير ، بأرض الخليل بقرية تدعى « ناصرة » ، وباسمها ، سُمِّىَ من اتبعه : « نصارى » .

وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، بإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، فى جبال فاران ، وهى جبال مكة .

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب ، خلاف فى أن فاران ، هى مكة .

---

(١) ذكر فى البدء والتاريخ بعض هذه الأخبار وغيرها بالعبرية والعربية ، ثم قال :

« وكم فى التوراة والإنجيل من الدلائل عليه وعلى أصحابه ، وعلى مهاجرتهم وبواديهم ، حتى ذكروا أصواتهم وقرآنهم وهيآتهم فى صلاتهم وقتالهم ، ولكن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

انظر البدء والتاريخ ٥/٢٧ — ٣٣ .

فإن ادعوا أنها غير مكة ـ وليس بنكير من تحريفهم وإفكهم ـ قلنا :

أليس فى التوراة ، إن إبراهيم أسكن هاجَر وإسماعيل فاران ؟

وقلنا : دُلونا على الموضع الذى(١) استعلن الله منه ، واسمه فاران ، والنبيِّ الذى أنزل(٢) عليه كتاباً بعد المسيح .

أو ليس « استعْلن » و « عَلَن » بمعنىً واحد ، وهما : ظهر وانكشف ؟

فهل تعلمون دِيناً ظهر ظهورَ الإسلام ، وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها فشُوَّه ؟

• ومن أعلامه فى التوراة : قال الله تعالى لموسى فى السِّفْر الخامس : إنى أقيم لبنى إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلَك ، أجعل كلامى على فمه .

فمَن [مِن] إخوة بنى إسرائيل إلا هو [ابن] إسماعيل ؟ كما تقول : بكرٌ وتَغْلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة بنى بكر .

يُرْجع فى ذلك إلى أخوّة الأبوين .

فإن قالوا : هذا النبي الذى وعد الله أن يقيمه لهم هو أيضاً من بنى إسرائيل ، لأن بنى إسرائيل إخوة بنى إسرائيل ، أَكْذَبَتْهُمُ التوراة ، وأَكْذَبَهُمُ النظر ؟

لأن فى التوراة أنه لم يقم فى بنى إسرائيل ، مثل موسى .

وأما النظر : فإنه لو أراد أنى أقيم لهم نبيًّا من بنى إسرائيل مثل موسى ، لقال أقيم لهم من أنفُسهم مثل موسى . ولم يقل من إخوتهم .

---

(١) الأصل : التى .   (٢) الأصل : أنزلت .

كما لو أن رجلا قال لرسوله : ائتنى برجل من بنى تَغْلب بن وائل .
فلا يجب أن يأتيه برجل من بنى بكرَ .

قال ابن قتيبة : ومن قول حبقون المتنبىء فى زمان دانيال قال حبقون(١) : جاء الله من التيمن والقديسُ من جبال فاران(٢) ، فامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملَك الأرضَ بيمينه ورقابَ الأمم .

قال : وقال أيضاً : تضىء لنوره الأرض وتُحْمَل خيلُه فى البحر .

وزاد فى بعض أهل الكتاب : أنه قيل فى كلام حبقون : وستُترِع فى قسيك إتراعاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ، ارتواءً .

وهذا إفصاح باسمه وصفاته .

فإن ادَّعوا أنه غير نبينا ـ وليس ذلك بنُكرٍ من جحْدهم وتحريفهم ـ : فَمَنْ أحمدُ الذى امتلأت الأرض من تحميده ، والذى جاء من جبال فاران فملَك الأرض ورقاب الأمم ؟

قال ابن قتيبة : ومِن ذكر شَعْيا له عن الله عز وجل : « عبدى الذى سُرَّت به نفسى » .

وترجمه آخر ، فقال : عبدى ، خِيرتى ، رضا نَفْسى ، أُفيض عليه روحى .

وترجمه آخر فقال : أنزل عليه وحيى فَيُظْهِرُ فى الأمم عدْلَهُ ، ويوصى الأممَ بالوصايا ، لا يضحك ولا يُسْمع صوته فى الأسواق .

---

(١) المشهور والمحفوظ « حبقوق » بالقاف فى آخره .
(٢) الذى فى ت : جاء الله من القديس والتيمن من جبال فاران .

يفتح العيون العمى ، ويُسْمع الآذانَ الصُّمَّ ، ويحيى القلوب الغُلْف ، وما أعطيته لا أعطى أحداً غيرَه .

أحمدُ ، يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، يُفرِحُ البرِّيَّة وسكانَها ، يهللون الله على كل شرَف ، ويكبرونه على كل رابية(١) :

وزاد آخر فى الترجمة : لا يضْعُف ولا يُغلَب ، وَلا يميل إلى الهوى ، ولا يُسْمَع فى الأسواق صوتُه .

ولا يُذِلُّ الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوِّى الصِّديقين .

وهو ركنُ المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يُطْفأ ولا يخصم ، حتى يثبِّت فى الأرض حُجَّتى ، وينقطع به العُذْر ، وإلى تَوْراته تنقاد الجن .

وهذا إفصاح باسمه وبصفاته .

فإن قالوا : أى توراة له ؟

قلنا : أراد أنه يأتى بكتاب يقوم مقام التوراة لكم .

● ومنه قول كعب : شكا بيتُ المقدس إلى الله تعالى الخرابَ ، فقيل له :

لأُبْدِلَنَّك توراةً محدثة ، وعُمَّالا مُحْدَثين ، يزفون(٢) بالليل زفيفَ النسور ويتحننون عليك كما تتحنن الحمامة على بيْضها ، ويملأونك خدوداً سُجَّدًا .

---

(١) أى : مرتفع من الأرض .

(٢) قوله : « يزفون » أى : يسرعون إلى عبادة الله . متجافين مضاجعهم ، صافين أقدامهم ، قياماً فى صلاتهم ، باسطين أيديهم على الأرض فى سجودهم كما تبسط النسور أجنحتها .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر « شعيا » له قال : « أنا الله ، عظمّتك بالحق ، وجعلتك نور الأمم ، وعهدَ الصيْفون(١) ؛ لتفتح أعين العميان ، وتُنْقذ الأسْرى من الظلمات إلى النور » .

قال : وقال فى الفصل الخامس : « إيلياهو(٢)مَن سلطانُه على كتفه » .

يريد : علامة نبوته على كتفه ، هذا فى التفسير السريانى .

فأما فى العبرانى ؛ فإنه يقول : على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومِن ذكر داود له فى الزَّبُور : « سَبِّحو الربَّ تسبيحاً حديثا ؛ سبحوا الذى هيكله الصالحون ؛ ليفرح إسرائيل بخالقه وبيوت صهيون ؛ من أجل أن الله اصطفى له أمَّته وأعطاه النصر ؛ وشدَّد الصالحين منه بالكرامة ؛ يسبحونه على مضاجعهم ؛ ويكبِّرون الله بأصوات مرتفعة .

بأيديهم سيوف ذات شفْرتين ؛ لينتقموا [لله] من الأمم الذين لا يعبدونه ؛ يوثقون ملوكهم بالقيود ؛ وأشرافهم بالأغلال » .

قال ابن قتيبة : فَمَنْ هذه الأمة ؛ التى سيوفها ذات شفْرتين ؛ من غير العرب ؟

ومَنِ المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ .

ومَنِ المبعوث بالسيف من الأنبياء ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

قال ابن قتيبة : وفى مزمور آخر : « تقلَّدْ أيها الجبار السيف(٣) فإن ناموسك وشرائعك ؛ مقرونة بهيبة يمينك ؛ وسِهامُك مسنونة ؛ والأمم يخرُّون تحتك » .

---

(١) صيفون : العرب . والعبارة محرفة بالأصل : وعهد النسمون .

(٢) الأصل : اليابن . وهو تحريف .

(٣) كان السيف فى يده رحمة بالجماهير ، وقصاصا من الظالمين .

فَمَنْ متقلِّدُ السيف من الأنبياء غَيْرُ نبينا ؟

ومن خرّت الأمم تحته ؛ غيره ؟

ومن قُرِنت شرائعه بالهيْبة ؛ فإما القبول أو الجزية أو السيف ؟

ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم : « ونُصِرْتُ بالرعب » .

قال : وفى مزمور آخر : « إن الله أظهره من صيفون[١] إكليلا محموداً » .

ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة .

و « محمود » هو : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : وفى مزمور آخر : « إنه يحوز من البحر [إلى النهر][٢] ومن لدن الأنهار [إلى الأنهار][٢] إلى منقطع الأرض .

وأنه تخر أهل الجزائر بين يديه على رُكبهم ؛ ويلحس أعداؤه التراب .

تأتيه الملوك بالقرابين ؛ وتسجد له ؛ وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد .

لأنه يخلِّص المضطهد البائس[٣] ممن هو أقوى منه ؛ وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ؛ ويرأف بالضعفاء والمساكين .

وأنه يُعْطَى من ذهب بلاد سَبَأ ؛ ويُصَلَّى عليه فى كل وقت ؛ ويبارك فى كل يوم ؛ ويدوم ذِكْرُه إلى الأبد » .

---

(١) الأصل : صهيون . وما أثبته من أعلام النبوة . قال : وصيفون : العرب ، والإكليل : النبوة .

(٢) من أعلام النبوة .

(٣) الأصل : اليابس ، وما أثبته من أعلام النبوة .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذى ملك ما بين البحر والنهر ؛ وما بين دِجْلة والفرات إلى منقطَع الأرض ؟

ومن ذا الذى يُصَلَّى عليه ويُبارك فى كل وقت من الأنبياء غيره ؟ !

قال : وفى موضع آخر من الزبور ؛ قال داود : اللهم ابعث حامل(١) السُّنة ؛ حتى يَعْلم الناس أنه بشر » .

وهذا إخبار عن المسيح ؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم قبلهما بأحقاب .

يريد : أبعث محمدا حتى يُعلِّم الناس أن المسيح بشرٌ .

يُعْلِم داود أنهم سيدَّعون للمسيح ما ادَّعوا .

قال : وفى شعيا : « قيل لى : قمْ نظارا فانظر ما ترى ؛ نخبِّر به .

قلت : أرى راكبيْن مُقْبلين ؛ أحدهما على حمار ؛ والآخر على جمل .

يقول أحدهما للآخر : سقطتْ بابل وأصنامها المنجَّرة » .

قال : فصاحبُ الحمار عندنا وعند النصارى ؛ هو المسيح .

فإذا كان صاحب الحمار المسيح ؛ فلمَ لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الجمل ؟ !

أو ليس سقوط بابل والأصنام المنجَّرة به وعلى يديه ؛ لا بالمسيح ؟ !

ولم يزلْ فى إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان ؛ من لدن إبراهيم عليه السلام .

أو ليس هو بركوب الجمل ؛ أشهرُ من المسيح بركوب الحمار ؟ !

* * *

---

(١) ز : جاعل .

قال ابن قتيبة : فأما ذكْر النبي صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل :

قال المسيح للحواريين : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط ؛ روح الحق ؛ الذى لا يتكلَّم منْ قِبل نفسه ؛ إنما هو كما يقال له ؛ وهو يشْهد علىّ وأنتم تشهدون ؛ لأنكم مع مَنْ قَبِل الناس ؛ وكلُّ شيء أعده الله لكم ؛ يخبركم به » .

قال : وفى حكاية يوحنا عن المسيح أنه قال : الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ؛ فإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة ؛ ولا يقول من تلقاء نفسه ؛ ولكنه مما يسمع به يكلمكم ؛ ويسوسكم بالحق ؛ ويخبركم بالغيوب والحوادث » .

قال : حكاية أخرى : « إن الفار قليط روح الحق الذى يُرسله أبى باسمى ؛ وهو يعلمكم كلَّ شيء » .

وقال : « إنى سائلٌ أبى ؛ أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر ؛ يكون معكم إلى الأبد ؛ يعلمكم كلَّ شيء » .

وفى حكاية أخرى : إن البشير ذاهب ؛ والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ؛ ويفسر لكم كلَّ شيء ؛ وهو يشهد لى كما شهدت له ؛ فإنى أجيئكم بالأمثال ؛ وهو يأتيكم بالتأويل » .

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء ـ على اختلافها ـ متقاربة .

وإنما اختلفت لأن مَنْ نقل الإنجيل عن المسيح عِدَّةٌ .

فَمَنْ هذا الذى هو روح الحق ؛ لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؟

ومن العاقب للمسيح ؛ والشاهد له بأنه قد بلَّغ ؟

ومن الذى أخبر بالحوادث فى الأزمنة ؛ مثل خروج الدجال ؛ وظهور الدابة ؛ وطلوع الشمس من مغربها وأشباه هذا ؟

وبالغيوب من أمر القيامة والحساب ؛ والجنة ؛ والنار وأشباه ذلك ؛
مما لم يُذْكر فى التوراة والإنجيل ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ !

قال ابن قتيبة : وفى إنجيل متَّى : أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليُقْتل ؛ بعث تلاميذه إلى المسيح وقال : قولوا له ؛ أنت هو الآتى ؛ أوَ نَتَوَقَّعُ غيرك ؟

فأجابه المسيح وقال :« الحق اليقين أقول لكم ؛ إنه لم تقُم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا ؛ وإن التوراة ؛ وكتب الأنبياء ؛ يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ؛ حتى جاء يحيى .

فأما الآن فإن شئتم فاقبلوا ؛ فإن إيلياهو ، مُزْمع أن يأتى .

فمن كانت له أذن سامعة فليسمع » .

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال :

إما أن يكون قال : « إن أحمد مُزْمع أن يأتى » فغيروا الاسم ؛ كما قال الله تعالى : « يُحَرِّفُون الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ[1] » جعلوه إيليا .

وإما أن يكون قال : « إن إيل مزمع أن يأتى و « إيل » هو الله عز وجل .

ومجىء الله ؛ هو مجىء رسوله بكتابه ؛ كما قال فى التوراة : « جاء الله من سيناء » أراد « جاء موسى من سيناء بكتاب الله » .

ولم يأت كتابٌ بعد المسيح ؛ إلا القرآن .

وإما يكون أراد النبىَّ المسمى بهذا الاسم .

---

(١) سورة المائدة ٥١ .

وهذا لا يجوز عندهم ؛ لأنهم مجمعون على أنه لا نبيَّ بعد المسيح .

☆ ☆ ☆

قال ابن قتيبة : ذكر مكة والحرم والبيت ؛ فى الكتب المتقدمة :

فى كتاب شعيا : « إنه ستمتلأُ البادية والمدن ؛ قصورُ آل قيدار ؛ يسبّحون ؛ ومن رءوس الجبال ينادون ؛ هم الذين يجعلون لله الكرامة ؛ ويبُثون(١) تسبيحه فى البر والبحر » .

وقال : « أرفع علماً لجميع الأمم من بعيد فيُصفر بهم من أقاصى الأرض فإذا هم سراع يأتون » .

قال ابن قتيبة : و « بنو قيدار » هم العرب ؛ لأن قيدار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس .

والعلَمَ الذى يُرفع ؛ هو النبوة .

والصفير بهم : دعاؤهم من أقاصى الأرض للحج ؛ فإذا هم سراع يأتون .

وهو نحو قول الله تعالى : « وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »(٢) .

وفى موضع آخر من كتاب شعيا : « سيَبْعث من الصَّبا قوما فيأتون من المشرق مجيبين أفواجا ، كالصعيد كثرةً ؛ ومثل الطيّان الذى يدوس برجليه الطين » .

والصبا يأتى من مطلع الشمس ؛ يبعث الله من هناك قوما من أهل خراسان وما ضاهاها .

---

(١) ز : ويثبتون . ومعنى « يبثون » ينشرون ويذيعون .
(٢) سورة الحج ٢٧ .

فمن الذى هو نازل بمهبّ الصَّبا ؛ فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجاً كالتراب كثرة ؟

ومَنْ مثل الطيان الذى يدوس برجليه الطين ؟ !

يريد : أن منهم رجالا كالِّين .

وقد يجوز أن يكون أراد الهرْولة ؛ إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال فى ذكر الحجَر المسْتَلم : قال شعيا :

« قال الرب السيد : هأناذا مؤسس بصهيون ؛ وهو بيت الله حجراً فى زاوية مكرّمة » .

والحجر فى زاوية البيت ؛ والكرامة أن يُسْتَلَمَ وَيُلْثَمَ .

وقال شعيا فى ذكر مكة :

« سيرى واهتزّى ؛ أيتها العاقر لم تلد ؛ وانطقى بالتسبيح ؛ وافرحى إذ لم تحبلى ؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله ، أهلَ بيت المقْدس من بنى إسرائيل .

أراد أن أهل مكة يكونون بمن يأتيهم من الحجاج والعُمّار ؛ أكثر من أهل بيت المقدس .

فشبه مكة بامرأة عاقر لم تلدْ ؛ لأنه لم يكن فيها قبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلا إسماعيل وحده ؛ ولم ينزل بها كتاب .

ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيتَ المقدس ؛ لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحى ؛ ولا يشبَّه بالعاقر من النساء .

وفى شعيا أيضاً منْ ذكر مكة :

« قد أقسمتُ بنفسى كقسمى أيام نوح ألا أغرق الأرضَ بالطوفان ؛

كذلك أقسمتُ أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ؛ فإن الجبال تزول ؛ والقلاع تنحط ؛ ونعمتى عليك لا تزول » .

ثم قال : « يا مسكينة يا مضطهدَة ؛ هأنا ذا ؛ بانٍ بالحسن حجارتك ؛ ومزيِّنك بالجواهر ؛ ومكلِّلٌ باللؤلؤ سقفك ؛ وبالزَّبرجد أبوابك .

وتبعدين من الظلم ؛ فلا تخافى ؛ ومن الضعف ؛ فلا تضعفى .

وكل سلاح يصنعه صانعٌ ؛ فلا يعمل فيك ؛ وكل لسان وكل لغة تقوم معك بالخصومة ، تفلحين معها » .

ثم قال : « وسيسمِّيك الله اسماً جديداً » .

يريد : أنه سمى المسجد الحرام ؛ وكان قبل ذلك يسمى الكعبة .

« فقومى فأشرقى ؛ فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك » .

« انظرى بعينك حولك ؛ فإنهم مجتمعون ؛ يأتيك بنوك وبناتك غدوًّا ، فحينئذ تسرِّين وتزْهرين ؛ ويخاف عدوك ويشبع قلبك ؛ وكل غنم قيدار مجتمعةٌ إليك ؛ وسادات بناوت يخدمونك » .

وبناوت ؛ هو ابن إسماعيل .

وقيدار هو أبو النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أخو بناوت .

ثم قال : « وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار ؛ لا تغلق ؛ ويتخذونك قبلةً ؛ وتُدْعَيْنَ بعد ذلك مدينةَ الرَّب » .

أى : بيت الله عز وجل .

وفى موضع آخر من شعيا :

« ارفعى بصرك إلى ما حولك تستبهجين وتفرحين ؛ من أجل أنه يصل إليك ذخائر البحر ؛ ويحج إليك عساكر الأمم ؛ حتى تعمرك قطر الإبل

المؤبَّلة(١) ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجمع إليك ، وتساق إليك كباش مدْين ، ويأتيك أهل سبأ وتسير إليك بأغنام قيدار ، ويخدمك رجالات بناوت » .

يعنى سدنة البيت ، إنما هم(٢) من ولد بناوت بن إسماعيل .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكرُ طريق مكة فى شعيا :

وفى شعيا عن الله تعالى :

« إنى أعْطى البادية كرامة لبنان ، وبها الكرمال » .

والكرمال ولبنان : الشام وبيت المقدس .

يريد أجعل الكرامة التى كانت بالوحى هناك ، وظهور الأنبياء ، للبادية ، وبالنبى صلى الله عليه وسلم :

« وتشق فى البادية مياه وسَوَاقٍ فى أرض الفلاة ، وتكون الفيافى والأماكن العطاش ، ينابيع ومياهاً ، ويصير هناك محجَّة ، وطريق الحرم لا يمرُّ به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين » .

وفى كتاب « حزقيل » أنه ذكر معاصى بنى إسرائيل وشبَّههم(٣) بكَرْمة عداها فقال :

« ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، وأحرقت السَّمائم(٤) ثمارها .

(١) الإبل المؤبلة . أى : للقنية . كما فى الصحاح . (٢) ت : أنهم .
(٣) ت : وشبهها . وما هنا أصح . (٤) السمائم : الرياح الحارة . اهـ . الصحاح .

فعند ذلك غُرِسَ غرْسٌ فى البدْو ، فى الأرض المهملة العطشى ، وخرجت من أغصانها العاضلة ، نارٌ أكلت ثمار تلك ، حتى لم توجد فيها عَصًا قوية ، ولا قضيب » .

☆ ☆ ☆

قال ابن قتيبة : ذكر الحرم فى كتاب شعيا :

قال : « إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً » .

وكذلك جميع السباع لا تؤذى ولا تفسد فى كل حَرَمى .

ثم ترى تلك الوحوش إذا خرجت من الحرم عاودت الذُّعر وهربت من السباع .

وكان السبع فى الطلب ، والحرص فى الصيد ، كما كان قبل دخوله الحرم .

قال ابن قتيبة : ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر :

قال شعيا : وذكر قصة العرب يوم بدر : « يدوسون الأمم ، كدياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ويهزمون » .

ثم قال : « ينهزمون بين يدَىْ سيوف مسلولة ، وقسيٍّ موتورة ، من شدة الملحمة » .

* * *

قال ابن قتيبة : فهذا ما فى كتب الله المتقدمة الباقية فى أيدى أهل الكتاب ، يتلونه ، ولا يجحدون ظاهره ، خلا اسم نبينا عليه السلام ،

فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يعبأ(١) ذلك عنهم ، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم « مشقَّح .

ف « مشقح » هو محمد صلى الله علية وسلم بغير شك .

واعتباره أنهم يقولون « شقحا لإلهنـا » إذا أرادوا أن يقولوا « الحمد لله » فإذا كان الحمد شقحا ف « مشقح » محمد صلى الله علية وسلم .

ولأن الصفات التى أقروا بها ، هى وفاقٌ لأحواله وزمانه ، ومَخرَجه ، ومبعثه ، وشِرْعته .

فليدلُّونا على من له هذه الصفات ، ومنْ خرَّت الأمم بين يديه ، وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته .

ومن صاحبُ الجمل الذى هلكت بابل وأصنامها به .

وأين هذه الأمة من ولد قيدار بن إسماعيل ، الذين ينادون من رءوس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين بثُّوا تسبيحه فى البر والبحر ؟ !

هيهات أن يجدوا ذلك ، إلا فى محمد وأمته .

* * *

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار فى كتبهم ، لم يكن فيما أودع فى القرآن من ذكر ما فى كتبهم دليل .

كقوله تعالى : « الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ(٢) » . وقوله : « يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ(٣) » .

---

(١) سياق الكلام يقتضى أن يقال « ولن يغيب » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ (٣) سورة آل عمران ٧٠ .

وقال : « يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ(١) » .

وقال : « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ(٢) » .

فكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم ، بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتى ، أنكم تجدوننى مكتوباً عندكم . وهم لا يجدونه ، وقد كان غنيًّا أن يدعوهم بما ينفرهم ؟

ولما تيقن بالحال ، عبدُ الله بن سلاَم ومنْ أسلم ، أسلموا :

* * *

قلت : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته ، ويقرّون به ، ويعِدون بظهوره ، ويوصون أهاليهم بالإيمان به .

فلما ظهر ، آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحُيَيّ ابن أخطب ، وأبى عامر الراهب ، وأمية بن أبى الصَّلْت :

وقد أسلم جماعة من علماء متأخرى أهل الكتاب ، وصنفوا كتبا يذكرون فيها صفاته التى فى التوراة والإنجيل .

فالعجبُ ممن يتيقن وجود الحق ، ثم يحمله الحسد على الرضا بالخلود فى النار ! !

---

(١) سورة البقرة ١٤٦ . (٢) سورة الرعد ٤٣ .

الباب الخامس

فى إعلام كعب بن لؤى بن كعب بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب

● عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان كعب بن لُؤيّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسمى الجمعة عَروبة ، فيخطبهم فيقول :

أما بعد ، فاسمعوا وتعلَّموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساجٍ(١) ونهار ضاحٍ(٢) ، والأرض مهادٌ(٣) والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلامٌ(٤) والأولون كالآخرين ، والأنثى والذَّكر والزوج وما يهيج ، إلى بلىً(٥) صائرون(٦) .

فَصِلُوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمِّروا أموالكم .

فهل رأيتم مِنْ هالك رَجَع ، أو ميت نُشر ؟

---

(١) قال فى المصباح : سجا الليل يسجو : ستر بظلمته ومنه : سجيت الميت بالتثقيل : إذا غطيته بثوب ونحوه فيكون المعنى « وليل ساتر الدنيا بظلمته » وفى الصحاح . وليلة ساجية وساكنة وساكرة بمعنى واحد ، وفى اللسان « وليلة ساجية » إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب ، غير مظلمة . وفى التنزيل « والليل إذا سجا » أى سكن واشتدت ظلمته وغطى السكون بظلامه .

(٢) أى عم الأرض بنوره . (٣) أى فراش للاستقرار عليها .

(٤) أى علامات يهتدون بها فى رحلاتهم البرية والبحرية .

(٥) أى إلى فناء .

(٦) فى دلائل النبوة : صائرين . والعبارة محرفة بالنسخ .

الدار أمامكم ، والظنُّ غير ما تقولون :

حرَمَكم زيِّنوه وعظموه ، وتمسَّكوا به ، فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم : ثم يقول :

نَهَارٌ وَلَيلٌ كُلَّ أوْبٍ بحادثٍ(١) سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهارُهَا

يَؤُوبَانِ(٢) بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَأَوَّبَا وَبالنِّعَمِ الضَّافِي عَلَيْنَا سُتُورُهَا

عَلَى غَفْلَةٍ يأتى النبيُّ محمدٌ فيُخبر أخباراً صَدُوقٌ خبيرها

ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمْع وبصر ، ويد ورِجْلٍ ،لتنصَّبْتُ(٣) فيها تَنَصُّبَ الجَمَل ، ولأرْقلت(٤) فيها إرقال الفحل .

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبغِى الحَقَّ خِذْلَانَا

وكان بين موت كعب بن لؤى ، وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة ، وستون سنة .

---

(١) قال فى القاموس : الأوب : الرجوع . والمراد : كما تجدد الليل والنهار تتجدد الحوادث .

(٢) يؤوبان الخ . المعنى : الليل والنهار يرجعان إلينا بالحوادث المتجددة ، كلما رجعا .

(٣) لتنصبت إليه . أى : لسرت إليه طول يومى كما يسير الجمل . كما يستفاد من القاموس .

(٤) أرقلت . أى : أسرعت اهـ قاموس . وفى الصحاح (الإرقال ضرب من الخبب وهو الإسراع فى العدو) كما يستفاد من القاموس والصحاح .

الباب السادس

في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم

قال أهل السِّير(١) :

رأى نَصْرُ بن ربيعة رؤيا هالته(٢) ، فلم يدَعْ كاهنا ولا منجِّما إلا جمعه إليه ، وقال لهم : إني رأيت رؤيا هالَتْني ، فأخبروني بتأويلها .

فقالوا : اقصُصْها علينا .

فقال : إنه لا يَعْرِف تأويلها إلا من عَرَفها قَبْل أن أخبره بها .

قالوا : فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سَطيح وشقٍّ . وهما اسم كاهنين .

فبعث إليهما ، فقدم سطيح فقال [له] : إني رأيت رؤيا هالتني فإن أصبتها أصبتَ تأويلها .

فقال : رأيتَ حُمَمَةً(٣) خرجت من ظُلمة ، فوقعت بأرضٍ تَهِمة(٤) فأكلت منها كلُّ ذات جُمجمة .

---

(١) يتساهل الرواة في قبول هذه الأساطير لما لها من دلالة رمزية . وإلا فهي من ناحية الوزن العلمي ، مردودة .

(٢) أي : أفزعته .

(٣) الحمة : الفحمة المشتعلة .

(٤) تهمة : منخفضة ، ومنه سميت تهامة .

فقال الملك : ما أخطأتَ منها شيئا يا سطيح ، فما عندك فيها ؟

قال : أحلف بما بين الحَرَّتين من حَنش ، لتهبطن أرضكم الحبَش ، فليملكن ما بين أبْيَن إلى جُرَش(١) .

فقال له الملك : وأبيك إن هـذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو ؟ أفى زمانى أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، الحينُ من ستين إلى سبعين .

قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وتسعين يمضين من السنين ، ثم يخرجون منها هاربين .

قال : ومن يلى ذلك ؟

قال : إرم ذى يزن(٢) ، يخرج عليهم من عَدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك ؟

قال : لا بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه .

قال : نبىٌّ زكى ، يأتيه الوحى من [قِبَل] العلىّ .

قال : ومن هذا النبى ؟

---

(١) أبين وجرش : مخلافان من مخاليف اليمن .

(٢) المشهور فيه : سيف بن ذى يزن ، ولكنه عدل إلى إرم ، لتشبيهه بإرم عاد فى عظم الخلق والقوة .

قال : رجل منْ ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النَّضْر ، يكون الْمُلْكُ فى قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ويسْعد فيه المحسنون ويشقى به المسيئون .

قال : أحق ما تخبرنى به ؟

قال : نعم والشَّفق والغسق والفلق ، إن ما أنبأتك به لحق .

فلما فرغ قدم شقٌّ فقال له : إنى رأيت رؤيا فأخبرنى بها . فأخبره كما قال سطيح ، وأخبره بتقلب الممالك على نحو ما قال سطيح ، إلى أن قال :

ثم يأتى رسولٌ يأتى بالحق والعدل ، يكون الْمُلك فى قومه إلى يوم الفصْل .

قال : وما يوم الفصْل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويجمع الناس الميقات .

الباب السابع

في ذكر نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

هو محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، ابن قُصى ، بن كلاب ، بن مُرَّة ، بن كعب ، بن لؤىّ ، بن فِهر ، بن مالك ابن النَّضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدْركة ، بن إلياس ، بن مُضر ، ابن نزار ، بن مَعد ، بن عدنان .

ولا يختلف النسابون إلى عدنان .

ثم يختلفون فيما بعده ، فبعضهم يقول : عدنان بن أدّ ، بن الهميسع ، ابن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعضهم يقول : عدنان ، من غير ذكر أد بن أدد .

وفى حديث أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عدنان ابن أدد بن لؤى بن أعراق الثرى » .

قالت أم سلمة : فـ« زيد» هو الهميسع : ويرى هو نبْت . وأعراق الثرى هو إسماعيل . كذلك حكى الزبير بن بكار .

وحكى أيضاً أن أعراق الثرى إبراهيم ، لأنهم لما رأوه لم يحترق بالنار . قالوا : ما هو إلا أعراق الثرى .

وهكذا ضبط لنا زيد . وقد حدَّثنا عن أبى أحمد العسكرى أنه قال : إنما هو زيد مثل اسم أبى دلامة .

● عن عروة قال : ما وجدنا أحدًا يعرف ما وراء عدنان . .

وقال ابن أبى خيثمة : ما وجدنا فى علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بثَبت .

الباب الثامن

في ذكر طهارة آبائه وشرفهم

● عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانه قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بنيا أفضل من بنى هاشم »(١) .

● عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » .

● عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جاسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوك مثل نخلة تنبت فى كَبْوة من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلنى من خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلنى فى خير الفريقين ، ثم حين

---

(١) أخرجه البيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر . وفى الخصائص : بنى أب .

جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفساً » .

• وقال ربيعة : إن ناسا من الأنصار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك حين يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كِبا » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله خلق خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفساً » .

« الكبا » مقصور . وهو الكناسة . قال الأصمعى : فإذا مدّ فهو البحر . قال شَمّر : ولم يسمع الكبوة .

الباب التاسع

فى بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، فنزلت : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى(١) » أى إلا أن تصلوا قرابة ما بينى وبينكم .

• وقال الشعبي : أكثر الناسُ علينا فى هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » أى إلا أن تصلوا قرابة ما بينى وبينكم ، فكتبت إلى ابن عباس .

فكتب ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط النسب فى قريش ، لم يكن حىٌّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ، فقال الله تعالى :

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القُرْبى » .

أى : تودُّوا قرابتى منكم ، وتحفظونى فى ذلك .

عن ابن عباس فى قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ (١) » .

قال : ليس من العرب قبيلة ، إلا ولدت النبى صلى الله علية وسلم ، مُضَرِيِّها وربيعيّها ، ويمانيها .

---

(١) سورة الشورى ٢٣ . (٢) سورة التوبة ١٢٨ .

الباب العاشر

في قوله عليه السلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

● عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » .

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفًى مُهَذَّبا ، ولا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » .

الباب الحادى عشر

فى ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد المطلب : بينا أنا نائم فى الحجر رأيت رؤيا هالتنى ، ففزعت منها فزعا شديدا ، فأتيت كاهنة قريش ، وعلىّ مِطارف خزٍّ وجَمتى(١) تضرب منكبى .

فلما نظرت إلىّ عرفت فى وجهى التغير ، وأنا يومئذ سيد قومى .

فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شىء(٢) ؟

فقلت لها : بلى .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يدها على أم رأسه ، ثم يبدو بحاجته ، ولم أفعل ، لأنى كنت كبير قومى .

فجلست فقلت : إنى رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت ، قد نال رأسُها السماء ، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب .

وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس بتسعين ضعفا .

ورأيت العرب والعجم ، ساجدين لها ، وهى تزاد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ، ساعة تخفى ، وساعة تزهر .

---

(١) الجمة : شعر الرأس الكثيف .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم : هل رأيت من حدثان الدهر شيئا ؟

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها .

فإذا دنوا منها ، أخَّرهم شاب ، لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم .

فرفعت يدى لأتناول منها قسما فقال لى : لا نصيب لك فيها .

فقلت : ومن له نصيب ؟ فقال : النصيب لها ، وللذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتبهت فزعا مرعوبا .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، وتدين له الناس .

ثم قالت لأبى طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود .

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة ـ والله أعلم ـ أبا القاسم الأمين .

فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السُّبَّة والعار !

الباب الثانى عشر

فى ذكر منام(١) رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خالد بن سعيد : قال كنت ذات ليلة نائما قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة ، حتى لا يبصر امرؤ كفَّه .

فبينا هو كذلك إذ خرج نور [من زمزم(٢)] ، ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ، ثم أضاءت مكة كلها .

ثم إلى نخل يثرب فأضاء بها حتى كأنى أنظر البُسر فى النخل .

فاستيقظت ، فقصصتها على أخى ، عمرو بن سعيد ، وكان جَزل الرأى .

فقال : يا أخى ، إن هذا الأمر يكون فى بنى عبد المطلب .

ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم .

قال خالد : فإنه لمَّا هدانى الله [به] للإسلام .

قالت أم خالد : فأول من أسلم ابنى . وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا خالد ، أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله » . فقص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده(٣) .

---

(١) لا يستغرب أن تكثر الرؤى الصادقة ، بين يدى حدث عظيم كالإسلام . والنفوس المصقولة من أى دين ربما أمكنها أن تستشف الغيوب .

(٢) من الخصائص .

(٣) خبر خالد ابن سعيد ، أخرجه ابن سعد ، والبيهقى . والزيادة من الخصائص .

الباب الثالث عشر

فى ذكر منام رآه عمرو بن مرة يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عمرو بن مُرة الجهنى أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجًّا فى جماعة من قومى فى الجاهلية ، فرأيت فى المنام ، وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة ، حتى أضاء لى من الكعبة إلى جبل يثرب وأشعرِ جهينة(١) .

فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : انقشعت الظلماء(٢) وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن(٣) .

فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومى : والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حدث . وأخبرتهم بما رأيت .

فلما انتهينا إلى بلادنا ، جاءنا الخبر أن رجلا يقال له أحمد ، قد بُعِثَ .

---

(١) الأشعر : هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه .
(٢) الأصل : امتنعت الظلم وهو تحريف . وما أثبته من الخصائص ٦٧
(٣) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فخرجت حتى أتيته ، فأخبرته بما رأيت فقال لى :

يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثنى عشر شهراً .

فمن أجاب ، دَخل الجنة ، ومن عصى فله النار ، فآمن بالله يا عمرو ابن مرة ، يؤمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : يا رسول الله ، آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام .

ثم أنشدته أبياتاً قلتها ، حين سمعت به .

وكان لنا صنم ، وكان أبى سادنا له ، فقمت إليه فكسرته ، ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ وَأَنَّنِي ... لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ الْإِزَارِ مُهَاجِراً ... أَجُوبُ إِلَيْكَ الدَّعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ (١)

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ (٢)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مرحباً بك يا عمرو بن مرة .

فقلت : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ابعث بى إلى قومى ، لعل الله عز وجل يَمُنُّ عليهم بى ، كما منّ بك علىّ .

---

(١) الدعث : الأرض المستوية . والدكادك : أرض فيها غلظ .

(٢) يريد بقوله هذا ، الله تعالى . الذى فوق السموات . قال فى المختار من الصحاح « الحباك والحبيكة : الطريقة فى الرمل ونحوه ، وجمع الْحِبَاكِ حُبُكٌ ، وجمع الحبيكة حبائك . وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قالوا : طرائق النجوم . ا هـ . المراد منه .

فبعثنى إليهم وقال : عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تك فظا ، ولا متكبرا ، ولا حسودا .

فأتيت قومى فقلت : يا بنى رفاعة ، بل يا معاشر جهينة ، إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وآمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثنى عشر شهراً ، فمن أجاب ، فله الجنة ومن عصى فله النار .

يا معشر جهينة إن الله — وله الحمد — جعلكم خيار من أنتم منه ، وبَغَّض إليكم فى الجاهلية ، ما حبب إلى غيركم من العرب .

كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، والغزاة فى الشهر الحرام .

فأجيبوا هذا النبى المرسل من بنى لؤى بن غالب ، تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، وسارعوا فى ذلك ، تكن لكم فضيلة عند الله عز وجل .

فأجابوا إلا رجلا منهم ، فقام فقال :

يا عمرو بن مرة أمَرَّ الله عيشك ! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ، ونفرق جماعتنا ، ونخالف دين آبائنا ، إلى ما يدعو إليه هذا القرشى من أهل تهامة ؟! لا حُبًّا ولا كرامة .

ثم أنشأ الخبيث يقول :

هَذَا ابْنُ مُرَّةَ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ ... لَيْسَتْ مَقَالَةَ مَنْ يُرِيدُ صَلَاحَا
إِنِّى لَأَحْسَبُ قَوْلَهُ وَفِعَالَهُ ... يَوْمًا ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحَا

أَنُسَفِّه(١) الْأَشْيَاخَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ(٢) ذَاكَ فَلَا أَصَابَ فَلَاحَا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب بيني وبينك ، أمرَّ الله عيشه ، وأبكمَ لسانه وأكمه أسنانه .

قال عمرو : فوالله ما مات حتى سقط فوه ، فكان لا يجد طعم الطعام ، وعَمِيَ وخرس .

فخرج عمرو بن مُرّة ومن أسلم من قومه معه ، حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحَّب بهم وحيَّاهم ، وكتب لهم كتابا هذه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابُ أمانٍ من الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني : أجهينة بن زيد ، إن لكم بطونَ الأرض وظهورها ، وتلاع(٣) الأودية وسهولها ، ترعَوْن نباته وتشربون صافِيَه ، على أن تُقِرُّوا بالخمس وتُصَلُّوا صلاة الخمس ، وفى التَّبيعة(٤) والصريمة(٥) شاتان إذا اجتمعا ،

---

(١) أى : نزيف ونخطىء .

(٢) قوله (من رام) إلى آخر البيت جملة دعائية أى : من أراد تخطئة الآباء والأجداد ، لا وفقه الله لأن يكون من المفلحين .

(٣) قوله « تلاع » قال فى المختار من الصحاح مفرده « تَلْعَة » بوزن « القلعة » ما ارتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد عن أبي عبيدة اهـ . وفى المصباح التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادى ، والجمع « تلاع » مثل « كلبة » و « كلاب » و « التلعة » أيضا ما انهبط من الأرض . فهى من الأضداد اهـ .

(٤) التبيعة : ولد البقرة فى السنة الأولى كما يستفاد من القاموس ، والصحاح والمصباح .

(٥) الصريمة تصغير صرمة بالكسر ، وهى القطعة من الإبل ، ما بين العشرة إلى الأربعين .

وإن افترقا فشاة شاة ، ليس على أهل المِيرة(١) صدقة ، والله يشهد على ما بيننا ، ومَنْ حضر من المسلمين .

فذلك حين يقول عمرو بن مُرَّة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... وَبَيَّنَ بُرْهَانَ الْقُرَانِ لِعَامِرِ
كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ نُورٌ لِجَمْعِنَا ... وَأَخْلَافِنَا(٢) فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
إِلَى خَيْرِ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا ... وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ(٣) الضَّرَائِرِ
أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ ... بُطُونُ الْأَعَادِي بِالظُّبَا(٤) وَالْخَوَاصِرِ
فَنَحْنُ قَبِيلٌ قَدْ بَنَى الْمَجْدُ حَوْلَنَا ... إِذَا اجْتُلِبَتْ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ
بَنُو الْحَرْبِ نَفْرِيهَا بِأَيْدٍ طَوِيلَةٍ ... وَبِيضٍ(٥) تَلَالَا فِي أَكُفِّ الْمَغَاوِرِ
تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ يَحْمُونَ سِرْبَهُ(٦) ... بِسُمْرِ الْعَوَالِي(٧) وَالصِّفَاحِ(٨) الْبَوَاتِرِ
إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ ... وَدَارَتْ رَحَاهَا بِاللُّيُوثِ الْهَوَاصِرِ(٩)
تَبَلَّجَ(١٠) مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهُهُ ... كَمِثْلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الْهَوَاصِرِ

---

(١) قوله (ليس على أهل الميرة الخ) يريد أنه لا زكاة على الجمال التى تستعمل لنقل الطعام من بلد إلى بلد .
(٢) أى : الأجيال الآتية بعدنا .
(٣) الاعتكار : الإظلام والاختلاط . وفى ت اعتكار الغرائر .
(٤) أى : بحد السيوف .
(٥) أى : السيوف اللامعة فى أيدى الأبطال .
(٦) سربه : أى : نفسه . (٧) سمر العوالى . أى : الرماح .
(٨) الصفاح البواتر . أى : السيوف القاطعة . (٩) أى : الأسود الكاسرة .
(١٠) تبلج : وضح وأشرق . والخبر رواه الطبرانى وأبو نعيم .

وذكر ياسر بن سُويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّهه فى خيل أو سَرِيَّة ، وامرأته حامل ، فولد له مولود ، فحملته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، قد ولدت هذا المولود ، وأبوه فى الخيل .

فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمَرَّ يده عليه وقال :

اللهم أكْثِرْ رجالهم ، وأقِلَّ نساءهم ، ولا تحوجهم ، ولا تُرِ أحداثهم خَصَاصةً .

ثم قال « سَمِّيه مُسْرِعاً ، فهو إسراع فى الإسلام » .

الباب الرابع عشر

فى ذكر ترويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بنى زهرة

عن عبد المطلب : خرجتُ إلى اليمن فى « رحلة الشتاء »(١) ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزَّبُور ، فقال :

يا عبد المطلب ، أتأذن لى أن أنظر إلى بعض جسدك ؟

قلت : نعم ، ما لم يكن عورة .

فنظر فى منخرى فقال : أجد فى أحد منخريك مُلْكا ، وفى الآخر نُبُوَّة ، فهل لك من شاعة ؟

قلت وما الشاعة ؟

قال : الزوجة .

قلت : أما اليوم فلا .

قال : فإذا قدمت مكة فتزوج .

فقدم عبد المطلب ، فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

فولدت له حمزة وصفية .

ثم تزوج عبدُ الله بن عبد المطلب ، آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكانت قريش : تقول فلج(٢) عبد الله على أبيه .

وفى رواية أخرى أنه قال : وفى الآخر نبوة ، وإنا نجد ذلك فى بنى زُهْرة ، فإذا رجعت فتزوج فيهم .

---

(١) فى دلائل النبوة للبيهقى المخطوط « فى رحلتى الإيلاف » وفى الخصائص : « رحلة الشتاء » وهو أصح . ولذلك أثبتناه فى المتن .

(٢) فلج : فاز . والخبر أخرجه الحاكم والبيهقى ، والطبرانى ، وأبو نعيم .

الباب الخامس عشر

فى ذكر عبد الله أبى نبينا صلى الله عليه وسلم

كان عبد الله ، وأبو طالب ، والزبير ، لأم واحدة ، واسمها فاطمة بنت عمرو .

وكان عبد المطلب قد رأى فى المنام قائلا يقول له : « احفر زمزم » .

ونعت له موضعها .

فقام يحفر ، وليس له ولد يومئذ ، إلا الحارث ، فنازعته قريش .

فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ، ثم بلغوا أن يمنعوه ، لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تموا عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، أخبرهم بنذره ، فأطاعوه وكتب كلٌّ منهم اسمه فى قِدْح ، وجمعها ، وأعطاها قيِّم هُبَل وقال : اضرب بقداح هؤلاء .

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه وأخذ الشَّفْرة ليذبحه .

فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا : لا تفعل حتى تُعْذر فيه .

فانطلق به إلى عرّافة .

فقالت له : كم الدية فيكم ؟

قال : عَشر من الإبل .

قالت : قرِّبوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعلى [الإبل] القِدْحَ(١) .

فإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم .

فإذا خرجت على الإبل ، فقد رضى ، ونجا صاحبكم .

فقرَّبوا عبد الله وعَشْراً ، فخرجت على عبد الله .

فزادوا عشراً ، فخرجت عليه ، فزادوا ، فلم يزالوا كذلك ، حتى جعلوها مائة .

فخرج القِدْح على الإبل فنُحرت ، ثم تركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ، ولا سَبُع .

---

(١) ابن هشام : ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح .

الباب السادس عشر

فى ذكر تزوج عبد الله آمنة بنت وهب

لما نحرت الإبل فداء لـ « عبد الله » مرّ مع أبيه على أمّ قتال بنت نوفل ابن أسد بن عبد العُزّى ، وهى أخت ورقة .

فقالت : يا عبد الله أين تذهب ؟

قال : مع أبى .

قالت : لك عندى مثل الإبل التى نُحِرت عنك ، وقَعْ علىّ .

قال : إنى مع أبى ، لا أستطيع فراقه .

فخرج به عبد المطلب ، حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرة ، فزوّجه آمنة ، فدخل عليها ، فوقع عليها مكانه .

فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التى كانت عَرَضت عليه نفسها .

قال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ، ما كنت عرضت علىّ بالأمس ؟

قالت له : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة(١) .

---

(١) أشك كثيراً فى صحة هذه الرواية التى لا تشرف أبا النبى صلوات الله عليه كما يقصد ناقلوها ، وليست النبوة إفراز غدة فى الجسم ، بل هى اصطفاء من الله « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولم يكن من آباء النبى من يتوق إلى الزنا ، وخاصة فور زواجه .. !

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر ، وقرأ الكتب .

وكان فيما أدرك ، أنه كائن فى هذه الأمة نبىٌّ من ولد إسماعيل .

● عن ابن عباس قال : لما خرج عبد المطلب بـ « عبد الله » ، ليزوجه مرَّ به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر ، من أهل تبالة ، قد قرأت الكتب فرأت على وجهه نوراً ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع علىَّ ، وأعطيك مائةً من الإبل ؟ فأنشأ يقول :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَه

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِى تَبْغِينَهُ ؟

ثم تركها ومضى .

● عن أبى الفياض قال : مر عبد الله بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء ، وأشبهن وأعفهن ، وكانت قد قرأت الكتب ، وكان شبان قريش يتحدثون إليها .

فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى من أنت ؟ فأخبرها .

قالت : فهل لك أن تَقَعَ علىَّ وأعطيك مائة من الإبل ؟

فنظر إليها وقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِى تَنْوِينَهُ

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب ، فكان معها .

ثم ذكر الخثعمية وجمالها ،وما عرضت عليه ، فأقبل عليها ، فلم ير منها ، من الإقبال عليه آخراً ، كما رآه منها أولا .

فقال : هل لك فيما قلت ؟

فقالت : « قد كان ذلك مرة ، فاليوم لا » .

فذهبت مثلا .

وقالت : أي شيء صنعت بعدى ؟

قال : وقعت على زوجتى آمنة بنت وهب .

قالت : إنى والله ، لست بصاحبة ريبة ، ولكننى رأيت نور النبوة فى وجهك فأردت أن يكون ذلك فىّ وأبَى الله أن يجعله إلا حيث جعله .

وبلغ شبابَ قريش ، ماعرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبِّيه(١) عنها .

فذكروا ذلك لها ، فأنشأت تقول :

إنِّى رَأَيْتُ مَخِيلَةً(٢) بَلَغَتْ ... فَتَلَأْلَأَتْ بِحَناتِمِ(٣) الْقَطْرِ

فَلَمَأْتُهَا نُورًا(٤) يُضِىءُ لَهُ ... مَا حَوْلَهُ كَإِضَاءَةِ الْفَجْرِ

وَرَأَيْتُهُ شَرَفاً أَبُوءُ بِهِ ... مَا كُلُّ قَادِحِ زِنْدِهِ يُورِى

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمْ ... أَمِينَةُ إِذْ لِلْبَاهِ يَعْتَلِجَانِ

---

(١) أى : امتناعه . (٢) مخيلة . أى : سحابة .

(٣) أى : سحائب . قال فى الصحاح : « الحناتم » سحائب سود لأن السواد عندهم خضرة . ومفرد الحناتم « حنتم » وهى الجرة الخضراء .

(٤) لمأتها : لمحتها . وروى : فلما بها ، نور ، وكذلك : فلمائها نور .

كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوِّهِ(١) فَتَائِلَ قَدْ مِيثَتْ لَهُ(٢) بِدِهَانِ
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِى الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ(٣) بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي(٤)
فَأَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ(٥) يَصْطَرِعَانِ
سَتَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مُقْفَعِلَّةٌ(٦) وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِبَنَانِ
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةُ مَا قَضَتْ نَبَا(٧) بَصَرِى عَنْهُ وَكَلَّ(٨) لِسَانِى

---

(١) أى : بعد خمود لهبه ، والمراد : بعد انطفائه .
(٢) ميثت : دهنت .
(٣) قال فى الصحاح : التالد ، والتلاد ، والإتلاد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك ، وهو نقيض « الطارف » .
(٤) أى : لضعف وفتور . (٥) جدان : أى : حظان يتنافسان .
(٦) الأصل منلثلة وما أثبته من دلائل النبوة وابن كثير . ومعنى مقفعلة : متشنجة منقبضة .
(٧) قال فى المختار من الصحاح « نبا الشىء عنه : تباعد ، ونبا بصرى عن الشىء أى لم يدركه ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة لأن معناه الحقيقى إذا لم يعمل السيف فى الضريبة . (٨) أى : تعب .

الباب السابع عشر

فى ذكر ما جرى لآمنة فى حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول :

ما شعرتُ أنى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء ، إلا أنى أنكرت رفع حيضتى .

فأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟

فكأنى أقول : ما أدرى .

فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وذلك يوم الاثنين .

قالت : فكان ذلك مما يقَّن عندى الحملَ ، ثم أمهلنى .

حتى إذا دنت ولادتى ، أتانى ذلك الآتى فقال :

قولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد .

قالت : كنت أقول ذلك .

فذكرت ذلك لنسائى ، فقلن تعلقى حديداً فى عضديك وفى عنقك .

قالت : ففعلت ، فلم يكن يترك [علىّ](١) إلا أياماً ، فأجده قد [قطع](١) فكنت لا أتعلّقه .

ولقد قالت آمنة : لقد علقت به ، فما وجدت مشقة حتى وضعته .

وأمرتْ أن تسميه أحمد .

---

(١) من الخصائص الكبرى للسيوطى .

الباب الثامن عشر

فى ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

ولد عبد الله لأربع وعشرين سنة مضت ، من ملك كسرى أنوشروان ، ثم تزوج آمنة ، فلما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفى .

● عن أيوب بن عبد الرحمن قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام ، فى عير من عيرات قريش ، يحملون تجارات .

ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدُ الله يومئذ مريض ، فقال : أتخلَّف عند أخوالى ، بنى عدىّ بن النجار .

فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة .

فسألهم عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله وهو مريض .

فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفى ، ودفن فى دار النابغة ، وهو رجل من بنى عدى بن النجار .

فرجع ، فأخبر عبد المطلب ، فوَجَد(١) عليه وَجْداً شديداً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، حمل يومئذ :

ولعبد الله يومَ توفى خمسٌ وعشرون سنة .

● قال الواقدى : ترك عبد الله « أمَّ أيمن » وخمسة أجمال ، وقطعة غنم ، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وقد قيل : إن عبد الله توفى بعد ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح .

---

(١) أى : حزن عليه حزناً شديداً .

الباب التاسع عشر

فى ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول عام الفيل .

وقيل لليلتين خَلَتا منه .

وقيل لاثنتى عشرة ليلة .

وقال ابن عباس : ولد يوم الفيل .

وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة ، الجمعة ، وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان .

● وقيل : إنه ولد صلى الله عليه وسلم فى الدار التى تعرف بدار محمد ابن يوسف الثقفى ، أخى الحجاج .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبى طالب ، فلم تزل فى يد عقيل حتى توفى ، فباعها ولده ، من محمد بن يوسف ، فبنى داره التى يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك فى الدار حتى أخرجته الخيزران وجعلته مسجداً يصلى فيه .

● عن أبى قتادة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين . فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل علىّ فيه .

انفرد بإخراجه مسلم .

• قال ابن إسحق : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

• وقد روى عن الزهرى أنه قال : ولد بعد الفيل بعشر سنين ، ولا يصح .

وقال البَراء : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاثنين لثمان خَلَوْن من ربيع الأول ، يوم العشر من نيسان .

• وقال حسان بن ثابت : إنى لغلام يفَعة ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة : يا معشر يهود .

فلما اجتمعوا قالوا : مالك ويلك ؟ !

قال : قد طلع نجم أحمد ، الذى يولد به هذه الليلة .

قال : فأدركه اليهودى ، فلم يؤمن !

• عن حسان أيضاً قال : إنى لعلى فارع وهو أُطُم(١) ، فى السَّحر ، إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفذَ منه .

فإذا يهودى على أطم من آطام المدينة معه شعلة من نار .

فاجتمع الناس إليه فقالوا : مالك ويلك !

فقال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

فجعل الناس يضحكون منه ، ويعجبون لما يأتى به .

(١) فارع . أطم من آطام المدينة ، ينسب إلى حسان بن ثابت .

الباب العشرون

في قصة الفيل

قال علماء السير : بَنَى أبرهة كنيسةً لم يُرَ مثلها وقال :

لست بمُنْتَهٍ ، حتى أصرف إليها حجاج العرب .

فلما عرفت العرب ذلك ، خرج منهم رجل ، فأحدث فيها .

فغضب أبرهة وحلف ، ليسيرَنَّ إلى البيت فيهدمه .

فخرج ومعه الفيل .

فلما انتهى إلى مكة ، نهبها وقال لبعض أصحابه : سَلْ عن سيد أهل مكة ، وقل له : إنا لم نأتِ لحربكم ، إنما جئنا لهدم هذا البيت .

فدُلَّ على عبد المطلب ، فأخبره ما قال .

فقال : والله ما نريد حَرْبه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم : وإن يمنعه ، فهو بيته . ثم حُمل إليه ، فأكرمه وأجلّه وقال : حاجتك ؟

قال : أن تردَّ عَلَيَّ مائتى بعير أصبتها لى .

فقال لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم زَهِدْتُ فيك حين كلمتنى ! أتكلمنى فى مائتى بعير ، وتترك بيتاً هو دِينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه ؟ !

فقال : أنا رب الإبل ، وإن للبيت رَبًّا سيمنعه .

وخرج عبد المطلب إلى قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى الجبال والشعاب ، تخوفاً عليهم من معرَّة الجيش .

ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا ... يَا رَبِّ وَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَا ... امْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا قِنَاكَا

وقال أيضاً :

لَا هُمَّ (١) إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ ... وحِلَالَه (٢) فَامْنَعْ حِلَالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَك (٣)
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ ... وَالْفِيلَ كَىْ يَسْبُوا عِيَالَكْ (٤)
عَمَدُوا (٥) حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ (٦) ... جَهْلاً وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكْ (٧)
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْبَتَنَا ... فَأَمْرٌ مَّا قَدْ بَدَا لَكْ

ثم إن أبرهة تهيأ للدخول وهيأ الفيل ، فأقبل نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمى وقال بأذن الفيل : ابرك محمود ، وارجع من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام . فبرك .

---

(١) لغة فى « اللهم » .
(٢) الحلال : جمع حلة ، وهى الطائفة من البيوت وتطلق على المتاع .
(٣) المحال : القوة والشدة . وغدوا : غدا . وهو اليوم الذى بعد يومك ، وقد استعمل هنا تاما ، ولا يستعمل كذلك إلا فى الشعر . وروى : عدوا ، بالعين المهملة .
(٤) أى : أهل بيتك وهو الكعبة .
(٥) أى : قصدوا بيتك . (٦) أى : سعيهم ومكرهم الذى دبروه .
(٧) وما رقبوا جلالك . أى : لم يراقبوا فى قلوبهم عظمتك .

ومضى نُفَيل يشتدُّ فى الجبل ، فضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله تعالى طيرًا أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا يصيب أحداً إلا هلك .

فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه . فهلكوا فى كل سهل وجبل .

وأصيب أبرهة بداء فى جسده ، فسقطت أنامله فقدموا [به] صنعاء وهو مثل الفرخ ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .

وولد فى هذا العام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن قتيبة : وقد أجمع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وقد عايَنَ ذلك حكيمُ بن حزام وحُوَيطب بن عبد العُزَّى وحسان بن ثابت ، وكل هؤلاء عاشوا فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الإسلام ستين سنة وقالت الشعراء فى ذلك عن عيان الأمر ومشاهدته .

منهم نُفَيل بن حبيب ، وهو جاهلى وكانت الحبشة أخذته ، ليدلها على الطريق إلى مكة ، فهرب منهم بحيلة فقال :

أَلَا رُدِّى رَكَائِبَنَا رُدَيْنَا(١) نَعِمْناكُمْ عَلَى الهِجْران عَيْنَا

فَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ ولَنْ تَرَيْهِ(٢) لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ(٣) مَا رَأَيْنَا

---

(١) ابن هشام والمراجع : ألا حييت عنا يا ردينا .

(٢) ابن هشام : ولا تريه .

(٣) قال فى المصباح : المحصب موضع بمكة على طريق «منى» ويسمى البطحاء .

حَمِدْتُ اللهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْراً   وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهُمُ يُسَائِل(١) عَنْ نُفَيْلٍ   كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَـــا بَيِّنَاتٌ   مَا يُمَارِى(٢) فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ(٣) حَتَّى   ظَلَّ يَحْبُو(٤) كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

● قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة ، أعميين مُقْعدين يستطعمان الناس .

قال ابن قتيبة : وفى أمر الفيل ، أنه بينة على الإله المسخِّر للطير ، وإنما فعل ذلك لنُصرة من ارتضاه ، وهَلَكة من سخط عليه ، لا لنصرة قريش ، فإنهم كانوا كفارا ، لا كتاب لهم ، والحبشة لهم كتاب .

فلا يخفى أن المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه الداعى إلى التوحيد .

● عن عائشة أيضاً أنها قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس .

---

(١) ابن هشام والمراجع : وكل القوم يسأل عن نفيل .
(٢) أى : ما يجادل .
(٣) قال فى القاموس : « والمغمس » كـ « معظم » و « محدث » موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم .
(٤) قوله : ظل يحبو الخ . أى استمر يزحف كالمطعون وهو يعالج الموت .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر ما جرى عند وضع آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

• قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .

• وقالت آمنة أيضاً ـ لما ضربها المخاض ـ قالت : فجعلت أنظر إلى النجوم تدَلَّى ، حتى قلت لَتَقَعَنَّ عليَّ .

فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا ترى إلا نوراً .

وقالت الشَّفَّاء ، أم عبد الرحمن : لما ولدت آمنةُ محمداً صلى الله عليه وسلم ووقع على يدى ، استهلّ صارخاً فسمعت قائلا يقول : رحمك ربك .

قالت الشَّفَّاء : فأضاء لى ما بين المشرق والمغرب ، حتى نظرت إلى بعض قصور الشام .

قالت : ثم اضطجعت فلم أنشب(١) أن غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يمينى .

فسمعت قائلا يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبتُ به إلى المغرب .

ثم عاودنى الرعب والظلمة والقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يسارى .

---

(١) أنشب : ألبث .

فسمعت قائلا يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبت به إلى المشرق ، ولن يعود أبداً .

فلم يزل الحديث منى على بال ، حتى ابتعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فكنت فى أول الناس إسلاماً .

وقالت آمنة : ولدتهُ جاثياً على ركبتيه ، ينظر إلى السماء .

ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً ، وولد وقد قطعت سُرته .

وكنت وضعت عليه إناء ، فوجدت الإناء قد انفلق عنه ، وهو يمصُّ إبهامه ، يشخب لبناً .

● وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح قال : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : وُلد الليلة نبى العرَب ، له شامَة بين منكبه سوداء ظفراء ، فيها شعرات .

فرجع القوم فسألوا أهليهم ، هل ولد لعبد المطلب الليلة ولد ؟

قالوا : نعم .

فأخبروا اليهودى فقال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل .

● عن أبى أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأت أمى كأنه خرج منها نور ، وأضاءت منه قصور الشام .

● عن عكرمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعته تحت برمة فانفلقت عنه .

قالت فنظرت إليه ، فإذا هو قد شَقَّ بصره ، ينظر إلى السماء .

• وعن عمة وهب بن زَمعة قالت : لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى عبد المطلب .

فجاءه البشير وهو جالس فى الحِجْر معه ولده ، ورجال من قومه .

فأخبروه أن آمنة ولدت غلاماً ، فسُرَّ بذلك عبد المطلب .

وقام هو ومن كان معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها ، وما أمرت به .

فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله تعالى ، ويشكر ما أعطاه .

قال ابن واقد : فَأُخْبِرْتُ أن عبد المطلب قال يومئذ :

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَعْطَانِي ... هٰذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِى الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِى الْأَرْكَانِ

حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ ... أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِى شَنَآنِ(١)

مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِيَانِ

• وقال العباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً .

فأعجب جده عبد المطلب وقال : ليكونن لابنى شأن . وكان له شأن .

• عن عبد الرحمن بن عوف قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتفت الجن على أبى قُبَيس على الحَجُون ، الذى بأصله المقبرة ، وكانت قريش تبل فيه ثيابها فقال :

فَأُقْسِمُ مَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلَا وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهْ

---

(١) ذى شنآن ، أى : ذى عداوة .

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ نَجِيَّةٌ مِنْ لُؤْمِ الْقَبَائِلِ مَاجِدَهْ
وَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدًا فَأَكْرِمْ مَوْلُودٌ وَأَكْرِمْ وَالِدْ

وقال الذى على أبى قبيس :

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ(١) لَا تَغْلَطُوا وَمَيِّزُوا الْأَمْرَ بِفِعْلٍ مَضَى
إِنَّ بَنِي زُهْرَةَ مِنْ سِرِّكُمْ(٢) فِي غَابِرِ(٣) الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْبُدَى
وَاحِدَةٌ مِنْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا فِيمَنْ مَضَى فِي النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِي
وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا جَنِينُهَا مِثْلَ النَّبِيِّ التَّقِي

---

(١) موضع بمكة على طريق منى .

(٢) قوله « من سركم » تعبير مجازى ، والمراد : من الأشراف نسباً . قال فى أساس البلاغة « أعطيتك سره : خالصه وهو فى سر النسب ؛ محضه » .

(٣) قوله : فى غابر : أى فى الماضى . وقد يطلق على المستقبل فهو من الأضداد .

الباب الثانى والعشرون

فى ولادته مسرورا مختونا

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتى ، أنى وُلِدْتُ مختوناً ، ولم ير أحدٌ سَوْأَتِى » .

فإن قيل : فلِمَ لم يولد مطهَّر القلب من حظ الشيطان ، حتى شُقَّ صدره وأخرج قلبه ؟

قال ابن عَقِيل : لأن الله سبحانه أخفى أدْون التطهيرَيْن الذى جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب ، وأظهر أشرَفهما وهو القلب ، فأظهر آثار التجمل والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر الحوادث التى كانت ليلة ولادته

عن مخزوم بن هانىء عن أبيه ، وأتت له خمسون ومائة سنة ، قال :

لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس(١) إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفة(٢) وغاضت بُحيرة ساوة(٣) ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى الموبذان(٤) إبلاً صعاباً تقود خيلا عراباً(٥) قد قطعت دِجلة وانتشرت فى بلادها .

فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى(٦) فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يكتم ذلك وزراءه ومرَازبته .

فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه ، فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيم بعثت إليكم ؟

قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك .

فبيناهم كذلك ، ورد عليهم كتاب بخمود النيران ، فازداد غمًّا إلى غمه

فقال الموبذان : وأنا ، أصْلَح الله الملك ، قد رأيت فى هذه الليلة [رؤيا] وقص عليه الرؤيا فى الإبل .

فقال : أى شىء يكون هذا ياموبذان ؟

---

(١) قال فى الصحاح رجست السماء ترجس إذا رعدت وتمخضت وارتجست مثله اهـ ، وفى الأساس رجست السماء رجساً وارتجست : قصفت بالرعد اهـ والمراد هنا ارتج إيوان كسرى .

(٢) قوله : شرفة ، أى : سقطت من أعالى الإيوان أربع عشرة شرفة .

(٣) غاضت : أى : ذهب ماؤها فى الأرض .

(٤) الموبذان : قاض قضاة المجوس .

(٥) الخيل العراب : الخيل الأصيلة المعدة للسباق وللحروب : وهى خلاف البراذين .

(٦) فى الاكتفاء : أفزعه ذلك .

قال : حادث يكون من عند العرب(١) .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك ، إلى النعمان بن المنذر أما بعد ، فوجِّه إلىَّ رجلا عالماً بما أُريد أن أسأله عنه .

فوجَّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيَّان بن بُقَيْلة الغسانى .

فلما قدم عليه قال له : هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟

قال : لِيُخْبِرْنى الملك [عما أحبّ] فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه .

فأخبره بما رأى فقال : علم ذلك عند خال لى ، يسكن مشارفَ الشام يقال له سطيح :

قال فَأْتِهِ فاسْأَلْهُ عما سألتك عنه ، وائتنى بجوابه .

فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى(٢) على الموت ، فسلم عليه وحيَّاه فلم يَحرِ(٣) جواباً .

فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصمّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ(٤) الْيَمَنْ أَمْ فَادَ فَازْلَمَّ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنْ(٥)

---

(١) فى الاكتفاء : حدث يكون من ناحية العرب . والزيادات فى الاكتفاء .

(٢) أى : قرب من الموت . (٣) أى : لم يجبه على تحيته .

(٤) الغطريف : السيد الشريف ، والسخى السرى اهـ قاموس .

(٥) فاد : مات قال :

رَعَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ عِشْرِينَ حِجَّةً وَعِشْرِينَ حَتَّى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

وازلم : ذهب مسرعا . والأصل فيه : ازلأم فحذفت الهمزة تخفيفا ؛ وقيل أصلها ازلام ، كاشهاب ، فحذفت الهمزة تخفيفا أيضاً . وشأو العنن : اعتراض الموت على الخلق . وقيل : ازلم : قبض ، والعنن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية فى النهاية . أن فار . انظر النهاية ٢/١٣٩

يَا فَاصِلَ(١) الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ   أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ   أَبْيَضَ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ
رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِى(٢) لِلْوَسَنْ   لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ
تَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ   تَرْفَعُنِي وَجْناً وَتَهْوِى بِي وَجَنْ(٣)
حَتَّى أَتَى عَارِى الْجَآجِي وَالْقَطَنْ   تَلُفُّهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدِّمَنْ(٤)

فلما سمع سطيح شعره ، رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح ، أتى إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعاباً ، تقود خيلا عِرَاباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها .

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشام

(١) الأصل : يا فارس الخطة . وما أثبته رواية اللسان . و « الاكتفا » .
(٢) فى الاكتفاء : ينمى للوسن . وما بين القوسين ساقط من الأصل .
(٣) العلنداة : القوية من النوق . والشزن : التى تمشى من نشاطها على جانب ، شزن فلان : إذا نشط ، وقيل : الشزن المعي من الحفاء . والوجن بفتح فسكون ، وبفتحتين : الأرض الغليظة الصلبة ، ويروى بالضم جمع وجين .
(٤) الجآجى : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء أسفل الظهر . وقيل الصواب : القطن بكسر الطاء جمع قطنة ، وهى ما بين الفخذين . والبوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه أى تجمع وتكبر . ويشهد له الرواية الأخرى : تلفه الريح ببوغاء الدمن . النهاية .

وقد وردت هذه القصة فى ابن كثير ٢/٢٦٩ . ولسان العرب ٣/٣١٢ ، والاكتفاء للكلاعى ١/١٢٠ — ١٢٢ (بتحقيقى) . باختلاف وزيادة ونقص .

قال الترمذى : وهو حديث حسن غريب .

لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه .

فثار عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْهَمِّ شِمِّيرُ ... لَا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارٌ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ ... تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ ... وَالْهُرْمُزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَباً ... فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ ... فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

فلما قدِم عبدُ المسيح على كسرى ، أخبره بقول سَطِيح ، فقال : إلى أن يَملك منا أربعة عشر ، قد كانت أمورٌ .

فملكَ منهم عشرةٌ ، أربعَ سنين ، وملكَ الباقون إلى خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

وكان سَطيح لحماً على وَضم ، لم يكن فيه عظم ولا عصب ، إلا الجمجمة والكفين ، ويُطْوَى من ترقوته إلى رجليه ، كما يُطْوَى الثوب ، ولم يكن منه شيء يتحرك إلا لسانه ، وكان يُحْمَل على وضمة .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر أمهات الحوادث فى سنيه صلى الله عليه وسلم

● كان من أعظم الحوادث فى السنة الأولى من مولده ، انشقاقُ الإيوان ، وقصة الفيل ، ويوم جَبَلة .

قال أبو عبيدة : أعظمُ آيات العرب يوم جَبَلة ، وكان عام ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكان لعامرٍ وعَبْس ، على ذبيان وتميم .

وقد قال الرَّضِىّ :

فِمن إباءِ الْأَذَى خَلَّتْ جَماجِمها   عَلَى مَنَاصِلِهاَ عَبْسٌ وذِبيْانُ

● وفى سنة سبع من مولده ، أصابه رمد شديد ، فعولج بمكة ، فلم تغن عنه .

فقيل لعبد المطلب : إن فى ناحية عكاظ راهباً يعالج العين .

فركب إليه فناداه ، وديره مغلق ، فلم يجبْه ، فتزلزل به ديره ، حتى خاف أن يسقط عليه ، فخرج مبادرا .

فقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبى هذه الأمة ، ولو لم أخرج إليك لَخَرّ(١) علَيّ دَيْرِى ، فارجع به ، واحفظه ، لا يغتاله بعضُ أهل الكتاب .

(١) أى : لسقط وتهدم الدير على .

ثم عالجه ، وأعطاه ما يعالج به .

وألقى الله له المحبة فى قلوب قومه ، وكل من يراه .

• وفى سنة ثمان من مولده مات عبد المطلب وكفله أبو طالب ، ومات كسرى أنو شروان وَوَلِىَ ابنه هُرْمز .

• وفى سنة عَشرٍ من مولده صلى الله عليه وسلم كان الفِجَار الأول(١).

فلما أتتْ له بضعُ عشرة سنة خرج فى سَفَر مع عمه الزُّبير ، فمرُّوا بوادٍ فيه فَحْل من الإبل يمنع من يَجْتاز ، فأرادوا الانحراف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أكفيكموه ، فدخل أمام الركب ، فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكَلْكلته ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادى ثم خلىَّ عنه . فلما رجعوا من سَفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق ، فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعونى . ثم اقتحمه واتبعوه فأيبسَ الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس : إن لهذا الغلام لشأنا(٢) .

وكان يُفْرش لعبد المطلب فى ظل الكعبة وبنوه يجلسون حوله ، فكان

---

(١) الفجار بمعنى المفاجرة وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا ، فسمى حرب الفجار . وكان للعرب أربع فجارات آخرها فجار البراض هذا .

وأما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوزان ، والفجار الثانى بين قريش وهوازن ، وكان الفجار الثالث بين كنانة وهوازن اهـ باختصار .

من العقد الفريد والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بولاق .

(٢) هذا مما يعد من الكرامة أو الإرهاص ، وليس من باب المعجزة ، لأنه لم يكن قد ادعى النبوة بعد ، وعلى كل ، فهذه الأخبار واهية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْر[١] فيجلس فى مكانه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه ، فيقول : دعوا بُنىَّ فوالله إن له لشأنا .

- وفى سنة أربع عشرة من مولده كان الفجار الآخر .
- وفى سنة خمس عشرة من مولده قامت سوق عُكاظ .
- وفى سنة تسع عشرة من مولده هلك هُرْمز بن كسرى وولِى ابنه أبرويز .
- وفى سنة عشرين من مولده كان حِلف الفضول .
- وفى سنة خمس وثلاثين من مولده هُدِمت الكعبة وبنيت .
- فلما تمت له أربعون سنة نُبِّئ ، فجاءه الوحى .
- وبعد عشرين يوما من مبعثه ، رُمِيَتِ الشياطين بالشهب .
- واستتر بالنبوة ثلاث سنين ثم نزل : « فاصدع بما تُؤمر » .

وكانت قريش لا تُنكر عليه حتى سَبَّ آلهتهم فآذَوْه وآذوا أصحابه .

- فأمرَ أصحابَه فى سنة خمس من النبوة بالهجرة إلى الحبشة .
- وكانت وقعة بُعاث فى سنة سبع من النبوة .
- وفى سنة عشر من النبوة ، مات أبو طالب وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام .
- وفى سنة إحدى عشرة ، خرج يَعْرِض نفسه على القبائل .

---

(١) الجفر : الغلام الغليظ .

- وفى سنة اثنتى عشرة ، كان المعراج .
- وفى سنة ثلاث عشرة ، بايعه الأنصار فى العقبة .
- وفى السنة الأولى من سنى الهجرة ، خرج إلى الغار . وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار .
- وفى سنة اثنتين حُوِّلَتْ القبلة إلى الكعبة ، ونزلت فريضة رمضان، وكانت غَزَاة بدر .
- وفى السنة الثالثة كانت غزاة أُحُد ، وفى السابعة غزاة خيبر .
- وفى الثامنة كانت غزاة الفتح .
- وفى العاشرة ، حجَّ صلى الله عليه وسلم .
- وفى الحادية عشرة ، تُوُفِّيَ صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

• عن محمد بن جُبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحِى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى(١) ، وأنا العاقب » .

• وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لى أسماء :

« أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر ، الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى ، الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا العاقب،الذى ليس بعدى نبى » .

• عن أبى موسى قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه ، ومنها ما لم يحفظ قال :

« أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم » .

وعنه أيضاً قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه فقال :

« أنا محمد ، وأحمد ، والمقفِّى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة » .

• عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أطعم

(١) أى : يحشرون خلفه .

[أحد] طعاماً على مائدة ولا جلس إليها وفيها اسمي إلا قدس(١) كل يوم مرتين » .

● عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم قط فى مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ، لم يدخلوه فى مشورتهم ، إلا لم يبارك لهم فيه(٢) » .

● عن ابن فارس اللغوى : أن لنبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسماً : محمد ، وأحمد ، والماحى ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفى ، ونبى الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والمبشر ، والبدر ، والضحوك ، والقتّال(٣) ، والمتوكل ، والفاتح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبى ، والأمى ، والقُثَم .

والحاشر : الذى يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه .

والمقفى : آخر الأنبياء ، وكذلك العاقب .

والملاحم : الحروب . والضحوك : اسمه فى التوراة ، وذلك أنه كان طيب النفس ، فَكِهاً .

والقثم : من القثْم وهو الإعطاء ، وكان أجود الناس .

وفى الماحى إشارة إلى ظهور دينه على المُلْك ، ومَحْوه الكفر ، وكثرة الفتوح .

---

(١) و (٢) هذان الحديثان موضوعان . والرواية فى شرح المواهب ٥/٣٠٣ (إلا وقدسوا كل يوم مرتين) .

(٣) إذا صح هذا الإسم فلا بد أن يفهم على أن الإسلام لم يمسك السيف إلا دفاعاً ورحمة .

قال ابن قتيبة : ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يُسَمَّ أحد قبله باسمه ، صيانة من الله لهذا الاسم ، كما فعل بيحيي بن زكريا ، إذ لم يجعل له من قبل سمياً .

وذلك أنه سماه فى الكتب المتقدمة ، وبشرت به الأنبياء .

فلو جعل الاسم مشتركاً فيه ، شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة .

إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه ، حضر أربعة أنفس عند راهب ، وأخبرهم ، باسمه وقرب زمنه ، فسموا أولادهم بذلك(١) ، ولا يعرف غيرهم(٢) .

---

(١) وهم : محمد بن عدى ، ومحمد بن يزيد بن عمرو ، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ، ومحمد بن أسامة بن مالك .

(٢) وقال القاضى عياض فى الشفا : « وأما أحمد ، الذى فى الكتب وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله بحكمته أن يتسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب ، أو شك .

وكذلك محمد أيضاً ، لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم .

إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة ، أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان له ، صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما » الشفا ص ١٩٠

هذا ، وقد ذكر فى شرح المواهب ، أن عدد من سمى محمداً فى الجاهلية يصل إلى عشرين .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر كنيته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ، يُكْنَى أبا القاسم ، لأنه أول ولد ولدته أمه .

● عن أنس بن مالك قال : لما ولد إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم من مارية ، كاد يقع فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم منه ، حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقد نهى أن يكنى بكنيته .

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع ، فنادى رجل رجلا : يا أبا القاسم . فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال الرجل : لم أعنِك يا رسول الله ، إنما عنيت فلاناً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَمَّوْا باسمى ، ولا تكنوا بكنيتى » .

● عن جابر أن رجلا من الأنصار ، ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمداً .

فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال :

« تسموا باسمى ، ولا تكنوا بكنيتى » .

● عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسمى باسمى ، فلا يكنى بكنيتى ، ومن اكتنى بكنيتى فلا(١) يتسَمَّ باسمى » .

---

(١) فى الأصل « فلا يتسمى باسمى » وهو خطأ مطبعى لأن (لا) ناهية تجزم الفعل المضارع بحذف حرف العلة .

وقد اختلفت الرواية عن أحمد ، فروى عنه أنه يكره أن يجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته ، فإن أفرد الكنية عن اسمه ، لم يكره .

وروى عنه ، كراهية فى الجملة ، فى الجمع ، والإفراد .

وروى عنه نفى الكراهة فى الجملة ، لما روى فى حديث عائشة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنى ولدت غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لى أنك تكره ذلك .

فقال : ما الذى أحلّ اسمى وحرم كنيتى ؟ ! » .

أو : « ما الذى حرم كنيتى ، وأحل اسمى » .

قلت : وقد أجاز ذلك لعلى فى ولد يأتيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال على : «يا رسول الله أرأيت إن ولد لى بعدك ولد ، أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » .

فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ .

قلت : والذى يقتضيه النظر فى الأحاديث أنه قد كان يكره أن يكتنى بكنيته ، لأن الخطاب لمثله بالكنية .

فأما بعده ، فلا تكره الكنية، ولا يجمع بينها وبين الاسم .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

- أول من أرضعه ثويبة ، مولاة أبى لهب ، أياماً .
- ثم قدمت حليمة .

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف فى مجلس واحد ، فولد حمزة .

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرضعتهما ثويبة ، بلبن ابنها مسروح أياماً .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها — : إنها لا تحل لى ، إنها بنت أخى ، أرضعتنى وأباها ، ثويبة .

وكانت ثويبة تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة ، فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكرمها خديجة ، وهى يومئذ أمَة ، ثم أعتقها أبو لهب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة ، حتى ماتت بعد فتح خيبر ، ولا يعلم أنها أسلمت .

بل قد قال أبو نعيم الأصبهانى : حكى بعض العلماء أنه اختلف فى إسلامها .

● عن عروة قال : كانت ثويبة مولاة لأبى لهب ، فأعتقها ، فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب ، رآه بعض أهله فى النوم ، فقال :

ماذا لقيت يا أبا لهب ؟

فقال : ما رأيت بعدكم رَوْحاً ، غير أنى سقيت فى هذه — وأشار إلى النقرة التى فوق الإبهام — بعتقى ثويبة .

قال : وكانت أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبا سلمة .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر حليمة وهى التى أرضعته بعد ثويبة

وهى حليمة بنت أبى ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة .

وزوجها ، الحارث بن عبد العُزى بن رفاعة .

واسم إخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضاعة حليمة :

عبد الله ، وأنيسة ، وخِدَامة بنو الحارث . وخدامة هى الشَّيماء ، غلب ذلك على اسمها ، فلا تعرف إلا به .

ويزعمون أن الشيماء سُبِيَتْ يوم حُنين .

فقالت : اعلموا أنى أخت نبيكم .

فلما أُتِىَ بها ، عرفها فأغناها .

وكانت حليمة من بنى سعد بن بكر .

قالت حليمة : خرجت على أتان لى قَمراء(١) قد أذمَّت(٢) بالرَّكب .

قالت : وخرجنا فى سنة شهباء ، لم تُبق شيئاً ، أنا وزوجى ، الحارث ابن عبد العُزَّى .

قالت : ومعنا شارف لنا ، والله إنْ تبضّ(٣) بقطرة لبن ، ومعى صبى لنا ، والله ما ننام ليلَنا من بكائه ، ما فى ثديى لبن يُغنيه ، ولا فى شارفنا لبن يغذيه ، إلا أنا نرجو الفَرج .

---

(١) القمراء : التى يميل لونها إلى الخضرة . (٢) أذمت : تأخرت .
(٣) تبض : ترشح . والشارف : الناقة المسنة .

فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه .

وإنما كنا نرجو الكرامة فى رضاعة من نرضع له من أبى المولود .

وكان يتيماً صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : ما عسى أن تصنع بنا أمه ! فكنا نأبى .

حتى لم يبق من صواحباتى امرأة ، إلا أخذت رضيعاً غيرى .

فقلت : أرجع ولم آخذ أحداً ؟ فكرهت ذلك ، وقد أخذ صواحباتى .

فقلت لزوجى : والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم ، فَلآخُذَنَّهُ .

قالت : فأتيته فأخذته ، ثم رجعت به إلى رَحلى .

فقال لى زوجى : قد أخذتيه ؟ قلت : نعم : وذاك أنى لم أجد غيره .

قال : أصبتِ ، عسى الله أن يجعل فيه خيراً .

قالت : والله ما هو إلا أن وضعته فى حجرى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ،وشرب أخوه حتى رَوِىَ .

وقام زوجى الحارث إلى شارفنا من الليل ، فإذا هى(١) ثَجَّاء فحلب علينا(٢) ما شئنا ، فشرب حتى روى ، وشربت حتى رويت .

قالت : فمكثنا بخير ليلة ، شباعاً رواء .

فقال زوجى ، والله يا حليمة ، ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة ، قد نام صبياننا ، وقد روينا .

---

(١) رواية ابن هشام « فإذا إنها لحافل » ومعنى « حافل » ممتلىء ثديها باللبن ، كما أن معنى « ثجاء » كذلك .

(٢) ت : فحلبنا .

قالت : ثم خرجنا .

فوالله لقد خرجت أتَانِى(١) أمام الركب ، قد قطعتهم ، حتى ما يتعلق بها منهم أحد ، حتى إنهم ليقولون :

ويحك يا بنت الحارث ، كفى علينا النصَب(٢) ، أهذه أتانك التى خرجت عليها ؟

فأقول : بلى والله . فيقولون : إن لها لشأناً .

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بنى سعد بن بكر .

قالت : فقدمنا على أجدَب أرض الله .

قالت : فوالذى نفس حليمة بيده ، إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ، وأسرح راعى غُنيمتى ، وتروح(٣) غنمى حُفَّلاً بطاناً ، وتروح أغنامهم جياعاً هلاكاً ، ما بها من لبن لشربه ، فنشرب ما شئنا من لبن .

وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها .

قالت : فيقولون لرعاتهم : ويلكم ، ألا تسرحون حيث يسرح راعى حليمة .

فيسرحون فى الشِّعب الذى يسرح فيه ، وتروح غنمهم جياعاً ما بها من لبن ، وتروح غنمى حُفَّلا لبناً .

قالت : وكان يشب فى اليوم شبابَ الصبى فى الشهر !

---

(١) أتانى ، أى : حمارتى .

(٢) أى : التعب ، والمراد : أتعبتنا حتى عجزنا عن لحاقك .

(٣) أى ترجع آخر النهار حُفَّلاً ، أى ممتلىء ثدى كل شاة باللبن وكذا بطونها بما رَعتهُ من نبات الأرض .

ويشب فى الشهر ، شباب الصبى فى سنة .

قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جَفر .

قالت : فقدمنا به على أمه فقلت لها ، وقال لها زوجى :

دعى ابنى ، فلنرجع به ، فإنا نخاف عليه وباء مكة .

قالت: ونحن أضن شىء به لما رأينا من بركته صلى الله عليه وسلم .

فلم نزل بها ، حتى قالت : ارجعى به .

قالت : فمكث عندنا شهرين .

قالت : فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت ، إذ جاء أخوه يشتد(١) ، فقال لى ولأبيه : أدركا أخى القرشى ، فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه .

قالت : فخرجت وخرج أبوه ، نشتد نحوه .

فانتهينا إليه ، وهو نائم ممتقع(٢) لونه .

فاعتنقه واعتنقته ، وقال : مالك يا بنى ؟

قال : أتانى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فوالله ما أدرى ما صنعا .

قالت : فاحتملناه فرجعنا به .

قالت : يقول زوجى : يا حليمة ، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب .

فانطلقى ، فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ، ما نتخوف عليه ،

قالت : فرجعنا به إلى أمه .

---

(١) أى : يسرع فى الجرى .   (٢) أى : مصفر اللون .

قالت : ما ردّكما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه ؟

فقلنا : لا والله ، إلا أنا قد كفلناه ، وأدّينا الذى علينا من الحق فيه ، وتخوفنا عليه الأحداث ، فقلنا : يكون عند أمه .

قالت : والله ما ذاك بكما ، فأخبرانى خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالت بنا ، حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخافين عليه ؟ لا والله ، إن لإبنى هذا شأناً . ألا أخبركما عنه ؟ إنى لما حملت به ، فلم أحمل حملا(١) قط هو أخف منه ، ولا أعظم بركة منه :

ولقد وضعته ، فلم يقع كما تقع الصبيان ، لقد وقع واضعًا يده فى الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء .

دعاه والحقا بشأنكما .

---

(١) يفهم منه أنها حملت بغيره وهو غير صحيح .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر شرح صدره فى صغره صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن سعد :

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حليمة أربع سنين ، وكان يعدو مع أخيه وأخته فى البَهْمِ قريباً من الحى .

فأتاه ملكان هناك ، فشقا بطنه ، واستخرجا علقة سوداء فطرحاها ، وغسلا بطنه بماء الثلج فى طست من ذهب ، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم .

ثم قال أحدهما للآخر : دَعه ، فلو وزنته بأمته كلها لرجحها .

وجاء أخوه يصيح : يا أماه ، أدركى أخى القرشى .

فخرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه ، فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتقع اللون ، فذهبت به إلى آمنة بنت وهب ، فأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نرده ، إلا على جدْع أنفنا .

ثم رجعت به أيضاً .

فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكانا بعيداً .

ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت .

فأفزعها ذلك من أمره ، فقدمت به إلى أمه لترده ، وهو ابن خمس سنين .

- وروى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

كيف أول شأنك يا رسول الله ؟

قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر .

فانطلقت أنا وابن لها فى بهْم لنا ، ولم نأخذ معنا زادا .

فقلت : يا أخى ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخى ، ومكثت عند البهم .

فأقبل طائران أبيضان ، كأنهما نسران .

فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم .

فأقبلا يبتدران ، فأخذانى فبطحانى إلى القفا ، فشقا بطنى .

ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا علقتين سوداوين .

فقال أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى .

ثم قال : ايتنى بماء برَد . فغسلا به قلبى .

ثم قال : ايتنى بالسكينة . فذرَّاها فى قلبى .

ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْه .

فخاطه ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة(١) واجعل ألفا من أمته فى كفة .

فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق ، أشفق أن يخرَّ علىَّ بعضُهم(٢) .

فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم .

ثم انطلقا ، وتركانى وقد فرقتُ فرقاً شديداً(٣) .

---

(١) إذا صح ذلك كله فهو من قبيل تجسيم الحقائق ، مثل وزن الأعمال .

(٢) يخر . أى : يسقط . (٣) أى : خفت خوفاً شديداً .

ثم انطلقت إلى أمى ، فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت(١) على أن يكون التبس بى .

فقالت : أعيذك بالله .

فحملتنى على الرحل ، وركبت خلفى ، حتى بلغت إلى أمى .

فقالت : أديتُ أمانتى وذمتى ، وحدثتها بالذى لقيت .

فلم يرعُها(٢) ذلك وقالت : إنى رأيت حين خرج منى نوراً ، أضاءت منه قصور الشام .

● عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه وشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حَظُّ الشيطان منك :

فغسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَهُ ، ثم أعاده فى مكانه .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ، يعنى ظِئْرِه .

فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه ، وهو ممتقع .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم .

● عن شداد بن أوس قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بنى عامر ، فقال : يا محمد أنبئنى ببدء شأنك .

قال : أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى بن مريم .

وذلك أن أمى وضعتنى كنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر .

---

(١) أشفقت : خافت .

(٢) لم يرعها : أى : لم يفزعها ولم يجعلها خائفة .

فبينا أنا ذات يوم منتبذٌ من أهلي في بطن واد مع أتراب لى من الصبيان .

إذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ، ملىء ثلجاً .

فأخذنى من بين أصحابى .

فخرج أصحابى هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى .

ثم أقبلوا على الرهط ، فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ؟ فإنه ليس منا ، هذا ابن سيد قريش ، فإن كنتم لابد قاتليه ، فاختاروا منا أينا شئتم ، فاقتلوه .

فعمد أحدهم فأضجعنى ، ثم شق صدرى ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها .

ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه : تَنَحَّ .

فتنحى عنى ، ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى ، وأنا أنظر إليه فصدعه(٢) .

ثم أخرج منه مضغة سوداء ، فرمى بها .

ثم قال بيده منه ، كأنه يتناول شيئاً .

فإذا أنا بخاتم فى يده من نور ، يحار الناظرون دونه .

فختم به قلبى ، فامتلأ نوراً ، ثم أعاده مكانه .

فوجدت بَرْد الخاتم فى قلبى دهراً .

ثم قال الثالث : تنحَّ .

---

(١) أى : شقه .

فأمَرَّ يده من مفرق صدرى ، إلى منتهى عانتى ، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى .

ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى ، إنهاضاً لطيفاً .

ثم ضمونى إلى صدورهم ، وقَبَّلوا ما بين رأسى وبين عينى وقالوا :

يا حبيب الله ، لم تُرعْ إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير ، لقرّت عيناك .

قال : فبينا نحن كذلك ، إذا أنا بالحى قد جاءوا بحذافيرهم ، وإذا أمى ، وهى ظئرى ، أمام الحى تهتف بأعلى صوتها : يا ضعيفاه ؛ يا حبذاه ؛ يا سماه .

فأكبوا علىّ فقبَّلوا رأسى وما بين عينى وقالوا : حبذا أنت من ضعيف .

ثم قالت ظئرى : أمستضعف أنت من بين أصحابك فقتلت لضعفك ؟

ثم ضمتنى إلى صدرها .

فوالذى نفسى بيده ، إنى لفى حجرها ، وإن يدى لفى يد بعضهم .

وظننت أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرون .

فقال بعض القوم : إن هذا الغلام به لمم(١) أو طائف من الجن .

فذهبوا بى إلى الكاهن ، فقصوا عليه قصتى .

فقال : اسكتوا ، حتى أسمع من الغلام ، فإنه أعلم بأمره منكم .

فسألنى ، فقصصت عليه قصتى .

فوثب إلىَّ ، فضمنى إلى صدره ، ثم نادى بأعلى صوته :

---

(١) لمم . أى : مس من الجن .

يا للعرب ! اقتلوا هذا الغلام ، واقتلونى معه ، فواللات والعُزَّى ، إن تركتموه وأدرك ، ليبدلنّ دينكم .

ثم احتملونى . فهذا بدء شأنى .

● وقال زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما قامت سوقُ عكاظ ، انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَّاف من هُذيل ، يريه الناسُ صبيانهم .

فلما نظر إليه صاح وقال : يا معشر هذيل ! يا معشر العرب .

فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبىّ .

وانسَلَّت به حليمة .

فجعل الناس يقولون : أى صبى ؟

فيقول : هذا الصبى . فلا يرون شيئا . قد انطلقت به أمه .

فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاما ، وآلهته ، ليقتلن أهل دينكم ، وليكسرن آلهتكم ، وليظهرن أمره عليكم .

فطُلب بعُكاظ فلم يوجد .

قال محمد بن عمر : وجعل الشيخ الهذلى يصيح : يا هذيل ، وآلهته ، إن هذا لينتظر أمرًا من السماء . وجعل يُغرى بالنبى صلى الله عليه وسلم . فلم ينشب أن وَلِهَ وذهب عقلهُ ، حتى مات كافرا .

● عن ابن عباس قال : خرجت حليمة تطلب النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته مع أخته ، فقالت أُبنىَّ ، ما هذا الحر الذى أنت فيه ؟ !

فقالت أخته : يا أماه ، ما وجد أخى حرًا ، رأيت غمامة تظل عليه ، فإذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

● وقد روينا أن حليمة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وقد تزوَّج خديجة ، فشكت إليه جَدْبَ البلاد وهلاكَ الماشية .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فيها ، فأعطتها أربعين شاة وبعيرًا موقعا للظعينة . فانصرفت إلى أهلها .

ثم قدمت عليه بعد الإسلام ، فأسلمت هي وزوجها وبايعا .

● عن محمد بن المُنكَدر قال :

استأذنت امرأةٌ على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أرضعته .

فلما دخلت عليه قال : « أمي أمي » وعمد إلى ردائه ، فبسطه لها ، فقعدت عليه .

وقد روى أنها جاءت إلى أبي بكر بعده ، فأكرمها ، وإلى عمر ففعل مثل ذلك .

وقد روى أنه أعيد شرحُ صدره ، بعد أن تم له عشر سنين .

● عن أُبَيِّ بن كعب : كان أبو هريرة جريئا على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال :

يا رسول الله ، ما أولُ ما رأيت من أمر النبوة ؟

فاستوى جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة .

إني لفي صحراء ، ابن عشر سنين وأشهر ؛ وإذا بكلام فوق رأسي .

وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟

فاستقبلاني بوجوه ، ما رأيتها على أحد قط .

فأقبلا إليَّ يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بعَضدي ؛ لا أجد لأخذهما مسًّا .

فقال أحدهما لصاحبه : أَضْجِعْهُ . فأضجعاني ؛ بلا قصر ولا هَصْر .

فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره .

فهوى أحدهما إلى صدري ، ففلقه فيما أرى ؛ بلا دم ولا وجع .

فقال له : أَخْرِج الغِلَّ والحسد .

فأخرج شيئا كهيئة العلقة . ثم نبذها فطرحها .

فقال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مثلُ الذي أخرج شِبْهُ الفضة .

ثم هزَّ إبهامَ رجلي اليمنى فقال : أعد وسلِّم .

فرجعت بها ؛ أعدو رأفة على الصغير ورحمة للكبير[1] .

---

(١) رواه ابن كثير في تفسيره ٤/٥٢٤ عن عبد الله ابن الإمام أحمد . وفيه زيادة واختلاف .

الباب الثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين من مولده صلى الله عليه وسلم

● عن كعب قال : قالت حليمة : ركبت أتانى ، وحملت محمداً بين يدى ، أسير به ، حتى أتيت الباب الأعظم ، من أبواب مكة ، وعليه جماعة مجتمعة . فوضعته ؛ لأقضى حاجة وأصلح شأنى .

فسمعت هَدَّةً شديدة ، فالتفتُّ فلم أره .

فقلت : معاشر الناس ، أين الصبى ؟ قالوا : أى الصبيان ؟ قلت : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ؛ الذى نضَّر الله به وجهى ؛ وأشبع جوعى .

ربَّيْتُهُ ؛ حتى إذا أدركت سرورى ؛ أتيت به لأرده إلى أمه ؛ وأخرج من أمانتى ؛ اختلس من بين يدىَّ ؛ واللات والعُزَّى ؛ لئن لم أره لأرْمِيَنَّ نفسى من شاهق هذا الجبل . قالوا : ما رأينا شيئا .

فلما أيأسونى ؛ وضعت يدى على رأسى وقلت : وامحمداه واولداه .

فأبكيت الجوارى الأبكار لبكائى ؛ وضج الناس معى بالبكاء .

فأتيت عبد المطلب فأخبرته ؛ فسلَّ سيفه ونادى : يا آل غالب .

وكانت دعوتهم فى الجاهلية . فأجابته قريش .

فقال : فُقِدَ ابنى محمد . فقالت قريش(١) : اركب نركب معك ؛ فلو خضت بحراً خضناه معك .

---

(١) فى الأصل « فقالوا قريش » وما أثبتناه هو الصحيح المؤيد بسياق الكلام .

فركب وركبوا فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها ؛ فلم ير شيئا ؛ فترك الناسَ وأقبل إلى البيت الحرام فطاف سبعاً ثم أنشأ يقول :

يَا رَبِّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّداً رُدَّهُ لِي وَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا

فسمعوا مناديا ينادى فى الهواء يقول :

معاشر الناس ؛ لا تضجوا ؛ إن لمحمد رَبًّا لا يضيعه .

قال عبد المطلب : أيها الهاتف ؛ ومن لنا به ؟ وأين هو ؟

قال : هو بوادى تهامة ؛ عند شجرة اليمن .

فمضى عبد المطلب ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه تحت شجرة يجذب الأغصان ؛ ويعبث بالورق ؛ فحمله إلى مكة ؛ وجهز حليمة أحسن الجهاز .

وفى رواية أخرى أن حليمة لما قدمت به ؛ ضاع فى الناس .

فأخبرت عبد المطلب ؛ فأتى الكعبة فقال :

لَاهُمَّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّدَا رُدَّهُ رَبِّ وَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا
أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدَا

وفى رواية ؛ أن عبد المطلب بعث به فى حاجة فقال هذا .

● عن أبى حازم قال : قدم كاهن مكة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس سنين : وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب فقال :

يا معشر قريش ، اقتلوا هذا الفتى ، فإنه يُفرِّقُكم ويقتلكم .

فهرب به عبد المطلب .

● ولم تزل قريش تخشى من أمره ، ما كان الكاهن حذَّرَهُم .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر وفاة أمه آمنة

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما بلغ ستَّ سنين ، خرجت به إلى أخواله ، بنى عَدِيّ ابن النَّجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين ، فنزلت به دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهرا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت فى مقامه ذلك .

• لما نظر إلى أُطُم بنى عدى بن النجار بالمدينة عرفه فقال :

كنت ألاعب أُنَيْسَة ، جارية من الأنصار ، على هذه الآطام ، وكنت مع غلمان من أخوالى ، نطير طائرا كان عليه يقع .

ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلت بى أمى ، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنتُ العوْم فى بئر بنى عدى بن النجار .

• وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه .

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته . فوَعيت ذلك .

ثم رجعت به أمه إلى مكة .

فلما كانوا بالأَبْوَاء ، توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك .

فرجعت به أم أيمن إلى مكة ، وكانت تحتضنه .

● فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عُمرة الحديبية بالأبْواء قال :

« إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه » .

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه .

فقيل له ، فقال : « أدركتنى رَحمة رحمتها ، فبكيت » .

● عن أبى مرثد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذم(١) قبر ، فجلس إليه ، وجلس الناس حوله ، فوقف كهيئة المخاطب ، ثم قام وهو يبكى .

فاستقبله عمر ، وكان من أجْرأ الناس عليه ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما الذى أبكاك ؟

قال : هذا قبر أمى ، سألت ربى الزيارة فأذن لى ، وَسألته الاستغفار ، فلم يأذن لى ، فذكرتُها ، فوقفت فبكيت .

فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيا من يومئذ .

قال ابن سعد : هذا غلط ، ليس قبرها بمكة ، إنما قبرها بالأبواء .

● عن أبى هريرة قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) كذا ، وفى المواهب . رسم .

« استأذنت ربى عز وجل فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » .

انفرد بإخراجه مسلم.

● عن أبى بُريدة عن أبيه قال : أتيت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فوقف على عُسْفان ، فنظر يمينا وشمالا ، وأبصر قبر أمه ، فورد الماء ، فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فلم يفجأنا إلا ببكائه .

فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف إلينا فقال : ما الذى أبكاكم ؟

قالوا : بكيت فبكينا يا رسول الله .

قال : وما ظننتم ؟

قالوا : ظننا أن العذاب نازل علينا .

قال : لم يكن من ذلك شيء .

فقالوا : فظننا أن أمتك كلِّفت من الأعمال مالا تطيق .

قال : لم يكن من ذلك شيء ، ولكننى مررت بقبر أمى ، فصليت ركعتين ، واستأذنت ربى فى أن أستغفر لها فنُهيت ، فبكيت ؛ ثم عدت فصليت ركعتين ، واستأذنت ربى فى أن أستغفر لها ، فزُجِرْتُ زَجْرا ، فعلا بكائى .

ثم دعا براحلته فركبها ، فما سار إلا هُنَيَّة حتى قامت(١) الراحلة بثقل الوحى ، فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) كذا بالأصل . ولعلها . نامت .

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »(١) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشهدكم ، أنى برىء من آمنة ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه .

● عن الحسن بن جابر ، وكان من المجاورين بمكة قال :

رُفع إلى المأمون أن السّيل يدخل قبر أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لموضع معروف هناك ، فأمر المأمون بإحكامه .

قال ابن البراء : قد وصف لى ، وأنا بمكة ، وضعه .

فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ، ثم حملت إلى مكة ، فدفنت بها .

---

(١) سورة التوبة ١١٣

الباب الثاني والثلاثون

فى ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه آمنة

● عن نافع بن جبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت ، قبضه إليه جده عبد المطلب ، وضمه ورقّ عليه رقة لم يرقها على ولده .

وكان يقربه ويُدْنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام .

وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابنى ، إنه ليؤتين مُلْكا .

● وقال قوم من بنى مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنا لم نر قدما ، أشبه بالقدم التى فى المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء .

فكان أبو طالب يحتفظ به .

● وقال عبد المطلب لأم أيمن ، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بركة ، لا تغفلى عن ابنى ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نَبِىُّ هذه الأمة .

● وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال : علىَّ بابنى . فيؤتَى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

● عن ابن عباس قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مَفرش في الحجْر ، لا يجلس عليه غيره ، وكان حربُ بن أمية فمَنْ دونه ، يجلسون حوله دون المَفْرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على المفرش ، فجبذه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك ما بعد كُفَّ بصره : ما لابني يبكي ؟

قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش ، فمنعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني ، يجلس عليه ، فإنه يحسُّ من نفسه شَرَفا ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربيٌّ قبله ولا بعدَه .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون عند منام رقيقة

● عن رقيقة(١) ، وهى لِدَة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش سنون أَمحلت الضَّرْع ، وأدقَّت العظم .

فبَيْنا أنا نائمة أو مهمومة ، إذا هاتف يصرخ بصوت صحل(٢) يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبى المبعوث فيكم ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا إبَّان نجومه ، فحيهلاً بالحَيَا(٣) والخصب .

---

(١) رواه الماوردى فى « أعلام النبوة » عن عروة بن مضرس ، عن مخرمة ابن نوفل ، عن أمه رقية بنت أبى صيفى بن هاشم .

(٢) الأصل : بصوت ضحل . وما أثبته عن أعلام النبوة للماوردى . وقال فى الصحاح : فى صوته صَحَل ، أى : بحوحة . وقد صَحِلَ الرجل ، بالكسر ، يَصْحَل صَحَلاً ، أى : صار أبحَّ فهو صَحِلُ الصوت وأصحل . قال الراجز :

فَلَمْ يَزَلْ مُلَبِّيًا وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلَا الصَّوْتَ بُحُوحٌ وَصَحَلْ
وَكُلَّمَا أَوْفَى عَلَى نَشْزٍ أَهَلّ

والمراد بصوت فيه بَحَحٌ شديد . قال فى القاموس « صَحل » صوته ، كفرح ، فهو أصحل وصَحِلٌ : بَحَّ أو احتدَّ فى بَحَحٍ . أو « الصَّحَلُ » محركة خشونة فى الصدر ، وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم : اهـ .

(٣) الحيا : المطر .

ألا ، فانظروا رجلا منكم وسيطاً عظاماً جساماً(١) ، أبيض بَضًّا ، أوطفَ الأهداب ، سهل الخدين ، أشمَّ العِرْنينَ له فخر يكظم عليه ، وسنة تهدى إليه ، فليَخْلص هو وولده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل ، فليستَنُّوا من الماء ، وليمسُّوا من الطِّيب ، ثم يستلموا الركن ، ثم ليرتقوا أبا قُبيس ، فليَستسق الرجل ، وليُؤمِّن القوم ، فغِثْتم ما شئتم .

فأصبحتُ - عَلِمَ الله - مذعورة ، قد اقشعر جلْدى وَوَلِهَ(٢) عقلى ، واقتصَصت رؤياى ، فوالحرمة والحَرَم ، ما بقى [بها](٣) أبْطحى إلا قال : هذا شَيْبة الحمد .

فتتامت(٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل .

فسنوا ومسُّوا ، واستلموا .

ثم ارتقوا أبا قُبيس ، وطبقوا جانبيه ، ما يَبْلغ سعيهم مُهْلةً .

حتى إذا استووا بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام قد أيفع أو كَرَب ، فقال :

اللهم سادَّ الخَلّة ، وكاشف الكُرْبة ، أنت معلَّمٌ غير مُعلَّمٍ ، ومسئول غير مُبخَّل ، وهؤلاء عبادك ، وإماؤك بِعُذرات(٥) حرمك ، يشكون إليك سنتهم ، أذهبت الخفَّ والظلف ، اللهم فأمطرنا غيثاً ، مُغدقاً ممرعاً .

---

(١) كذا بالأصل . وفى أعلام النبوة : وسيطاً جسيما . (٢) أى : ذهب .

(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة . والمراد بالأبطحى الساكن المقيم فى مكة .

(٤) أى : جاءوا كلهم وتموا .

(٥) العذرات : جمع عَذَر ، بفتح الأول والثانى ، وهو كل موضع كثير الحجارة .

فوالكعبة ، ما راحوا(١) حتى تفجرت السماء بمائها ، واكتظ(٢) الوادى بثجيجه ، فلسمعتُ شيخان قريش وجلتها : عبدَ الله بن جُدْعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب :

هنيئاً لك أبا البطحاء . أى : عاش بك أهل البطحاء .

وفى ذلك تقول رقيقة :

بِشَيْبَةِ الحَمْدِ أَسْقَى اللهُ بَلْدَتَنَا ... لمَّا فَقَدْنَا الحَيَا(٣) وَاجْلَوَّذَ(٤) المَطَرُ

فَجَادَ بِالمَاءِ جَوْنِيٌّ(٥) لَهُ سَبَلٌ(٦) ... سَحًّا(٧) فَعَاشَتْ بِهِ الأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ(٨)

مُبَارَكُ الأَمْرِ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ... مَا فِي الأَنَامِ لَهُ عِدْلٌ(٩) وَلَا خَطَرُ(١٠)

مَنًّا مِنَ اللهِ بِالمَيْمُونِ طَائِرُهُ ... وَخَيْرَ مَنْ بَشَّرَتْ يَوْمًا بِهِ مُضَرُ(١١)

---

(١) أى : ما عادوا إلى منازلهم . (٢) أى : امتلأ الوادى بكثرة الماء .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) قال فى القاموس (الاجلواذ : المضاء والسرعة فى السير ، وذهاب المطر) اهـ . والمراد هنا (انقطع عنا المطر) . (٥) جونى : أى سحاب فيه سواد وحمرة .

(٦) السبل : بفتح السين والباء : المطر . اهـ . قاموس .

(٧) أى : الصب الكثير .

(٨) الأنعام : البهائم ، والشجر : كل أنواع النبات .

(٩) عدل : أى ليس له مثيل .

(١٠) الخطر : المراد به هنا ، علو المنزلة ورفعة الشرف .

(١١) ليس فى أعلام النبوة .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سَيْف بن ذى يَزَن بالمُلك وتبشير سَيف عبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله

عن ابن الكلبي قال : لمّا ملك سيفُ بن ذي يَزَن أرض اليمن وقتل الحَبَش وأبادهم ، وفدت إليه أشرافُ العربِ ورؤساؤهم ليهنئوه بما ساق الله من الظَّفر .

ووفِد وفدُ قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدعان ، وخُويلد بن أسيد ، ووهب ابن عبد مناف بن زهرة .

فساروا حتى وافَوْا مدينة صنعاء ، وسيف بن ذي يزن نازل بقصر يقال له غُمْدان ، وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبلقيس بأمر سليمان ، فأناخ عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف ، فأذن لهم .

فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب ، وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب ، وهو متضمخ بالعنبر ، وبصيصُ المسك يلوح فى مَفْرقه(١) فحيَّوه بتحية الملك ، ووضعت لهم كراسى الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام ماثلا بين يديه ، واستأذنه فى الكلام .

---

(١) قوله : بصيص المسك الخ يعنى يظهر لمعان المسك من مفرق شعر رأسه .

فقيل له : إن كنت ممن تتكلم بين يدى الملوك فتكلم .

فقال : أيها الملك ، إن الله قد أحلك مَحلا رفيعاً شامخاً منيعاً ، وأنْبَتك مَنْبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبَسق فرْعه ، فى أطيب مغرس وأعذب منبت .

فأنت أيها الملك ربيعُ العرب ، الذى إليه مَلاذها ، ووِرْدها الذى إليه مَعادها .

وسلفُك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .

ولن يهلك الله من أنت خلفه ، ولن يَخْمل من أنت سلفه .

نحن ـ أيها المَلك ـ أهل حَرَم الله وسدنة بيت الله .

أوفدنا إليك الذى أبْهَجنا مِن كشْف الضر الذى فَدَحنا .

فنحن وفد التّهنئة ، لا وفد الترزئة .

فقال سيف : أنتم قريش الأباطح ؟ قالوا : نعم .

قال : مرحباً وأهلا ، وناقة ورَحْلا ، ومُناخاً سهلاً ، وملكاً سَمحلا ، يعطى عطاء جزلاً .

قد سمع الملك مقالتكم وعرف فضلكم .

فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد .

فلكم الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم .

ثم قال لعبد المطلب : أيهم أنت ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب بن هاشم .

قال : إياك أردت ، ولك حشدت ، فأنت ربيع الأنام ، وسيد الأقوام .

انطلقوا وانزلوا حتى أدعو بكم .

ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم .

فأقاموا شهراً لا يدعوهم ، حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب : إيتنى وحدكَ مِن بين أصحابك .

فأتاه ، فوجده مستخلياً لا أحدَ عنده ، فقرَّبه حتى أجلسه معه على سريره ، ثم قال :

يا عبد المطلب إنى أريد أن ألقى إليك من علمى سراً ، لو غيرك يكون لم أُبُحْ به إليه ، غير أنى رأيتك معدنه ، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله فيه بأمره ، فإن الله منجز وعده ، وبالغُ أمره .

قال عبد المطلب : أرشدَكَ الله أيها الملك .

قال سيف : إنى أجد فى الكتب الصادقة والعلوم السابقة ، التى اختزناها لأنفسنا ، وسترناها عن غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفخر الممات ، للعرب عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد .

ولولا هيبة الملك وإعظامه ، لسألته أن يزيدنى من سروره إياى سروراً .

فقال سيف : نبى يبعث من عقبك ، ورسولٌ من قرنك ، اسمه أحمد ، ومحمد ، وهذا زمانه الذى يولد فيه ، أو لعله قد ولد .

يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه [قد ولدناه مراراً(١) والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه .

تخمد عند مولده النيران ، ويعبد الواحد المنان ويزجر الكفر والطغيان ويكسر اللات والأوثان .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم والاكتفا للكلاعى . ومعناها أن [illegible] العرب ولدوا رسول الله .

قوله فصل ، وحكمه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : علا كعبك ، ودام فضلك ، وطال عمرك ، فهل الملك سارّى بإفصاح وتفسير وإيضاح ؟

قال سيف : والبيت ذى الحُجُب ، والآيات والكتب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير كذب .

فخرّ عبد المطلب ساجداً .

قال سيف : ارفع رأسك ، ثلج صدرُك ، وطال عمرك ، وعلا أمرك .

فهل أحسست بشىء مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم أيها الملك ، كان لى ابن كنت به معجباً .

فزوّجته كريمة من كرائم قومى يقال لها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً وأحمد ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .

قال : هو هو ، لله أبوك ، فاحذر عليه أعداءه . وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً .

ولولا علمى بأن الموت مجتاحى قبل ظهوره ، لسرْت إليه بخيلى ورجلى حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكى .

فإنى أجد فى كتب آبائى ، أن بيثرب استتباب أمره ، وهم أهل دعوته ونصرته ، وفيها موضع قبره .

ولولا ما أجد من بلوغه الغايات ، وأن أقيه الآفات ، وأن أدفع عنه العاهات ، لأظهرت اسمه ، وأوطأت العربَ عقبه .

وإن أعش فسأصرف ذلك إليه . قم فانصرف بمن معك من أصحابك .

ثم أمر لكل رجل منهم بمائتى بعير ، وعشرة أعبد من الحبش ، وعشرة أرطال من الذهب ، وحلتين من البرود .

وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم ، وقال له : يا عبد المطلب ، إذا شبَّ محمد وترعرع ، فاقدم علىّ بخبره .

ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة .

فكان عبد المطلب يقول : لا تغبطونى بكرامة الملك إياى دونكم ، وإن كان ذلك جزيلا ، وفضل إحسانه إلىّ وإن كان كثيراً ، اغبطونى بأمر ألقاه إلىّ من شرفٍ لى وَلِعَقِبِى من بعدى .

فكانوا يقولون له : ما هو ؟ فيقول : ستعرفونه بعد حين .

فمكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال ، وإنه ركب يوماً كنحو ما كان يركب للصيد وقد كان قد اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه بحرابهم ، فعطفوا عليه يوماً فقتلوه .

وبلغ كسرى أنو شروان ، فرد إليهم هُرْمز ، وأمره أن لا يدع أسودَ إلا قتله .

● عن ابن عباس قال لما ظهر ابن ذى يزن على الحبشة بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، أتت وفود العرب وشعراؤها تهنيه وتمدحه .

فأتاه فيمن أتاه ، وفد من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية ابن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وخُويلد بن أسد ، فى ناس من وفود قريش .

فقدموا عليه صنعاء ، فإذا هو فى رأس غمدان ، الذى ذكره أمية ابن أبى الصلت :

اِشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفعاً ... فِى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا

فدخل عليه الإذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم .

فدنا عبد المطلب واستأذنه فى الكلام .

فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك ، فقد أذِنَّا لك .

فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً . وأنبتك منبتاً ، طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم موطن ، وأطيب معدن .

فأنت ملك العرب وربيعها الذى يخصب ، وأمير العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومَعقلها الذى تلجأ إليه العباد .

سلفك [لك] خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .

فلن يخمل من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه .

نحن ، أيها الملك ، أهلُ حرم الله عز وجل وسَدَنة بيته .

أشخصنا إليك الذى أبهجنا من كشفك(١) الكربَ ، الذى فدَحنا .

فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .

قال : ابن أختنا ؟ يعنى الأنصار .

قال : نعم . قال أُدْنُهْ . فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :

مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً ممَحْلاً ، يعطى عطاء جزلا .

قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ، ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم(٢) .

---

(١) الاكتفاء : من كشف الكرب .

(٢) قوله : والحباء الخ ، أى : ولكم العطايا إذا رحلتم إلى بلادكم .

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والرفد ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ، ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة .

فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدنى مجلسه وأخلاه وقال :

يا عبد المطلب إنى مُفْضٍ(١) إليك من سرِّ(٢) علمى ، ما لو لم يكن غيرك لم أبح به ، ولكنى رأيتك معدنه ، فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

فإنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذى اختزناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرّ وبرّ فما هو ؟ فِدًا لك أهل الوبر زُمرًا بعد زُمر .

قال : إذا ولد مولود بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبد المطلب : أبيتَ اللعن ، لقد أبتُ بخبر ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألت من سارِّه إياى ، ما أزداد به سروراً .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد .

واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه .

قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه .

يضرب بهم الناس عن عَرَض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض .

---

(١) فى الأصل (مفوض) وهو تحريف (٢) الاكتفا : من سر .

يكسر الأوثان ، ويخمد النيران ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان .

قوله فَصْل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عُمرك فهل الملك سارِّى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟

قال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب(١) إنك يا عبد المطلب لجَدُّهُ غير كذب .

فخرَّ عبد المطلب ساجداً ، فقال له ارفع رأسك ثلُج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟

قال : أيها الملك كان لى ابن ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً .

زوَّجته كريمةً من كرائم قومى ، آمنة بنت وهب ، فولدت غلاماً ، فسميته محمداً .

مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك كما قلتَ ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا .

واطوِ ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمن أن تَدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة ، فيطلبون لك الغوائل ويَنْصبون لك الحبائل ، وهم فاعلون أو أبناؤهم .

ولولا أعلم أن الموت مجتاحى قبل مَبْعثه ، لسِرْت بخيلى ورجلى حتى أصيِّر يثرب دار ملكى .

فإنى أجد فى الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن بيثرب استحكام أمره ، وأهلُ نصرته وموضع قبره .

---

(١) الاكتفا : والعلامات والنصب .

ولولا أنى أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت ـ على حداثة سنه ـ أمره ، ولأوطأت أسنان العرب عقبه .

ولكنى سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك .

وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد ، وعشرة إماء ، ومائة من الإبل ، وحلتين من البرود ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش مملوءة عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال :

إذا جاء الحول فائتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول .

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطنى أحد بجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطنى مما يبقى لى ولعقبي من بعدى ، ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل : ومتى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين[1] .

وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلَبْنَا النُّصْحَ تَحْقُبُهُ الْمَطَايَا ... عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ

مُغَلْغَلَةً[2] مَرَاتِعُهَا ثِقَالاً ... إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ

تَؤُمُّ بِنَا ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَيَفْرِى ... ذَوَاتَ بُطُونِهَا أُمَّ الطَّرِيقِ

فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنْعَاءَ حَلَّتْ ... بِدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسَبِ الْعَرِيقِ

---

(١) الاكتفا : ستعلمن نبأه بعد حين .

(٢) الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر موت عبد المطلب

قالوا : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته وقال لبناته : ابكينني وأنا أسمع . فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه جعل يحرك رأسه : أى قد صدقت . وقد كنت لذلك ، وهو قولها :

أَعَيْنَىَّ جُودَا بِدَمْعٍ دَرِرْ عَلَى طَيِّبِ الخِيمِ (١) وَالمُعْتَصَرْ
عَلَى مَاجِدِ الجَدِّ وَارِى الزِّنَادِ جَمِيلِ المُحَيَّا (٢) عَظِيمِ الخَطَرْ (٣)
عَلَى شَيْبَةِ الحَمْدِ ذِى المَكْرُمَاتِ وَذِى المَجْدِ وَالعِزِّ وَالمُفْتَخَرْ
وَذِى المَجْدِ وَالفَضْلِ فِى النَّائِبَاتِ كَثِيرِ المَكَارِمِ جَمِّ الفَجَرْ (٤)
أَتَتْهُ المَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ (٥) بِصَرْفِ اللَّيَالِى وَرَيْبِ القَدَرْ

قال : ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

ويقال : ابن مائة وعشر سنين . ويقال ابن مائة وعشرين سنة .

---

(١) الخيم (بالكسر) السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المعتصر ، أنه عند المسألة كريم .

(٢) المحيا : الوجه .

(٣) الخطر : القدر والمنزلة الرفيعة .

(٤) الفجر : العطاء والكرم والمعروف ، وكثرة المال .

(٥) لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

• وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : نعم وأنا يومئذ ، ابن ثمان سنين .

• قالت أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف سرير عبد المطلب يبكى .

عن ابن جريج قال : كنا جلوسًا مع عطاء بن أبى رباح فى المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلىّ بن عبد الله فى الطواف خلفه ، فتعجبنا من تمام قامتهما ، وحسن وجوههما .

قال عطاء : وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس ! ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة ، وأنا فى المسجد الحرام طالعا من جبل أبى قبيس ، إلا تذكرت وجه عبد الله بن عباس ، ولقد رأيتنا جلوسا معه فى الحجر إذا أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل ، يعتمد(١) على عصاه ، فسأله عن مسألة فأجابه .

فقال الشيخ لبعض من فى المسجد : من هذا الفتى ؟

قالوا : هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .

فقال الشيخ : سبحان الله ، غير حسن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب إلى ما أرى .

قال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبى يقول : كان عبد المطلب أطول الناس قامة ، وأحسن الناس وجها ، ما رآه أحد إلا أحبه .

كان له مفرش فى الحجر ، ما يجلس عليه غيره ، ولا يجلس عليه أحد .

---

(١) ت : يهدج .

وكان النَّدْوَى من قريش ، حرب بن أمية فمن دونه ، يجلسون دون المفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على الفرش ، فجذبه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك بعد ما كفَّ بصره : ما لابنى يبكى ؟

فقالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابنى يجلس عليه ، فإنه يحسُّ من نفسه بشرَف ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

قال : ومات عبد المطلب ، والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثمان سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكى ، حتى دفن بالحجون قال : ودفن عبد المطلب بالحجون .

وإنما أوصى برسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب ، لأن أبا طالب وعبد الله ، كانا أخوين لأم ، وقد كان الزبير لأمهما .

غير أن فى سبب تقديم أبى طالب ثلاثة أقوال :

أحدها ، وصية عبد المطلب إليه .

والثانى ، أنهما اقترعا ، فخرجت القرعة لأبى طالب .

والثالث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : لما توفى عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له .

إن كان يحبه حباً شديداً ، لا يحبه ولده .

وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصبَّ(١) به أبو طالب صبابة لم يصبَّ مثلها بشىء قط .

وقد كان يخصه بالطعام .

وإذا أكل عيال أبى طالب جميعا أو فرادى ، لم يشبعوا .

وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا .

فكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابنى .

فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهم ، فكانوا يفضلون من طعامهم .

وإذا لم يكن معهم ، لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لَمُبَارَكٌ .

---

(١) قوله : « وصب به أبو طالب الخ » أى : أحب النبى صلى الله عليه وسلم حباً شديداً لم يحب أحداً مثله .

وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحيلا .

● عن عمرو بن سعيد قال : كان أبو طالب يُلْقَى له وسادة يقعد عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب :

وآلهة ربيعة إن ابن أخي ، ليحس بنعيم .

• عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجاز ، ومعى ابن أخى ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش ، فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخى قد عطشت ، وما قلت له ، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع .

قال : فثنى وركه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قال : قلت : نعم .

فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، فشربت .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بحيرى

• عن داود بن الحسين قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام ، خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرة الأولى ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة .

فلما نزل الركبُ ، بصرى ، من الشام ، وبها راهب فى صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون فى تلك الصومعة ، يتوارثونها عن كتاب يدرسونه .

فلما نزلوا بدير بَحِيرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم .

حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلا قريباً من صومعته ، قد كانوا ينزلونه قبل ذلك ، كلما مروا ـ صنع لهم طعاما ودعاهم .

وإنما حمله على دعائهم ، أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دون القوم ، حتى نزلوا تحت الشجرة .

ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، فاخضلت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرى ذلك ، نزل عن صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأُتِىَ به ، وأرسل إليهم فقال :

إنى قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً ، حراً ولا عبداً ، فإن هذا شئ تكرمونى به .

فقال له رجل : إن لك لشأنا يا بحيرى ، ما كنت تصنع هذا ، فما شأنك اليوم ؟ قال : إنى أحب أن أكرمكم ، ولكم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن بين القوم لحداثة سنه ، ليس فى القوم أصغر منه ، فى رحالهم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرى إلى القوم ، ولم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر ، فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها متخلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بحيرى : يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامى .

قالوا : ما تخلف أحد ، إلا غلام وهو أحدث القوم سنا فى رحالهم .

فقال : ادعوه ، ليحضر طعامى .

فما أقبح أن تحضروا ، ويتخلف رجل واحد ، مع أنى أراه من أنفُسِكمْ .

فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخى هذا الرجل ، يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب .

فقال الحرث بن عبد المطلب : والله إن بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا .

ثم قام إليه ، واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه .

وجعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء فى جسده ، قد كان يجدها عنده فى صفته .

فلما تفرقوا عن الطعام ، قام إليه الراهب وقال :

يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ، إلا أخبرتنى عما أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما .

قال : فبالله ، إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . قال : سلنى عما بدا لك .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عنده .

ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التى عنده ، فَقَبَّل موضع الخاتم .

فقالت قريش : إن لمحمد عند الراهب لَقَدْراً .

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب ، يخاف على ابن أخيه .

فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : هو ابنى .

قال : ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

قال : فابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك ، وأمه حامل به .

قال : ما فعلت أمه ؟

قال : توفيت قريبا .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود .

فوالله ، لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ، ليبغنه[١] عنتاً ، فإنه كائن ، لابن أخيك هذا شأن عظيم ، نجده فى كتابنا ، وما روينا عن آبائنا ، واعلم أنى قد أديت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً .

وكان رجال من يهود ، قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرى فذكروه أمره ، فنهاهم أشد النهى وقال لهم : أتجدون صفته ؟

قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل : فصدقوه وتركوه .

ورجع أبو طالب ، فما خرج به سفراً بعد ذلك ، خوفاً عليه .

• عن أبى بكر بن أبى موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش .

فلما أشرفوا على الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت .

قال : فهم يحلون رحالهم ، فخرج إليهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك به ؟

قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر ، إلا خر

---

(١) قوله (ليبغنه عنتاً) يريد : أن اليهود ربما اغتالوه أو حاولوا الإيقاع به فى الشرور .

ورواية ابن هشام (لَيَبْغُنَّهُ شراً) .

ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وأنا أعرف خاتم النبوة [فى أسفل[1]] من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع ، فصنع لهم طعاما .

فلما أتاهم به ، وكان هو[2] فى رعيه للإبل ، فقال : أرسلوا إليه .

فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم ، إذا هم قد سبقوه إلى فىء الشجرة .

فلما جلس ، مال فَئْ الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه .

فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة ، فقتلوه .

فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر ، قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟

قالوا : أُخْبِرْنَا أن هذا النبي خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس ، وإنا أُخبرنا خبره فَبُعِثْنا إلى طريقك هذه .

فقال : هل خلفكم أحدٌ هو خير منكم ؟ قالوا : لا .

قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا . [فبايَعوه وأقاموا معه[1]] .

ثم قال : أنشدكم الله ، أيكم وليه ؟ قال أبو طالب : أنا .

فلم يزل يناشده ، حتى رده ، فزوده الراهب من الكعك[3] .

---

(١) من شرح المواهب ١/١٩٥ (٢) أى النبي .

(٣) قال البيهقى : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازى . وضعف الذهبي هذا الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

الباب الثامن والثلاثون

فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

الفجار اثنان : الفجار الأول ، والفجار الثانى .

أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وكانت الحرب فيه ، ثلاث مرات .

أما المرة الأولى ، فسببها أن بدر بن معشر الغفارى ، كان يفتخر على الناس .

فبسط يوما رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى ، فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية يقال له « الأحمر بن مازن » فضربه بالسيف على ركبته فأندرها(١) فاقتتلوا .

● وأما المرة الثانية فكان سببها أن امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة ، فسألوها أن تُسْفِر(٢) فأبتْ .

فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحلّ طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة .

---

(١) أندرها : أى : قطعها .
(٢) أى : تكشف عن وجهها فامتنعت .

فلما قامت ، انكشف دُبُرُهَا ، فضحكوا وقالوا : منعتينا النظر إلى وجهك ، وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دبرك !

فنادت : يا آل عامر .

فتنادوا بالسلاح ، واقتتلوا مع بنى كنانة ، ووقعت بينهما دماء ، فتوسطها حرب بن أمية ، وأرضى بنى عامر من مُثْلَةِ صاحبتهم .

● وأما المرة الثالثة فكان سببها أنه كان لرجل من بنى جشم بن عامر دَيْنٌ على رجل من بنى كنانة فلواه به(١) ، فجرت بينهما خصومة ، واقتتل الحيَّان ، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله .

وهذه الأيام لم يحضرها صلى الله عليه وسلم .

وأما الفجار الثانى فكان بين هوازن وقريش ، وإنما سمى الفجار لأن بنى كنانة وهوازن ، استحلوا الحَرَم ، ففجروا ، فاقتتل الفريقان .

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« كنت أنبِّل على أعمامى يوم الفجار » أى أناولهم النبل .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أربع عشرة سنة ، ويقال : عشرون سنة .

---

(١) أى ماطله بأداء الدين .

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفَ الفضُول

وسببُ هذا الحلف أن قريشاً كانت تتظالم فى الحرَم .

فقام عبد الله بن جدْعان ، والزبير بن عبد المطلب ، فدَعوْا إلى التحالف على التناصر من الأخذ المظلوم من الظالم ، فأجابوهما ، وتحالفوا فى دار ابن جُدْعان .

عن أبى عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلا من اليمن ، قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها رجل من بنى سهم ، فلوى(١) الرجل بحقه ، فسأله ماله فأبى عليه ، فسأله متاعه فأبى عليه ، فقام على الحجْر وقال :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِى(٢) الدَّارِ وَالنَّفَرِ
أَقَائِمٌ مِنْ بَنِى سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ ... أَمْ ذَاهِبٌ فِى ضَلَالٍ مَالُ مُعْتَمِرِ

قال : وقال بعض العلماء إن قيس بن شبة السلمى باع متاعاً من أبىّ ابن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من جُمح فلم يقم بجواره ، فقال قيس :

يَا قُصَىُّ كَيْفَ هَذَا فِى الْحَرَمْ ... وحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخلَاقِ الْكَرَمْ
أُظْلَمُ لَا يُمْنَعُ مِنِّى مَنْ ظَلَمْ

فقام العباس وأبو سفيان ، حتى ردوا عليه حقه .

---

(١) لواه : مطله . (٢) أى : بعيدة داره وعشيرته .

واجتمعت رجال من قيس فى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا على رد الظلم بمكة ، وأن لا يظلم أحد إلا منعوه ، وأخذوا له بحقه ، وكان حلفهم فى دار عبد الله بن جدعان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ حلفاً فى دار ابن جدعان ، ما أحب أنَّ لِى به حُمْر النَّعم . ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت » .

فقال قوم من قريش : هذا والله فضْل من الحلف ، فسمى حلف الفضول .

قال الزبير : وقال آخر : وتحالفوا على مثال حلف تحالف عليه قوم من جُرْهم فى هذا الأمر ، أن لا يقروا ظلماً ببطن مكة إلا غيَّروه .

وأسماؤهم الفضْل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة .

قال الزبير : وحدثنى عبد العزيز بن عمر العنسى قال : أهل حلف الفضول : بنو هاشم ، وبنو المطَّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزَّى ، وبنو زهرة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بالله ، أن لا يُظلم أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه ، شريفاً ووضيعاً .

قال الزبير : وحدثنى إبراهيم بن حمزة عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه ، قال : إنما سمى حلف الفضول : أنه كان فى جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم ، فضيل ، وفضال ، ومفضل ، وفضل ، فلذلك سمى حلف الفضول .

قال : وحدثنى محمد بن حسين عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال : إنما سمّت قريش هذا الحلف حلف الفضول : أن نفراً من جرهم يقال لهم ، الفضل ، وفضال ، والفضل ، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه الفضائل .

● عن معروف بن خربوذ قال : تداعت بنو هاشم وبنو المطلب ، وأسد ، وتيم وتحالفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ولا فى الأحابيش

مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه ، حتى يردوا عليه مظلمته ، أو يُبْلُوا فى ذلك عذراً .

وكره ذلك المطيبون والأحلاف بأسرهم ، وسمُّوه حلفَ الفضول ، عَيْبًا له .

وقالوا : هذا من فضول القوم . وسمى حلف الفضول .

• عن حكيم بن حزام أنه قال : كان حلف الفضول مُنْصَرف قريش من الفجار ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة .

وأخبرنى غير الضحاك قال : كان الفجار فى شوال ، وهذا الحلف فى ذى القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط .

وأول من دعا إليه ، الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم ، وبنو زهرة ، وتيم ، فى دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا : لَيَكُونُنَّ مع المظلوم حتى يؤدَّى إليه حقُّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة [وعلى] التآسى فى المعاش .

فسمَّتْ قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول .

• عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لى بِحلْف حضرتُه فى دار ابن جُدعان ، حُمْر النَّعم ، ولو دعيت له لأجبت » وهو حِلْف الفُضُول .

قال محمد بن عمرو : لا يعلم أحد سبق من بنى هاشم بهذا الحلف .

• عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شهدت حلف الفضول مع عمومتى ، وأنا غلام ، فما أحب أن لى حمر النعم وأنى نكثته » .

• وقد ذكر محمد بن حبيب الهاشمى أن هذا الحلف كان قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

الباب الأربعون

فى ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد به قبل النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمن الصبا يبْغض الأصنام ، ولا يلتفت إليها .

وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ، ولا يقرب منها ، ويعيبها .

عن ابن عباس قال : حدثتنى أم أيمن قالت : كانت بُوانة صنماً ، تحضره قريش وتعظمه ، وتنسك له المناسك[1] ويحلقون رءوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يومٌ فى السنة .

وكان أبو طالب يحضره مع قومه .

وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه ، فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته[2] غضبن عليه أشد الغضب ، وجعلن يقلن :

إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا .

وجعلن يقلن : ماتريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تكثر لهم جمعاً .

---

(١) أى يذبحون له الذبائح كما يذبح فى هذا الزمان للسيد البدوى وغيره من ذوى الأضرحة ، ولا شك أن هذا شرك وأن تلك الذبائح فى حكم الميتة لا يجوز أكلها لأنها أهلت لغير الله .

(٢) فى الأصل (عمامته) وهو تحريف .

فلم يزالوا به ، حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع فزعاً مرعوباً ، فقلن له عماته(١) : ما دهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم(٢) .

فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟

قال : إنى كلما دنوت من صنم منها ، تمثَّل لى رجل أبيض طويل ، يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسه .

قالت : فما عاد إلى عيدهم ، حتى نُبِّئ صلى الله عليه وسلم .

● عن محمد بن عمرو عن أشياخه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحيرى : « لا تسألنى باللات والعزى ، ،والله ما أبغضت شيئاً بغضهما » .

● قال أحمد بن حنبل : من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه ، فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب .

قال أبو الوفا ، على بن عقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متديناً قبل بعثه ، وورود الوحى عليه ، بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم .

فأما بعد مبعثه ، فهل كان يتعبد بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان :

أحدهما : أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى إليه ، لا من جهتهم ولا بعلمهم ، ولا كتبهم المنزلة .

واختاره أبو الحسن التميمى ، وهو قول أصحاب أبى حنيفة .

والرواية الثانية : أنه لم يكن يتعبد بشىء من الشرائع ، إلا ما أوحى إليه فى شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية .

---

(١) قوله « فقلن له عماته » هذا التعبير إنما يتمشى على لغة « أكلونى البراغيث » والفصيح أن يقال : « فقالت له عماته الخ ، لأن الفعل على اللغة الفصحى الراجحة لا تلحقه علامة التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعاً .

(٢) أى : مس من الشيطان .

ولأصحاب الشافعي قولان كالروايتين .

قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله، بأي شريعة كان متعبداً .

فقال بعضهم : بشريعة إبراهيم خاصة . وإليه ذهب أصحاب الشافعي .

وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى، إلا ما نسخ في شرعنا.

وظاهر كلام أحمد ، أنه كان يتعبد بكل ما صح أنه شريعة النبي قبله ، ما لم يثبت نسخه . يدل عليه قوله تعالى :

« أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ(١) » .

وقال ابن قتيبة : لم تزل العربُ على بقايا من دين إسماعيل .

من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق ، إذا كان ثلاثاً ، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين ، ودية النفس مائة من الإبل ، والغسل من الجنابة ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج .

قال : وقوله تعالى « مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ(٢) » .

يعني به شرائع الإسلام ، ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار بالله .

لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك ، كانوا يؤمنون بالله ، ويحجون له مع شركهم .

---

(١) سورة الأنعام . الآية ٩٠

(٢) سورة الشورى . الآية ٥٢ وتمامها : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

الباب الحادي والأربعون

في ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة وأخبر بها عمه أبا طالب

سأل عبد الله بن الزبير عُبَيد بن عُمَير عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أحدثك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب فقال : أعَمُّ(١) ، إني منذ ليال يأتيني آتٍ معه صاحبان له ، فينظرون إليَّ ويقولون : هو هو ، ولَمْ يَأْنِ له . فإذا كان رأيك كرجل منهم ساكت(٢) فقد هالني ذلك .

فقال : يا ابن أخي ليس بشيء حلمت .

ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بي الرجلُ الذي ذكرتُ لك ، فأدخل يدَه في جوفي ، حتى إني لأَجِد بَرْدَهَا .

فرجع به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبَّب بمكة ، فحدثه حديثه ، فقال : عالِجه .

فصوَّب به ، وصعَّد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كتفيه ، وقال : يا ابن عبد مناف ، إبنك هذا طيب طبيب ، للخير فيه علامات ، إن

---

(١) أي : يا عم .   (٢) كذا . ولم أجده .

ظفرت به يهود ، قتلته ، وليس الرائى من الشيطان ، ولكنه من النواميس الذين يتجسسون القلوب للنبوة .

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسست حسًّا ما شاء الله ، حتى رأيت فى منامى رجلا وضع يده على منكبى . ثم أدخل يده فأخرج قلبى ثم قال : قلبٌ طيب ، فى جسد طيب ، ثم ردّه ، فاستيقظت .

ثم قالَ : رأيت وأنا نائم سقفَ البيت الذى أنا فيه نزعت خُشُبُه ، وأدخل سلم فضة ، ونزل إلىَّ منه رجلان ، فجلس أحدهما جانباً ، والآخر إلى جنبى ، فنزع ضلع جنبى ثم استخرج قلبى ، فقال : نِعْمَ القلبُ قلبُه ، قلب رجل صالح ونبيٍّ مبلغ ، ثم ردَّا قلبى مكانه وضلعى ، ثم صعدا .

فاستيقظت والسقف على حاله .

فشكوت إلى خديجة فقالت : لا يصنع الله بك إلا خيراً(١) .

---

(١) هذا الخبر لا يصح ، وإليه أشار القسطلانى بقوله : وروى شق صدره مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ، ولا تثبت . فلا تذكر إلا مقرونة بعدم الثبوت ، المواهب ١ / ١٥٣

الباب الثانى والأربعون

فى ذكر رعيه الغنم

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد بإخراجه البخارى .

قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط .

وقال إبراهيم الحربى : قراريط : موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة .

قال ابن عقيل : لما كان الراعى يحتاج إلى سَعَة خلق ، وانشراح صدر للمداراة ، وكان الأنبياء مُعَدِّين لإصلاح الأمم حَسُن هذا فى حقهم .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن الراهب ، أنبأنا القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة .

فلما كان يومُ الفتح ، جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

مرْحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداريُ ولا يماري .

يداريُ : مهموز ، بمعنى يشاغب ، ويخاصم صاحبَه .

الباب الرابع والأربعون

فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مرة أخرى فى تجارة خديجة

عن نفيسة بنت مُنَية أخت يَعْلى بن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب :

أنا رجل لا مال لى ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عِيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خُوَيلد ، تبعث رجالاً من قومك فى عيراتها ، فلو جئتَها ، فعرضت نفسك عليها ، لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه فى ذلك وقالت : أنا أعطيك ضِعْف ما أُعْطِى رجلا من قومك .

فقال أبو طالب : هذا رِزقٌ ساقه الله لك .

فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهلَ العير .

حتى قدموا بُصْرى من أرض الشام ، فنزلا فى ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى(١) .

ثم قال لميسرة : أفى عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم .

---

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء . والشجر لا يعمر فى العادة هذا العمر للطويل .

أقول : لا مانع عقلا ، من أن تكون الشجرة قد عمرت طويلا ، وصرف الله أن ينزل تحتها غير الأنبياء ، ولا داعى لتحكيم الحكم العادى فى مثل هذا الأمر . والله يفعل ما يريد .

قال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء .

ثم باع سلعته ، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ(١) فقال له : احلف باللات والعزى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط ، وإنى لأمُرُّ بهما ، فلا ألتفت إليهما .

فقال الرجل : القَولُ قولك .

ثم قال لميسرة : هذا والله نبي ، تجده أحبارنا منعوتاً فى كتابهم .

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملَكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعفَ ما كانوا يربحون .

ودخل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى عُلّيّة(٢) لها .

فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، وملَكان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فعجبن لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبّرها بما ربحوا فى وجوههم . فَسُرّت بذلك .

فلما دخل عليها ميسرة ، أخبرته بما رأت .

فقال . قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .

وأخبرها بما قال الراهب نسطورا ، وبما قال الآخر الذى خالفه فى البيع .

---

(١) خلاف ومنازعة كما يستفاد من الصحاح والقاموس .

(٢) العلية : بضم العين وكسر اللام المشددة وبعدها ياء مفتوحة مع التشديد قال فى الصحاح : وقال بعضهم : هى العلية بكسر العين واللام المشددتين ووزنها « فِعّيلَة » الحجرة المرتفعة .

الباب الخامس والأربعون

فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

• عن نفيسه بنت مُنَبِّه قالت :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام دخل مكة ، وخديجة فى عُلِّية لها فرأت مَلَكين يظلانه .

وكانت جَلدة حازمة ، وهى أوسط قريش نسبا . وأكثرهم مالا .

وكلُّ قومها حريص على نكاحها ، لو قدروا على ذلك .

قد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال .

فأرسلتنى دسيسا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن رجع من الشام .

فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما أتزوج .

قلت : فإن كنت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، أفلا تجيب ؟

قال : فمن هى ؟

قلت : خديجة :

قال : وكيف لى بذلك ؟

قلت : علىَّ .

قال : فأنا أفعل .

فذهبت فأخبرتها ، وأرسلت إليه : أن إيت ساعة كذا وكذا .

وأرسلت إلى عمها ، عمرو بن أسد ليزوجها .

فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته . فتزوجها ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ، بنت أربعين سنة .

وقد روى أن أباها زوجها ، وليس بصحيح لأن أباها مات قبل الفجار .

وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال :

« الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضئ(١) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسُوّاس(٢) حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس .

ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل ، إلا رجحه ، وإن كان فى المال قِلاً ، فإن المال ظلٌّ زائل ، وحال حائل .

ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ، ما آجلهُ وعاجله من مالى .

وهو ـ والله ، بعدَ هذا ـ له نبأ عظيم ، وخطر جليل » .

فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت خديجة قد ذُكرت لورقة بن نوفل ، فلم يُقْضَ بَيْنهما نكاح .

فتزوجها أبو هالة ، واسمه هند ، وقيل : مالك بن النباش(٣) .

فولدت له هنداً ، وهالة وهما ذكران .

ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومى ، فولدت له جاريه اسمها ، هند .

وبعضهم يقدم عتيقا على أبى هالة .

ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل أولاده منها ، إلا إبراهيم .

---

(١) الضئضئ : الأصل . (٢) سواس : كحراس وزنا ومعنى .

(٣) فى المواهب ١٩٩/١ : واختلف فى اسم أبى هالة فقيل : مالك . وقيل : زرارة ، وقيل : هند ، وقيل : اسمه النباش .

الباب السادس والأربعون

فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيان الكعبة ووضعه الحجر بيده

● أول وضع البيت ، أن الله تعالى أنزل البيت المعمور ، فجعله مكان الكعبة ، وكان ياقوتة حمراء ، ثم رفع ، وبنى آدم مكانه ، البيت .

ثم بناه أولاده بالطين والحجارة .

ثم غرق فى زمن نوح ، وبقى مكانه أكمة ، لا يعلوها السيول ، إلى أن بناه الخليل .

ثم بنته العمالقة ، ثم بنته جُرْهُم ، ثم بنته قريش .

● عن طلحة قال : وجد فى البيت حجر منقور فى الهدمة الأولى .

فَدُعِيَ رجل ، فقرأه ، فإذا فيه :

عبدى المتحبب المتمكن المثبت المختار .

مولده بمكة ، ومهاجَرُه ، طَيبة ، لا يذهب حتى يقيم الملة السوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته الحمادون ، يحمدون الله تعالى بكل أكمة ، يأتزرون على أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم .

● فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وثلاثين سنة ، هدمت قريش الكعبة وبنتها ، لأنها كانت قد تضعضعت بالسيل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل معهم الحجارة .

فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختصموا ، فكل قبيلة تريد أن ترفعه ، حتى تواعدوا للقتال .

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم فى الدم ، وتعاقدوا على الموت . فسموا لَعَقَةَ الدم .

فمكثوا على ذلك ليالى ثم تشاوروا . فقال أبو أمية بن المغيرة ، وهو رأس قريش : اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد .

فكان أول من دخل عليهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال :

« هلموا ثوباً » فَأُتِىَ به ، فأخذ الركن ، فوضعه بيده ، ثم قال :

« لتَأْخُذْ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً » .

حتى إذا بلغوا به موضعه . وضعه بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُنزَل عليه ، الأمين .

أبوابُ نبوَّته

صلَّى الله عليه وسلَّم

الباب الأول

فى ذكر الهواتف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النَّضْر بن سفيان الهُذَلى ، عن أبيه قال :

خرجنا فى عِيرٍ لنا ، إلى الشام .

فلما كنا بين الزرقاء ، ومَعَان ، وقد عرَّسْنا(١) من الليل ، إذا بفارس يقول [وهو بين السماء(٢) والأرض] أيها النيَّام ، هُبُّوا ، فليس هذا بحين رُقاد ، قد خرج أحمد ، وطُرِّدتِ الجنُّ كل مَطْرد .

ففزعنا ونحن رُفقةٌ [حزاورة(٣)] كلهم قد سمع هذا .

فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش ، ونبى خرج فيهم ، من بنى عبد المطلب ، اسمه أحمد .

● عن محمد بن كعب القُرَظى قال : بينما عمر بن الخطاب قاعد فى المسجد ، إذْ مرَّ به رجل فى مؤخر المسجد .

---

(١) قال فى المصباح : « يقال عرس ، إذا نزل المسافر ليستريح نزلة ثم يرتحل قال أبو زيد : وقالوا : عرس القوم فى المنزل تعريساً : إذا نزلوا أى وقت كان من ليل أو نهار فالإعراس دخول الرجل بامرأته ، والتعريس نزول المسافر ليستريح .

(٢) ليست هناك أهمية علمية ولا عملية لهذا الباب ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى أن يؤيدها هاتف أو يتنبأ بها كاهن ، فهى تعتمد على حقائق الحياة وشهادة التاريخ . ومن هنا فإننا ننظر إلى هذه الأخبار التى أوردها المؤلف وتابع فيها مؤلفى السيرة على أنها طرائف ، لا يترتب عليها شىء .

(٣) من دلائل النبوة . والحزاورة : جمع حزور وهو الرجل القوى .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف المـارّ ؟

قال : من هو ؟ [قال : هذا] سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له شرَف وموْضع ، وهو الذى أتاه رئيه(١) يخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : علىّ به .

فدعا به فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

[قال : فأنت الذى أتاك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم](٢) .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

[فغضب غضباً شديداً ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد ، منذ أسلمت .

فقـال عمر : سبحان الله ، والله ما كنا عليه من الشرك ، أعظم مما كنت(٣) عليه من كهانتك] .

أخبرنى بإتيان رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

بينا أنا نائم ذات ليلة ، إذ أتانى آتٍ فضربنى برجله وقال :

قمْ يا سوادَ ابنَ قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

---

(١) الرَّئِيُّ : القرين من الجن .

(٢) من دلائل النبوة لأبى نعيم . وقد سقط من الأصل .

(٣) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، وهو سقط بالأصل .

إنه قد بعث رسول من لُؤَىّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .

ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوِى إلى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى مَا خَيِّرُ الْجِنِّ كَأَرْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إِلَى رَأْسِهَا

قال : فلم أرفع لقوله رأساً ، وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كان فى الليلة الثانية ، أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم ، واعقل ، إن كنت تعقل .

إنه قد بُعِثَ نبى من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .

ثم أنشأ الجنىُّ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتطلابها وَشَدِّهَا الْعِيسَ(١) بِأَقْتَابِهَا(٢)
تَهْوِى إلى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

قال : فلم أرفع لقوله رأساً وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

---

(١) العيس : بكسر العين الإبل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء بينة العيس بفتحتين ، ويقال : هى كرائم الإبل اهـ من المختار من الصحاح .

(٢) قال فى الصحاح : القتب : رحل صغير على قدر السنام ، وفى القاموس مثله .

إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وعبادته .

ثم أنشأ الجنى يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى ... مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فوقع فى قلبى حب الإسلام ، ورغبت فيه .

فلما أصبحت ، شددت على راحلتى ، وانطلقت متوجهاً إلى مكة .

فلما كنت ببعض الطريق ، أُخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة .

فقدمت المدينة فسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لى : فى المسجد .

فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتى ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله ، فقلت : تسمع مقالتى يا رسول الله . فقال لأبى بكر « أَدْنِهِ أَدْنِهِ » .

فلم يزل بى حتى صرت بين يديه .

فقلت : اسمع مقالتى يا رسول الله .

فقال : « هات . فأخبرنى بإتيانك رئيك » فقلت :

أَتَانِى نجيِّ(١) بَعْدَ هِدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُه كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ

---

(١) وتروى : رئي . والرئى : التابع من الجن .

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطَتْ بِي الذِّعْلِبُ(١) الْوَجْنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ(٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامى فرحاً شديداً ، حتى رُئِيَ الفرح فى وجوههم .

قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال :

كنت أحب أن أسمع هذا منك [فهل يأتيك رِئيك اليوم ؟

فقال : مذ قرأت القرآن فلا ، ونِعْم العوضُ كتاب الله من الجن](٣).

• عن جابر قال : إن أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة كان لها تابع من الجن فى صورة طائر ، فسقط على الحائط فقالت :

مالك لم تأت تحدثنا ونحدثك ؟

قال : إنه قد ظهر مَنْ منع القرار ، وحرم الزنا علينا .

• عن على بن حسين قال : كانت امرأة من بنى النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان ، ولها تابع من الجن .

---

(١) الذعلب : الناقة السريعة . والسباسب : جمع سبسب وهى الصحراء .
(٢) فى أعلام النبوة : يا خير من مشى .
(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة ١٠٥ . هذا والخبر أيضاً فى دلائل النبوة لأبى نعيم .

قال : فكان يأتيها ، فأتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وانقضّ على الحائط ، فقالت : مالك لم تأت كما كنت تأتي ؟

قال : قد جاء الذي يحرم الزنا والخمر .

● عن أبي هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : ألا أخبرك ببدء إسلامي ؟

بينا أنا في طلب نَعَم لي إذ جَنَّني الليل بأبْرق العزاف[١] فناديت بأعلى صوتي : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهائه .

وإذا هاتف يهتف بي :

عُذْ يا فَتَى بِاللهِ ذِي الجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَالنَّعْمَاءِ وَالإِفْضَالِ
وَاقْرَأْ بِآيَاتٍ مِنَ الأَنْفَالِ وَوَحِّدِ اللهَ وَلَا تُبَالِ

فقلت[٢] :

يَا أَيُّهَا الهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشَدٌ عِنْدَكَ أَمْ تَضْلِيلُ
بَيِّنْ لَنَا هُدِيتَ مَا السَّبِيلُ ؟

فقال :

هٰذَا رَسُولُ اللهِ ذُو الخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الجَنَّاتِ وَالنَّجَاةِ
يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَبِالصَّلَاةِ وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الهَنَاتِ[٣]

---

(١) أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

(٢) في دلائل النبوة : قال : فارتعت من ذلك روعا شديداً فلما رجعت إلى نفسي قلت .

(٣) اقتصر المؤلف على هذا ، ولم يكمل القصة ، وهي في دلائل النبوة .

● عن عبد الله العُمانى قال : كان فينا رجل يقال له مازن بن العَضُوبة يَسْدن صنما [بقرية يقال لها سمايا من عمان(١)] وكانت تعظمه قبائل .

قال مازن : فعترنا ذات يوم عند صنم عتيرة [وهى الذبيحة] فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

يَا مَازِنُ اسْمَعْ تُسَرّْ ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطَنَ شَرّْ ، بُعِثَ نَبِىٌّ مِنْ مُضَرْ ، [بدين الله الأكبر](٢) ، فَدَعْ نَحِيتاً مِنْ حَرِّ سَقَرْ .

قال : ففزعت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَىَّ أَقْبِلْ ، تَسْمَعْ مَا لَا تَجْهَلْ ، هَذَا نَبِىٌّ مُرْسَلْ ، جَاءَ بِحَقٍّ مُنْزَلْ فَآمِنْ بِهِ كَىْ تَعْدِلْ ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْعَلْ ، وَقُودُهَا بِالْجَنْدَلْ .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجب ، وإنه لخير يراد بى .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟

قال : ظهر رجل يقال له محمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعِىَ الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت .

فَثُرْتُ إلى الصنم فكسرته ، وركبت راحلتى ، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح لى الإسلام فأسلمت .

● عن رجل من خثعم قال : كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام .

فبينا نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه فى شىء قد وقع بيننا [أن يفرق بيننا(٢)] إذ هتف هاتف وهو يقول :

---

(١) ما بين القوسين من دلائل النبوة .

(٢) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، لأبى نعيم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَوُو الْأَجْسَامِ .
وَمُسْنِدُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ .
مَا أَنْتُمُ وَطَائِشُ الْأَحْلَامِ .
هَـذَا نَبِيٌّ سَيِّدُ الْأَنَامِ .
أَعْدَلُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْحُكَّامِ .
يَصْدَعُ بِالنُّورِ وَبِالْإِسْلَامِ .
وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ .
مُسْتَعْلِنٌ(١) فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

ففزعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً .

حتى بَلَغَنَا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة ، ثم قدم المدينة ، فجئت فأسلمت .

● عن تميم الدارى قال : كنتُ بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى بعض حاجتى ، فأدركنى الليل .

فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة .

قال : فلما أخذت مضجعى إذا أنا بمنادٍ ينادى لا أراه :

عُذْ بالله فإن الجن لا تجير أحداً على الله تعالى ، قد خرج الرسول الأمين ، رسول الله ، وصلينا خلفه بالحَجُون(٢) وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورميت بالشهب ، فانطلِقْ إلى رسول رب العالمين ، فأَسْلِمْ .

---

(١) أى : ظاهر أمره .

(٢) قال فى المختار من الصحاح : الحجون : بفتح الحاء ، جبل بمكة وهى مقبرة

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخوصَ ، حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن خويلد الضمري قال :

كنا عند صنم جلوساً ، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح :

ذهب اسْتِرَاقُ الوحي ، ورُمِيَ بالشُّهُبِ لنبي مكة ، اسمه أحمد ، مهاجَره إلى يثرب ، يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصلات للأرحام .

فقمنا من عند الصنم فسألنا قالوا : خرج نبي من مكة اسمه أحمد .

● عن جبير بن مطعم قال : كنا جلوساً عند صنم ببوانة قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، نحرنا جزوراً .

فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا العجب ، ذهب استراق الوحي ، ورمي بالشهب لنبي بمكة ، اسمه أحمد ، مُهَاجَره(١) إلى يثرب .

فأمسكنا وعجبنا . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن العباس بن مرْداس قال لما حضرت أبي الوفاة ، أوصاني بصنم له يقال له ضَمَار(٢) . فجعلته في بيت . وكنت آتيه كل يوم مرة .

فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا من جوف الليل راعني ، فوثبت إلى ضمار مستغيثاً فإذا بالصوت من جوف وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيـلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا   هَلَكَ الْأَنِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

---

(١) أي : موضع هجرة . و « يثرب » هي المدينة المنورة .

(٢) الأصل : ضماد . وما أثبته رواية ابن هشام .

أَوْدَى(١) ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً   قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى   بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

فكتمتُه الناس . فلما رجع الناس من الأحزاب ، سمعت صوتا فى منامى يقول : النور الذى وقع ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء .

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت .

• عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع . بالمعلاة ، تدين له هذيل ، وبنو ظُفَر من سُلَيم .

فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية بنى سُليم إلى سواع .

قال : فأتيته فألقيته مع الفَجْر إلى صنم قبل سُوَاع ، فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العَجَبُ كلَّ العجب ، من خروج نبى من عبد المطلب ، يحرِّم الزنا والربا والذبح للأصنام ، وحرست السماء ورُمِينا بالشُّهُب .

ثم هتف صنم آخر من جوفه : تُرِكَ الضِّمار ، وكان يُعْبد ، خرج النبى محمد ، يصلى الصلاة ، ويأمر بالزكاة والصيام والبر ، والصلات للأرحام .

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى   بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
نَبِيٌّ يُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ وَبِمَا يَكُونُ فِي غَدِ

قال راشد : فألقيت عند سُوَاع ، ثعلبين مع الفجر يلحسان ما حوله ، ويأكلان ما يُهْدَى ، ثم يعوجان عليه ببولهما .

فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانِ بِرَأْسِهِ   لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ !

وذلك عند مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أودى : أى : أهلك .

البابُ الثاني

في ذكر إعلام الوحش بنبوته

• عن أبي عمرو الهُذَلي قال : حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له سُوَاع ، وقد سُقْنا إليه الذبائح .

فكنت أولَ من قرّب إليه بقرة سمينة ، فذبحتها على الصنم .

فسمعنا صوتاً من جوفها [يقول] : العجبُ كلّ العجب ، خروج نبي بين الأخاشب ، يحرّم الزنا ويحرم الذبح للأصنام . وحُرِسَتِ السماء ورُمينا بالشُّهب .

فتفرقنا ، فقدمنا مكة ، فسألنا ، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق .

فقلت : يا أبا بكر ، أخرج أحد بمكة ، يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟

قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر .

فقال : نعم ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا .

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ . فأسلمنا بعده .

• عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ، ونحن في غزوة رودس يقال له ابن عنبس قال :

كنت أسوق بقرة لآل لنا ، فسمعت من جوفها .

يا آل ذريح : قول فصيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال : فقدِمْنا مكة ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة .

● عن أبى هريرة(١) قال : جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى ، حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تل فأَقْعَى (٢) واستوفز(٣) وقال :

عمدت إلى رزق رزقنيه الله تعالى انتزعته منى ؟

فقال الرجل : بالله إن رأيتُ كاليوم ، ذئبٌ يتكلم !

قال الذئب : أعجبُ من هذا رجل فى النخلات ، بين الحرّتين ، يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم .

وكان الرجل يهودياً(٤) فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقه النبي .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها أمارة من أمارات الساعة ، أوشك الرجلُ أن يخرج فلا يرجع ، حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدَث أهله بعده .

---

(١) رواه الماوردى فى أعلام النبوة ٨٤ عن أبى سعيد الخدرى .
(٢) « أقعى » أى : جلس على أسته (طيزه) مفترشاً رجليه ، ناصباً يديه .
(٣) « واستوفز » محرفة بالأصل : واستدفر . قال فى الصحاح : « استوفز فى قعدته » إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن .
(٤) ذكر فى أعلام النبوة أن الراعى كان يدعى عميراً السطائى ، وأنه سمى بعد ذلك مكلم الذئب .

الباب الثالث

فى ذكر أمارات النبوة التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه

● عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبعاً[1] يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمان سنين يوحى إليه .

● عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصادقة فى النوم .

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ، حتى فجأه الحق ، وجاءه الملك .

● عن أبى ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه ، يا محمد .

فإذا سمع الصوت ، انطلق هارباً .

فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال :

يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء .

إنى إذا برزت ، أسمع شيئاً ينادى ، فلا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً .

---

(١) الأصل: سبع ، وما أثبته من المواهب .وفيها : وثمان وستين يوحى إليه . وهو تحريف .

فقالت : ما كان الله ليفعل ذلك بك .

فأسرّت ذلك إلى أبي بكر . وكان نديماً له في الجاهلية .

فأخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى ورقة .

فقال : وما ذاك ؟ فحدثه بما حدثته به خديجة .

فأتى ورقة ، فذكر ذلك له .

فقال له ورقة : هل ترى شيئاً ؟

قال : لا . ولكني إذا برزت سمعت النداء ، ولا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً ، فإذا هو عندي ينادي .

قال : فلا تفعل ، إذا سمعت النداء فاثبت له ، حتى تسمع ما يقول لك .

فلما برز سمع : يا محمد . قال : لبيك .

قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :

ثم قال : قل : الحمد لله رب العالمين ، حتى فرغ من فاتحة الكتاب .

ثم أتى ورقة ، فذكر ذلك له فقال :

أبشر ، ثم أبشر ، ثم أبشر ، أشهد أنك أنت أحمد ، وأنا أشهد أنك محمد ، وأنا أشهد أنك رسول الله ، يوشك يوشك أن تؤمر بالقتال .

وإن أمرت بالقتال ، وأنا حيّ فَلَأُقَاتِلَنّ معك .

فمات ورقة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت القَس في الجنة ، عليه ثياب خضر .

الباب الرابع

فى ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

● عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنى لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » .

● عن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة . فخرجنا فى بعض نواحيها ، خارجاً من مكة ، بين الجبال والشجر ، فلم يَمُرَّ بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

● عن جابر بن سَمُرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كانت ليالى بُعِثْتُ ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .

● عن برّة قالت : لما ابتدأ الله تعالى محمداً بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته ، أبعد حتى لا يرى بيتاً ويُفْضِي إلى الشِّعاب(١) والأودية(٢) ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .
فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

---

(١) قال فى المصباح « الشعب » بكسر الشين : الطريق . وقيل : الطريق فى الجبل ، والجمع « شعاب » .

(٢) « الأودية » قال فى المصباح : مفرده « الوادى » وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل .

الباب الخامس

في ذكر بدء الوحي

● عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم .

فكان لا يرى رؤيا ، إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء .

فكان يأتي غار حِرَاء ، يتحنَّث فيه(١) وهو التعبد ، الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها .

حتى فجأه الحق وهو غار(٢) .

فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : « ما أنا بقارئ » .

فأخذني فغطني(٣) حتى بلغ مني الجَهْد(٤) ثم أرسلني(٥) فقال : اقرأ .

فقلت : « ما أنا بقارئ » .

فأخذني فغطني الثانية . حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : « ما أنا بقارئ » .

---

(١) البخاري : وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه .
(٢) البخاري : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .
(٣) يعني : ضمَّني ضمة شديدة حتى بلغ التعب مني نهايته .
(٤) يستفاد من استقراء المعاجم أن الجهد – بفتح الجيم – معناه : غاية المشقة والتعب وهو المراد هنا .
(٥) أي : أطلقني من يديه .

فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال :
« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » حتى بلغ « مَا لَمْ يَعْلَمْ[١] » .
فرجع بها ترجف بوادره[٢] حتى دخل على خديجة فقال :
زملونى ، زملونى .

فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع[٣] . فقال : يا خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر .

قال : قد خشيت على نفسى .

فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك[٤] الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتَصْدق الحديث ، وتَحمل الكَلّ[٥] وتَقْرِى[٦] الضيف ، وتُعين على نوائب[٧] الحق .

---

(١) سورة العلق (١ — ٥) .

(٢) البخارى : فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة .

(بوادره) قال فى الصحاح « والبوادر » من الإنسان وغيره . اللحمة التى بين المنكب والعنق ، ومنه قول الشاعر حاتم :

وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحْمَرًّا بَوَادِرُهَا   بِالْمَاءِ تَسْفَحُ مِنْ لَبَّاتِهَا الْعَلَقُ . ا هـ

ومثله فى القاموس .

(٣) الروع : بفتح الراء : الفزع . ا هـ . من المختار من الصحاح .

(٤) لا يخزيك . أى لا يُذِلُّك الله ولا يهينك ولا يوقعك فى شدة .

(٥) قال فى الصحاح : الكل العيال والثقل ، قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ) والكَلّ أيضاً : اليتيم . والكل : الذى لا ولد له ولا والد . والمراد هنا : أنت تساعد من وقع فى ضائقة . (٦) تقرى الضيف : تحسن إليه .

(٧) قال فى المختار من الصحاح : النائبة : المصيبة . واحدة من نوائب الدهر ، والمراد هنا . تساعد من وقع فى المصائب .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقةَ بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرءاً تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى[(١)] وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيه جَذعا : ليتنى أكون حيًّا حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَمُخرِجِىَّ هم ؟

قال نعم ، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِى .

وإن يدركنى يومك ، أَنْصُرْكَ نصراً مؤزَّراً[(٢)] .

ثم لم يَنْشَب[(٣)] ورقة أن توفى .

وفتر الوحى حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدَا منه مراراً كى يتردَّى[(٤)] من رءوس شواهق[(٥)] الجبال .

فكلما أَوْفَى بذِرْوة[(٦)] جبل لكى يلقى نفسه منه تبدَّى[(٧)] له جبريل

---

(١) كذا بالأصل : العربى وهى رواية ، وفى البخارى : وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .

(٢) مؤزراً . أى : نصراً قوياً .

(٣) أى : لم يلبث ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة .

(٤) أى : يرمى نفسه . (٥) شواهق الجبال . أى : الجبال العالية .

(٦) أوفى بذروة جبل . أى : كلما أشرف ووصل إلى رأس جبل .

(٧) تبدى . أى : ظهر .

عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن(١) بذلك جأشه(٢) وتقرّ نفسه فيرجع .

فإذا طال عليه فترة الوحى غَدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال مثل ذلك .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى . فقال فى حديثه(٣) : فبينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاء فى حراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجثيت(٤) منه رعباً(٥) ، فرجعت فقلت : زمّلونى(٦) . فدثرونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) .

أخرجاه .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال ورقة ، لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : « سبوح سبوح ، وما لجبريل يذكر فى هذه الأرض التى تعبد فيها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ، بينه وبين رسله .

---

(١) أى : فتهدأ نفسه مما أصابها من الفزع .

(٢) قال فى القاموس (الجأش) رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . ونفس الإنسان ، والمراد على هذا (فيهدأ قلبه بزوال الفزع) .

(٣) البخارى : قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه : بينا ... ويبدو أنه سقط منها ما هو موجود هنا من نسبة القول إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى جلست على ركبتى . (٥) البخارى : فرعبت منه .

(٦) أى : لفونى وغطونى فى ثوبى .

اذهبى به إلى المكان الذى رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه ، فتحسَّرِى[1].

فإن يكن من عند الله ، لا يراه » ففعلت .

قالت : فلما تحسَّرت تغيَّب جبريل فلم يره ، فرجعت فأخبرت ورقة .

قال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى لا يعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، إلا بالثمن .

ثم قام ورقة ينتظر الدعوة .

● عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟

فقال : نعم .

فقالت : إذا جاءك ، فأخبرنى .

قالت خديجة : فجاءه جبريل ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة هذا صاحبى الذى يأتينى قد جاء .

فقلت : قم فاجلس على فخذى . فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

فقلت : تحوّل فاجلس على فخذى اليسرى ، فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت خديجة : فطرحت خمارى .

فقلت : هل تراه ؟ فقال : لا .

فقلت : هذا ، والله ، مَلَكٌ كريم ، ما هو شيطان ، لا والله .

---

(١) فتحسرى . أى : ألقى عن رأسك الغطاء .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع : السلام عليك .

قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ، فسجّتنى ثوباً(١) وقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها .

فقالت : أبشر ، فإن السلام خير .

قال : ثم خرجت مرة أخرى ، فإذا بجبريل على الشمس ، جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب .

قال : فَهِلْتُ(٢) منه فجئت مسرعاً ، فإذا هو بينى وبين الباب ، فكلمنى حتى أنست به .

ثم وعدنى موعداً فجئت له ، فأبطأ علىّ فرأيت أن أرجع .

فإذا أنا به ، وميكائيل ، قد سدّ الأفق .

فهبط جبريل فسلقنى(٣) لِحَلاَوة القفا(٤) ثم شق على قلبى فاستخرجه ، ثم استخرج منه ما شاء أن يستخرج ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأَمَه ، ثم ختم فى ظهرى . فقال :

« إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » .

---

(١) فسجتنى ثوباً . أى : مدت على ثوباً غطتنى به .

(٢) فهلت : ك « وجلت » وزناً ومعنى أى : خفت . كما يستفاد من الصحاح .

(٣) فسلقنى . أى : ألقانى على ظهرى .

(٤) قال فى الصحاح : حلاوة القفا بضم الحاء . أى : على وسط القفا . وكذلك حلاوى القفا وحلاواء القفا . إذا فتحت (أى الحاء) مددت وإذا ضممت قصرت .

فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

حتى دخلت على خديجة . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

• عن عبيد(١) قال : كيف [كان] بدء [ما] ابتدأ الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل ؟

فقال عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنَّثُ به قريش فى الجاهلية .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور الشهر من كل سنة ، يُطْعِمُ من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر ، كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل أن يدخل بيته ، يطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله [به] فيه [ما أراد] من كرامته برسالته ، والسَّنة(٢) التى بعثهُ الله فيها نبياً ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله .

حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل من الله تعالى .

---

(١) الخبر رواه ابن إسحاق قال : وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل . قال : فقال عبيد .

(٢) ابن كثير : من السنة .

قال ابن إسحق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ .

قلت : وما أقرأ ؟ فغطّنى حتى ظننت أنه الموت ، قال ذلك ثلاثاً .

ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود ، فقال : (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) .

• عن ابن البراء قال : بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت ، وليلة الأحد .

ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى حراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل (« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » إلى قوله ـ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فقط .

ثم لحص(١) بعقبه الأرض،فنبع منها ماء ، فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين.

(١) لحص . أى . ضرب .

الباب السادس

فى ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

• عن أسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه فى أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة .

فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من ماء ، فنضح بها فرجه .

قلت : لم يذكر كيفية الصلاة فى هذا الحديث ، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال : « ركعتين » .

• وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله على المسلمين فى أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشىّ ، ثم فرض الخمس فى ليلة المعراج .

وقد جاء فى حديث : أنه صلى عند زوال الشمس فى أول النبوة .

• وقال علماء التفسير : نزلت سورة « المزمل » بمكة .

فكان قيام الليل فرضاً عليه .

فكان يقوم ، ومعه طائفة من المؤمنين ، فشقّ ذلك عليه وعليهم .

فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ »(١) .

---

(١) سورة المزمل الآية ٢٠

• وقال عطاء بن يسار ومقاتل بن سليمان : نزل قوله : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » بالمدينة . والأول أصح .

وقال قوم : نُسخ قيام الليل فى حقه بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ »(١) ونسخ فى حق المؤمنين بالصلوات الخمس .

وقيل : نسخ عن الأمة ، وبقى فَرْضُه عليه .

وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم .

• قال ابن عباس : كان بَيْن نزول أول المزمل وآخرها ، سنةٌ .

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

الباب السابع

فى ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بداية النبوة بخديجة وعلى عليهما السلام

● عن ابن عفيف الكندى عن أبيه عن جده قال :

كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت للحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ، لأبتاع منه بعض التجارة .

قال : إنى ، فوالله ، لَعِنْدَهُ بـ « مِنَى » إذا رجل خرج من خباء(١) قريب منه ينظر إلى الشمس ، فلما رآها ، قام يصلى .

ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ، الذى خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلى .

ثم خرج غلام حين راهق الحلمُ من ذلك الخباء ، فقام معه يصلى .

قال : فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟

قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخى .

قلت : من هذه المرأة ؟

قال : امرأته خديجه بنت خويلد .

فقلت : من هذا الفتى ؟

---

(١) بيت من صوف أو وبر ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة اهـ . من المختار والصحاح .

قال : على بن أبى طالب ابن عمه .

قلت : فما هذا الذى يصنع ؟

قال : يصلى ، وهو يزعم أنه نبى ، ولم يتبعه على أمره ، إلا امرأته وابن عمه ، هذا الفتى .

وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقيصر !

وكان عفيف ، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول ـ وأسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه ـ : لو(١) أن الله رزقنى الإسلام يومئذ ، فأكون ثانياً مع علىٍّ ابن أبى طالب رضى الله عنه !

---

(١) « لو » هنا : للتمنى على حد قوله تعالى (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) سورة الشعراء الآية ١٠٢

الباب الثامن

فى صفة نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ ، فيفصم[١] عَنِّى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فأعِى ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد[٢] عرقا .

● عن يَعْلى بن أمية أنه كان يقول لعمر بن الخطاب :

ليتنى أرى نبى الله حين يوحى إليه .

فلما كان بالجِعْرانة[٣] وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به ، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر .

إذ جاءه رجل عليه جبة متضمخة بطيب ، فقال : يا رسول الله ، كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ما تضمَّخ بطيب ؟

---

(١) فيفصم ، أى : ينقطع عنى كما يستفاد من القاموس .

(٢) يتفصد : أى يسيل من جبينه العرق ، كما يستفاد من القاموس .

(٣) والجعرانة : بكسر الجيم وتشدد الراء . وقال الشافعى : التشديد خطأ . اسم موضع بين مكة والطائف اهـ قاموس .

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ، ثم سكت فجاءه الوحى .

فأشار عمر إلى يعلى : تعالَ .

فجاءه يعلى ، فأدخل رأسه . فإذا النبى صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط كذلك ، فمكث كذلك ساعة .

ثم سُرِّىَ عنه ، فقال : أين الذى سألنى عن العمرة آنفاً ؟

فالتُمِسَ الرجل فَأُتِىَ به فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« أما الطيبُ الذى بك ، فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة ، فانزعها ، ثم اصنع فى عمرتك ما تصنع فى حَجِّك » .

هذا والذى قبله فى الصحيحين(١) .

● عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إنى قاعد إلى جنب النبى صلى الله عليه وسلم يوماً ، إذ أُوحِىَ إليه .

قال : وغشيته السكينة ، فوقع فخذه على فخذى ، حين غشيته السكينة .

قال زيد : فلا والله ، ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم سُرِّىَ عنه قال : اكتب يا زيد .

● عن زيد بن ثابت قال :

كان إذا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة ، أخذه من الشدة والكرب على قَدْر شدة السورة .

وإذا أنزلت عليه السورة اللينة ، أصابه من ذلك على قَدْر لينها .

---

(١) رواية البخارى ومسلم مخالفة لما هنا باختصار ، وتقديم وتأخير .

● عن زيد بن ثابت قال : كان إذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثَقُل لذلك وتحدَّر(١) جبينه عرقاً ، كأنه الجمان(٢) ، وإن كان فى البرد .

● عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمع عند وجهه كَدوِىّ النحل .

● عن عبد الله بن عمرو قال : سألتُ النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك . فما من مرة يوحى إلىّ [إلا] وظننت أن نفسى تُقبض .

● عن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مرّ به عثمان بن مَظْعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى .

فجلس رسول الله صلى الله علية وسلم مُستقبَلَهُ .

فبَيْنما هو يحدثه ، إذ شخَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ بعضُ بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض .

فتحرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه ، عن عثمان ، إلى

---

(١) تحدر : أى : سال العرق من جبينه .

(٢) قال فى المختار من الصحاح الجمانة : حبة من الفضة كالدرة وجمعه جمان اهـ والمعنى : كأن قطرات العرق فى بياضها كحبات الفضة .

جنب وضع بصره فأخذ ينفض رأسه ، كأنه يستفهم ما يقال له ، وابن مظعون ينظر .

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، كما شخص أول مرة ، وأتبعه بصره حتى توارى في السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك ؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة !

قال : وما الذى رأيتنى فعلتُ ؟

قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك .

فتحرفت إليه وتركتنى ، فأخذت تنفض رأسك ، كأنك تستفقه شيئا يقال لك .

قال : وفطنت لذلك ؟ قال عثمان : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى رسول الله آنفا وأنت جالس » .

قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟

قال : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل الآية ٩٠) .

قال عثمان : فذلك حين استقرّ الإيمان فى قلبى ، وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم .

• عن أسماء بنت يزيد قالت : إنى لآخذةٌ بزمام العَضْباء ، ناقة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت ـ من ثقلها ـ تدق عضد الناقة .

• عن عُبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحى كَرِب له ، وتربَّد(١) وجهه .

• عن أبى أرْوَى الدّوسى قال : رأيت الوحى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته ، فترغو وتفتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها ينقصم ، فربما بركت ، وربما قامت مؤبدة يديها ، حتى يُسَرَّى عنه ، من ثقل الوحى ، وإنه ليتحدر منه ، مثلُ الجمان .

• عن عكرمة قال : كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقد لذلك ساعة ، كهيئة السكران .

• عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى ، صِدع فغلف رأسه بالحناء(٢) .

قال ابن عقيل : إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الجنون ، لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدة .

ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين ذلك وبين إغماء الجنون ، فإن أثر ما كان يجرى له بيان الصواب والحق ، بخلاف إغماء الجنون .

---

(١) تربد : أى تغير لون وجهه حتى يشتد احمراره كما يستفاد من المعاجم .

(٢) ذكر ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جداً .

وهذا الذى تلمَّحتِه خديجة فقالت : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتُصدُقُ الحديث ، وتعين على نوائب الحق .

قال ابن عقيل : فإن قال قائل : ما كان يجرى عليه من البرحاء(١) حين نزول الوحى هل ينقضَ وضوءه ؟

فالجواب : لا ، لأنه كان محفوظاً فى منامه ، تنام عيناه ولا ينام قلبه .

فإذا كان النوم الذى يستطلق فيه الوكاء ، لا ينقض وضوءه ، فالحالة التى أكرم فيها بالمسارّة والإلقاء إلى قلبه الهدَى ، أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى .

---

(١) معنى البرحاء هنا : الشدة والثقل .

الباب التاسع

في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة في نبوته

• عن عامر قال : نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فقُرِن بنبوته ، إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل من القرآن على لسانه .

فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه .

• عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرافيل ، ثلاث سنين .

ثم عزل عنه إسرافيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة ، وعشر سنين مهَاجَرَه بالمدينة .

قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر(١) فقال :

ليس يَعْرِف أهل العلم ببلدتنا ، أن إسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون :

لم يُقْرَن به إلا جبريل ، من حين أنزل عليه الوحي ، إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو الواقدى ، وكان محمد بن سعد كاتبه .

الباب العاشر

فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آيه تقوى ما عنده

● عن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بالحجُون فقال : « اللهم أرنى آية ، لا أبالى من كذَّبنى بعدها من قريش » .

فقيل له : ادع هذه الشجرة .

فدعاها ، فأقبلت على عروقها ، فقطعها .

ثم أقبلت تخدُّ(١) الأرض ، حتى وقَفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : ما تشاء ما تريد ؟

قال : ارجعى إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها .

فقال : « والله ما أبالى من كذبنى من قريش » .

● عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة .

فقال له مالك ؟ قال : فعل بى هؤلاء وفعلوا .

فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم .

قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال : ادع تلك الشجرة .

فدعاها ، فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه .

فقال : مُرْها فلترجع . فأمرها ، فرجعت إلى مكانها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَسْبى .

---

(١) تخد : تشق .

الباب الحادي عشر

فى رمى الشياطين بالشهب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وتنكيس الأصنام

● عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب .

فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث .

فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث .

فانطلقوا ، فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء .

قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَخْلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن ، تسمّعوا له فقالوا :

هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء .

فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا :

« يا قَوْمَنَا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (سورة الجن الآية ١ و ٢) » .

وأنزل الله تعالى على نبيه : « قُلْ أُوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن » .

• عن ابن عباس قال : لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم زُجِر الجن ورُمُوا بالكواكب .

وكانوا قبل ذلك يسمعون ، ولكل قبيل من الجن مَقْعد يستمعون فيه .

فأول ما فزع لذلك أهل الطائف ، فجعلوا يذبحون لآلهتهم ، من كان له إبل ، أو غنم ، كل يوم ، حتى كادت أموالهم تذهب ، ثم تناهوا ، وقال بعضهم لبعض :

أما ترون معالم السماء كيف هى لم يذهب منها شيء ؟

وقال إبليس : هذا أمر حدث فى الأرض ، إيتونى من كل أرض بتربة .

فكان يؤتى بالتربة فيشمها ويلقيها ، حتى أُتِيَ بتربة تهامة ، فشمها وقال : هاهنا الحدث .

• عن يعقوب بن الأخنس قال : إن أول العرب فزع لِرَمْي النجوم ، ثقيف وأتوا عمرو بن أمية فقالوا : ألم تر ما حدث ؟ !

قال : بلى ، فانظروا .

فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها ، ويعرف بها أنواء الصيف والشتاء ، فهو طَيُّ الدنيا ، وذهاب هذا الخَلْق الذى فيها .

وإن كانت نجوماً غيرها ، فأمرٌ أراد الله بهذا الخلق ، ونبي يبعث فى العرب . فقد تُحُدِّث بذلك .

• عن أُبَيِّ بن كعب قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رفع عيسى بن مريم ، حتى تنبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تنبأ رُمِيَ بها .

فرأت قريش أمراً ، لم تكن تراه .

فجعلوا يسيِّبون أنعامهم ، ويعتقون أرقاءهم ، يظنون أنه الفناء .

فبلغ ذلك مِن فعلهم أهلَ الطائف ، ففعلت ثقيف مثل ذلك .

فبلغ عبدَ ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال : ولم فعلتم ما أرى ؟

قالوا رُمِيَ بالنجوم ، فرأينا أنها تَهافَتُ من السماء .

قال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجَلوا وانظروا .

فإن تكن نجوماً تعرف ، فهو عند فناء الناس .

وإن تكن نجوماً لا تعرف ، فهو عند أمر حدث .

فنظروا ، فإذا هي لا تُعْرف ، فأخبروه فقال :

الأمر فيه مُهْلة بعدُ ، هذا عند ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ، فجاء عبد ياليل ، فتذاكروا أمر النجوم .

فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله ، يدَّعِي أنه مرسل .

قال عبد ياليل : فعند ذلك رُمِيَ بها .

● عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحْرَسُ فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، كانوا يقعدون منها [مقاعد] للسمع .

فلما بعث الله محمداً صلى الله علية وسلم حُرِسَتِ السماء حرساً شديداً ، ورجمت الشياطين ، وأنكروا ذلك فقالوا : لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (سورة الجن الآية ١٠) » .

فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال :

تفرقوا فى الأرض ، وأخبرونى ، ما هذا الذى حدث فى السماء ؟

وكان أول رَكْب بُعِثَ من أهل نصيبين ، وهم أشراف الجن ، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا ، حتى بلغوا وادى نَخْلة .

فوجدوا نبى الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة .

فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا : أنصتوا .

• قال وهب بن منبِّه : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ، ويتقلب فيهن كيف شاء ، لا يُمنع منذ أخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى ، فحينئذ حجب من أربع سموات ، فصار يتردد فى ثلاث سموات .

فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث ، فصار هو وجنوده يسترقون السمع ، ويقذفون بالكواكب .

* * *

• عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين إبليس ، فقالت : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكوساً .

قال : هذا نبى قد بُعِث ، فالتمسوه فى قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه .

فخرج يلتمسه فنودى : عليك بجبة القلب مكة .

فالتمسه فوجده عند قرن الثعالب . فخرج إلى الشياطين فقال :

قد وجدته ، معه جبريل فما عندكم ؟

قالوا : نُزَيِّن الشهوات فى أعين أصحابه ، ونحبِّبها إليهم .

قال : فلا آسَى (١) إذن .

---

(١) « فلا آسى » أى : فلا أحزن .

الباب الثانى عشر

فى ذكر ما وقع من التغير فى أحوال كسرى المسمى أبرويز عند مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام

كانت دجلة تجرى قديماً فى أرض خوجى فى مسالك محفوظة ، إلى أن تصب فى بحر فارس .

ثم غُوِّرتْ وجرَتْ صَوْب واسط .

فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم ، أموالا كثيرة ، ولم يثبت السد .

فلما ولى قباذ بن فيروز ، انبثق فى أسافل كسكر بَثْقٌ عظيم ، وغلب الماء ، فأغرق عمارات كثيرة .

فلما ولى أنوشروان بَنَى مُسَنَّيات(١) .

فعاد بعض تلك العمارة ، وبقيت على ذلك ، إلى أن ملك أبرويز ابن هرمز بن أنوشروان ، وكان من أشد القوم بطشا ، وتهيأ له ما لم يتهيأ لغيره .

فسكر(٢) دجلة العوراء ، وأنفق عليها مالا يحصى .

وبنى طاق مجلسه ، وكان يعلق فيه تاجه ، ويجلس ، والتاج فوق رأسه معلق ، من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

---

(١) المسنياته : جمع مسناة وهو السد .

(٢) السكر بفتح السين : سد النهر .

قال وهب بن منبه : وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة ، والحزاة : العلماء ، من بين كاهن ، وساحر ، ومنجم .

وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف(١) اعتياف العرب ، قلَّما يخطىء . بعث [به] إليه باذان من اليمن .

فكان كسرى إذا حزبه(٢) أمر جمع كهانه وسحرته ومنجميه فقال : انظروا فى هذا الأمر ما هو .

فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة وقد انفصمت طاق(٣) ملكه من وسطها(٣) .

فلما رأى ذلك أحزنه وقال :

انفصم طاق ملكى ، وانخرقت دجلة العوراء « شاه بشكست » يقول : الملك انكسر .

ثم دعا كهانه وسحرته ، ومنجميه ، ودعا السائب معهم ، فأخبرهم بذلك .

وقال : انظروا فى ذلك الأمر .

فنظروا ، فأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا(٤) فى علمهم ، ولم يمض لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا لمنجم علم نجومه .

---

(١) يعتاف ـ كما يستفاد من القاموس ـ أى : يزجر الطير ويتكهن بها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتتسعد أو تتشأم .

(٢) قال فى القاموس : حزبه الأمر ، نابه واشتد عليه أو ضغطه .

(٣) الكامل : أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه أى : انكسر من غير ثقل .

(٤) « تسكعوا » أى تحيروا فى علمهم . كما يستفاد من القاموس .

وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق[١] برقا نشأ من أرض الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق .

فلما أصبح ، ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه ، فإذا روضة خضراء .

فقال فيما يعتاف[٢] : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب ، تخصب عنه الأرض ، كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله .

فلما اجتمعت الحزاة ، قال بعضهم لبعض :

والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء ، وإنه لنبى قد بعث ، أو هو مبعوث يَسْلب هذا الملك ويكسره .

ولئن نعيتم لكسرى ملكه ، ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه .

فجاءوا كسرى فقالوا له : إنا نظرنا فى هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حِسابهم طاق ملكك ، وسَكرت[٣] دجلة العوراء ، وضعوه على النحوس ، وإنا سنحسب لك حسابا ، تضع عليه بنيانك فلا يزول .

قال : فاحسبوا . فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبناه .

فعمل فى دجلة ثمانية أشهر ، وأنفق فيها من الأموال مالا يُدرى ما هو .

حتى إذا فرغ قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم .

فأمر بالبسط والفرش والرياحين ، فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة ، فجمعوا له .

---

(١) الكامل : على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقا .

(٢) يعتاف : يتكهن .

(٣) السكر بفتح السين : سد النهر .

وجمع اللعّابون ، ثم خرج حتى جلس عليها .

فبينا هو هنالك ، انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج إلا بآخر رمق .

فلما أخرجوه ، قتل من الحزاة ، قريباً من مائة وقال : تلعبون بى ؟

قالوا : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ، ولكنا سنحسب لك حسابا ، حتى تضعها على الوفاق من السعود .

قال : انظروا ما تقولون ، قالوا : فإنا نفعل .

فحسبوا له ثم قالوا له : ابنه .

فبنى وأنفق من الأموال مالا يدرى ما هو ، ثمانية أشهر ثم قال :
أَأَخرج فأقعد ؟ قالوا : نعم .

فركب برذونا له ، وخرج يسير عليها ، إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم يدرك إلا بآخر رمق ، فدعاهم فقال :

والله لأمرنّ على آخركم ولأتْرُعنّ أكتافكم ، ولأطرحنكم بين أيدى الفيلة ، أو لتَصْدُقُنىِّ ، ما هذا الأمر الذى تلفقون علىّ ؟

قالوا : لا نكذبك ، أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانفصمت طاق مجلسك ، أن ننظر فى علمنا ، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم لعالمنا علمه .

فعرفنا أن هذا ، لأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبى ، أو هو مبعوث ، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا .

فخشينا إن نعَيْنا مُلْكك أن تقتلنا فعللناك على أنفسنا بما رأيت .

فتركهم ولهى عنهم وعن دجلة حين غلبته .

• وقال ابن إسحاق : كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى ، أنه كان سَكَّر دجلة العوراء ، وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو . وذكر الحديث الذى سقناه بعينه(١) .

• وقال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟

قال : بعث الله إليه ملكا ، فأخرج يده من سور بيته الذى هو فيه تَلَأْلَأُ(٢) نورا . فلما رآها فزع .

قال : لم تفزع يا كسرى ؟

إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، فاتبعه، لتسلم دنياك وآخرتك .

قال : سأنظر .

• وقال ابن إسحاق(٣) : بعث الله مَلَكًا إلى كسرى ، وهو فى بيت من بعض بيوت إيوانه الذى لا يُدْخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه(٤) إلا هو ، قائما على فراشه(٥) فى يده عصا بالهاجرة فى الساعة التى كان يقيل فيها .

فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بَهَل بَهَل .

---

(١) ، (٣) لم يذكر ابن هشام هذا الخبر .

(٢) أى : تتلألأ بحذف التاء الأولى على حد قوله تعالى « فأنت عنه تلهى » أى تتلهى .

(٤) أى : لم يُخِفْهُ .

(٥) الكامل : قائماً على رأسه .

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل علىّ ؟ قالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيناه .

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التى أتاه فيها فقال له كما قال له .

ثم قال : أتُسْلِم أو أكسر هذه العصا ؟ قال : بهل بهل .

فخرج عنه فدعا كسرى حُجَّابه وبوّابيه ، فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة .

قالوا : ما رأينا أحدًا دخل عليك .

حتى إذا كان فى العام الثالث ، أتاه فى الساعة التى جاءه فيها ، وقال كما قال له ثم قال له : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال بهل بهل .

قال : فكسر العصا ثم خرج . فلم يكن إلا أن تهوّر ملكه .

● قال الزهرى : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبى سلمة قال : ذكر لى أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين فى يديه ثم قال : أسلم . فلم يفعل .

فضرب إحداهما بالأخرى فرضّهما ثم خرج .

فكان من هلاكه ما كان .

● عن خالد بن ويدة ، وكان رأسا فى المجوس ، ثم أسلم قال :

كان كسرى إذا ركب ، ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة : أنت عبد ولست برب .

فيشير برأسه : أى نعم .

قال : فركب يوماً فقالا له ذلك ، فلم يُشِرْ برأسه ، فعلم ذلك صاحب شرطته فأتاه ليعاتبه ، وكان كسرى قد نام .

فلما وقع صوت حوافر الدواب فى سمعه ، استيقظ .

فدخل عليه صاحب شرطته ، فقال :

أيقظتمونى ولم تدَعونى أنام .

إنى رأيت أنه رُقِىَ بى فوق سبع سموات ، فوقفت بين يدى الله تعالى ، فإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لى :

سلِّم بحر مفاتيح خزائن أرضى ، إلى هذا ، ألست المأمور بكذا ؟

قال : وصاحب الإزار والرداء ، يعنى به ، النبى صلى الله عليه وسلم .

● عن ابن قتيبة أن أبرويز قال : رأيت فى المنام قائلا يقول لى :

إنكم غيَّرتم ، فغيِّر ما بكم ، ونقل المكان إلى أحمد .

وكانوا يتوقعون حادثة تحدث ، حتى كتب النعمان إليه : أن خارجا نجَم بتهامة ، يخبر أنه رسول إله السماء والأرض .

فانزعج لذلك وعلم أنه الذى كان يتوقعه .

قال ابن قتيبة : فانقضت ممالك الأمم عند مَبْعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا الروم ، لِما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم .

فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق ، صارت النبوة فى ولده .

فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة ، فالروم كلهم من ولده .

وانتقضت مملكة فارس ، وكان أول انتقاضها ، قتل شيرويه أباه .

ثم ظهر الطاعون فى ملكه فهلك فيه ، ثم تعاوروا الملك ، ولم يلبثوا .

وانتقض ملك أهل اليمن .

وكان أول ذلك ، قتل الحبشة سيف بن ذى يزن ، وانتشر الأمر بعده .

فكل أهل ناحية ، ملَّكوا رجلا ، حتى جاء الإسلام .

وانتقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر .

وانتقض ملك أبى جَفْنة ، وكان آخر من ملك منهم ، جَبَلة بن الأيهم ، الذى تنصَّر فى خلافة عمر رضىُ الله عنه .

الباب الثالث عشر

فى ذكر دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الاسلام

● كان صلى الله عليه وسلم فى أول نبوته يدعو النـاس، إلى الإسلام سرًّا .

وكان أبو بكر يدعو أيضاً ، من يثق به من قومه .

فلما مضت من النبوة ثلاث سنين : نزل عليه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ[1]) فأظهر الدعوة .

● عن أبى عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ، ثلاث سنين مستخفياً ، إلى أن أمر أن يصدع بما جاء من عند الله ، وأن يظهر الدعوة .

● عن الزهرى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سراً وجهراً ، فاستجاب لله من شاء ، من أحداث الرجال ، وضعفاء الناس ، حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول .

فكان إذا مرّ عليهم فى مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب لَيُكَلَّم من السماء .

(١) سورة الحجر الآية ٩٤

فكان كذلك حتى عاب آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشاقُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعادَوْهُ .

● عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كنت بَيْن شرِّ جارين ، بين أبى لهب ، وعقبة بن أبى معيط ، كانا يأتيان بالفروث فيطرحونها .

فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

يا بنى عبد مناف ، أى جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه بالطريق .

الباب الرابع عشر

فى ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المواسم

• عن طارق بن عبد الله المحاربى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بسوق المجَاز ، وأنا فى بياعة لى .

فمرّ ، وعليه حلة حمراء وهو ينادى بأعلى صوته :

يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول :

يا أيها الناس ، لا تطيعوه فإنه كذاب .

قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا غلام من بنى عبد المطلب .

قلت : فمن هذا الذى يتبعه يرميه ؟

قالوا : هذا عمه عبد العزى . وهو أبو لهب .

• عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ، ومجنّة ، وفى المواسم بمنى .

« من يؤوينى ؟ من ينصرنى ، حتى أبلغ رسالة ربى ، وله الجنة ؟ » .

حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه فيقولون : احذر غلام قريش ، لا يفتنك .

الباب الخامس عشر

فى ذكر إنذاره عشيرته

● عن أبى هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)(١) فقال :

« يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله تعالى ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ، سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً .

● عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصَّفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى يا بنى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسَفْح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ما دعوتنا إلا لهذا ؟! فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتَبَّ) .

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

• عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالا : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادى : يا بنى عبد مناف، إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب ينذر أهله نخشى أن يشقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الحديثين قبله .

• عن ابن عباس قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال : يا معشر قريش .

فقالت قريش : محمد على الصَّفا يهتف .

فأقبلوا واجتمعوا قالوا : مالك يا محمد .

قال : أَرَأَيْتَكُمْ(١) لو أخبرتكم أن خيلا بسَفْح هذا الجبل كنتم تصدقونى ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غيرُ متَّهم ، وما جرَّبنا عليك كذباً قط .

قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زُهْرة ، حتى عدَّ الأفخاذ من قريش .

إن الله عز وجل ، أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

قال يقول أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا !

---

(١) أى : أخبرونى .

فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها .

عن على بن أبى طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضقتُ بذلك ذَرْعًا ، وعرفت أنّى متى أباديهم بهذا ، أرى منهم ما أكره .

فصمتُّ حتى جاءنى جبريل فقال :

يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به ، يعذبك ربك .

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : يا علىّ ، اصنع لى صاعاً من طعام[1] واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسًّا[2] من لبن ، ثم اجمع لى بنى المطلب حتى أكلمهم ، وأبلّغهم ما أمرت .

ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم له ، وهم أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو يَنقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب .

فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذى صنعتُ ، فجئت به .

فلما وضعته ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة[3] فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ، ثم قال :

خذوا باسم الله .

فأكل القوم ، حتى ما لهم بشىء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم .

وايم الله ، الذى نفس عَلِىّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ، ليأكل جميع ما قدمتُ لجميعهم .

---

(١) البيهقى : فاصنع لنا ، يا على ، صاعاً من طعام ، وأعد لنا عس لبن .

(٢) العس : القدح الضخم .

(٣) البيهقى : حذية .

ثم قال : اسق القوم .

فجئت بذلك العُسّ فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً .

وايم الله ، إن كان الرجل الواحد منهم ، ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَره(١) أبو لهب إلى الكلام فقال : سحركم صاحبكم .

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الغد .

يا على ، إن هذا الرجل سبقنى إلى ما سمعتَ من القول ، فَأَعِدَّ لنا من الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لى .

فقمت وجمعتهم ، فأكلوا وشربوا .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إنى والله ما أعلم شاباً من العرب ، جاء قومَه ، بأفضل مما قد جئتكم به ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه ، فأيُّكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ؟

فأحجم القوم فقلت ، وأنا أحدثهم سنًّا ، أنا يا نبى الله .

فقام القوم يضحكون(٢) .

---

(١) أى : سبقه .

(٢) هذا الخبر رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث . ورواه أبو جعفر بن جرير بطريق تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى ، اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون . وروى نحوه ابن أبى حاتم فى تفسيره . وروى نحوه الإمام أحمد فى مسنده .

الباب السادس عشر

فى ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة .

وفى الباب عن على ، وأبى ذر ، وأبى موسى ، وأبى أمامة ، وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو . وستأتى هذه الأحاديث .

الباب السابع عشر

في ذكر إرساله إلى الجن صلى الله عليه وسلم

عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن فلما فرغ قال : « مالى أراكم سكوتاً ؟ لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردًّا ، ما قرأت عليهم (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالوا : ولا بشيء من نعمتك ربَّنا ، نُكَذِّب ، فلك الحمد .

• عن ابن مسعود قال :

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى معه حتى أتى بى ، إلى البراز ، ثم خطَّ لى خطاً ، ثم قال :

لا تبرح ، حتى أرجع إليك فما جاء ، حتى السحر ، فقال :

أُرْسِلْتُ إلى الجن .

قلت : فما هذه الأصوات التى أسمعها ؟

قال : هذه أصواتهم ، حين ودَّعونى ، وسلموا علىَّ .

الباب الثامن عشر

فى كونه خاتم النبيين

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُتم بى النبيون » .

● عن سعد بن أبى وقاص قال : خلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب فى غزاة تبوك ، فقال :

يا رسول الله ، تخلِّفنى فى النساء والصبيان ؟

قال : أما ترضى أن تكون منى ، بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى .

أخرجاه(١) .

● عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى » .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) يعنى : البخارى ومسلم .

الباب التاسع عشر

فى ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى الكفار وهو صابر

● عن ابن عباس : أن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحجْر .

فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله .

قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكى ، حتى دخلت على أبيها صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملأ من قومك فى الحجْر ، قد تعاقدوا أن لو رأوك ، قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك .

قال : يا بنية ، أرنى وَضوءا .

فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، هذا هو . فخفضوا أبصارهم ، وعقروا فى مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقم منهم رجل .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رءوسهم .

فأخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها . وقال : شاهت الوجوه .

قال : فما أصاب رجلا منهم حَصاةٌ ، إلا قتل يوم بدر كافراً .

● عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو فعل ، لأخذته الملائكة عيانا» .

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحِجر .

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ما رأينا مثل ما صبَرْنا عليه من هذا الرجل قط .

سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على عظيم .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت .

فلما مر بهم ، غمزوه ببعض ما يقول .

قال : فعرفت ذلك فى وجهه ، ثم مضى .

فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه .

ثم مضى فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال :

تسمعون معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذَّبْح !

فأخذت القومَ كَلِمتُه ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، يترضاه بأحسن ما يجد من القوم حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحجر ، وأنا معهم فقال بعضهم لبعض :
ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه .
حتى إذا باداكم بما تكرهون ، تركتموه !

فبيناهم على ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون له :

أنت الذى تقول كذا وكذا ؟

لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم أنا الذى قلت ذلك » .

قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه .

قال : وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكى :

أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغوا منه قط .

● عن عمرو ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : فرأيت عينى عثمان ذرفتا من تذكُّر ذلك !

قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده فى يد أبى بكر ، وفى الحجْر ثلاثة نفر جلوس .

عقبة بن أبى مُعَيط ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمية بن خلف .

فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما حاذاهم ، أسمعوه بعضَ ما يكره .

فعرفت ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم .

فدنوت منه ، حتى كان بينى وبين أبى بكر .

فأدخل أصابعه فى أصابعى ، حتى طفنا جميعا .

فلما حاذاهم قال أبو جهل :

والله لا نصالحك ، ما بَلَّ بحرٌ صوفة ، وأنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ذلك .

ثم مضى عنهم ، فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك .

حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه .

فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت فى صدره ، فوقع على أسته .

ودفع أبو بكر أمية بن خلف .

ودفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط .

ثم انفرَجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف ثم قال لهم :

أمَا والله ، لا تنتهون ، حتى يحلَّ عقابه عاجلا .

قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف ، وجعل يرتعد .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس القوم أنتم ، لنبيكم » .

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة

ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال :

أبشروا ، فإن الله عز وجل مُظْهِرٌ دينه ، ومتمم كلمته ، وناصر نبيه ، إن هؤلاء الذين ترون مما يَذْبح الله بأيديكم عاجلا .

ثم انصرفنا إلى بيوتنا .

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا !

● عن أسماء بنت أبى بكر قالت : قال لى الزبير بن العوام :

لقد رأيتُ اليوم عَجباً !

رأيتُ نفرا من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبو جهل ابن هشام .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يتآمرون بمناهضته .

فوقف عليهم وقال :

قُبِّحتم وقبح صاحبكم .

فكأنهم خرسوا ، ما فيهم أحد يتكلم ، ولا يقوم .

ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يعدو فى أثره يعتذر إليه ويقول كُفَّ عنا ، ونكف عنك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أكفُّ عنك ، حتى تؤمن بالله ، أو أقتلك .

قال : وأنت تقدر على قتلى ؟ !

قال : الله يقتلك ، ويقتل هؤلاء .

فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين .

● عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، إذ أقبل عُقْبة ابن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَلَوَى ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر ، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

أتقتلون رجلا ، أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ! !

● عن عبد الله قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا على قريش غير يوم واحد .

فإنه كان يصلي ، ورهطٌ من قريش جلوس ، وسلا جزور[١] قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا ، فيلقيه على ظهره ؟

قال : فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه ، فألقاه على ظهره .

فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ، فأخذته عن ظهره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك الملأ من قريش ، اللهم عليك بعقبة ، اللهم عليك بشيبة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بِأُبَيٍّ بن خلف ، أو أمية

---

(١) قال في المصباح : « السلى » وزان « الحصى » الذي يكون فيه الولد والجمع أسلاء مثل سبب وأسباب اهـ ، وفي الصحاح « السلا » مقصور : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي ، إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد ، وإلا قتلته اهـ والمراد هنا : كرش الناقة .

ابن خلف . قال عبد الله : فلقد رأيتهم قُتِلُوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب ، غير أبىّ أو أمية (١) فإنه كان رجلا ضخما ، فتقطع .

● عن ابن إسحاق : لما أجمع المشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منعه عمه أبو طالب .

فمشى جماعة من أشرافهم كعتبة ، وشيبة وأبى جهل ، إلى أبى طالب فقالوا :

إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا .

فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه ، فَشَرِىَ الأمرُ (٢) بينه وبينهم ، فحضّ بعضهم بعضا عليه .

ثم عادوا إلى أبى طالب فقالوا : لا نصبر على هذا .

فقال له : يا ابن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فلا تُحَمِّلْنِى من الأمر ، مالا أُطِيق .

---

(١) ردد المؤلف بين أمية وأبى ، تبعا للبخارى فى بعض رواياته . والصواب — كما ذكر الزرقانى — أنه أمية ، وهو ما أطبق عليه أصحاب المغازى ، لأنه هو المقتول ببدر .
وأما أخوه أبى ، فإنما قتل بأحد . انظر شرح المواهب ١/٢٥٣ .

(٢) شرى : اشتد .

فقال : يا عمّاه ، والله ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه !

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام .

فلما ولىّ ، ناداه أبو طالب : أقبل إلىّ يا ابن أخى . فأقبل .

فقال : اذهب ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أُسلِمُكَ لشىء أبداً .

فبدأت الحرب ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .

وقام أبو طالب فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى المنع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشِّعاب يستخفون من قومهم ، فقاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا من المشركين بلَحْىِ جمل ، فشجه .

فكان أول دم أُرِيقَ فى الإسلام .

● عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل ، وقعد فيه .

قالوا : إن ابن أخيك يقع فى آلهتنا .

قال : ما شأن قومك يشكونك ؟

قال : يا عم أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم العرب ، ويؤدى العجم إليهم الجزية .

قال : ما هى ؟ قال : لا إله إلا الله .

فقالوا : أجعل الآلهة إلها واحداً ؟

ونزل : « ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ » فقرأ حتى بلغ « إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ » .

الباب العشرون

فى ذكر ما روى عن إيمان أكثم بن صيفى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لما بلغه خروجه

● عن ابن عمير قال : بلغ أكثم بن صيفى مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدَعوه .

فقال : من يبلِّغه عنى ويبلغنى عنه ؟

فانتدب رجلان فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقالا :

نحن رُسُل أكثم بن صيفى ، وهو يسألك من أنت ، وما أنت ، وبم جئت ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهما (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ... الآية) .

فقالا رُدَّ علينا هذا القول فرده عليهم حتى حفظوه .

وأتيا أكثم فقالا : سألناه عن نسبه ، فوجدناه واسط النسب فى مضر ، وقد رَمَى إلينا كلمات .

فلما سمعهن أكثم قال : يا قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا فى الأمر رءوسا ، ولا تكونوا أذنابا ، وكونوا فيه أولا ، ولا تكونوا آخرا .

فلم يلبث أن حضرته الوفاة .

فقال أكثم : وَيلٌ للشجيِّ من الخليِّ(١) ، يا لَهف نفسى(٢) على أمرٍ لم أدركه ولم يَفُتْنى .

ما آسَى عليك(٣) بل على العامة .

يا مالك ، إن الحق إذا قام ، دفع الباطل .

فتبعه مائة نفس ، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان فى بعض الطريق ، عمد حُبيش إلى رواحلهم فنحرها ، وشقّ ما كان معهم من مزادة وهرب ، فَجَهد أكثمَ العطش(٤) ، فمات وأوصى من معه ، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أنه أسلم .

فأنزل فيه : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى اللهِ وَرَسُوله ثم يُدْرِكْه المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ »(٥) .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح « الشَّجْوُ » الهمُّ وَالُحزن وقد شجاه : حَزَنه ، وبابه « عدا » وأشجاه : أغصه . وتقول منهما جميعا : شَجِىَ ، من باب « صَدِيَ » ومثله فى المصباح والمراد هنا : ويل للممتلىء حزنا من الخالى منه .

(٢) أى : يا حزن نفسى . قال فى المختار من الصحاح : لهف أى حزن وتحسر وكذا التلهف على الشىء . والملهوف المظلوم يستغيث. واللهيف : المضطر . واللهفان : المتحسر . وفى الصحاح : وقولهم يا لهف فلان كلمة يتحسر بها على ما فات .

وقول الشاعر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّى ... بِلَهْفَ وَلَا بِلَيْتَ وَلَا لَوَانِّى

أراد « لهفاه » فحذف .

(٣) أى : ما أحزن عليك . قال فى المصباح وأسى أسىً من باب تعب : حزن فهو أسى مثل حزين وفى المختار من الصحاح أسى على مصيبة من باب صدى أى : حزن . وقد أسى له . أى حزن له .

(٤) أى اشتد عطشه إلى النهاية . (٥) سورة النساء : آية ١٠٠

الباب الحادي والعشرون

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة

وقال : إن بها مَلِكا لا يُظلَمَ الناس ببلاده ، فتحرَّزوا(١) عنده ، حتى يأتيكم الله بفرَج منه » .

فخرج جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم .

والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة .

وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة ، من حيث نُبِّئَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وخرجت قريش في آثارهم ، ففاتوهم .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « النجم » وسمعوا : « تلك الغرانيق العُلَى » وإنما قالها بعض الشياطين(٢) لا أنها جرَتْ على لسان

---

(١) قال في الصحاح: الحرز: الموضع الحصين. واحترزت من كذا وتحرزت ، أى : توقيته ا هـ باختصار . أى : كونوا آمنين وحافظين أنفسكم عنده .

(٢) قصة الغرانيق باطلة لا تستند إلى أصل صحيح ، كما بين ذلك القاضي عياض في كتاب الشفاء والزرقاني في شرح المواهب . قلت وقد زيف هذه القصة أيضاً الإمام محمد عبده . ونشرها السيد محمد رشيد رضا .

كما ألف محدث هذا العصر محمد ناصر الدين الألباني رسالة أسماها « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق » جواباً لسؤال وجهه إليه بعض علماء الباكستان جمع فيها جميع الروايات وخرجها تخريجاً علمياً ، أشبع فيها القول بما لم يسبق إليه وبما لا مزيد لمستزيد ، وقد طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ الموافق لـ ١٩٥٢ م فهي جديرة بأن يقرأها كل من يحرص على سلامة إيمانه . محمد زهري النجار

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سجد فى السورة ، سجد المشركون معه ، ورفع الوليد كفًّا من تراب إلى جبهته .

فبلغ ذلك أهلَ الحبشة ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا ، فلنرجع إلى عشائرنا . فرجعوا .

فلقيهم رَكْبٌ(١) فسألوهم ، فقالوا : ذكَرَ محمد آلهتكم فبايعوه ، ثم عاد عن ذكرها ، فعادوا له بالشر .

فلم يدخل أحد منهم إلا بجِوارٍ ، إلا ابن مسعود ، فإنه مكث قليلا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة .

فسَطَتْ(٢) بهم عشائرهم وآذوهم ، فَأَذِنَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج مرة أخرى ، فخرجوا ، وخرج معهم خَلْق كثير .

قال ابن إسحاق : جميع مَنْ لَحِق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بها : نيِّفٌ وثمانون رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر منهم .

وقال الواقدى : كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، ومن النساء إحدى عشرة قُرَشية ، وسبع غرائب .

● عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون مكانى ، ويسمعون منِّى .

فقلت لهم : تعلمون والله ، إنى لأَرى أمرَ محمد يعلو الأمورَ عُلوًّا مُنْكراً ، وإنى قد رأيت رأياً ، فما ترون فيه ؟

---

(١) ركب جمع راكب ، أى جماعة من المسافرين .

(٢) سطت بهم : بطشت بهم ، ووثبت عليهم .

قالوا : وما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ أن نَلحق بالنجاشى ، فنكون عنده .

فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يده ، أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد .

وإن ظهر قومنا فنحن ممَّن عرِفنا ، فلن يأتينا منهم إلا خير .

فقالوا : إن هذا الرأىُ .

قلت : فاجمَعوا ما نُهْدِى له ، وكان أحبَّ مايُهْدَى إليه من أرضنا الأدم(١) فجمعنا له أدَماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدِمْنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْرى .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده .

قال : قلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلتُ على النجاشى لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلتُ ذلك ، رأت قريش أنى قد أجزَأْتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديتَ لى من بلادك شيئاً ؟

قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدَماً كثيراً .

قال : ثم قدَّمته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت :

أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا قد خرج من عندك ، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

---

(١) الأدم بفتحتين : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو أحمره ، أو مدبوغه .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فَرَقاً(١) منه .

فقلت(٢) : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر ، الذى كان يأتى موسى لتقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ !

قال : ويحك يا عمرو ! أطعنى واتبعه ، فإنه ، والله ، لَعَلَى الحق ، ولَيَظْهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابى وقد حالَ رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى ثم خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت(٣) .

● عن ابن مسعود قال : بَعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحوٌ من ثمانين رجلا ، وبعثَت قريش ، عمرو بن العاص ، وعُمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشى ، سَجَدا له ثم قالا : إن نفراً من بنى عمنا ، نزلوا بأرضك ورَغِبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك .

---

(١) فرقاً : أى خوفاً منه . (٢) ابن هشام : ثم قلت .

(٣) ذكر ابن هشام بقية الخبر وفيه ، أنه لقى خالد بن الوليد ، واتفقا على الذهاب إلى المدينة ، ليسلما .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، إن الله تعالى بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا ألاَّ نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال : ما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه ؟

قالوا : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول التى لم يمسّها بشر ولم يَفْرعها ذكر(١) .

قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما تزيدون على الذى يقول فيه ، ما يساوى هذا .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذى نجد فى الإنجيل ، وإنه الذى بشّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم .

والله لولا ما أنا فيه من المُلْك ، لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه .

وأمر بهدايا الآخرين ، فَرُدَّت إليهم .

---

(١) مسند أحمد وسيرة ابن كثير : ولم يفرضها ولد . أى لم يؤثر فيها ولد ولم يحزها قبل المسيح .

الباب الثاني والعشرون

فى ذكر ما كتبه المشركون من التبرّى من بنى هاشم وبنى المطلب

لمّا دفع بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت قريش وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه ألاَّ يَنْكحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ولا يُنْكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم .

وكان ذلك فى سنة سبع من النبوة .

وعلّقوا ذلك الكتاب فى جوف الكعبة توكيداً للأمر .

فلما فعلوا ذلك ، انحاز بنو هاشم[١] وبنو المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا عليه فى شِعبه[٢] ، وخرج منهم أبو لهب ، وظاهَر[٣] المشركين .

فأقاموا على ذلك ثلاث سنين وقطعوا الميرة والمادة عنهم[٤] ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجَهْد[٥] .

وكان هشام بن عمرو بن ربيعة يُدْخِل إليهم أحمالَ طعام ويكتم ذلك .

ثم نُقِض حُكم الصحيفة المكتوبة ، وفى سبب نقضه قولان :

---

(١) انحاز بنو هاشم . أى : انضموا .

(٢) أى : فى أرضه الواقعة بين جبلين ، قال فى الصحاح : الشعب بالكسر الطريق فى الجبل ، وفى القاموس : الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن أرض أو ما انفرج بين الجبلين .

(٣) ظاهر المشركين . أى : عاونهم .

(٤) أى قطعوا عنهم الطعام ولوازم الحياة .

(٥) أى : بلغت بهم المشقة نهايتها .

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم وأن الأَرَضة(١) قد أكلت ما كان فيها من جَوْر وظلم ، وبقى ما كان من ذِكر الله .

فذكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب .

فقال أبو طالب : أحقٌّ ما تخبرنى به يا ابن أخى ؟ قال : نعمْ ، والله يا عم .

فذكر ذلك أبو طالب لأخويه ، وقال : والله ما كذَبنى قط .

قالوا : فما ترى ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسنَ ثيابكم ، وتخرجوا إلى قريش ، فتذكر لهم ذلك مِن قَبْل أن يَبْلغهم الخبر .

فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب :

إنا قد جئنا فى أمر فأجيبوا فيه .

قالوا : مرحباً بكم وأهلاً .

قال : إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يَكْذبنى قط ، أن الله تعالى سلَّط على صحيفتكم الأَرَضَةَ ، فلحست كلَّ ما كان فيها من جَوْر ، أو ظلم ، أو قطيعة رحم ، وبقى فيها كلُّ ما ذُكر به الله تعالى .

فإن كان ابن أخى صادقاً ، نزعتم عن سوء رأيكم .

وإن كان كاذباً ، دفعتُه إليكم فقتلتموه ، أو استحييتموه إن شئتم .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح ، الأرضة : بفتح الراء والضاد . دويبة تأكل الخشب .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا إلى الصحيفة ، فلما فتحوها ، إذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُقِط(١) فى أيدى القوم ، ثم نُكِسوا على رءوسهم .

فقال أبو طالب : هل تبيَّن لكم أنكم أَوْلى بالظلم والقطيعة .

فلم يراجعه أحد منهم . ثم انصرفوا .

رواه محمد بن سعد ، عن أشياخ له .

والثانى : أن هشام بن عمرو بن الحارث العامرى ، مشى إلى زُهَير بن أبى أمية بن المغيرة ، فقال :

يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمتَ ، لا يبتاعون ولا يُبْتَاع منهم ، ولا يَنْكحون ولا يُنْكح إليهم !

أمَا إنى أحلف بالله ، لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى آخر لقمتُ فى نَقْضها .

قال : قد وجدتَ رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال ابْغِنَا(٢) ثالثاً .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ، فقال له :

يا مطعم ، أرضيتَ أن تهلك بَطْنان من بنى عبد مناف ، وأنت موافق لقريش فى ذلك !

---

(١) سقط . بالبناء للمجهول ، أى : ندم . (٢) ابغنا . أى : اطلب لنا .

قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدتَ ثالثاً . قال : من هو ؟ قال زهير بن أمية .

قال : ابغنا رابعاً .

فذهب إلى أبى البَخْتَرِىّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمُطْعِم بن عدى ، فقال :

وهل من أحد يُعِين على هذا ؟

قال : نعم زُهَير ، والمطعم ، وأنا معك .

قال : ابغنا خامساً .

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود فكلمه . فقال : وهل على هذا الأمر أحد ؟

قال : نعم . فسمَّى له القومَ .

فاتّعدوا واجتمعوا ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها .

فغدا زُهير فطاف ثم قال :

يا أهل مكة ، إنا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هَلْكَى ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة .

فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشق .

فقال زَمْعة : أنت والله أكْذَبُ ، ما رضينا كتابتها حين كُتِبت .

فقال أبو البَخْتَرِىّ : صدق زَمعة ، لا نرضى ما كتِب فيها ولا نقرّ به .

فقال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نَبرأُ إلى الله منها ومما كتِب فيها .

وقال هشام بن عمرو ، نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِي[١] بليل ، وتُشوور فيه بغير هذا المكان .

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » .

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، فشُلَّت يده .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر[٢] وهو بمنًى :

« نحن نازلون غداً بِخَيْف[٣] بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكُفْر .

يعنى بذلك ، المحصَّب .

وذلك أن قريشاً وكنانة ، تحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ، ألاّ يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أى : دُبِّر .

(٢) فى البخارى ٢/١٨٦ : حين أراد حنينا .

(٣) قال فى الصحاح : الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، والمراد هنا : اسم موضع لبنى كنانة مرتفع عن مسيل الماء .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع ضِمَاد الأَزْدى الوافد

● عن ابن عباس : أن ضمادا قَدِم مكة وكان من أَزْدشنوءة ، وكان يَرْقِى من الريح[(١)] ، فسمع سفهاءَ أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون .

فقال : لو أنى رأيتُ هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى !

قال : فأتيته فقلت : يا محمد إنى أرقى من الريح[(١)] وإن الله يشفى على يدى من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .

فقال : أعِدْ عَلَيّ كلماتك هؤلاء .

فأعادهن عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال :

لقد سمعتُ قولَ الكهنة والسَّحرة والشعراء ، فما سمعت مثلَ كلماتك هؤلاء ولقد بلغتُ قاموس[(٢)] البحر ، هات يدك أبايعك على الإسلام .

فبايعه .

---

(١) ابن كثير « من هذه الرياح » .

(٢) قاموس البحر : أبعد مكان فيه غورا . قال فى المختار من الصحاح : قاموس البحر : وسطه ومعظم الماء فيه . ومثله فى سائر المعاجم . وفى ابن كثير : ولقد بلغن قاموس البحر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟

قال : وعلى قومى .

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيةً ، فمروا بقومه .

فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟

قال رجل : أصبت منهم مُظهرةً(١) .

قال : رُدّها ، فإن هؤلاء قوم ضِمَاد .

---

(١) المظهر : البعير الذى هجمته الظهيرة .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة

● عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلَمكم بالسِّحر والكهانة والشعر ، فلْيأت هذا الرجل الذى قد فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلّمه ، فلينظر ماذا يردُّ عليه ؟

فقالوا : ما نعلم أحداً ، غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : ائته يا أبا الوليد .

فأتاه عُتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت .

ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك ، فقد عبدوا الآلهة التى عِبْتها .

وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك .

ما رأينا سَخْلة(١) أشأمَ على قومه منك .

فرّقت جماعتنا وشتّتَّ أمرَنا ، وفضحتنا فى العرب .

حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا ، وأن فى قريش كاهنا .

والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف ، حتى نتفانى .

---

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد . يريد : ما رأينا مولوداً أنحس على قومه منك .

أيها الرجل إن كان ما بك الباه فاختر أىَّ نساء قريش فلنزوجك عشرا ، وإن كان ما بك الحاجة ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيراً ونذيراً » .

حتى قرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ (سورة فصلت من ١ إلى ١٣) » .

فقال له عتبة : حسبك ، فما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش ، فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما تركتُ شيئا ، أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته .

قالوا . فهل أجابك ؟ قال : نعم .

قال : لا والذى نَصَبها بَنِيَّة(١) ما فهمت مما قال غير أنه قال : « أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

قالوا : ويلك ! يكلِّمك بالعربية ، ولا تدرى ما يقول !

قال : والله ما فهمت شيئاً مما قال ، غير ذكر الصاعقة !

---

(١) بنية . يريد : الكعبة .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر ما أشار به الوليد على قريش فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن سعيد بن جُبَير ، أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ .

فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستَقْدُم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيُكَذِّبَ بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فَقُلْ وأَقِمْ لنا رأياً ، نقل به .

قال : بل أنتم، فقولوا واسمعوا .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزَمْزَمَتهم ولا سَجْعهم .

قالوا : نقول إنه مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تَخَالُجِهِ ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول إنه شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه ، وهزجه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشاعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسِحرهم ، فما هو بنَفْثه ولا عَقْده .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعَذْق(١) وإن فرعه لجَنَاة(٢) وما أنتم بقَائلين من هذا شيئاً ، إلا عُرف أنه باطل .

وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : هذا ساحر ، يفرِّق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرّقوا عنه بذلك .

● عن عمرو ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعت الشعر ، رجزه وقريضه ، فما سمعت مثل هذا ، يعنى القرآن ، ما هو بشعر .

إن عليه لَطَلَاوة(٣) وإن له لَنُوراً ، وإنه يعلو وما يُعْلَى .

● عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال :

أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟

قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما نقوله(٤) .

قال : قد علمت قريش ، أنى من أكثرها مالا .

---

(١) المذق : النخلة : يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى وفى الأصل : لمذق . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الجناة : ما يجنى من الشجر .

(٣) أى : حسن وبهجة .

(٤) ابن كثير : تعرض لما قبله .

قال : فقل له قولا يَبلغ قومَك ، أنك مُنكر لما قال ، وأنك كاره له .

قال : وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار منى .

والله مايشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله لحَلاوةً وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمُثمر أعلاه ، مُغْدِقٌ[(١)] أسفله ، وإنه ليَحْطِم ما تحته ، وإنه لَيعلو وما يُعلَى .

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعنى حتى أنظر إليه .

قال : فلما فكّر قال : هذا سحر يؤثر . أى : يَأْثره[(٢)] عن غيره . فنزل فيه : « ذَرْنِى ومَنْ خلقتُ وحيداً »[(٣)] .

---

(١) مخصب . كما فى أساس البلاغة .

(٢) يأثره : يرويه .

(٣) سورة المدثر . الآية ـ ١١

الباب السادس والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يَرَى من قومة يَبْذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة [مما هم فيه][١] وجعلت قريش حين منعه الله منهم ، يحذِّرون الناسَ ومَنْ قدم عليهم من العرب .

وكان الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسى ، يحدِّث أنه قدم مكة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطُّفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً .

فقالوا له : يا طُفَيل ، إنك قدِمْت بلادَنا ، وهذا الرجل الذى بين أظْهرنا ، قد أعْضَلَ بنا ، وفرّق جماعتنا .

وإنما قوله كالسِّحر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وزوجته .

وإنما نَخْشَى عليك وعلى قومك ، ما قد دخل علينا ، فلا تكلِّمه ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بى ، حتى أجمعتُ على ألاّ أسمع منه شيئاً ولا أكلِّمه ، حتى حشوتُ أذنىَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[٢] ،

---

(١) من ابن هشام . (٢) الكرسف : القطن .

فَرَقاً(١) من أن يَبْلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلِّى عند الكعبة .

قال : فقمت قريباً منه ، فأبَى الله إلا أن يُسْمعنى بعضَ قوله .

قال : فسمعت كلاماً حَسَنا ، فقلت فى نفسى : واثُكْلَ أمى !

والله ، إنى لرجل لبيب شاعر مايَخْفَى علىَّ الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟

فإن كان الذى يأتى به حسنا ، قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته .

فاتبعته حتى دخلت عليه ، فقلت :

يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا . للذى قالوا .

فوالله ما برحوا يخوِّفوننى(٢) أمرَك حتى سدَدْتُ أذنى بكُرْسُف ، لئلا أسمع قولَكَ .

ثم أبَى الله إلا أن يُسْمعنيه(٣) ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرض علىَّ أمرَك .

قال : فعرض علىَّ الإسلام وتلا علىَّ القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً قط ، أحسنَ ، ولا أمراً أعدلَ منه .

قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبى الله ، إنى امرؤ

---

(١) فرقاً . أى : خوفا . (٢) فى النسخ : يخنوننى . وهو تحريف .
(٣) ابن هشام : يسمعنى قولك .

مُطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لى آية ، لتكون لى عَوناً عليهم فيما أدعوهم إليه .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » .

قال : فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بِثَنِيَّة[1] تُطْلِعنى على الحاضر وقع نورٌ بين عينىَّ مثل المصباح .

قال : فقلت : اللهم اجعله فى غير وجهى ، فإنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَة وقعت فى وجهى ، لفراق دِينهم .

قال : فتحوَّل ، فوقع فى رأس سَوْطى .

فجعل الحاضرون يتراءَوْن ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلَّق ، وأنا أَنْهبطُ إليهم من الثَّنية .

قال : حتى جئتهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلتُ ، أتانى أبى وكان شيخاً كبيراً .

قال : فقلت : إليك عنى[2] يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منِّى .

قال : ولِمَ أى بنىَّ ؟

قال : قلت : أسلمتُ وبايعت محمداً صلى الله عليه وسلم[3] .

قال : أى بنى ، فدينى دينك [قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطهِّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ماعلمت قال : فذهب][4] فاغتسلَ وطهَّر ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

---

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .

(٢) إليك عنى . أى : ابتعد عنى .

(٣) ابن هشام « وتابعت دين محمد » . (٤) مابين القوسين من ابن هشام .

قال : ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها : إليكِ عَنِّى ، فلستُ منك ولستِ منى .

قالت : ولم ، بأبى أنت وأمى ؟!

قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلام . فأسلمتْ(١) .

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا علىّ .

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا نبى الله ،إنه قد غلبتنى دَوْس ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهدِ دوسا ، ارجع إلى قومك ، فادعهم ، وارفق بهم » .

قال : فرجعت فلم أزل بأرض دوس ، أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى(٢) بدراً ، وأُحُداً ، والخندق .

ثم قَدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس(٣) .

---

(١) اختصر ابن الجوزى هنا ، فلم يذكر ما دار بينه وبينها حتى أسلمت ، وهو مذكور فى ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤ .

(٢) قضى . أى : انتهى من هذه الغزوات الثلاث .

(٣) لم يذكر المؤلف بقية خبر الطفيل حتى موته . وهو فى ابن هشام .

الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب عند موته

● عن سعيد بن المسيِّب قال : لما احتضر أبو طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا عم ، إنك أعظم الناس عليّ حقًّا ، وأحسنهم عندي يداً ، ولأنت أعظَمُ عليّ حقاً من والدي ، فقُلْ كلمةً تجِبْ لك بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله » .

فقالا له : أترْغَب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب ومات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنَّ لك ، ما لم أنْهَ عنك .

فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى » إلى قوله : « حليم »(١) .

● عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لعمه : « قُلْ لا إله إلا الله ، أشهدْ لك بها عند الله يوم القيامة » .

---

(١) سورة التوبة ١١٣ ، ١١٤

فقال : لولا أن تعيِّرنى قريشٌ فيقولون : إنما حَمَله على ذلك الجزَع ، لأقررْتُ بها عَيْنك .

فأنزل الله عز وجل : « إنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ »(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

وهكذا رُوى لنا الجزَع ـ بالجيم والزاى ـ وأهل اللغة ينكرون ذلك .

قال ثعلب : إنما الخْرَع ـ بالخاء والراء ـ وهو الضعف والخوَر .

● عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العُذْرى قال : قال أبو طالب :

يا ابن أخى ، لولا رهبة أن تقول قريش وهَرَنِى(٢) الجزَع ، فيكون سُبَّةً عليك وعلى بنى أبيك ، لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لِما أرى من شكرك وَوَجْدك بى ، ونصيحتك لى .

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ، ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اتبعتم أمرَه ، فاتَّبِعوه وأعينوه ، ترْشُدوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ تأمرهم بها ، وتدَعها لنفسك ؟!

فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتنى الكلمة وأنا صحيح ، لبايعتك على الذى تقول .

ولكن أكره أن أجْزَع عند الموت ، فترى قريش : أنى أخذتها جَزَعًا ، ورددْتها فى صحتى .

● عن علىّ قال : أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بموتِ أبى طالب فبكى ، ثم قال : « اذهب فاغسله وكفنه ، وادفنه غفر الله له ورحمه » .

---

(١) سورة القصص ٥٦ (٢) وهرنى : أضعفنى .

قال : ففعلت .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته ، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى » الآية .

قال علي : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت .

● عن علي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن عمك الشيخ الضَّال مات . قال : اذهب ، فوارِهِ ، ولا تُحْدث شيئاً حتى تأتيني .

فأتيته فقلت له ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرُّني ما عُرِض بهن من شيء .

● عن ابن عباس قال : عارضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال : وصَلَتْك رَحِمٌ ، وجزاك الله خيراً ، يا عم .

● عن العباس بن عبد المطلب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، عمُّك أبو طالب ، كان يغضب لك ويمنعك ، هل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم هو في ضَحْضاحٍ من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدَّرك الأسفل من النار .

أخرجاه في الصحيحين .

● عن محمد بن كعب القُرَظي قال : بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قريش :

يا أبا طالب ، أرسل إلى ابن أخيك ، فيرسل إليك من هذه الجنَّة ، التي يذكر ، بشيء يكون لك شفاء .

قال : فخرج الرسول حتى وجد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر معه جالس ، فقال :

يا محمد عمُّك يقول لك : يا ابن أخي ، إني كبير ضعيف سقيم ، فأرسل إليَّ مِنْ جَنَّتك هذه التي تَذْكر من طعامها وشرابها ، بشيء يكون لي فيه شفاء

قال أبو بكر : إن الله حرَّمها على الكافرين .

فرجع إليهم فأخبرهم . فقال :

قد بلَّغت محمداً الذي أرسلتموني ، فلم يُجزْ لي شيئاً .

فقال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين ، فسكت محمد .

فحملوا أنفسهم عليه ، حتى يرسل رسولا من عنده ، فوجد الرسول في مجلسه . قال : فقال له مثل ذلك .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حَرمها على الكافرين ، طعامها ، وشرابها .

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت ، فوجده مملوءاً رجالا فقال : خلُّوا عن عمي .

فقالوا : ما نحن بفاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك .

فجلس إليه فقال : يا عم جُزيتَ خيراً ، كَفَلْتني صغيراً ، وحضنتني كبيراً ، فجُزيت عني خيراً يا عماه ، أعِنِّي على نفسك بكلمة واحدة ، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة .

قال : وما هي يا ابن أخي ؟

قال : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال : إنك لى لَناصح ، والله لولا أن تُعيَّر(١) بها بعدى فيقال : جَزِع عمُّك عند الموت ، لأقررْتُ بها عينَك .

قال : فصاح القوم : يا أبا طالب ، أنت رأسُ الحنيفية ، ملة الأشياخ .

قال : أنا على ملة الأشياخ ، لا تحدَّث قريشٌ أن عمك جَزِع عند الموت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أزال أستغفر لك ربى ، حتى يَرُدَّنى .

فاستغفر له بعد ما مات .

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، ولذوى قرابتنا ، وقد استغفر إبراهيمُ لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه ؟ فاستغفروا للمشركين ، حتى نزلت الآية :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ »(١) حتى فرغ من الآية .

---

(١) فى الأصل (لولا تعير) وهو خطأ (٢) سورة التوبة ١١٣

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبى طالب وخديجة

● عن [عبد الله بن](١) ثعلبة بن صُعَير قال : لما توفى أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيتَه ، وأَقَلَّ الخروجَ ، ونالت منه قريش ، ما لم تكن تنال ولا تطمع [به](١) .

فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردتَ ، وما كنتَ صانعاً ، إذ كان أبو طالب حيًّا ، فاصنعه ، لا واللات ، لا يُوصل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطلة النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه فولَّى يصيح : يا معشر قريش صَبَأَ أبو عتبة .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب ، فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكن أمنع ابنَ أخى أن يُضَام ، حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : قد أحسنتَ وأَجْمَلت ، ووصَلْت الرَّحم .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك ، يذهب ويأتى ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابُوا أبا لهب ، إذ(٢) جاء عُقْبة بن

---

(١) من طبقات ابن سعد ١/١٣١

(٢) ابن سعد : إلى أن جاء .

أبى مُعَيط وأبو جهل ، إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك ، أيْنَ مُدْخل أبيك ؟

فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه .

قال : فخرج أبو لهب إليهما ، فقال : قد سألتُه فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم ، أنه فى النار !

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب ، دخل النار

فقال أبو لهب : والله لا بَرِحْتُ(٢) لك عدوًّا أبداً ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

فاشتد عليه ، وسائرُ قريش .

● عن محمد بن جبير بن مُطْعِم قال : لما توفى أبو طالب ، تناولت(٣) قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

---

(١) الأصل : لا رحت . وهو تحريف . والتصويب من طبقات ابن سعد : ١/١٣١

(٢) قوله « تناولت الخ » كذا فى الأصل ، يريد أن قريشاً نالت من رسول الله من الأذى ما لم تكن تقدر عليه فى حياة أبى طالب فكان الأجدر أن يعبر المؤلف بـ « نالت » التى هى بمعنى « آذت » لأن « تناولت » لا تدل على هذا المعنى .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه إلى الطائف

● عن محمد بن جبير بن مطعم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد موت أبى طالب ، إلى الطائف . ومعه زيد بن حارثة ، وذلك فى ليال [بَقين](١) من شوال سنة عشر .

قال محمد بن عمر ، بغير هذا الإسناد : فأقام بالطائف عشرة أيام .

وقال غيره : شهراً . لا يَدَع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه .

فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والْحَقْ بمَحَابِّك من الأرض .

وأغْرَوْا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجمونه بالحجارة ، حتى إن رجليه لتَدْميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجاجا .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وهو محزون .

فلما نزل نخلةَ ، قام يصلى من الليل ، فانصرف(٢) إليه سبعة نفر من الجن ، أهل نَصِيبِين ، فاستمعوا ، فأقام بنخلة أياما ، ثم أراد الدخول .

فقال له زيد : وكيف تدخل عليهم ، وهم قد أخرجوك ؟ فأخرجَ رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى : أدخلُ فى جوارك ؟ قال : نعم .

---

(١) من ابن سعد .

(٢) ابن سعد : فصرف .

• وقال محمد بن كعب القُرظى : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثَقِيف ، هم سادة ثقيف وأشرافهم يومئذ ، وهم إخوة ثلاثة ، عَبْد يا لَيل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو ابن عمير .

فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وكلمهم بما جاء له ، من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال أحدهم : هو يَمْرُط(١) ثيابَ الكعبة ، إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أمَا وجد الله رسولا يرسله غيرك !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، إن كنت رسولا كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام .

وإن كنت تكْذب على الله ، ما ينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خَير ثقيف(٢) .

[وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عنى .

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئرهم(٣) ذلك عليه . فلم يفعلوا] .

---

(١) يمرط . أى : ينزعه ويرمى به .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام .

(٣) يذئرهم عليه : يثيرهم ويجرئهم .

وقال عبيد بن الأبرص :

[وَلَقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا]

وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبُّونه ويصيحون به ، حتى اجتمعت عليه الناس ، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة](١) وهما فيه ، ورجَع عنه من سفهاء ثقيف ، مَن كان يتبعه .

فعمد إلى حُبْلَةٍ(٢) من عنب ، فجلس فى ظلها ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقى من سفهاء ثقيف .

فلما اطمأن قال ، فيما ذكر لى : « اللهم إنى أشكو إليك ضَعْفَ قوّتى ، وقلّةَ حيلتى ، وهوانى على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعَفين ، وأنت ربى ، إلى من تَكلنى ؟ ! إلى بعيد يتجهَّمنى أو إلى عدو ملّكته أمرى(٣) ، إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبَالى ، ولكن عافيتك هى أوسَعُ لى .

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبَك ، أو تحِلّ علىّ سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأى ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، ما لقِى ، دعَوا غلاماً لهما نصرانيا يقال له « عدّاس » فقالا له :

خذ قِطْفاً من هذا العنب ، فضعه فى ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له : يأكل منه .

ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .
(٢) قال فى القاموس : الحبلة بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله .
(٣) رواية المواهب ١/٣٠٤ : « إلى عدو بعيد يتجهمنى ، أم إلى صديق قريب ملكته أمرى » ومعنى يتجهمنى : يلقانى بالغلظة والوجه الكريه .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : « بسم الله » ثم أكل .

فنظر عَدّاس إلى وجهه . ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد(١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت ، وما دينك ؟

قال : أنا نصرانى(٢) ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية (٣) الرجل الصالح «يونس ابن مَتَّى ؟ » .

قال له : وما يدريك ، ما يونس بن مَتَّى ؟

قال : ذاك أخى كان نبيًّا وأنا نبىٌّ .

فأكبَّ عدّاسٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبَّل رأسه ويديه ورجليه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامُك ، فقد أفسدَه عليك .

فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عداس ، مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ !

قال : يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل ! لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى .

---

(١) فى ابن هشام : هذه البلاد .
(٢) الأصل : أنا يتيم أبى . وهو تحريف .
(٣) الأصل : من ذرية . وهو تحريف .

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أُخِفتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيتُ في الله ، وما يؤذَى أحد ، ولقد أتَتْ عليّ ثلاثون مِن بَيْن يوم وليلة ، ومالِي طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبطُ بلال » .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

ومعناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فارًّا[1] من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ، ما يُحمل تحت إبطه .

---

(١) قوله : فاراً الخ تعبير غير صحيح ، وغير لائق بالجناب النبوى ، وخروجه لم يكن للفرار بل لنشر الدعوة ، وهو صلى الله عليه وسلم أعظم قدراً وأعلى مقاماً من أن يوصف بالفرار وهو الذى امتلأ قلبه شجاعة وقوة بالله . فلا يليق أن نطلق أمثال هذه الكلمات على مقامه الرفيع .

الباب الثلاثون

فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف

لمّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأخْنَس ابن شَرِيق . فقال : هل أنت مُجِيرى حتى أبلِّغ رسالة ربى ؟

فقال الأخنس : إن الحليف لا يجير على الصَّريح .

فقال للرسول : إيت سُهَيل بن عمرو فقل له :

إن محمداً يقول لك هل أنت مُجِيرى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى ؟ فأتاه .

فقال له ذلك [، فقال :](١) إن بنى عامر بن لؤى ، لا تجير على بنى كعب .

قال : فرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال :

إيت المُطْعِم بن عَدىّ . فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مُجيرى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى ؟

قال : نعم ، فليَدْخل .

فرجع إليه فأخبره .

وأصبح المطعم بن عدى قد لبس سلاحه ، هو وبنوه ، وبنو أخيه ، فدخل المسجد .

---

(١) من تاريخ الطبرى .

فلما رآه أبو جهل قال : أمجيرٌ أم تابع ؟

قال : بل مجير .

قال : أجَرْنا من أجرتَ .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهى إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مُطيفون به .

● عن محمد جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو كان المطعم بن عَدى حيًّا ، فكلَّمنى فى هؤلاء النَّتْنَى ، يعنى أسارى بدر ، لأَطْلَقْتهم له » .

الباب الحادي والثلاثون

في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفُ في المواسم على القبائل فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

فكان يمشي خلفه أبو لهب ويقول : لا تطيعوه .

وأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كِنْدةَ في منازلهم فلم يقبلوا منه .

وأتى بني حَنيفة في منازلهم ، فردُّوا عليه أقبحَ رَدٍّ .

وأتى عامرَ بن صَعْصعة .

وكان لا يدَعُ من العرب من له اسمٌ وشرَف إلا دعاه وعرَض عليه ما عنده .

● وقال جابر بن عبد الله : مكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ، يتّبع الناسَ في منازلهم بعكاظ ، ومَجَنَّة وفي المواسم يقول : من يؤويني من ينصرني ؟

● عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف ويقول : ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلامَ ربي .

فصـــل

ربما عَرَض لملحد أو قليل الإيمان فقال : ما وَجْه احتياج الرسول أن يدخل فى خفارة كافر ، وأن يقول فى المواسم : من يؤوينى ؟

فلو كان أمره حقًّا كان مُرْسلُه ينصره .

فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة .

فإذا خفيت حكمةُ فِعْله عنا ، وجب علينا التسليم له .

وما جرى للرسول ، إنما صدَر عن الحكيم الذى أقام قوانينَ الكلِّيات ، وأدار الأفلاك ، وأجرى المياه وأرسل الرياح ، بتدبير مُحْكَمٍ ، لا خلل فيه .

فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَر من الجوع ، ويُقْهَرُ ويُؤْذَى ، علمنا أن تحت ذلك حِكَمًا ، إن تمحّنا بعضها ، لاحت من خلال سُجُف البلاء حكمتان :

إحداهما : اختبار المبتَلَى ليَسْكن قلبُه إلى الرضاء بالبلاء ، فيؤدِّى القلبُ ما كلِّف من ذلك .

والثانية : بثُّ الشبهة فى خِلَال الحجج ، لِيُثَابَ المجتهد فى دفع الشُّبَه(١) .

---

(١) إن الابتلاء سنة لا تبدل فى حياة كل الأنبياء ، وهو لا يحتاج إلى هذا التكلف فى التأويل ، فهو قانون ثابت .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم يَعْرِض نفسَه على القبائل كما كان يصنع في كل موسم .

فبَيْنا هو عند العَقَبة لقي رهطاً من الخزرج ، فقال : من أنتم ؟

قالوا : من الخزرج .

قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

وكان قدماؤهم ، يسمعون أنه سيظهر نبي من بني غالب .

عن ابن جُميع(١) قال : لما حضرت أوسَ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر الوفاةُ ، قالوا له :

قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى .

وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك غير مالك .

---

(١) الخبر مروى عن جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين ابن السموأل بن عاديا ، وقد نقله ابن كثير عن الخرائطي في سيرته ١/ ٣٣٩ . وقد اختصره ابن الجوزي .

فقال : لن يهلك هالك ترَكَ مثلَ مالك . وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ لِلهِ دَعْوَةً ... يفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالبِرِّ
إِذَا بُعِثَ المبعوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ ... بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمزَمَ والحِجْرِ
هُنَالِكَ فَابغُوا نَصْرَهُ بِبِلَادِكُمْ ... بَنِى عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

وكان أولئك الذين عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون من اليهود ، أنه قد أظلَّ زمانُ نبي .

فلما كلّمهم قال بعضهم لبعض : والله إنه لَلنَّبِيُّ الذى تَعِدكم يهودُ ، فلا يسبقُنَّـكُمْ إليه .

فأجابوه ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا .

وكانوا ستة نفر : أسعد بن زُرَارة ، وعوف بن عَفْراء ، ورافع بن مالك ، وقُطْبة بنى عامر [، وعُقْبة بن عامر](١) وجابر بن عبد الله ابن رِئاب .

فلما قدموا المدينةَ على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم .

فلما كان من العام المقبل ، قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقَبة ، منهم الستة الذين تقدم ذِكرهم ، سوى جابر ، ومُعاذ بن عَفْراء ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعُبَادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وعباس ابن عبادة ، وعُوَيم بن ساعدة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان(٢) .

فبايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من المواهب وابن هشام .

(٢) قال الزرقانى : ياؤه مخففة عند أهل الحجاز ، مشددة عند غيرهم .

● قال عُبَادة بن الصامت : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقَبة ، ونحن اثنا عشر رجلا ، أنا أحدُهم .

فبايعناه بيعةَ النساء ، على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادَنا ، ولا نأتى ببهتان ، نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . وذلك قبل أن تُفْرض الحرب(١) .

فإن وفيتم بذلك ، فلكم الجنة ، وإن غشيتم شيئاً ، فأمرُكم إلى الله ، فإن شاء غفر ، وإن شاء عذَّب .

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم ، مُصْعَبَ ابن عُمَير إلى المدينة ، يفقِّه أهلها ، ويقرئهم القرآن .

فأسلم خَلْقٌ كثير .

---

(١) قال الزرقانى : والذى دلت عليه الأحاديث أن البيعة ثلاث : العقبة ، وكانت قبل فرض الحرب ، والثانية بعد الحرب على عدم الفرار ، والثالثة على نظير بيعة النساء .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدى عن رجاله : كان المَسْرَى ليلة السبت ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى السنة الثانية عشرة من المبعث ، قبل الهجرة ، بثمانية عشر شهراً .

وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا : أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة ، من ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة .

وهذا قول ابن عباس وعائشة .

• وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول :

قال قوم : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة .

وقال آخرون : قبل الهجرة بستة أشهر .

فمن قال لِسَنة ، فيكون ذلك فى ربيع الأول .

ومن قال لثمانية أشهر ، فيكون ذلك فى رجب .

ومن قال لستة أشهر ، فيكون ذلك فى رمضان .

قلت : وقد كان فى ليلة سبع وعشرين من رجب .

● عن أنس بن مالك أن مالك بن صَعْصَعة حدَّثه ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

بينما أنا فى الحطيم ، وربما قال قتادة : فى الحِجْرِ ، مضطجع ، إذ أتانى آتٍ ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة .

قال : فأتانى فقَدّ ، وسمعت قتادة يقول : فشقّ ما بين هذه إلى هذه .

قال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعنى به ؟

قال : من ثغرة نَحْره إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قَصّه إلى شعرته .

قال : فاستخرج قلبى . قال : فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبى ، ثم حُشِىَ ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة ، دونَ البغل ، وفوق الحمار ، أبيض .

قال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟ .

قال : نعم ، يضع خطوَه عند أقصى طرفه .

قال : فُحملت عليه . قال : فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا .

فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أوَ قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونِعْمَ المجىء جاء .

قال : ففتح ، فلما خلُصت ، إذا فيها آدم .

قال : هذا أبوك آدم ، فسلِّم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل: ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أوَ قد أُرسل إليه ؟ [قال : نعم] .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجىء جاء : قال : ففتح .

فلما خلصت إذا بيحيي وعيسى ، وهما ابنا الخالة .

قال : هذا يحيي وعيسى ، فسلِّم عليهما .

فسلَّمت فردَّا السلام ، ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلِّم عليه .

قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد :

قيل[(١)] : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، إذا إدريس عليه السلام ، قال : هذا إدريس ، فسلِّم عليه .

قال : فسلَّمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

---

(١) الأصل : « قال » وهو خطأ وما أثبته من البخاري .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلِّم عليه .

فسلَّمت عليه ، فرد السلام وقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟
قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء .

فلما خلصت ، إذا موسى عليه السلام .

قيل : هذا موسى ، فسلِّم عليه .

فسلَّمت عليه ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

فلما تجاوزتُ بكى .

فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : غلام بُعِثَ بعدى ، يدخل الجنة من أمته ، أكثرُ مما يدخل من أمتى !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح :

فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد .

قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم :

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، فقال : هذا إبراهيم ، فسلِّم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم رُفعت لى سِدْرة المنتهى ، فإذا نَبِقها مثل قِلَال هَجَر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة .

قال : وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

[فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال :](١) .

أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قَتادة : وحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيتَ المعمور ، يدخله كلَّ يوم ، سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال :

ثم أُتِيتُ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل .

قال : فأخذتُ اللبن ، قال : هذه الفطرة ، أنت عليها وأمتُك .

قال : ثم فرضت علىَّ خمسون صلاة كل يوم .

قال : فرجعت ، فمررت على موسى فقال : بما أُمرت ؟

قلت : أُمرتُ بخمسين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإنى قد خبرت(٢) الناس قبلَك ، وعالجت بنى إسرائيل ، أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسَلْه التخفيف لأمتك .

---

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وإنى والله قد جربت الناس قبلك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشراً .

فرجعت إلى موسى قال : بم أُمرت ؟

قلت : بأربعين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشراً آخر .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أُمرت ؟

قلت : أُمرت بثلاثين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع اثلاثين صلاة كل يوم .

وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فوضع عنى عشراً آخر .

فرجعت إلى موسى ، قال : بم أُمرت ؟

قلت : أُمرت بعشرين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم :

وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ،

فارجع إلى ربك فسَله التخفيف .

قال : فرجعت ، فَأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم :

قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : قلت : قد سألت ربى حتى استحييت ، ولكنى أرضى وأسلِّم .

فلما نفذت(١) نادى منادٍ : قد أمضيتُ فريضتى ، وخففت عن عبادى .

• عن جابر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما كذبتنى قريش حين أُسرى بى [قمت فى الحِجْر فجلا الله لى بيتَ المقدس(٢)] .

فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

أخرجاها .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما كان ليلة أسرى بى ، فأصبحت بمكة ، فَظِعْتُ بأمرى(٣) ، وعرفت أن الناس مكذِّبىّ .

قال : فقعدت معتزلاً حزيناً .

فمرَّ به أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟

قال : إنى أسرى بى الليلة .

---

(١) البخارى : فلما جاوزت .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من البخارى . (٣) مسند أحمد : أمرى .

قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قال : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .

قال : فلم يُرِه أنه مكذِّبُه مخافةَ أن يَجْحده الحديثَ إن دعا قومَه إليه .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ قومك ، أتحدثهم ما حدثتنى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى .

حتى انتقضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال : حدِّث قومَك بما حدثتنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أُسرى بى الليلة .

قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس :

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم

قال : فمِنْ بَيْن مصفِّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً ، للكذب ،

ثم قالوا : أو تستطيع أن تَنْعت لنا المسجدَ ؟

وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فما زلت أنعت حتى التبس علىَّ(١) بعضُ النعت . قال :

فجىء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عُقيل أو عقال .

فنعتُّه وأنا أنظر إليه .

فقال القوم : أمَّا النعت ، فقد والله ، أصاب .

وقد رَوى حديثَ المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الأصل : إنى . وما أثبته من المسند .

جماعة ، منهم : ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وأبىّ ، وحذيفة ، وأبو سعيد ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأم هانئ .

وقد ذكرنا فى حديث أنس بن مالك ، من رواية شريك عنه ، وفى رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قال : « رجعت إلى ربى فحطّ عنى خمساً ولم أزل أراجع بين ربى وبين موسى ، ويحط عنى خمساً خمساً » .

وهذا من أفراد مسلم .

والأول أصح ، لأنه قد اتفق البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك .

ومن حديث أنس عن نفسه ، أنه حط عشراً .

فهذه الرواية التى فيها « فحطّ خمساً خمساً » غلط من الراوى .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بى أتانى جبريل بالبراق مُسَرجاً ملجماً ، فذهبت لأركبه ، فاستصعب علىّ .

فقال جبريل : أبمحمد تفعل هذا ؟ والله ما ركبك نبى أكرم منه على الله تعالى .

فارفضّ البراقُ عرَقاً .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة

● عن كعب بن مالك قال : خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعَدْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم العَقَبة من أواسط أيام التشريق .

وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرَنا ، فكلمناه وقلنا :

يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه ، أن تكون حَطباً للنار غداً . ثم دعوناه(١) إلى الإسلام وأخبرناه(١) بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَسْلَمَ ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا

فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِين تَسَلُّلَ القَطا .

حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة ، ونحن سبعون رجلا ، ومعهم

---

(١) الأصل : دعوته وأخبرته. وهو تحريف .

امرأتان ، نُسَيْبة(١) بنت كعب ، أم عُمارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدِى .

فاجتمعنا فى الشِّعب ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وهو على دين قومه يومئذ ، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمرَ ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس [قال : يا معشر الخزرج ، قال : وكانت العرب إنما يُسمون](٢) ، هذا الحىَّ من الأنصار الخزرج ، أوسها وخزرجها : إن محمداً منَّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عزٍّ من قومه ومَنَعة فى بلده ، وقد أَبَى إلا الانقطاع إليكم .

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه وخاذلوه ، فمن الآن فدَعُوه فى عزٍّ ومنعة من قومه .

فقلنا : قد سمعنا ما قلت .

فتكلَّمْ يا رسول الله ، وخُذْ لنفسك وربك ما أحببت .

فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى الإسلام . ثم قال :

---

(١) نسيبة هى امرأة زيد بن عاصم من النساء المثاليات التى ضربت الرقم القياسى الأعلى فى البطولة ، فقد كان لها الموقف المشرف فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد .

شهدت بيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان كما شهدت يوم اليمامة وباشرت القتال بنفسها وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلمة الكذاب فقطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحا ثم عاشت بعد ذلك دهراً .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من ابن هشام .

أبايعكم على أن تمنعونى، مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده ثم قال: والذى بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا(١).

فَبايِعنَا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحَلْقة(٢) ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض القومَ أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال:

يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها، يعنى العهود.

فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتَدَعنا.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بل الدمَ الدمَ والهَدْم الهدم.

أنتم منى وأنا منكم، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

وقال: أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم(٣).

فأخرجوا اثنى عشر نقيبا، تسعةً من الخزرج، وثلاثةً من الأوس.

قال ابن إسحاق: فحدثنى مَعْبد فى حديثه عن أبيه كعب قال:

كان أولَ مَن ضَرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم: البَراء ابن مَعْرور، ثم تتابع الناس(٤):

---

(١) أزرنا: نساءنا. والعرب تكنى عن المرأة بالإزار، وتكنى أيضاً بالإزار عن النفس.

(٢) الحلقة: السلاح.

(٣) ابن هشام: ليكونوا على قومهم بما فيهم.

(٤) ابن هشام: ثم بايع بعد القوم.

فلما بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد(١) صوت سمعته قط : يا أهل الجَبَاجب . والجباجب : المنازل .

هل لكم فى مُذَمَّم والصُّباة(٢) معه ، قد أجمعوا على حربكم :

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزَبُّ العقَبة ، أىْ عدو الله ، أمَا والله لأفْرُغَنَّ لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجعوا إلى رحالكم .

فقال له العباس بن عُبادة : والذى بعثك بالحق ، إن شئتَ لنميلنّ غداً على أهل منًى بأسيافنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لم أومَرْ بذلك .

فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا :

يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا ، أن تَنْشَب الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هنالك من مشركى قومنا ، يحلفون بالله ، ما كان من هذا شىء وما علمنا .

وقد صَدَقوا ، لم يعلموا ما كان منا . قال : فبعضنا ينظر إلى بعض .

● عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الموسم :

---

(١) ابن هشام : بأنفذ .

(٢) الصباة : جمع صابىء . وتروى : والصبأة .

من يؤوينى ؟ .

حتى بعثنا الله من يثرب ، فآويناه وصدقناه ، ثم قلنا :

حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ !

فرحل منا سبعون ، حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدنا شِعب العقبة ، فاجتمعنا عنده فقلنا : يا رسول الله علام نبايعك ؟

فقال : تبايعونى على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى ، فتمنعونى إذا قدِمْتُ عليكم ، مما تَمْنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ، ولكم الجنة .

فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زُرَارة ، وهو مِن أصغرهم وقال :

رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب أكبادَ الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه رسولُ الله ، وأن إخراجه اليوم ، مفارَقةُ العرب كافةً ، وقَتْلُ خياركم ، وأن تَعَضّكم السيوفُ . فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك ، وأجرُكم على الله .

وإما أنتم قوم ، تخافون من أنفسكم جُبْنَةً(١) فبَيِّنوا(٢) فهو أعذَرُ لكم عند الله .

فقالوا : أمِطْ عنا يا أسعد ، فوالله لا نَدعُ هذه البيعة أبداً ولا نَسْلُبها أبداً . فقمنا فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة(٣) .

---

(١) جبنة : جبناً .

(٢) المسند : فبينوا . أى : كونوا على بصيرة وروية من أمركم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، باختلاف يسير ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة . ولم يخرجاه .

وقال الحافظ ابن كثير فى سيرته : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

الباب الخامس والثلاثون

فى علم قريش ما جرى للأنصار ، وما تشاوروا أن يفعلوا فى ذلك

قال كعب بن مالك : لما تفرّق الناس من منًى وتنطَّس(١) القومُ الخبرَ ، وجدوه قد كان .

فخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعدَ بن عبادة فى أَذَاخِر ، والمنذرَ ابن عمرو .

فأما المنذر ، فأعجز القومَ .

وأخذوا سعدا ، فربطوا يديه إلى عنقه ، ثم أقبلوا به إلى مكة .

فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية . فقالا :

قد كان يُجير تجارتنا . فخلَّصاه .

قال ابن إسحاق : وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة ، فخرجوا أرسالا(٢) ، وأقام ينتظر أن يُؤْذَن له ، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين إلا [من] أُخذ وفتن(٣) سوى أبى بكر وعلىّ .

وكان أبو بكر يستأذنه فى الخروج فيقول : لا تَعْجَل .

---

(١) تنطس القوم الخبر : أكثروا البحث عنه .

(٢) أرسالا . أى : جماعات جماعات .

(٣) ابن إسحاق : إلا من حبس أو فتن .

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً تَمنع ، علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم .

فاجتمعوا فى دار الندوة ، يتشاورون فى أمره .

ودار النّدوة ، هى دار قُصى بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها .

فدخلوا يتشاورون ما يصنعون .

قال ابن إسحاق : وحدثنى [من لا أتّهم من أصحابنا ، عن عبد الله](١) ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :

لما اجتمعوا لذلك ، اعترضهم إبليس ، فى هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار .

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذى اتّعَدْتم له ، فحضر معكم ، وعسى أن لا يَعْدمكم منه رَأْيٌ ونصح .

فقالوا : ادخل . فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان .

وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه ، فأجمِعو فيه رأياً .

فقال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ، لخرج أمرُه من وراء الباب إلى أصحابه ، فوثبوا ، فانتزعوه من أيديكم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

فقال قائل : نخرجه من بين أظهرنا .

فقال النجدى : والله ما هذا برأيٍ . ألم تروا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟

ولو فعلتم ذلك ما أمنت(١) أن يحل على حيٍّ من العرب فيتغلب عليهم بقوله حتى يبايعوه ثم يسير بهم إليكم .

فقال أبو جهل : والله ، إن لى فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعدُ .

قالوا : ما هو ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جَلْدًا نَسِيباً وسيطاً(٢) .

ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمدون ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح .

فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرّق دمه فى القبائل كلها ، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعَقْل(٣) فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدى : القولُ ما قال هذا الرجل ، لا أرى لكم غيره .

فتفرق القوم على ذلك .

فأتى جبريلُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال :

لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك ، الذى كنت تبيت عليه .

فلما كانت العَتمةُ ، اجتمعوا على بابه ، ثم ترصَّدوه متى ينام ، فَيَثِبُون عليه .

---

(١) ابن هشام : ما أمنتم .
(٢) وسيطا : شريفا .
(٣) العقل : الدية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب :

نَمْ عَلَى فراشى ، وتَسجَّ(١) ببُرْدى الحضْرَمى الأخضر ، فإنه لا يَخْلص(٢) إليك شيء تكرهه منهم .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ينام فى برده ذلك .

● عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ (الأنفال ٣٠) »(٣) .

قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم :

إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق .

وقال بعضهم : بل اقتلوه .

وقال بعضهم بل : أخرجوه .

فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك .

فبات علىٌّ(٤) عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة .

وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون ، يحرسون عليًا ، يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ، ثاروا إليه ، فلما رأوه عليًا ، ردّ الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك ؟

---

(١) تسج : تغط . (٢) لا يخلص : لا يصل .

(٣) ليثبتوك : أى ليجرحوك جراحة لا تقوم معها اهـ من المختار من الصحاح .

(٤) وبذلك كان علي أول فدائى فى الإسلام وأشجع الصحابة أجمع .

قال : لا أدرى .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، اختلط عليهم ، فصعدوا فى الجبل .

فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا ، لم يكن نسج العنكبوت .

فمكث فيه ثلاث ليال .

● وقال محمد بن كعب القرظى : اجتمعوا على بابه .

فخرج ، فأخذ حفنةً من تراب ، فنثرها على رءوسهم فلم يروه وقرأ : « وجعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أيديهم سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِم سَدًّا فأغشيناهم فهم لا يُبْصِرون (سورة يس الآية ٩) » ثم انصرف حيث أراد .

فأتاهم آتٍ ، ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا .

قال : والله قد خرج عليكم محمد .

فجعلوا يطّلعون ، فيرون عليًّا عليه السلام ، عليه بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : هذا محمد عليه بُرْده . فأقام إلى الصباح .

قال على : فقمت عن الفراش فرأونى .

● قال الواقدى عن أشياخه : إن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ، والحكم بن أبى العاص ، وعُقبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضر بن الحارث ، وأمية ابن خلَف ، وابن الغَيْطلة ، وزَمعة بن الأسود ، وطعمة بن عدى ، وأبو لهب ، وأُبَىّ بن خَلَف ، ونبيه ومنبّه ، ابنا الحجاج .

أبوابُ هجرتهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ
إلى المدينةِ

الباب الأول

فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

• عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : بَيْنا نحن جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى حَرِّ الظهيرة قال قائل لأبى بكر .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنِّعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها .

قال أبو بكر : فداءٌ له، أبى وأمى ، ما جاء به فى هذه الساعة ، إلا أمرٌ .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنَ ، فأذِن له .

فدخل فقال لأبى بكر : أَخْرِج مَنْ عندك .

فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك يا رسول الله .

قال : فإنى قد أُذن لى فى الخروج .

فقال أبو بكر : الصُّحْبَةَ ، بأبى أنت ، يا رسول الله .

قال : نعم .

قال : خُذ إحدى راحلتيَّ هاتين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحبَّ الجهاز ، ووضعنا لهما سُفْرة فى جراب .

فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به فم الجراب ، فبذلك سمِّيت ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، بغارٍ فى جبل ثَوْر فمكثا (١) فيه ثلاثَ ليال .

يبيت عندهما عبدُ الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ (٢) لَقِنٌ (٣).

فيُدْلِج (٤) مِن عندهما بسَحَر ، فيصبح مع قريش كبائتٍ .

فلا يسمع أمراً يُكادان به ، إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين يختلط الظلام .

ويرعَى عليهما عامرُ بن فُهيرة ، مَوْلى أبى بكر ، مِنْحَةً من غَنَم ، فيُرِيحها (٥) عليهما ، حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رِسْل وهو

---

(١) البخارى : فمكثنا .

(٢) ثَقِفٌ ، أى : حاذق ، خفيف فَطِن .

قال فى الصحاح : ثَقُفَ الرجل ثقفاً وثقافة ، أى صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ مثل ضَخُمَ فهو ضَخْمٌ ، ومنه : المثاقفة وثَقِف أيضاً ثَقَفاً مثل تَعِبَ تَعَباً لغة فى ثَقُفَ ، أى صار حاذِقاً فَطِناً فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ مثال حَذِرٍ وحَذُرٍ ومثله فى القاموس إلا أنه زاد ثَقَفاً بفتح الحروف كلها ويتمشى هذا الوزن إذا كان الفعل (ثَقُفَ) من الباب الرابع كفرح ، والخلاصة أن ثقف إن كان من الباب الخامس كضخم يضخم فالوصف منه ثَقْفٌ مثل ضَخْم وإن كان من الباب الرابع مثل فرح يفرح فالوصف منه ثَقِف مثل حَذِر وفَرِح .

(٣) قال فى الصحاح : لَقِنٌ : سريع الفهم . والاسم : اللَّقانه ، وفى القاموس : اللَّقْن واللَّقَانة واللَّقَانية : سرعة الفهم . لَقِن كفرح فهو لَقِنٌ وألْقَنَ : حفظ بالعجلة . اهـ .

(٤) فيدلج : أى يعود ليلا من عندهما وقت السحر .

(٥) أى : فيذهب إليهما بالغنم ليلا .

لبن مِنْحتهما ، حتى يَنْعق بها عامر بن فُهَيرة بغَلَس(١) ، يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر [رجلا](٢) من بنى الدِّيل، وهو على دين كفار قريش فأمّناه ، ودفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما(٣) .

● وقد روينا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لمّا أراد أن يخرج ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى جبل ثور .

● وروى الواقدى عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبى بكر إلى الليل ، ثم خرجا إلى الغار .

وكان خروجهما وقد بقى من صفر ثلاث ليال .

---

(١) أى : ظلام الليل .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح البخارى .

(٣) الحديث جزء من رواية البخارى فى صحيحه ٢ / ١٩١

الباب الثانى

فى ذكر ما جرى فى الغار

● عن أنس أن أبا بكر حدَّثه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا .

فقال : يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين ، الله ثالثهما !

أخرجاه فى الصحيحين .

● عن أنس قال : لما كانت ليلةُ الغار قال أبو بكر : يا رسولَ الله دَعْنى أدخل قَبْلك ، فإن كان فيه [شىء] كان بى قَبْلك . قال : ادخل .

فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جُحراً ، قال بثوبه ، فشقَّهُ ، ثم ألقمه الجحر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . قال : فبقى جحر فوضع عَقِبَه عليه .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أين ثوبك يا أبا بكر ؟

فأخبره بالذى صنع ، فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه فقال :

اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة .

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجيب لك .

● عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لَلَيلة من أبى بكر ويوم ، خير من آل عمر .

هل لك بأن أحدثك بليلته ويومه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين حدثني .

قال : أمّا ليلته ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل مكة خرج ليلا ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرة أمامه ، ومرة خَلْفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا مِن فعلك .

فقال : يارسول الله ، أذكر الرَّصَد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلَب ، فأكون خَلْفك ، ومن عن يمينك ، وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه ، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حمله على كاهله(١) وجعل يشتد به حتى أتى به الغار فأنزله .

ثم قال : والذي بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء ، نزل بي قبلَك ، ففعل ، ولم ير شيئاً ، فحمله وأدخله .

وكان في الغار خرق ، فيه حيات وأفاع .

فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء فيؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فألقمه قدَمه .

فجعَلْن يضربنه ويلسعنه ـ الحيات والأفاعى ـ وجعلت دموعه تنحدر .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

---

(١) كاهله . أى : ظهره ، قال فى المصباح : الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقرات . اهـ . المراد منه .

فأنزل الله سكينته ، أى طمأنينته لأبى بكر :

فهذه ليلته .

• وقال الواقدى عن أشياخه : طلبت قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الطلَب ، حتى انتهت إلى باب الغار .

قالت : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . فانصرفوا .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لم ندْر بالحال ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يُغنِّى غناء العرب والناس يتبعونه ، يسمعون صوته ولا يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى اللهُ ربُّ النّاسِ خيرَ جزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حلاَّ خَيمَتَىْ أُمِّ مَعْبدِ

وسيأتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

فى ذكر ما جرى له فى طريقه إلى المدينة

● قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول .

● وذكر محمد بن سعد ، أنه خرج من الغار ليلة الاثنين ، لأربع خلوْن من ربيع الأول .

قلت : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثاً .

وخرج معه أبو بكر وعامر بن فُهَيرة ، ودليلهم عبد الله بن أُرَيقط الليثى ، وكان على دين قومه ، فأخذ بهم طريقَ السواحل .

● عن البَرَاء بن عازب قال : اشترى أبو بكر مِن عازبٍ سرجاً(١)، فقال : مُرِ البَرَاءَ ، فليَحْمله إلى منزلى .

قال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعتَ ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟

قال أبو بكر : خرجنا فأَدْلَجْنَا(٢) فأَحْثَثْنا(٣) يومَنا وليلتنا حتى أظْهَرْنَا(٤) وقام قائمُ الظهيرة .

---

(١) البخارى ٢/١٥٣ رحلا .
(٢) أى : سرنا الليل كله .
(٣) البخارى : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا . ومعنى (أحثثنا) أسرعنا وجدينا فى السير .
(٤) أى : دخلنا فى وقت الظهر .

فضربتُ ببصرى، هل أرى ظلاًّ آوِى إليه ، فإذا أنا بصخرة ، فاهويت إليها ، فإذا هو بقية ظلّها .

فسوّيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرشت له فروةً وقلت : اضطجع يا رسول الله . فاضطجع .

ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطَّلَب، فإذا أنا براعى غنم .

فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته .

فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم .

قلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم .

فأمرتُه ، فاعتقل شاةً منها ، ثم أمرته فنفض ضرعَها من الغبار .

ثم أمرته فنفض كفَّه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة .

فحلب لى كُثْبَة(١) من اللبن فصببت على القَدَح (٢) حتى بَرد أسفله .

ثم أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : اشرب يا رسول الله .

فشرب حتى رضيت . ثم قلت : قد آن الرحيل .

فارتحلْنَا والقومُ يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم ، إلا سُرَاقة بن مالك ابن جُعْشُم على فرس له .

فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلبُ قد لَحِقَنا .

فقال : لا تحزن إن الله معنا(٣) .

حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قِيدُ(٤) رمح أو رمحين أو ثلاثة .

---

(١) الكثبة : ملء القدح .
(٢) البخارى : فصببت على اللبن .
(٣) إلى هنا رواية البخارى فى صحيحه فى مناقب أبى بكر ٢ / ١٥٣ مع اختلاف .
(٤) قيد : أى مقدار طول رمح الخ .

قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكيت .

قال : لم تبكى ؟

قلت : أمَا والله ، ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت .

فساخت(١) قوائم فرسه إلى بطنها ، فى أرض صلد .

فوثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أن هذا عملك ، فادع الله عز وجل ، أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمهنّ(٢) على مَنْ ورائى من الطلب .

وهذه كنانتى ، فخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لى فيها .

ودعا له ، فانطلق ورجع إلى أصحابه .

• عن عبد الرحمن بن مالك المُدْلجىّ [أن أباه أخبره أنه](٣) سمع سُرَاقَةَ يقول : جاءنا رُسُل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ديَةَ كلِّ واحد منهما لمن قتله(٤) أو أسَره .

فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال :

يا سراقة ، إنى رأيت آنفاً أَسْودةً(٥) بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

---

(١) ساخت . أى : دخلت فى الأرض وغابت .

(٢) أصل العمه : التحير والتردد . والمراد هنا : لأخفين طريقك وأمرك على من ورائى ممن يطلبك .

(٣) من البخارى .

(٤) البخارى : من قتله . وما هنا أوضح .

(٥) الأسودة : يكنى بها عن الشخص . أى : أشباحاً .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا [يبتغون ضالةً لهم](١) ثم لبثتُ فى المجلس ساعة .

ثم قمت ، فدخلت ، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ .

وأخذت رمحى ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزُجّه(٢) الأرضَ ، وخفَضْت عاليه ، حتى أتيت فرسى ، فركبتها ، فرفعتُها تقرِّب بى ، حتى دنوت منهم .

فعثرت بى فرسى ، فخرَرْت(٣) عنها ، فقمت .

فأهْوَيت يدى إلى كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلامَ فاستقسمتُ بها : أضرهم ، أم لا ؟

فخرج الذى أكره .

فركبتُ فرسى وعصيت الأزلام .

حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخَتْ يدَا فرسى فى الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرَرْتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ولم تكد(٤) تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ(٥) ساطع فى السماء مثل الدخان .

فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره فناديتهم الأمان(٦) .

---

(١) من صحيح البخارى . (٢) الزج : الحديدة فى طرف الرمح .
(٣) فخررت . أى : سقطت ووقعت . (٤) البخارى : فلم تكد .
(٥) البخارى : عثان ساطع . و « العثان » كالدخان ، وزناً ومعنى .
(٦) البخارى بالأمان .

فوقفوا ، فركبت فرسى ، حتى جئتهم .

ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحَبْس عنهم ، أَنْ سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديةَ .

وأخبرتهم أخبارَ ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يَرْزآنى ولم يَسْألانى [شيئاً(١)] إلا أن قال : أَخْفِ عنا .

فسألته أن يكتب لى كتابَ أَمْن .

فأمر ، عامرَ بن فُهَيرة ، فكتب فى رقعة من أَدَم .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

قال الزهرى : وأخبرنى عروة بن الزبير ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقى الزبيرَ فى رَكْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثيابَ بياض .

---

(١) ليست فى البخارى وابن إسحاق .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه فى باب الهجرة .

الباب الرابع

في ذكر حديث أم معبد

عن أبي مَعْبد(١) الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر من مكة إلى المدينة ، هو ، وأبو بكر ، وعامر بن فُهَيرة ، ودليلهم ، عبد الله بن أُرَيْقط ، فمرُّوا بخيمتي أم مَعْبد الخُزَاعية .

وكانت امرأة جَلْدة بَرْزة(٢) تحتبي ، وتقعد بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم .

فسألوها تمراً ولحماً يشترونه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا القوم مُرْملون (٣) مُسْنِتون(٤) ، فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم(٥) القِرَى .

---

(١) في دلائل أبي نعيم : عن حبيش بن خالد . وفي شرح المواهب : عن أخي أم معبد حبيش صاحب رسول الله .

(٢) الجلدة : القوية . برزة . أي : جليلة عفيفة ، مسنة تبرز للرجال وتتحدث إليهم

(٣) مرملون . أي : فقراء ليس عندهم زاد قال في الصحاح : يقال أرمل القوم : إذا نفد زادهم ، وعام أرمل ، أي : قليل المطر .

(٤) مسنتون . أي : مجدبون عيشتهم ضيقة ، قال في المختار من الصحاح : أسنت القوم : إذا أجدبوا . والسَّنِتُ ككتف : القليل الخير . وزاد في القاموس . وأرض سَنِتَة ومسنتة : لم تنبت وعام سنيت ومسنت : جدب .

(٥) أعوزكم القرى : أي ما احتجتم إلى طلبه .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد !

فقالت : هذه شاة خَلَّفها الجَهْد[١] عن الغنم .

قال : هل بها من لبن ؟

قالت : هى أَجْهَدُ[٢] مِن ذلك .

قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟

قالت : نعم بأبى أنت وأمى ، إن كان رأيت بها حَلَبا[٣] .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشاة ، فمسح ضرعها[٤] وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها فى شاتها .

قالت : فتفاجَّت[٥] ودَرَّت[٦] ، واجترَّت[٧] .

فدعا بإناء يُرْبض الرهطَ[٨] فحلب فيه ثَجًّا[٩] حتى علاه الثُّمال[١٠] .

---

(١) خلفها الجهد ، أى : أخرها عن الذهاب مع الغنم إلى المرعى شدة هزالها وضعفها من قلة الغذاء .

(٢) أجهد ، أى : أضعف .

(٣) حلبا ، أى لبنا .

(٤) ضرعها ، أى : ثديها .

(٥) تفاجت ، أى : فرجت وباعدت ما بين رجليها لتحلب كما يستفاد من أساس البلاغة والصحاح .

(٦) « درت » أى : كثر لبنها .

(٧) اجترت : اخرجت ما فى معدتها وصارت تأكله ثانيا .

(٨) يربض الرهط ، أى: يسع ما يكفى الجماعة من اللبن كما يستفاد من القاموس والصحاح .

(٩) ثجا : كثير السيلان والانصباب .

(١٠) قال فى الصحاح : الثمال الرغوة .

فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم، وشربوا جميعاً عللاً (١) بعد نهل حتى أراضوا(٢) .

ثم حلب فيه ثانية عَوْدا على بَدْء فغادره(٣) عندها ثم ارتحلوا عنها .

فقلَّ ما لبث أن جاء زوجها أبو مَعْبد يسوق أعنزاً حُيَّلا عجافا(٤) يتساوَكْنَ(٥) هُزْلاً ، مُخُّهن قليل ، لا نِقْيَ(٦) بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لكم هذا ، والشاة عازبة(٧) ولا حَلُوبة في البيت ؟

قالت : لا والله ، إلا إنه مرَّ بنا رجل مُبَارَك ، كان من حديثه كيت وكيت .

قال : والله إنى لأراه صاحبَ قريش الذى تطلب . صفيه لى يا أم معبد .

قالت: رأيت رجلا ظاهرَ الوضاءة(٨) متبلِّج(٩) الوجه ، حسن الخَلق ،

---

(١) عللا بعد نهل . أى : تكرر شربهم قال فى المختار من الصحاح : العلل ، الشرب الثانى ، والنهل الشرب الأول .

(٢) أراضوا . أى : ارتووا واتسعوا وانبسطوا . كما يستفاد من القاموس .

(٣) غادره . أى : ترك الإناء .

(٤) اعنزا حيلا عجافا . أى شياها غير حوامل وضعافا .

(٥) يتساوكن . أى : تضطرب أعناقهن من شدة الهزال والضعف .

(٦) لا نقى بهن . أى : لا مخ فى عظامهن . قال فى الصحاح : النقى : مخ العظم وشحم العين من السمن .

(٧) عازبة . أى : بعيدة وغائبة .

(٨) الوضاءة : الحسن .

(٩) متبلج . أى : مضىء مشرق .

لم تَعِبْهُ ثُجْلَة(١) ولم تُزْرِ به صُعْلة(٢) ، قَسِيمٌ وسيم(٣) ، فى عينيه دَعَج(٤) ، وفى أشفاره ، وطَف(٥) ، وفى صوته صَحَل(٦) ، أَحْوَر(٧) أكحل(٨) أزجُّ أقرن(٩) ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سَطَع(١٠) ، وفى لحيته كثافة .

إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء(١١) كأن منطقه خرزاتُ نَظْمٍ يتحدَّرْن ، حلو المَنْطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذَر(١٢) . أَجْهَر الناس وأجمله مِن بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربْعَة لا تَشْنَؤه(١٣) عَيْن من طُول ، ولا تقتحمه(١٤) عين من قِصر ، غُصْن بَيْن

(١) قال فى الصحاح : الثجلة بالضم : عظم البطن .

(٢) أى : لم يعبه صغر فى رأسه قال فى الصحاح : الصعلة : الصغير الرأس من الرجال والنعام . ورجل صعل وامرأة صعلاء .

(٣) قسيم وسيم . أى حسن الوجه وجميل .

(٤) دعج . أى شديد سواد العين مع سعتها .

(٥) الأشفار : حروف وأطراف الأجفان التى ينبت عليها الشعر .
والوطف : كثرة شعر العين والحاجبين كما فى الصحاح والقاموس .

(٦) صحل : يقال فى صوته صحل . أى بحوحة . اهـ صحاح .

(٧) أحور . أى شديد بياض العين فى شدة سوادها . اهـ . صحاح .

(٨) أكحل . وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد خلقة . اهـ مصباح .

(٩) الزجج : دقة فى الحاجبين وطول . والأقرن : بين القرن . وهو المقرون الحاجبين . (١٠) وفى عنقه سطع . أى : طول . اهـ صحاح .

(١١) البهاء : الحسن . اهـ . صحاح .

(١٢) قوله : فصل ، أى : فاصل بين الحق والباطل . وقوله : لا نزر ولا هذر . قال فى القاموس: أى : ليس بقليل فيدل على عى (عجز) ولا بكثير فاسد اهـ . والهذر : التكلم بما لا ينبغى . اهـ مصباح .

(١٣) تشنؤه : تبغضه من فرط طوله .

(١٤) لا تقتحمه . أى : لا تحتقره . اهـ . قاموس .

غُصْنين ، فهو أبهى(١) الثلاثة منظراً وأحسنهم قدًّا(٢) ، له رفقاء يحُفُّون به(٣) ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا(٤) لأمره ، مَحْفُود مَحْشُود(٥) ، لا عابس ولا مُفْنِد(٦) .

قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذُكر له من أمره ما ذُكر ، ولو كنت وافيته لالتمستُ أَنْ أَصْحبه ، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلا .

وأصبح صوتٌ بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلا بِالبِرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَ قُصَىٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَازَى وَسُؤْدَدِ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُمُ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... بِدِرَّتِهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

---

(١) أبهى . أى : أحسنهم .
(٢) قداً . أى : قامة جسمه . اهـ صحاح .
(٣) يحفون به . أى : أطافوا به واستداروا . اهـ . صحاح .
(٤) تبادروا . أى : تسارعوا وتسابقوا إلى تنفيذ أوامره .
(٥) محفود . أى : مخدوم. محشود. أى: يحفون (يسرعون) لخدمته . اهـ . صحاح.
(٦) قوله : لا عابس . يعنى : ليس كالح الوجه . ولا مفند ، ليس فيه ضعف الرأى من الهرم .

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم ، وأجدوا على خيمتى أم معبد .

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ   وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِى إِلَيْهِ وَيَغْتَدِى
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَزَالَتْ(١) عُقُولُهُمْ   وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ
وَهَلْ يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا   عَمًى وَهُدَاةٌ يَقْتَدُونَ(٢) بِمُهْتَدِى
نَبِيٌّ يَرَى مَالَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ   وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ
وَإِنْ قَالَ فِى يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ   فَتَصْدِيقُهَا فِى ضَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْغَدِ(٣)
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ   بِصُحْبَتِهِ ، مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ
وَيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ   وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَدِ

البرزة الكبيرة . والمُرْملون : الذين نفد زادهم . والمُسْنِتون من السَّنة وهى الجدْب . وكِسْر الخيمة جانبها . والجهد : المشقة . وتفاجَّت : فتحت ما بين رجليها لتحلب . ويُرْبِض الرهط : يثقلهم فيربضوا(٤) . والثمال : الرغوة . والعَلَل : مرة بعد أخرى . وأراضوا : أى رووا . والحُيَّل : اللاتى لسْن بحوامل . والعازب : البعيد فى المرعى . والتبلُّج : المشرق . والثجْلَة : عظم البطن واسترخاء أسفله . والصُّعْلة : صغر الرأس . والوسيم : الحسن ، وكذلك القسيم . والدَّعج : سواد العين . والوطف : الطول . والصَّحَل : كالبحَّة . والأحور : الشديدُ سوادِ أصول الأهداب خلقةً . والسَّطَع : الطول .

---

(١) فى شرح المواهب : فضلت عقولهم .   (٢) شرح المواهب : يهتدون .
(٣) شرح المواهب : فى اليوم أو فى ضحى الغد .
(٤) المواهب : حتى يربضوا .

وقولها : « إذا تكلم سماً » أى علا برأسه ويده . وقولها : لا تقتحمه عين : أى تحتقره . والمُفْنِد : الهَرِم . والصريح : الخالص . والضرة : لحم الضرع .

• عن أم معبد قالت : طلع علينا أربعةٌ على راحلتين ، فنزلوا بى .

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبحها له فإذا هى ذات(١) دَرٍّ ، فأدنيتها(٢) منه فلمس ضرعها ثم قال : لا تذبحيها . فأرسلتها .

وجئت بأخرى ، فذبحتها وطبختها لهم ، فأكل هو وأصحابه .

فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه ، وزودتهم منها ، ما وسعت سُفْرتهم ، وبقى عندنا لحمها أو أكثره .

وبقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ، حتى كان عام الرمادة، زمن عمر ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة .

قالت : وكنا نحلبها صَبُوحا وغَبُوقا ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

---

(١) أى : ذات لبن .

(٢) فأدنيتها ، أى : قربتها .

الباب الخامس

فى تورية أبى بكر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقهم إلى المدينة

● عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رَدِيفه .

وكان أبو بكر يُعْرف فى الطريق ، لاختلافه إلى الشام .

وكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟

فيقول : هادٍ يهدينى إلى الطريق .

فلما دنَوْا من المدينة ، بعث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار ، إلى أبى أمامة أصحابه ، فخرجوا إليهما فقالوا : ادخلا آمِنَيْن مُطَاعَيْن . [فدخلا](١) .

قال أنس : فما رأيت يوما قط ، أنورَ ولا أحسنَ ، من يوم دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، المدينة .

وشهدت وفاته ، فما رأيت يوماً قط ، أظلَم ولا أقبح ، من اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من مسند أحمد .

الباب السادس

فى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة بُرَيدة الأسلمى ، وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه

● عن عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطيَّر ، وكان يتفاءل ، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل ، فيمن يأخذ نبيَّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيرده عليهم ، حين توجه إلى المدينة .

فركب بُرَيدة فى سبعين راكباً من أهل بيته من بنى سَهْم ، فتلقى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ فقال : أنا بُرَيْدة :

فالتفت إلى أبى بكر الصِّديق فقال : يا أبا بكر بَرَد أمرنا وصلح .

ثم قال : ممن أنت ؟ قال : مِنْ أَسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : سلِمْنا .

قال : ممن ؟ قال : من بنى سهم .

قال : خرج سهمُك [يا أبا بكر](١) .

فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

---

(١) من شرح المواهب ، نقلا عن البيهقى .

قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله .

فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فأسلم بُرَيدة ، وأسلم من كان معه جميعاً .

فلما أصبح ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء .

فحلّ عمامته ، ثم شدّها في رمح ، ثم مشى بين يديه . فقال : يا نبي الله تنْزِل عليّ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ناقتي هذه مأمورة .

فقال بُريدة : الحمد لله الذي أسلمتْ بنو سَهْم ، طائعين غير مُكْرَهين .

الباب السابع

في ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع المسلمون بالمدينة بمَخْرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .

وكانوا يَغْدون كل غَدَاة إلى الحَرَّة(١) ينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة .

فأقبلوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم .

فلما أوَوْا إلى بيوتهم ، أوْفَى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ(٢) من آطامهم لأمر ينظر إليه .

فبصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مُبْيضِين(٣) يزولُ بهم السرابُ .

فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جَدُّكم الذى تنتظرونه .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقَّوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْر الحَرَّة ، فعَدَل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً .

---

(١) أرض ذات حجارة سود ، كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير وطلحة .

وقال ابن التين : يحتمل أن معناه مستعجلين . قال ابن فارس : يقال بائص، أى مستعجل . شرح المواهب ١/٣٥٠ .

الباب الثامن

فى ذكر اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

• قال الزُّهرى : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

• وروى حَنَش الصنعانى عن ابن عباس ، قال :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبِّئَ يوم الاثنين ، ورَفَع الحَجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبض يوم الاثنين ، صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع

فى ذكر المكان الذى نزل به حين دخل المدينة

• عن أبى بكر الصديق قال : مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قَدِمْنا المدينة ، فتلقاه الناس ، فخرجوا فى الطرق وعلى الأباعر . واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، جاء محمد .

قال : وتنازع القوم ، أيهم ينزل عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلُ الليلة على بنى النجار ، أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك .

فلما أصبح ، غدا حيث أُمِر .

قلت : بيان الخؤولة ، أن هاشماً تزوج امرأةً من بنى عدى بن النجار ، فولدت له عبد المطلب .

وقد ذكرنا فى حديث عائشة آنفاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فى بنى عمرو بن عوف ، هم أهل قُباء(١) .

• قال ابن إسحاق : فنزل على كلثوم بن الهَدْم ، أخى بنى عمرو بن عوف.

---

(١) قال فى القاموس : قباء بضم القاف ويذكر ويقصر . موضع قرب المدينة المنورة ، وموضع بين مكة والبصرة وبالقصر اسم بلد بفرغانة .

وفى المصباح : وقباء : موضع بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الجنوب نحو ميلين وهو بضم القاف ، يقصر ويمد ، ويصرف ولا يصرف .

وقيل : نزل على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَباً ، لا أهل له .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدهم ، ثم خرج عنهم يوم الجمعة .

وقيل : مكث فيهم بضعة عشر يوماً :

ثم ركب ناقته وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلُها إلى النزول عندهم وقالوا :

هلمَّ يا رسول الله ، إلى العَدد والعُدَّة .

فيقول لهم : خلوا زمامها فإنها مأمورة .

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب المسجد ، وهو يومئذ مرْبد ، فلم ينزل عنها .

فوثبت ، فسارت غير بعيد ، ثم رجعت إلى مَبْركها الأول ، فبركت فيه ووضعت جِرَانها(١) .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب ، رَحْلَه .

فنزل على أبى أيوب ، فأقام عنده ، حتى بنى مسجده ومساكنه .

● وقال الواقدى عن أشياخه : لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقام ببنى عمرو بن عوف .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفاعَ النهار ، دعا براحلته ، وركب والناس معه عن يمينه ويساره .

---

(١) أى : وضعت عنقها على الأرض .

فاعترضتْهُ الأنصار، لا يمرُّ بدار إلا قالوا : هلمَّ يانبى الله ، إلى القوة والمنعة .

فيقول لهم خيراً ، ويقول : إنها مأمورة .

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء أبو أيوب ، فحطّ رحلَه ، وأدخله منزلَه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المرء مع رَحْله » .

وجاء أسعدُ بن زُرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، فكانت عنده .

وما كان من ليلة ، إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثةُ والأربعة ، يتناوبون ، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب .

وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ، إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين .

فقدِما بفاطمة ، وأم كلثوم ، ابنتيه ، وسَوْدة ، زوجته ، وأسامة ابن زيد(١) .

وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم ، بعيال أبى بكر ، فيهم عائشة .

فلما قدموا المدينة ، أنزلهم فى بيت جارية بن النعمان .

● قال محمد بن حبيب الهاشمى : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزل قُباء ، على كلثوم ، وكان يتحدث فى منزل سعد بن خيثمة ، وسُمّى منزلَ العزاب .

وركب من قباء يوم الجمعة ، يؤم المدينة فجَمَّع(٢) فى بنى سالم .

وكانت أول جمعة ، جمعها فى الإسلام .

---

(١) زاد فى المواهب : « وأم أيمن وولدها أيمن » كما فى رواية الطبرانى .

(٢) أى: صلى الجمعة .

الباب العاشر

فى ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لعبت الحبشة بحرابها ، فرحاً بذلك .

● عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بجوار من الأنصار ، وهن يتغنّين يقلن :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ   وَحَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله يعلم أنى أحبكن » .

● عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا   مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا   مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

الباب الحادي عشر

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن سَلاَم حين دخل المدينة

● عن عبد الله بن سَلاَم ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل(١) الناس ، وكنت فيمن أتى .

فلما رأيت وجهه ، عرفت أنه غير وجه كذاب ، فسمعته يقول :

أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصَلوا بالليل والناس نِيام ، تدخلوا الجنة بسَلام .

(١) انجفل القوم : انقلعوا (يعنى : أسرعوا) فمضوا .

الباب الثانى عشر

فى فضل المدينة

• عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة ». أخرجاه .

وفى أفراد مسلم ، من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يثبت أحدٌ على لَأْوَائها وشدتها ، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليمُتْ ، فإن مات بالمدينة ، شفعت له يوم القيامة » .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صيام شهر رمضان بالمدينة ، كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة بما سواها » .

• عن أبى ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« غبار المدينة ، شفاء من الجذام[1] » .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المدينة قُبَّة الإسلام ، وقلب الإيمان ، وما بين الحلال والحرام » .

---

(١) أخرجه رزين ، وهو لا يوثق به .

الباب الثالث عشر

فى ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه رجال من المسلمين .

وكان مربداً للتمر لسهل وسُهيل غلامين يتيمين ، فى حجر أسعد ابن زرارة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به :

هذا ، المنزل إن شاء الله .

ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالمربد ، ليتخذه مسجداً ، فقالا :

بل نهبُه لك يا رسول الله .

ثم بناه مسجداً ، وطفق ينقل معهم اللبِن فى بنائه ويقول :

هَذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرِ　　　هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرِ

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ　　　فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

• عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة(١)] .

---

(١) من البخارى .

فنزل فى حَىٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف .

فأقام النبى صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار ، فجاءوا بالسيوف .

وكأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر رِدفه ، ومَلأُ (١) بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب .

وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد .

فأرسل إلى بنى النجار(٢) فقال :

يا بنى النجار ، ثامنونى بحائطكم هذا .

قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

قال أنس : فكان فيه ما أقول لكم ، كان فيه قبور المشركين وخِرَبٌ(٣) ، وفيه نخل .

فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين ، فنبشت ، ثم بالخرب ، فَسُوِّيَتْ وبالنخل فقطع .

فصفوا النخل ، قبلةَ المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة .

وجعلوا ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون ، والنبى صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول :

---

(١) وملأ . أى : جماعة : (٢) البخارى : إلى ملأ بنى النجار .

(٣) الخرب بفتح المعجمة وكسر الراء جمع خربة ككلمة وكلم ، وجوز الخطابى أنه خرب بضم المهملة وسكون الراء وهى الخروق المستديرة فى الأرض .

اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرَ الآخِرَهْ   فَاغفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمهَاجِرَهْ(١)

• عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد . وعمده الخشب من النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً .

وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه . فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً .

ثم غيَّره عثمان ، وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة(٢) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

انفرد بإخراجه البخارى .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ١/٦٦

(٢) القصة : الجصة .

الباب الرابع عشر

فى فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ؛ ومسجدى ؛ والمسجد الأقصى ، وصلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام » .

● عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام » .

قال ابن عقيل : قوله : « صلاة فى مسجدى » إشارة إلى ما كان مسجداً فى زمانه ، لا إلى ما أدخل فى المسجد من الزيادة .

● عن أبى سعيد قال : تمارَى رجلان فى المسجد ، الذى أسس على التقوى من أول يوم .

فقال رجل : هو مسجد قباء . وقال الآخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدى » .

أخرجه مسلم .

الباب الخامس عشر

في ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

● عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .

أخرجاه .

● عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة .

وما بين المنبر ، وبيت عائشة ، روضة من رياض الجنة .

والترعة : الروضة على المكان المرتفع .

الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

● عن محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبى الرجاء :

أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فأخبرنى عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها ، فى الشق الأيسر ، إذا قمتَ إلى الصلاة ، إلى وجه الإمام فى وجه المنبر ، هذا أبعدُه .

ولما توفيت زينب بنت خزيمة ، أدخلَ أمَّ سلمة بيتها .

قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله .

فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوَّل له حارثة عن منزله ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .

● قال ابن سعد : وأوصت سَوْدة بيتها لعائشة .

وباع أولياء صفية بنت حُيَيّ بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم .

واشترى معاوية من عائشة منزلها ، بمائة ألف وثمانين ألف ، وقيل : ثمانين ألف .

وشرط لها سكناها ، حياتَها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها حتى قسمته .

وقيل : بل اشتراه ابنُ الزبير من عائشة ، بعث إليها خمسة أجمال ، تحمل المال ، وشرط لها سكناها حياتها ، ففرَّقت المال .

فقيل لها : لو خبأتِ منه درهماً ؟ فقالت : لو ذكّرتمونى فعلتُ .

وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر ، فلم يأخذ له ثمناً ، فأدخل فى المسجد .

• قال ابن سعد ، قال عبد الله بن يزيد(١) الهذَلى :

رأيت منازلَ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ حين هدمها عمرُ بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وزادها فى المسجد .

كانت بيوتاً مبنية باللبِن ، ولها حُجَر من جريد ، عدَدْتُ تسعةَ أبيات بِحُجَرها ، ورأيت بيتَ أمِّ سلمه وحجرتها ، من لبن .

قال ابن شهاب : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَة الجندل ؛ بَنَتْ أمُّ سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البناء .

فقالت : أردت أن أكفَّ أبصارَ الناس .

فقال : إن شرَّ ما ذهب فيه مالُ المرء المسلم(٢) البنيانُ .

وقال عطاء الخراسانى : أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل ، على أبوابها المسوح ، من شعر أسود .

فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ ؛ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فما رأيت يوماً ، أكثر باكياً من ذلك اليوم ؟

فسمعت سعيد بن المسيَّب يقول يومئذ :

والله لوددْتُ أنهم تركوها على حالها ، حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ، ويَقْدَم القادم ، فيكون ذلك مما يزهِّد الناس فى التكاثر والتفاخر ! !

---

(١) الأصل : زيد . والتصويب من ابن سعد . (٢) ابن سعد : مال المسلمين .

الباب السابع عشر

فى دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة

عن عائشة قالت : قَدِمِ النبىُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ وهى وبيئة ، فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحمّى يقول :

كلُّ امرىء مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أدْنَى(١) مِنْ شِرَاكِ(٢) نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أخذته الحمّى يقول :

ألاَ ليْتَ شِعْرِى هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وَحوْلى إذْخَرٌ وَجَليل(٣)

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مياه مَجَنَّةٍ وهَلْ يَبْدُونْ لى شامةٌ وطَفِيلُ(٤)

اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من مكة .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا قال :

اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكةَ أو أشد ، اللهم صحِّحْهَا ، وبارك لنا فى صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحْفة(٥) .

---

(١) أدنى : أقرب .

(٢) قال فى المصباح : وشراك النعل : سيرها الذى على ظهر القدم .

(٣) الإذخر : حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة . والجليل : نبت ضعيف .

(٤) مجنة : موضع على أميال من مكة ، كان به سوق فى الجاهلية . وشامة وطفيل : جبلان .

(٥) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكه .

الباب الثامن عشر

فى صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة

● عن البراء قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوَ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صُرفنا إلى الكعبة .

الباب التاسع عشر

فى ذكر الوقت الذى حولت فيه

قال محمد بن حَبيب الهاشمى : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ بشر بن البراء بن معرور فى بنى سَلِمَة ، وذلك فى يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ، فتغدى هو وأصحابه ، وجاءت الظهيرة فصلى بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام .

ثم أُمر أن يستقبل الكعبة ، ودارت الصفوف خلفه ، ثم أتم الصلاة فَسُمِّى مسجد القبلتين .

قال الواقدى : كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وقال السُّدِّى : حوِّلت على رأس ثمانية عشر شهراً .

الباب العشرون

فى نزول فرض رمضان

• عن أبى سعيد الخدرى قال : أُنزل فرضُ رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قَبْل أن تُفْرضَ الزكاة فى الأموال .

الباب الحادى والعشرون

فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يُحْرس بالمدينة

• عن عائشة قالت أرِق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال : اللهم آتنى رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة . إذ سمعتُ صوتَ السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟

قال سعدُ بن أبى وقاص : أنا يا رسول ، أتيتُ أحرسك .

قالت عائشة : فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه .

وفى رواية عن عائشة : فنزلت : « وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »(١) .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُبَّة أَدَم وقال : « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمنى الله تعالى » .

---

(١) المائدة . آية ٦٧

ابواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيئته وسِمَته تدلُّ العقلاء على صِدْقه .

ولهذا قال عبد الله بن سَلَام : فلما رأيت وجهَه عرفت أنه ليس بوجه كذاب .

ومَنْ سمع كلامَه ورأى آدابه لم يَدْخله شك .

وكان فى صِغره يُعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق .

وقد قال قيصر فى حديث أبى سفيان : لم يكن ليَذَر الـكَذِبَ على الناس ويكذب على الله تعالى .

وسنذكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

فى ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز

لمَّا غلب السِّحْرُ فى زمن موسى عليه السلام جاءهم بجنسه فى معجزاته ، ففَلَق البحر ، وألقى العصا .

ولمَّا غاب الطبُّ فى زمن عيسى عليه السلام جاءهم بجنسه ، فأحيا الموتى ، وأَبْرَأ الأكمه .

ولمَّا غلبت الفصاحة وقولُ الشعر والنظم والنثر فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم جاءهم بالقرآن .

وهو مُعْجزٌ من أوجه :

أحدها : ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى الإيجاز والإطالة .

فتارةً يأتى بالقصة باللفظ الطويل ، ثم يعيدها باللفظ الوجيز ، فلا يُخلّ بمقصود الأولى .

والثانى : مفارقته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار .

وبهذين المعنيَيْن تحدث العرب ، فعجزوا وتحيَّروا وأقَرُّوا بفضله ، حتى قال الوليد بن المغيرة : والله إن له لحلاوةً وإن عليه لطلاوة(١) .

● عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع هو ونفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ ، فقال :

---

(١) قال فى الصحاح : الطلاوة : بتثليث الطاء : الحسن والقبول .

إن وفود العرب ستَقْدَم عليكم ، وقد سمعوا بصاحبكم هذا ، فأجمِعُوا فيه رأياً ولا تختلفوا ، فيكذِّبَ بعضكم بعضاً ، ويردَّ قول بعضكم بعضاً .

قالوا : أنت فقُلْ ، وأقم لنا رأيا نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

فقالوا : نقول : كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو بزَمْزَمة الكاهن وسجعه .

فقالوا : نقول مجنون .

فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته .

فقالوا : نقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : نقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم ، فما هو بنَفْثه ولا عَقْده .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لمُغْدق وإن فرعه لمثمر .

فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر .

فقولوا : هو ساحر يفرِّق بين المرء وزوجه وأخيه .

فتفرقوا عنه بذلك .

• وكان النضر بن الحارث بن كَلْدة يقول : يا معشر قريش ، لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتُليتم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون .

ولما حضر عتبةُ بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه : « حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »(١) إلى أن بلغ فقال : « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرَّحِم أن يَكُفَّ .

وقال لأصحابه : خِفْتُ أن يَنزل بكم العذابُ .

قال المصنف رحمه الله : فلما تحيَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا ، نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : « فَأْتوا بسورةٍ مِنْ مثله » .

ثم قال : « فإن لم تَفْعلوا ولن تَفْعلوا (٢)» .

ومعلوم أن النفوس الأبيَّة ، إذا قُرعت بمثل هذا ، استفرغت الوُسْع .

فلما عَدَلوا إلى المحاربة والقتال ، ورضوا بسَبْى الذرارى وأَخْذ الأموال ، عُلِم عَجْزهم . وهم معدن البلاغة والفصاحة ، والقرآنُ من جنس كلامهم .

ولما أقدم مُتَقْدِمهم على معارضته نظر إلى السُوَر القصار فعارضها ، لأن تأليف الطوال ، تبين به الفصاحة الزائدة على الحد .

---

(١) سورة فصلت . الآيات من ١ إلى ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٣ و ٢٤ .

فعارض سورة الفيل . فقال : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

وقال : يا ضفدع ، تأنيث ضفدعين ، نُقِّى كم تنقِّين ، أعلاك فى الماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الماء تـكدِّرين ، ولا الشراب تمنعين .

قال : ومن العجائب شاة سوداء ، تحلب لبنا أبيض .

فظهرت فضائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا كان أصلح لهم .

وممن طُمِس على قلبه ، أبو العلاء المَعَرِّى ، فإنه جمع كلاما سماه : « الفصول والغايات » يعارض(١) بزعمه السور والآيات .

وقد رأيته ، فما رأيت أبردَ من ذلك الـكلام ولا أسمجَ !

وقد جعله على حروف الْمُعجم فى آخر كلماته ، فمن حرف الألف :

« كان النعال على عِصِيِّ الطَّلح ، يعارضون الركائب فى الهوادج ، والظلماء تستغفر لهم ، فخَبَّ القمر وضياء الشمس ، وهنيئاً لتاركى النُّوق طلائح فى غيطان الفلاة ، يحوم عليها ابن داية ، ويطيف بها السرحان ، وسنان أوراك ، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء »(١) .

وكله من هذا الجنس البارد .

---

(١) لا نوافق المؤلف رحمه الله على هذا الظن ، فإن كتاب « الفصول والغايات » لأبى العلاء الذى يتحدث عنه ملىء بشواهد الإيمان والتوحيد ، وليس فيه أدنى شبهة بمعارضة القرآن ، وقد نشره الأستاذ محمود حسن زناتى سنة ١٩٣٨ وأثبت فى مقدمته براءته من هذه التهمة .

(٢) لم يرد هذا النص فى « الفصول والغايات » المطبوع ، لأن أول حرف الألف مفقود من هذا الـكتاب ، وفى هذا النص تحريف .

قال ابن عقيل : وحكى لى أبو محمد بن مسلم النحوى قال : كنا نتذاكر إعجازَ القرآن ، وكان ثَمَّ شيخ كبير الفضل ، فقال : ما فيه ما يَعْجز الفضلاء عنه .

ثم ترق إلى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاثة أيام بما يَعْلمه ، مما يضاهى القرآن .

فلما انقضت الأيام الثلاثة ، صعد واحد ، فوجده مستندا يابسا ، وقد جفت يده على القلم .

* * *

قلت : وقد كان المرتضَى العَلَوى يقول بالصِّرْفة ، وأن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا .

قال ابن عقيل : الصَّرْفُ عن الإتيان بمثله ، دالٌّ على أن القدرة لهم حاصلة ، فإن كان فى الصَّرْف نوعُ إعجاز ، إلا أن كونَ القرآن فى نفسه ممتنعا على الإتيان بمثله لمعنًى نعود إليه ، أكبرُ فى الدلالة وأعمُّ لفضيلة القرآن .

وما قولُ من قال بالصِّرْفة ، إلا بمثابة من قال : إن عيون الناظرين إلى عصى موسى ، تخيَّل لهم أنها حية وثعبان ، لا أنها فى نفسها انقلبت .

قال : والتحدِّى للمصروف عن الشىء ، لا يَحْسُن ، كما لا يُتحدَّى العَجَم بالعربية .

هذا قول ابن عقيل .

وأنا أقول : إنما يُصْرفون عن الشىء ، بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله .

فهل وُجِد لأحد منهم قَبْل الصِّرْفة ، منذ وجد العرب ، كلامٌ يقاربه مع اعتمادهم الفصاحة ؟

والثالث فى معجز القرآن : ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التى عرفها أهل الكتاب ، مع كون الآتى بها أميًّا لا يكتب ولا يقرأ ، ولا عُلِم بمجالسة الأحبار ولا الكهان .

ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار ، لم يُدْرِك ما أخبر به القرآن .

والرابع : إخباره عن الغيوب المستقبلَة الدالة على صدقه قطعا ، لوقوعها على ما أخبر ، كقوله : « فتمنَّوُا الموت »[1] ثم قال « ولن يتمنوه أبَداً » .

وقوله : « فأْتُوا بسورة من مثله »[2] [ثم قال] : « ولن تفعلوا » فما فعلوا .

وقوله : « قُلْ للذين كفروا سَتُغْلبون »[3] .

وغُلبوا .

وقوله : « لتَدْخُلن المسجدَ الحرام إن شاء الله آمنين »[4] ودخلوا .

وقوله فى أبى لهب : « سيَصْلَى ناراً ذات لَهَبٍ وامرأته »[5] وهذا دليل على أنهما يموتان على الكفر ، وكذلك كان .

والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض .

---

(١) سورة البقرة ٩٤
(٢) سورة البقرة ٢٣
(٣) سورة آل عمران ١٢
(٤) سورة الفتح ٢٧
(٥) سورة المسد . الآية ٣ و ٤

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً » (النساء ٨٢) .

وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(١) .

قال ابن عقيل : حفظ جميعه وآياته وسوره ، التى لا يدخل عليها تبديل ، من حيث عجز الخلائق عن مثلها .

فكان القرآن حافظ نفسه ، من حيث عجز الخلائق عن مثله .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ، ما آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيتُ وحياً أوحى الله عز وجل إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

قال أبو الوفا ، على بن عقيل : إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو مُلْقًى إليه ، فانظر إلى كلامه ، كيف يمتاز عن القرآن ، وتلمَّحْ ما بَيْن الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه وما للنبى صلى الله عليه وسلم ، كلمةٌ تُشاكل نمط القرآن .

قال ابن عقيل : ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يَسْتخرج منه آيةً قد أخذ معناها من كلام قد سبق ، فإنه ما زال الناس يَكْشف بعضهم عن بعض فيقال : المتنبى أخذ من البُحْترى .

قال : وقد سئل على بن عيسى فقيل له : لو كان هذا الكتاب العزيز يترجَم(٢) ما الذى كان ينبغى [أن] يترجم به ؟

---

(١) سورة الحجر ٩

(٢) يترجم : يوضع له عنوان يميزه ويدل عليه .

فقال : كان ينبغى أن يترجَم بآية منه ، لا بشيء من كلامنا .

قالوا : وما هذه الآية التى يترجم بها ؟

قال : قوله تعالى : « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ »(١) .

قال ابن عقيل : ما أصاب ابنُ عيسى عندى ، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفا ، لئلا يختلط كتاب بكتاب .

فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير ، سيوجد النظر فى نفسه لا يختلط به غيره ، فلماذا يترجم ؟ !

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب – مع تمييزه بإعجازه ، وعدم اختلاطه بغيره ، وليُعْلَمَ كلام من هو وتأليف من هو كعادة آيات الكتب – جاز أن يُكتب على جبهة الحيوانات ، كالفرس والبعير ، وعلى جبهة الآدمى : « هذه صنعة الله » !

فلمَّا لم يحسن ذلك ، للعلة التى بيَّنتها ، بطل أن الترجمة سائغة .

وأنا لا أسوِّغ له ترجمة .

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ، ملقًى فى بَرِّية ، ما جاء به أحد ، أخبرَنا بما فيه من الدليل أنه من عند الله .

فكيف وقد جاء به المعصوم مؤيداً بالمعجزات ؟ !

* * *

قال المصنف رحمه الله : وقد استخرجت معنيين عجيبين :

---

(١) سورة إبراهيم ٥٢

أحدها : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحدٌ اليوم : أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقيل له : محمد شُقَّ له القمر ، وموسى شق له البحر ، لقال : هذا محال .

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لمحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقى أبداً ، ليظهر دليلُ صِدْقه بعد وفاته ، وجعلَه دليلا على صدق الأنبياء ، إذ هو مصدِّق لهم ومخبر حالهم .

والثانى : أنه أخبر أهلَ الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان ، ولعائشة بالبراءة ، وهذه شهاداتٌ على غيبٍ .

فلو لم يكن فى التوراة والإنجيل صفته ، كان ذلك منفِّراً لهم عن الإيمان به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما ، خلافَ ما شهد لهما به ، نَفَرَا عن الإيمان .

الباب الثانى

فى معجزه بشق القمر

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقا فشُقَّ لنا القمر فرقتين .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلتُ تؤمنون ؟ قالوا : نعم .

فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربَّه أن يعطيه ما قالوا .

فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان ، اشهدوا .

وذلك بمكة قبل الهجرة .

قال مجاهد : انشق القمر ، فوقعت فرقةٌ فوقَ الجبل ، وذهبت فرقة من وراء الجبل .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يُرى نصفه على قُعَيْقُعَان(١) ، والنصف الآخر على أبى قبيس .

• عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه .

---

(١) قعيقعان : بصيغة التصغير . جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب . سمى بذلك ، لأن جرهما كانت تجعل فيه سلاحها من الدرق والقسى والجعاب ، فكانت تقعقع . أى : تصوت .

قال ابن فارس : القعقعة . حكاية أصوات الترسة وغيرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

أخرجاه .

وفى لفظ انشق القمر شقة فوق الجبل ، وشقة يسترها الجبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

• عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين ، حتى رأوا حِراء[١] بينهما .

قال البخارى : عن ابن عباس : انشق القمر فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

أخرجاها .

• عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال قوم . هذا سحرٌ ، سحرهم ابنُ أبى كبشة ، فاسألوا الذين يَقْدم عليكم ، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإلا فهو سحر .

فقدم السُّفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، قد انشق القمر .

• عن ابن عمر فى قوله تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ »[٢] .

قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

---

(١) قال فى المصباح : وحراء ، وزان ، كتاب : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث قاله الجوهرى . واقتصر فى الجمهرة على التأنيث وهو أى : (حراء) مقابل ثبير .

(٢) سورة القمر ـ الآية ١

الباب الثالث

في إظهار معجزاته في تكثير الطعام(١)

● عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .

وكانت عندي شويهة عنز جذعة سمينة فقلت :

لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمرتُ امرأتي ، فطحنت لنا شيئاً من شعير ، وصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصرافَ عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهاراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، قال :

قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير ، فأحبُّ أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلي .

وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر .

---

(١) كان تكثير الطعام والماء ، بمعنى البركة فيهما أو الإمداد من عند الله ، إكراما من الله لرسوله وللمؤمنين معه ، وكانت الضرورة تقتضي ذلك .

قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخرجناها إليه .

قال : فبارك ، وسمَّى ، ثم أكل . وتواردها الناسُ ، كلما فرغ قوم قاموا ، وجاء ناس حتى صَدَرَ(١) أهلُ الخندق عنها .

أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : توفى عبد الله بن عمرو بن حرام ، يعنى أباه ، أو استشهد ، وعليه دَين فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه ، أن يَضَعُوا من دَيْنه شيئاً . فطلب إليهم ، فأبوْا .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فصَنِّف تمْرَك أصنافا ، العجوة على حِدَة ، وعذق [ابن] زيد على حِدة وأصنافه(٢) ثم ابعث إلىّ . ففعلت .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس فى أعلاه أو فى وسطه ثم قال : كِلْ للقوم . قال : فـكِلْت لهم حتى أوْفَيْتهم(٣) . وبقى تمرى ، كأنْ لم ينقص منه شىء .

انفرد بإخراجه البخارى(٤) .

---

(١) صدر أهل الخندق : يريد : أنهم تركوا الطعام كما هو وقد شبعوا جميعاً .

(٢) البخارى : فقال صنف تمرك كل شىء منه على حدته ، عذق ابن زيد على حدة واللين على حدة والعجوة على حدة ، ثم أحضرهم حتى آتيك .

(٣) أوفيتهم : أى أعطيت كل واحد حقه كاملا .

(٤) الحديث ذكره البخارى فى كتاب الاستقراض وأداء الديون ، مخالفا لهذه الرواية ، ويظهر أن للمؤلف رواها بالمعنى ، وللحديث بقية فى البخارى ١/٣٣٦

• عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال :

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأصاب الناس مَخْمصةٌ .

فاستأذن الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى نَحْر بعض ظَهْرهم ، وقالوا : يبلِّغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هَمَّ أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهرهم ، قال :

يا رسول الله . كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جياعا رِجالاً ؟ !

ولـكن إن رأيت ـ يا رسول الله ـ أن ندعو الناس ببقايا أزوادهم ، نجمعها لهم ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تعالى سيبلّغنا بدعوتك . أو قال : سيبارك لنا فى دعوتك .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يَحْثُون بالحثوة من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلاهم ، من جاء بصاع من تمر .

فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم ، وأمَرَهم أن يَحْثُوا .

فما بقى فى الجيش وعاء ، إلا مملوءة ، وبقى مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة .

• عن عمر بن الخطاب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فقلت : يا رسول الله خرج إلينا الروم ، وهم شباع ، ونحن جياع ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس :

مَنْ كان عندَه فَضْلُ زادٍ فليأتنا .

فحَزَرَنا جميعَ ما جاءوا به ، فوجدوه سبعاً وعشرين صاعا .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فدعا فيه ثم قال :

أيها الناس خذوا ولا تنتهبوا .

فأخذوه فى الجُرب والغرائِر ، حتى جعل الرجل يقدُّ قميصه فيأخذ فيه ، حتى صَدروا ، وإنه نحو ما كانوا يحزرون .

• عن أبى إياس قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعضَ ظهرنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجمعنا مزاودنا ، فبسط له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع .

فتطاولتُ لأحزره ، فإذا هو كربضة العنز(١) ونحن أربع عشرة مائة .

قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جُربنا .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شىء [قالت : نعم](٢) .

فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها ، فلفَّت الخبز ببعضه ، ثم دسَّته تحت ثوبى ، وردَّتنى(٣) بعضَه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كربضة العنز . أى : مقدار مساحة ما تأوى إليه من الأرض .

(٢) من البخارى ، باب علامات النبوة . (٣) البخارى : ولاثتنى ببعضه .

قال : فذهبت به ، فوجدت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟

فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه : قوموا :

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم .

فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة ، حتى لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمّى(١) يا أم سليم ، ما عندك . فأتت بذلك الخبز .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّة لها فأدَمَتْه .

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله أن يقول :

ثم قال : ائذن لعشرة . فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .

فأكل القوم ، وشبعوا ، والقوم ثمانون رجلا .

---

(١) هلمى . أى : أحضرى .

أخرجاه(١).

• عن أنس بن مالك قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله.

قال فصنعت أمى، أم سليم حَيْساً(٢)، فجعلته فى تَوْر(٣) فقالت:

يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقل: بعثت بهذا إليك أمى، وهى تقرئك السلام وتقول لك: إن هذا لك منا قليل.

قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:

إن أمى تقرئك السلام، وتقول لك: إن هذا لك منا قليل. فقال: ضعه.

ثم قال: اذهب فادْعُ فلاناً وفلاناً، أو من لقيت. وسمَّى رجالا.

قال: فدعوت من سمى ومن لقيت.

قال: قلت لأنس: كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.

فقال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: يا أنس، هاتِ التَّوْر.

فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحجرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) فى باب الأطعمة من الصحيحين من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس.

(٢) قال فى المصباح: (الحيس) تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه سويق اهـ. ومثله فى الصحاح والقاموس.

(٣) التور: إناء من صفر أو حجارة. ورواية البخارى: «فى برمة».

ليتخلف عشرة عشرة ، ليأكل كل إنسان مما يليه .

قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم .

ثم قال : يا أنس ارفع .

فما أدرى حين وُضعت [كان(١)] أكثَرَ أم حين رُفِعت ؟ !

● عن عبد الرحمن بن أبى بكر أنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟

فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعُجن .

ثم جاء رجل مشرك مُشعانٌّ(٢) طويل ، بغنم يسوقها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ؟ أو قال : هِبَة ؟

قال : بل بيع .

فاشترى منه شاةً فصُنعت .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشْوَى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة ، إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه [إياه](٣) وإن كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين .

---

(١) من المواهب .

(٢) المشعان : الثائر الرأس .

(٣) من المواهب .

قال : فأكلنا أجمعون ، وشبعنا ، وفضل فى القصعتين(١) ، فحملناه على بعير . أو كما قال .

أخرجاه .

• عن على رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بنى عبد المطلب ، ثم دعا بُعس(٢) فشربوا حتى رووا ، وبقى الشراب كأنه لم يُمسّ أوله بشرب ، فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد رأيتم منى هذه الآية ، فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ؟

قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقمت إليه ، وكنت أصغر القوم .

قال : فقال : اجلس . ثم قال : ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس .

حتى إذا كانت الثالثة ، ضرب بيده على يدى .

• عن سَمُرة بن جُندب قال : بيْنا نحن عند النبىّ صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بقصعة فيها ثَرِيد . قال : فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظُّهر ، يأكل كل قوم ، ثم يجىء قوم فيتعاقبونه .

قال : قال له رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعام ؟

قال : أمَّا من الأرض فلا [إلا] أن تكون كانت تُمدُّ من السماء .

• عن أبى أيوب الأنصارى قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر طعاما ، قدر ما يكفيهما ، فأتيتهما به .

---

(١) رواية المواهب : ففاضت القصعتان .

(٢) قال فى الصحاح : (العس) القدح العظيم والرفد ، أكبر منه ، وجمعه عساس اه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب ، فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار .

قال : فشقّ ذلك علىّ ، ما عندى ما أزيده .

قال : وكأنى تثاقلت .

فقال : اذهب فادعُ لى ثلاثين من أشراف الأنصار .

فدعوتهم فجاءوا فقال : اطعَموا .

فأكلوا حتى صدَروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لى تسعين من الأنصار .

قال : فأنا أخْوفُ بالتسعين والستين منِّى بالثلاثين .

قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صَدَرُوا ، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فأكل من طعامى ذلك مائةٌ وثمانون رجلا ، كلهم من الأنصار .

• عن أبى هريرة قال : نزل بالنبى صلى الله عليه وسلم ضيف ، فالتمس له شيئاً يطعمه ، فلم يجد له شيئاً ، ثم وجَد لقمة ، فجزّأها أجزاء ، ثم أتاه بها فقال : سَمِّ وكل .

فأكل وفضلت فضلة .

فقال الرجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنك لرجل صالح .

الباب الرابع

فى ذكر معجزه فى تكثير السمن

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لى شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عُكَّة(١) ، فقالت : يا زيبة ، امضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكة يأتدم بها .

فمضت بها إليه فقالت : يا رسول الله ، إن أم سُلَيم ، أرسلت إليك بهذه العكة لتأْتَدم بها . فقال : خذوها ففرعوها وردوها عليها .

فانصرفت بها ، وأمُّ سُلَيم غائبة عن المنزل ، فعلقتها على وتد .

فلما رجعت أم سُلَيم ، رأت العكة مملوءة سمناً تَقْطر .

فقالت : يا زيبة ، ألم أتقدم إليك بحَمْل العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقينى فاسأليه .

فمضت فقالت : يارسول الله ، كنت وجَّهت إليك بعكة سَمْن لتأتدم بها .
قال : قد وصلَتْ .

(١) قال فى الصحاح (العكة) بالضم : آنية السمن . قال ابن السكيت : يقال لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكة . والجمع العكك والعكاك . ا هـ .

قلت : والشكوة وعاء من أدم للماء واللبن . والجمع شكوات وشكاء . ا هـ . من هامش الصحاح .

قالت : والذى بعثك بالهدى ودين الحق ، لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر .

قال : أفتعجبين ، أنْ أَطْعَمك الله كما أطعمت نبيَّه ؟ اذهبى فكُلِى واطعمى .

فانصرفتُ ففرغت منها فى عكة لنا ، وأبقيت ما تأدَّمنا به شهراً أو شهرين .

• عن جابر أن أم مالك الفِهْرية ، كانت تهدى فى عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبَيْنا بنوها يسألونها الإدامَ وليس عندها شىء ، عمدت إلى عُكَّتها التى كانت تُهدِى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت فيها سمناً ، فما زال يأدم لها أُدْمَ بيتها حتى عصَرَتْه .

فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أعصَرْتِيه ؟ قالت : نعم .

قال : لو تركتيه ما زال ذلك لك مقيما .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الخامس

فى معجزه فى تكثير التمر

● عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لى فيهن بالبركة .

قال : فصفَّهن بين يديه ، ثم دعا وقال لى : اجعلهن فى مِزْودك ، وأدخل يدك ولا تنثره .

قال : فحملتُ منه كذا وكذا وسقاً فى سبيل الله ، وآكل وأطعم ، وكان لا يفارق حِقْوى(١) ، فلما قتل عثمان ، انقطع حقوى فسقط .

● عن أبى هريرة قال : أُصبتُ بثلاث : موت النبى صلى الله عليه وسلم وكنت صُويحبه وخويدمه ، ومَقْتل عثمان ، وبالمِزْود .

قالوا : وما المزود ؟

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابت الناس مَخْمصة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هل من شىء ؟

قلت : نعم شىء من تمر فى مزود . قال : فَأْتِنى به .

فأتيته به ، فأدخل يده ، فأخرج قبضةً فبسطها ثم قال : ادع لى عشرة . فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .

ثم أدخل يده ، فأخرج قبضةً فبسطها ، ثم قال : ادع لى عشرة .

---

(١) الحقو : موضع شد الإزار .

فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .

فما زال يصنع ذلك ، حتى أطعم الجيش كله وشبعوا .

ثم قال لى : خذ ما جئتَ به ، وأدخل يدك ، واقتصر ولا تكبّه .

قال أبو هريرة : فقبضت على أكثر ما جئت به .

أكلت منه حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطعمت .

وحياة أبى بكر ، وأطعمت .

وحياة عمر ، وأطعمت .

وحياة عثمان ، وأطعمت .

فلما قتل عثمان ، انتُهب بيتى ، فذهب المزود .

• عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة وأصابهم عَوَز(١) من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شىء ؟

قلت : نعم شىء من تمر فى مِزْود لى . قال جِئْ به .

فجئت به على النطع فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فإذا هو واحد وعشرون تمرة ، ثم قال : بسم الله .

فجعل يضع كل تمرة ويسمِّى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه .

فقال : ادعُ فلاناً وأصحابه .

فدعوت فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبعوا وخرجوا .

ثم قال : اِدع فلاناً وأصحابه . فأكلوا وشبعوا وخرجوا .

وفضل تمر ، فقال لى : اقعد . فقعدت ، فقال : كل . فأكلت وأكل .

---

(١) عوز . أى : احتياج وافتقار .

وفضل تمر فأدخله فى المزود فقال :

يا أبا هريرة ، إذا أردت شيئاً ، فأدخل يدك ، ولا تَـكفأْ ، فيكفأ عليك .

قال : فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدى فأخذت ، ولقد جهزت منه خمسين وسَقًا فى سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رحلى ، فوقع زمن عثمان ، فذهب .

● عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتنى أمى عَمْرة بنت رواحة ، فأعطتنى تمراً فى ثوبى فقالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك وخالك ، عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقت بذلك ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى .

فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟

قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثت به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة ، يتغدّيان به .

قال : هاتيه . قالت : فصببته فى كفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأهما .

وأمر بثوب ، فبسط ، ثم دحى التمر عليه ، ثم قال لإنسان :

اصرخ فى أهل الخندق : هلموا إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر عنه أهل الخندق ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

الباب السادس

فى معجزته فى تكثير الماء

• عن عِمْران بن حُصَين قال : كنا فى سفَر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا أسْرَيْنا حتى إذا كنا فى آخر الليل ، وقَعنا وقعةً ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس .

فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ، كان يسمِّيهم أبو رجاء ، ونسِيهم عوف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يُوقَظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأنا لا ندرى ما يَحْدث له فى نومه .

فلما استيقظ عمر ، ورأى ما أصاب الناسَ ، وكان رجلا أجوف جليداً ، قال : فكبَّر ورفع صوته بالتكبير ، حتى استيقظ بصوته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوْا إليه الذى أصابهم ، فقال : لا ضَيْر ، أو لا تضير ، ارتحِلوا .

فارتحلوا فسار غيرَ بعيد ، ثم نزل فدعا بالوَضوء(١) فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس .

فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع القوم ، قال : ما منعك يا فلان ، أن تصلى مع القوم ؟

---

(١) أى : بالماء .

فقال : يا رسول الله ، أصابتنى جنابة ولا ماء .

قال : عليك بالصَّعيد .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا إليه الناسُ العطش . فنزل . فدعا فلاناً ، كان يسمِّيه أبو رجاء ، ونسيه عَوف ، ودعا عليًا فقال : اذهبا فابغيا(١) لنا الماء .

قال : فانطلقا فلقيا امرأة بين مَزَادتين(٢) أو سَطِيحَتَيْن(٣) من ماء على بعير ، فقالا لها : أين الماء ؟ فقالت : عهدى بالماء أمس هذه الساعة ، ونفرُنا خُلوف .

فقالا لها : انطلقى إذن . قالت : إلى أين ؟

قالا : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : هذا الذى يقال له الصابئ ؟ قالا : هو الذى تَعْنين ، فانطلقى .

فجاءا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدَّثاه الحديث ، فاستنزلوها عن بعيرها(٤) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء ، فأفرغ منه من أفواه المزادتين أو السطيحتين ، وأوْكأ(٥) أفواههما ، وأطلق العَزَالِى(٦) ، ونودى فى الناس :

أن اسقوا ، واستقوا .

---

(١) فابغيا . أى : اطلبا . (٢) المزادة : القربة المتخذة للماء .

(٣) السطيحة : تشبه المزادة ، أو وعاء من جلدين سطح أحدهما على الآخر .

(٤) أى اطلبوا منها النزول ، وقد استجازوا أخذ مائها لأنها كانت حربية ، أو لضرورة العطش .

(٥) أوكأ . أى : ربط أفواه القربتين برباطهما .

(٦) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

فسقَى من شاء واستقى من شاء ، وكان آخر ذلك أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناءً من ماء ، فقال : اذهب فأفرغه عليك .

قال : وهى قائمة تنظر ما يُفعَل بمائها .

قال : وايم الله، لقد أُقلِع عنها وإنه ليخيَّل إلينا ، أنها أشدُّ مِلئةً منها حين ابتدأ فيها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لها .

فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسَويقة ، حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً ، وجعلوه فى ثوب ، وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعلمين والله ما رَزِئْنا(١) من مائك شيئاً ، ولكن الله عز وجل هو الذى سقانا » .

قال : فأتت أهلها وقد احتبست عنهم ، فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟

قالت : العجب ! لقينى رجلان ، فذهبا بى إلى هذا الذى يقال له الصابئ ، ففعل بمائى كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحَرُ مَنْ بَيْن هذه وهذه .

وقالت بإصبعيها السبابة والوسطى فرفعتهما إلى السماء . تعنى السماء والأرض. أو إنه لرسول الله حقاً .

قال : فكان المسلمون يُغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرْمَ(٢) الذى هى منه ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم يَدَعونكم عَمْداً ، فهل لكم فى الإسلام ؟

---

(١) رزئنا : نقصنا .
(٢) الصرم : القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين . ا هـ . للصباح .

فأطاعوها فدخلوا فى الإسلام .

أخرجاه(١) .

• عن البراء قال : انتهينا إلى الحُدَيبية وهى بئر قد نُزِحت ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فنزع منها دلواً ، فتمضمض النبى صلى الله عليه وسلم منه ، ثم مجَّه فيه ودعا . قال : فروَينا وأرْوَينا .

• عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه .

حتى إذا كانوا بذى الحُلَيفة ، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهَدْى وأشعره ، وأحْرم بالعُمرة ، فسار يَعْدِل بهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمَد(٢) قليل الماء يتبرَّضه الناس تبرُّضاً(٣) فلم يُلْبثه الناسُ أن نزحوه .

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطشَ فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه .

قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّى ، حتى صدَروا عنه .

• عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير .

فأتينا على ركَّى زمَّة ، يعنى قليلة الماء فنزل فيها ستة ، أنا سادسهم فأُدليت إلينا دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة الركَى ، فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها .

فرُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغمس يده فيها وقال ما شاء الله أن يقول .

---

(١) البخارى فى التيمم وعلامات النبوة . ومسلم فى الصلاة من حديث عوف ، حدثنا أبو رجاء .

(٢) الثمد : الماء القليل .

(٣) يتبرضه الناس : يأخذونه قليلا قليلا . والبرض : الشىء القليل .

فعادت إلينا الدلو بماء فيها .

قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق .

قال : ثم ساحت ، حتى جرت نهراً .

● عن زياد بن الحارث الصُّدائى قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفدٌ من قومى بإسلامهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعَنا ماؤها فاجتمعنا إليه .

فإذا كان الصيف ، قلّ ماؤها ، فتفرقنا على مياه حولنا .

وإنا لا نستطيع أن نتفرق اليوم ، كلُّ من حولنا لنا عدُو .

فادع الله أن يسعنا ماؤها .

فدعا بسبع حصيات ، ففرقهن فى يده ، ودعا ثم قال :

إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .

فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

● عن أبى إياس قال : جاء رجل بإداوة فيها نقطة من ماء ، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدح ، فتوضأنا كلنا نُدَغفِقُه دَغْفَقَةً(١) أربع عشرة مائة .

ثم جاء بعدُ ، ثمانيةٌ ، فقالوا . هل من طَهُور ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فرَغ الوَضوء .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبى قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إنكم تسيرون عشيَّتكم وليلتكم ، وتأتون الماء غداً ، إن شاء الله .

---

(١) دغفق الماء . إذا دفقه وصبه صباً كثيراً واسعاً .

فانطلق الناسُ لا يَلْوِى أحد على أحد .

فبَيْنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابْهارَّ الليل(١) وأنا إلى جَنْبه .

فنعس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فمال عن راحلته .

فأتيت فدَعَمْته قبل أن أوقظه(٢) حتى اعتدل على راحلته .

ثم سار حتى تهوَّر الليلُ ، فمال عن راحلته فَدَعَمْتُهُ من غير أن أوقظه حتى اعتدل .

ثم سار حتى كان من آخر السَّحَر ، مال مَيْلةً أشد من [المَيْلَتَيْن](٣) الأوليين حتى كاد يَنْجفل(٤) ، فأتيته فدعَمْته .

فرفع رأسه فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة .

قال : متى كان هذا مسيرُكَ منِّى ؟

قلت : ما زال هذا مسيرى منذ الليلة .

قال : حفظك [الله] بما حفظتَ به نبيَّه .

ثم قال : هل تَرانا نَخْفَى على الناس ؟ ثم قال : هل ترى من أحد ؟

قلت : هذا راكب . ثم قلت : هذا راكب آخر ، حتى اجتمعنا ، فكنا سبعة رَكْب .

---

(١) ابهار : بالموحدة وتشديد الراء : ابيض . وقيل : انتصف أو ذهب معظمه ، إذ بهرة كل شىء أكثره . وفى القاموس : ابهار الليل : انتصف ، أو تراكمت ظلمته او ذهب عامته وبقى نحو ثلثه .

(٢) الرواية كما فى صحيح مسلم : من غير أن أوقظه .

(٣) من صحيح مسلم .

(٤) ينجفل أى : يزول عن راحلته .

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه [ثم] قال : احفظ علينا صلاتنا(١) .

فكان أول من استيقظ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والشمسُ في ظَهْره فقُمْنا فَزِعين ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا فسِرْنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بمِيضأة كانت معى فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها(٢) وبقى فيها شيء من ماء .

ثم قال لأبى قتادة : احفظ علينا مِيضأتك فسيكون لها نبأ .

ثم أذَّن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، ثم صلى الغداة ، فصنع كما [كان] يصنع كل يوم ، وركب وركبنا معه .

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارةُ ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا ؟ فقال(٣) : أمَا لكم فىَّ أسوة ؟ ثم قال :

أما إنه ليس التفريط فى النوم ، إنما التفريط على من لم يصلِّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها .

فانتهينا إلى الناس وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكنا عطشاً .

فقال : لا هُلْك عليكم .

ثم قال : أطْلقوا لى غُمَرى(٤) . ودعا بالميضأة(٥) .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم .

---

(١) صحيح مسلم . احفظوا . (٢) زاد فى مسلم وضوءاً دون وضوء .

(٣) صحيح مسلم : ثم قال . (٤) الغمر : القدح الصغير .

(٥) قال فى المصباح : والميضأة : بكسر الميم مهموز ويمد ويقصر : المطهرة يتوضأ منها (يعنى كالإبريق ونحوه) وزاد فى القاموس : الموضع يتوضأ فيه ومنه .

فلم يعْدُ أن رأى الناس ماءً في الميضأة ، فتكابُوا(١) عليها .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أحسنوا الْمَلأَ كلُّكم سَيَرْوَى .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم ، حتى ما بقى غيرى وغيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم صبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : اشرب .

قلت . لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : إن ساقى القوم آخرهم شُرْباً .

فشربتُ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الناس [الماءَ] جامِّين رِوَاءً(٢) .

---

(١) مسلم : تكابوا . قلت : أى : ازدحموا .

(٢) جامين : نشاطاً مستريحين . هذا والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، فى كتاب الصلاة فى قضاء الفائتة ، واستحباب تعجيله ، شرح النووى على مسلم ٥/٨٣

الباب السابع

في ذكر نبع الماء(١)

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوراء فأُتِيَ بإناء فيه ماء لا يَغْمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضأوا .

فوضع كفه في الماء ، فجعل الماء يَنْبع من بين أصابعه ، وأطراف أصابعه ، حتى توضأ القوم .

فقلت لأنس . كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .

أخرجاه .

• عن عبد الله قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اطلبوا من معه ماء ، ففعلنا .

---

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ورويت من طرق كثيرة يفيد مجموعها ، العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوى .

ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه .

وذكر المزني صاحب الشافعي ، أن هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى ، لأن الحجر مألوف منه خروج الماء ، ولا كذلك البدن .

فَأُتِىَ بماء ، فصبه فى إناء ، ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه .

ثم قال : حَىَّ على الطهور المبارك والبركة من الله .

فملأتُ بطنى منه ، واستقى الناس(١) .

أخرجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال . يا رسول الله ليس فى العسكر ماء .

قال : هل عندك شىء ؟

قال : نعم . قال : فأتنى به .

قال : فأتاه بإناء فيه شىء من ماء قليل .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فى فم الإناء ، وفتح أصابعه ، فانفجرت من أصابعه عيون ، وأمر بلال فقال : نادِ فى الناس الْوَضوء المبارك .

• عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفَر ، فلم يجدوا ماء فَأُتِىَ بتَوْر(١) من ماء .

فوضع النبى صلى الله عليه وسلم فيه يده ، وفرّج بين أصابعه ، قال :

فرأيت الماء يتفجر من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) استقى الناس . أى شربوا .

(٢) قال فى القاموس : التور : إناء يشرب فيه . زاد فى المصباح (تذكره العرب) والجمع أتوار .

فقال : حَيَّ على الْوَضوء ، والبركة من الله تعالى .

قال الأعمش : فأخبرنى سالم بن أبى الجَعْد قال : قلت لجابر بن عبد الله : كم كان الناس يومئذ ؟ قال : كنا ألفا وخمس مائة .

أخرجه البخارى .

عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوة(١) ، فتوضأ منها ، ثم أقبل على الناس نحوه فقال : مالكم ؟

قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما يتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك .

فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا .

فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنا مائة [ألف] لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

أخرجاه .

عن جابر قال : أتينا العسكر فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يا جابر : ناد ، توضأوا . فقال : ألا وَضُوء ألا وضوء .

فقلت : يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قَطْرة .

---

(١) قال فى المصباح : الركوة معروفة وهى دلو صغيرة والجمع ركاء . مثل كاب وكلاب اهـ . يعنى : السطل أو الجردل الصغير على التعبير العامى .

وكان رجل من الأنصار يُبْرِد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فى أشْجَاب له ، فقال لى : انطلق إليه .

فانطلقت ، فلم أجد إلا قطرة فى عزلاء شَجْبٍ(١) لو أنى أفرغه لشربه يابسه .

فقال : اذهب فأتنى به . فأخذه بيده .

فجعل يتكلم بشيء ما أدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه وقال : يا جابر ، ناد بجَفْنَة(٢) . فقلت : يا جفنةَ الرَّكبِ . فأُتيتُ بها تُحْمل . فوضعها بين يديه ، فقال بيده فى الجفنة ، فبسطها وفرّق بين أصابعى ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : يا جابر صُبَّ علىّ ، وقل بسم الله . فصببت عليه ، وقلت : بسم الله .

فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ، ناد : من كان له حاجةٌ بماء .

فأتى الناس فسقوا ، حتى رووا .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة(٣) .

---

(١) العزلاء : فم القربة الأسفل ، أو مصب الماء من الزاوية . والشجب : عود يعلق عليه القرب والثياب والأوانى بالماء .

(٢) قال فى القاموس : الجفنة : القصعة . ومثله فى الصحاح . والجمع : جفان وجفنات بفتح الجيم والفاء والنون .

(٣) أخرجه مسلم فى غزوة بواط مفصلا مخالفا لما هنا .

الباب الثامن

فى معجزه فى تكثير اللبن

عن أبى هريرة قال : والله إنى كنت لأعتمد على كبدى بالأرض(١) من الجوع ، ولقد قعدت على طريقهم الذى يخرجون منه .

فمرّ أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته ، إلا لِيَسْتَتْبِعنِى(٢) ، فلم يفعل .

فمرّ عمر ، فسألته فلم يفعل .

فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما بوجهى وما فى نفسى ، فقال : يا أبا هريرة . فقلت : لبَّيك يا رسول الله . قال الحقْ . فاتبعته ، فاستأذنت فأذن لى ، فوجد لبنا فى قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟

فقالوا : أهداه فلان ، أو آل فلان(٣) .

قال : أبا هرّ . قلت لبَّيك يا رسول الله .قال : انطلق إلى أهل الصُّفّة .

قال : وأهلُ الصُّفة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال .

إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هديةٌ أصاب منها ، وبعث إليهم منها .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى « لأعتمد بكبدى على الأرض » وفى أبى نعيم : على كبدى من الجوع .

(٢) أى ليطلب منى أن أذهب معه إلى بيته . (٣) أبو نعيم : فلان أو فلانة .

وإذا جاءته الصدقة ، أرسل بها إليهم ، ولم يُصِبْ منها .

قال : فأحْزنني[1] ذلك : وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً أتقوّى بها بقيةَ يومي وليلتي . فقلت : أنا الرسول[2] إذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، فما يبقى لي من هذا اللبن .

ولم يكن بدٌّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانطلقت ، فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : أبا هِرّ ، خذ فأعطهم .

فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم .

فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ القدح .

وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم .

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ القدح ، فوضعه في يده وبقي فيه فضلة .

ثم رفع رأسه ، فنظر وتبسم وقال : أبا هِرّ .

قلت : لبيك يا رسول الله .

قال : بقيتُ أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله .

قال : اقعد واشرب . قال : فقعدت فشربت .

ثم قال لي : اشرب . فشربت .

(١) أبو نعيم : فساءني ذلك .

(٢) أبو نعيم : أنا والرسول فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم . وفي الخصائص . وإني لرسول .

فما زال يقول اشربْ وأشربُ حتى قلت :

لا والذى بعثك بالحق ، ما أجد لها فىَّ مسلكا .

قال : ناولنى القدح . فرددت إليه القدح ، فشرب الفضلة .

● عن نافع ـ وكانت له صُحْبة ـ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، وكنا زُهَاء أربع مائة رجل ، فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء ، فشقَّ ذلك على أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، العطش .

قال : فجاءت شُوَيهة لها قرنان ، فقامت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها ، فشرب حتى رَوِىَ وسقى أصحابه حتى رَوُوا .

ثم قال : يا نافع ، املكها الليلة وما أراك تملكها .

قال : فأخذتُهاَ فوتدت لها وتداً ، ثم ربطتها بحبل .

ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحا .

فجئت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألنى .

فقال لى : يا نافع ، ذهب بها الذى جاء بها .

---

(١) رواه أبو نعيم فى الدلائل برواية مفصلة انظر الدلائل ٣٦٥ — ٣٦٦

الباب التاسع

فى ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه(١)

● عن يَعْلى بن مُرَّة الثقفى قال : بَيْنَا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض ، حتى غشيَتْه ، ثم رجعت إلى مكانها .

فلما استيقظ ، ذكرت ذلك له فقال : هى شجرة استأذنت ربَّها عز وجل ، فى أن تسلِّمَ عَلَىَّ ، فأذن لها(٢) .

● عن يعلى بن مرة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبانة(٣) حتى أَبرَزْنا .

قال : ويحك ، انظر هل ترى من شىء يوارينى ؟

قلت : ما أرى شيئاً يواريك ، إلا شجرة ، ما أراها تواريك .

---

(١) ليس هناك فى رواية تلك الأخبار مصادمة للعقل أو جنوح إلى الخرافة ، فهي أمور ممكنة لقدرة الله عز وجل والقصد بها إكرام رسوله ، لكنها ليست ذات شأن بالنسبة لدعوة الإسلام وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى ليست متواترة ، ولا يلزم الإيمان بها إلا بعد ثبوت صحة النقل .

(٢) رواه البغوى فى شرح السنة . والطبرانى وأحمد والبيهقى .

(٣) قال فى المصباح : الجبانة : مثقل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها ، هى : المصلى (بتشديد اللام) فى الصحراء .

وربما أطلقت على المقبرة لأن المصلى – غالباً – تكون فى المقبرة .

قال : فما قُرْبها ؟ قلت : شجرة مثلها ، أو قريباً منها .

قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ، أن تجتمعا بإذن الله تعالى .

قال : فاجتمعتا . فبرز لحاجته ، ثم رجع فقال :

اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت .

● عن جابر بن عبد الله قال : سِرْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أَفْيَحَ(١) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ، فاتبعته بإداوة(٢) من ماء : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ير شيئاً يستتر به :

وإذا شجرتان بشاطىء الوادى .

فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها .

فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادى معى بإذن الله تعالى .

فانقادت معه ، كالبعير المَخْشوش(٣) الذى يصانع قائده .

حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال :

انقادى عَلَىَّ بإذن الله تعالى . فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف(٤) مما بينهما ، لأم بينهما فقال : التئما بإذن الله تعالى علىّ . فالتأمتا .

---

(١) أفيح . أى : واسع .

(٢) قال فى المصباح : الإداوة (بكسر الهمزة) المطهرة وجمعها : أداوى بفتح الواو . اهـ . قلت : معناه فى لغتنا الدارجة : الإبريق ونحوه .

(٣) المخشوش : الذى وضع له الخشاش وهو عود يجعل فى فم البعير لينقاد بسهولة .

(٤) إذا كان بالمنصف . يعنى : وسط الشجرتين .

قال جابر : فخرجت أُحْضِر(١) مخافة أن يحسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُرْبِى فيبتعد ، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق(٢) .

● عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا حتى نزلنا موضعا ليس فيه شجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر اتبعنى بماء . فاتبعته حتى انتهينا إلى موضع فيه شجر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، إيت هاتين الشجرتين فقل لهما :

إن رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لـكما انضمَّا .

فأقبلتا تَخُدَّان الأرضَ خدًّا حتى انضمَّتا .

فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا جابر إيتهما ، فقل لهما : يعودان إلى موضعهما

● عن ابن بُرَيْدَة عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أسلمتُ فأرِنى شيئاً أزْدَدْ به يقيناً .

قال : فما الذى تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك .

قال : اذهب فادعُها .

فأتاها الأعرابِى فقال : أجيبى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فمالت على جانب من جوانبها فقَطعت عروقَها ، ثم مالت على الجنب(٣)

---

(١) أحضر : أعدو وأجرى . (٢) رواه مسلم .
(٣) أبو نعيم : الجانب .

الآخر فقطعت عروقها ، حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

فقال الأعرابي : حسبي حسبي .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ارجعي .

فرجعت ، فجلست على عروقها(١) .

• عن ابن عمر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين تريد ؟

قال : إلى أهلي . قال : فهل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : ومن يشهد [على] ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي بشاطىء الوادي ، فأقبلت تخدُّ الأرضَ خدًّا ، حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال . ثم رجعت إلى مِنبتها .

ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتَّبعوني أتيتُك بهم ، وإلا رجعت فكنت معك(٢) .

• عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بم أعرف أنك رسول الله ؟

---

(١) رواه البزار في مسنده وأبو نعيم في الدلائل ، ونقله في الشفاء .
(٢) رواه الحاكم في مستدركه بإسناد جيد .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْق من هذه النخلة فجاء ، تشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم .

فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض ثم جعل يَنْقز(١) حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : عُدْ . فعاد إلى مكانه .

قال : أشهد أنك رسول الله . وآمن(٢) .

● عن أبى عبيدة بن عبد الله قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أنذرت النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالجن .

* * *

فإن قال أهل الإلحاد : هذا سحر .

قلنا : السحر خيال وشعبذة لا حقيقة . قال الله تعالى :

« يُخَيَّل إليه مِنْ سِحْرِهِمْ أنها تسعى »(٣) .

قال ابن عقيل : لو كان السحر قَلْباً للأعيان ، لساوى الإعجازَ ، وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق ، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المُعْجِز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه .

فتى قلنا : إن الساحر يَقْلب الأعيان ، كما نقول فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، لم تبق ميزة ، وانسدَّ الطريقُ إلى حصول التحقيق .

قال : فإن قال قائل : فأىُّ ثقة تبقى لنا بالمدركات مع قوله : « وما قتلوه

---

(١) ينقز : يثب .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وكذا رواه البخارى فى التاريخ ، وأبو يعلى ، وابن حبان والبيهقى .

(٣) سورة طه ٦٦

وما صَلَبُوه ولـكن شُبِّه لهم »(١) . وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره ؟

فالجواب : أن القادر سَلَب حينئذ المداركَ ، حسبَ الأصلح ، على ما اقتضت الحكمة صيانته ، وتعجيز الكفار عما عزموا عليه .

ولو عُدمت الثقة بالمدارك ، جاز عدم الثقة بحلاوة العسل ، لما يتطرّق من الغرض من المطاعم والأمزجة ، فَيُدْرَك فى حالٍ مُرًّا .

فإن قال قائل : فما فائدة وقوع ما يجانس المعجزةَ من السِّحر والكهانة وغير ذلك ؟

فالجواب : أن المراد ، التكليف ، لتخليص المعجزة من الشعوذة ، ليَحْظَى الفارقُ بثواب الاجتهاد .

وما يزال السحرة يطعن بعضهم فى بعض ، والرسلُ متساعدون .

---

(١) سورة النساء ١٥٧

الباب العاشر

فى تحرك الجبل لأجله وسكونه لأمره

● عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حِرَاء ، فتحرك الجبلُ ، فضربه برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبيٌّ ، أو صِدِّيق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطَلْحَة ، والزُّبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن أسمى التاسع لَسَمَّيْتُ .

فأكثروا عليه : أخبرْنا . فقال : أنا .

الباب الحادي عشر

في ذكر شكوى البهائم إليه

وذل المستصعب منها له

• عن [عبد الله بن(١)] جعفر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جمل .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذِفْراه(٢) ، فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟

فجاء فتًى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله .

قال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملّكك الله عز وجل ، إنه شكا إلىّ أنك تجيعه وتُدْئبه(٣) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن يَعْلى بن مرة قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ جاء جمل نخبت(٤) حتى ضرب بجرانه بين يديه ،

---

(١) من المواهب ، وفى الأصل : عن ابن جعفر .

(٢) ذفراه . مثنى « ذفر » وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه .

(٣) تدئبه : تتعبه .

(٤) قوله : نخبت . هكذا فى الأصل ولعل الصواب (أخبت) أى : خشع وتواضع ولم تذكر المعاجم (خبت) ثلاثيا بالمعنى المراد هنا .

ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأنا .

فخرجت ألتمس صاحبَه ، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه .

فقال : ما شأن جملك هذا ؟

قال : لا أدرى والله ما شأنه ، عملْنا عليه حتى عجز عن السقاية .

فائتمرنا البارحة ، أن ننحره ، ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هَبْه لى أو بِعْنيه . قال : بل هو لك يا رسول الله .

قال : فوسمه بميسم الصدقة ، ثم بعث [به] إليه .

• عن أنس قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون(١) عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ، فمنعهم ظهره ، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ، استصعابه ، وقالوا : قد عطش الزرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا ، فدخلوا الحائط والجمل فى ناحيته .

فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه .

فقالت الأنصارية(٢) : إنه يا نبى الله ، قد صار مثل الكلب ، وإنا نخاف عليك صولتَه .

فقال : ليس علىَّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته ، أذلَّ ما كان حتى أدخله فى العمل .

(١) يسنون : يسقون .
(٢) للمواهب : الأنصار .

فقال له أصحابه : يا نبي الله ، هذا بهيمة لا يعقل ، يسجد لك ، ونحن نعقل ، فنحن أحق أن نسجد لك .

قال : لا يصلح : لبشرٍ أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشرٌ لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها[١] .

● عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من سفر .

حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار ، وإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدَّ عليه .

قال : فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ، حتى أتى الحائط .

فرغا البعير وجاء واضعاً شَفْره[٢] إلى الأرض حتى برك بين يديه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطاما » فخطمه . ودفعه إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال :

إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ، إلا عاصي الجن والإنس .

● عن جابر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فإذا جمل بادٍ ، حتى إذا كان بين السماطين ، خرَّ ساجداً .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس : من صاحب الجمل ؟

---

(١) رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد . ورواته ثقات مشهورون كما قاله المنذري .

(٢) الأصل مشرفة . وهو تصحيف . وما أثبته عن أحمد .

فإذا فِتية من الأنصار قالوا : هذا لنا يا رسول الله .

قال : فما شأنه ؟ قالوا سَنَيْنا عليه منذ عشرين سنة ، وكانت به شحمة ، فأردنا أن ننحره ، فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا .

قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله .

قال : أمّا لا ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .

فقال المسلمون عند ذلك : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك من البهائم .

قال : لا ينبغى أن يُسْجَد لشىء ، ولو كان ذلك ، كان النساء أحق أن يسجدن لأزواجهن .

وفى رواية أخرى أنه قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم استعملتموه شابًّا ، حتى إذا كبر أردتم نحره(١) .

---

(١) هذا الحديث ضعيف السند ، وكذلك أكثر أحاديث هذا الباب .

الباب الثانى عشر

فى ذكر معجزته التى ظهرت فى المركوب

● عن أنس قال : فزع أهل المدينة ليلةً ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل الصوت على فرس عُرْىٍ لأبى طلحة ، ورجع وهو يقول : لن تراعوا(١) .

قال أنس : وكان الفرس يُبَطَّأ ، فما سُبق بعد ذلك .

● عن جابر قال : كنت أسير على جمل فأعْيَا ، فأردت أن أُسَيِّبَهُ . فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه برجله ، ودعا له فسار سيراً لم يَسِرْ مثلَه(٢) .

أخرجاها .

---

(١) أى : لا تخافوا . (٢) كان هذا فى غزوة ذات الرقاع .

الباب الثالث عشر

فى رميه فى وجوه المشركين
بكفّ من تراب فملأ أعينهم

• عن أنس قال انهزم المسلمون بِحُنَيْنٍ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دُلدُل .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : دُلدُل ، البَدِى . فألزقت بطنها بالأرض .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب ، فرمى بها فى وجوههم وقال : حَمّ لا يُنْصَرُون .

فانهزمَ القومُ ، وما رمَيْنا بسهم ولا طعنًا برمح .

وفى رواية : فما خلق الله منهم . إنساناً ، إلا ملأ عينه ترابا .

وسنذكر طرق هذا الحديث فى غزاة حنين ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع عشر

فى إشارته إلى الأصنام فوقعت

• عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم [مكة يوم الفتح](١) وحولَ الكعبة ستون ، وثلاثمائة صنم ، فجعل يطعنها بعودٍ فى يده ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً(٢) » .

أخرجاه .

• عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » . جاء الحقُّ ، وما يبدئُ الباطلُ وما يعيد . فجعلت تستاقى من غير أن يمسَّها .

(١) من البخارى .

(٢) سورة الإسراء : ٨١

الباب الخامس عشر

فى إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغائبات

قال المصنف رحمه الله : قد سبق ذكر أشياء منها : أنه أخبر بأن الأرَضة[١] أكلت ما فى الصحيفة التى كتبها المشركون بالبراءة من بنى هاشم من ظلم وجَوْر .

• عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَتفتحَنَّ عصابةٌ من المسلمين كنزَ آل كسرى الذى فى القصر الأبيض .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

والذى نفس محمد بيده ، لَتُنفِقُنَّ كنوزهما فى سبيل الله » .

• عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

وايم الله لَتُنفِقُنَّ كنوزهما فى سبيل الله[٢] » .

أخرجاهما فى الصحيحين .

---

(١) قال فى المصباح : الأرضة : دويبة (دودة) تأكل الخشب ، يقال : أرضت الخشبة بالبناء للمفعول ، فهى مأروضة . وجمع (الأرضة) أرض . مثل : قصبة وقصب ، وقصبات .

(٢) سقط هذا الخبر من ت .

قال المصنف رحمه الله : وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل :

فقد مَلَكَ بعد كسرى وقيصر جماعة سُمُّوا بهذا الاسم ، فإن كلَّ ملِك كان لفارس ، يسمى كسرى ، وكل ملك كان للروم ، يسمى قيصر .

فالجواب : أنه ما مَلَكَ مَن كان لِمُلْكه طائل ولا ثبوت ، وما زال مُلْكهم متزلزلا حتى انمحق .

• عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فتراءينا الهلال ، وكنت حديدَ البصر فرأيته ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه ، وأنا مستلقٍ على فراشي .

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال :

إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيُرينا مصارعهم بالأمس يقول : هذا مَصْرع فلان غداً ، إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً ، إن شاء الله .

قال : فجعلوا يُصْرعون عليها .

قال : قلت : والذى بعثك بالحق ما أخطأوا تيك ، كانوا يصرعون عليها .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر .

فقال لرجل ممن يدَّعى الإسلام : هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة .

فقيل : يا رسول الله ، الرجلُ الذى قلتَ إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى النار .

فكاد بعض القوم أن يرتاب .

فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراح شديد .

فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال :

الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله :

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

أخرجاه ، من حديث سهل بن سعد .

● عن أبى حُميد الساعِدى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ تبوكَ فقال : إنها ستهبُّ عليكم ريح شديدة ، فلا يقومن فيها رجل ، ومن له بعير فليوثق عقاله(١) .

قال أبو حميد : فعقلناها(٢) ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريح شديدة(٣) فقام فيها رجل ، فألقته فى جبل طيء(٤) .

أخرجاه .

● عن ثَوْبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فليوثق عقاله . أى : ليربطها برباط قوى لا ينفك .

(٢) فعقلناها . أى : ربطناها .

(٣) قال فى المصباح : هبت الريح هبوباً . من باب قعد (الباب الأول) هاجت : وهب من نومه هباً من باب قتل (الباب الأول) أى : استيقظ . وهب السيف يهب من باب ضرب (الباب الثانى) هِبَّةً : اهتز ومضى . ومنه قيل : أنى امرأته هِبَّة . أى : وقعة .

إن الله عز وجل زَوَى(١) لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن مُلك أمتى سيبلغ ما زُوى لى منها ، وإنى أعطيت الكنزين ، الأحمر والأبيض .

قال المصنف رحمه الله : هذا قاله وهو محسورٌ(٢) ولا سلطان له على بلد ، فكان كما قال ، وقد بلغ ملكُ أمته ، من أول المشرق ، من بلاد الترك ، إلى آخر بلاد المغرب ، من بلاد البربر ، وبحر الأندلس .

● عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبى ذر قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا مضطجع فى المسجد ، فغمزنى برجله ، فاستويت جالساً فقال لى :

يا أبا ذر ، كيف تصنع إذا أُخرجتَ منها ؟

فقلت : أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتى .

قال : فكيف تصنع ، إذا أُخرجت منهما ؟

فقلت : إذن آخذ سيفى ، أضرب به من يخرجنى . فقال : عفراً ! بل تقَاد معهم حيث قادوك ، وتُسَاق معهم حيث ساقوك ، ولو عبدٌ أسود .

---

(١) زوى : جمع . قال فى الصحاح : وزويت الشىء : جمعته وقبضته . وفى الحديث « زُوِيَتْ لى الأرض ، فأريت مشارقها ومغاربها » اهـ .
فيكون المعنى هنا : إن الله جمع لى أطراف الأرض فرأيت الخ .

(٢) محسور . أى : متعب حزين .

(٣) الباغيه : الظالمة المعتدية على السلطان الحق ، لأنها عدلت وانحرفت عن الصراط السوى .

قال أبو ذر : فلما نُفِيت إلى الربذة(١) أقمت الصلاة ، فتقدم رجل أسود كان على نعَمَ الصدقة ، فلما رآنى أخذ يرجع ليقدِّمنى ، فقلت : كما أنت ، بل أنقاد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! !

• عن أبى هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال :

من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثى ، ثم يقبضه إليه ؟ فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه منى أبداً .

قال : فبسطت ثوبى ، أو قال : نمِرَتى ، ثم حدَّثنا ، فقبضته إلىّ ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه .

أخرجاه .

• عن عبد الله بن رافع أنه سمع عليا يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا والزبير ، والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة ، معها كتاب ، تخذوه منها .

فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا ، حتى أتينا الروضَة ، فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجى الكتاب . قالت : ما معى من كتاب .

فقلنا : لتخرجِنّ الكتاب ، أو لتلقين(٢) الثياب . فأخرجت الكتاب .

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :

من حاطب ابن بَلْتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأصل : البريدة . (٢) الرواية المشهورة (لتلقين) بالنون فى أوله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟

قال : لا تعجل عليّ يا رسول الله ، إني كنت امرأً مُلْصَقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من كان من المهاجرين ، لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النّسب فيهم ، أن أتّخِذَ فيهم يداً يَحْمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ، ولا ارتدادا عن ديني ، ولا أَرْضى بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد صَدَقكم .

فقال عمر : دَعْني أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك أن الله اطّلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

أخرجاه .

• عن أبي بَكْرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ، وكان الحسن بن عَلِيٍّ يثِبُ على ظهره إذا سجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم من سَفَر ، فلما كان قُرْب المدينة ، هاجت ريح تكاد تدفع الراكب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَبّت هذه الريح ، لموت منافق مات بالمدينة » .

فقدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين ، مات ذلك اليوم .

• عن عديّ بن حاتم قال : بَيْنا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة(١) ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قَطْعَ السبيل .

فقال : يا عدى هل رأيت الحِيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها .

فقال : إنْ(٢) طالت بك حياةٌ لترينَّ الظعينة (٣) ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف [أحدا](٤) إلا الله .

قلت ، بينى وبين نفسى : فأين دُعَّار طيىء الذين قد سَعَّروا البلاد(٥) ؟!

وإن طالت بك حياة ، لتُفتحنَّ كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هُرْمز ؟ ! .

قال : كسرى بن هرمز .

وإن طالت بك حياة لترينَّ الرجل يُخْرِج مِلْء كفِّه ذهباً وفضة ، يطلب من يَقْبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه(٦) .

قال عدى : فرأيت الظَّعينة ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز .

---

(١) الفاقة : الفقر . (٢) البخارى : « قال فإن » .

(٣) يعنى : أن المرأة تسافر من الحيرة الخ قال فى المختار من الصحاح الظعينة . أى : المرأة ما دامت فى الهودج على الإبل . ومثله فى القاموس والصحاح .

وفي المصباح : الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم ، وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظعونة . اهـ .

(٤) من البخارى .

(٥) دعار طيىء : مفسدوهم الذين يقطعون الطريق . وسعروا البلاد : ملأوها شراً وفساداً ، وهو مستعار ، من استعار النار .

(٦) اختصر المؤلف الحديث فلم يذكر : وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان ... إلى نهايته .

وإن طالت بكم حياة لَتَرَوُنَّ ما قال أبو القاسم ، صلى الله عليه وسلم ، يُخْرج مِلْءَ كفه ! . أخرجاه .

• عن أبى موسى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل يستفتح .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له وبَشِّره بالجنة .

فإذا هو أبو بكر رضى الله عنه .

ثم استفتح رجل آخر فقال : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة .

ثم استفتح رجل آخر ، وكان متكئاً فجلس ، فقال :

افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان .

ففتحت له وبشرته بالجنة ، فأخبرته بالذى قال : فقال : الله المستعان .

أخرجاه .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة ، حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعْر(١) ، وحتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين [حمر الوجوه](٢) ذُلْف الأنوف(٣) كأن وجوههم المَجَانُّ(٤) المُطْرَقة(٥) .

---

(١) نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من الشعر . أو المراد : طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم .

(٢) من البخارى . (٣) ذلف الأنوف : صغارها .

(٤) المجان : جمع « مجن » وهو : الترس . و « المطرقة » : التى ألبست الطراق ، وهى جلدة تلصق على قدر الدرقة .

(٥) انفرد به البخارى من هذا الوجه . ونحوه عن أحمد والجماعة ، إلا النسائى .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما ، إذ جاءه ذو الخُوَيصرة ، وهو رجل من بنى تميم .

فقال يا رسول الله ، اعدل .

قال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! فقد خِبْتُ وخسرت إن لم أكن أعدِل .

فقال عمر : ائذن لى فيه ، فأضرِبَ عنقه .

فقال : دَعْه ، فإن له أصحاباً يَحْقِر أحدكم صلاتَه مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يُجاوِزُ حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

يُنْظَر إلى نَصْلَه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَر إلى رِصافه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَر إلى نَضِيِّه ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قُذَذِه ، فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرثَ والدم .

آياتُهم رجل أسود ، إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البَضْعة تَدَرْدر(١) يخرجون على حين فُرْقَة من الناس .

قال أبو سعيد : وَأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه .

وأمر بذلك الرجل فَالْتمِسَ فأُتى به حتى نظرت إليه على نَعْت النبى صلى الله عليه وسلم الذى نعته(٢) .

---

(١) تدرد : تتحرك وتذهب وتجىء .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى عدة مواضع من صحيحه ، ومسلم أيضاً ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى سعيد .

والرصاف : جمع رصفة ، وهى عَقَبة تُلْوَى على مَدْخَل النصل فى السهم .

والنَّضِيّ : القِدْح قبل أن يبحث . والقُذَذ : ريش السهم .

والمعنى : أنه مَرَق عاجلاً فلم يَعْلق به دم .

● عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُتى بصفية يوم خيبر وأُتى بزوجها وأخيها ، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتما شيئاً ، فإن كتماه استحلّ دماءهما .

فأما أحدهما ، فصدّقه ولم يَكْتمه .

وأما كنانة ـ وهو زوج صفية ـ فكتمه مَسك الجمل ، وكان فيه حلى كثير ، فقال :

يا كنانة ، إنك قد أعطيتنى أن لا تكتمنى شيئاً ، فأين مسك الجمل ؟

فقال : ما كتمتك شيئاً .

فأتاه جبريل فأخبره بمكانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اذهبوا ، فإنه فى مكان كذا وكذا .

فلما أُتِىَ به ، أمر بهما ، فضربت أعناقهما وقال لبلال : خذ بيد صفية .

فأخذ بيدها فمر بها بين القتيلتين ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى رؤى فى وجهه .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيَّرها بين أن يعتقها ، فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم ، فيتخذها لنفسه .

فقالت : أختار الله ورسوله .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : انصرفوا عن أمكم .

حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر ، مال يريد أن يُعرس بها ، فأبت ، فوجد عليها فى نفسه .

فلما كان بالصهباء ، مال إلى دومة هناك ، فطاوعته .

فقال : ما حملك على إبائك ؟

قالت : خشيت عليك ، قربَ يهود . فأعرُس بها .

وبات أبو أيوب ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يدور حول خبائه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطء ، قال : من هذا ؟

قال : خالد بن زيد . قال : مالك ؟

فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك .

فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع .

● عن عبد الله بن عباس قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا سفيان فى الطواف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا أبا سفيان ، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا ؟

فقال أبو سفيان فى نفسه : أفشَتْ(١) علىَّ هند سِرِّى ، لأفعلنَّ بها ، ولأفعلن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه ، لحق أبا سفيان فقال :

« يا أبا سفيان ، لا تظلم هنداً ، فإنها لم تُفْش إلىَّ من سرك شيئاً » .

فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله ، فمن أنبأك عما فى نفسى ؟!

---

(١) أفشت ، أى : أذاعت ونشرت .

• عن عاصم بن كليب قال : حدثنى أبى قال : حدثنى رجل من الأنصار قال :

خرجت مع أبى وأنا غلام ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقانا رجل فقال :

يا رسول الله ، فلانة تدعوك وأصحابك إلى طعام .

فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فقعدنا مقاعد الغلمان من آبائهم فجىء بالطعام .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وضعوا أيديهم .

فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلوك أكلةً فكفوا أيديهم .

قال : فلاك الأكلة ، ثم لفظها ، وقال : لحمُ شاة ، أُخذت بغير إذن أهلها .

فقامت المرأة فقالت : يا رسول الله ، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام ، فبعثت إلى البقيع . فلم أجد شيئاً يباع ، فبعثتُ إلى أخى : أن ابعث إلىَّ شاتك .

فلم يكن أخى ، ثَمَّ ، فدفع أهلُه إلىَّ الشاةَ .

• عن أنس قال : نعىَ النبى صلى الله عليه وسلم أصحابَ مُوْتة على المنبر .

فبدأ بزيد ، ثم بجعفر ، ثم بابن رَوَاحة . ثم قال :

وأخذ اللواء خالد بن الوليد ، وهو سيف من سيوف الله تعالى .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أرسل عائشة إلى امرأة فقالت :

ما رأيت طائلا . قال : لقد رأيت خالا بخدِّها ، اقشعرّت منه ذؤابتك .

فقالت : ما دونك سِرٌّ ، ومن يستطيع أن يَـكْتُمك !

• عن سليمان بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : نغزوهم ولا يغزونا .

قال أبو نعيم : فحقق الله ذلك ، فغزاهم ولم يُغْزَ بعد ذلك .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين ، حتى يجاوز البحار ، وحتى تُخَاض البحار بالخيل في سبيل الله » .

• عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً لعليّ : مَنْ أشقَى الناس ؟

قال : الذى عقَر الناقة ، يا رسول الله . قال : صدقت .

فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله .

قال : « الذى يَضْرب على هذه » .

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى يا فوخه(١) .

فـكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق :

أما والله ، لوددت أنه انبعث أشقاها فخضب هذه ، يعنى لحيته ، من هذه ، ووضع يده على مُقَدَّم رأسه .

---

(١) قال في المصباح : اليافوخ : وسط الرأس ، ولا يقال (يا فوخ) حتى يصلب ويشتد بعد الولادة . وفى القاموس : ضرب يا فوخه . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

● عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا قبر أبى رغال، وهو أبو ثقيف .

وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدْفع عنه .

فلما خرج منه ، أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه .

وآية ذلك ، أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه . أصبتموه معه .

فابتدره الناسُ ، فاستخرجوا منه الغصن .

● عن ابن عمر قال : أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء فى الليلة [التى] قتل فيها العَنْسى ليبشرنا ، فقال :

قُتل الأسودُ البارحة ، قتله رجل مبارك .

قيل : من ؟ قال : فيروز بان فيروز(١) .

● عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت فقال :

لا تبكى ، وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :

ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين .

وليس من أولئك النفر أحدٌ ، إلا وقد مات فى قرية أو جماعة ، وأنا الذى أموت بالفلاة(٢) ، والله ما كَذَبتَ ولا كُذِبتُ ، فأبصرى الطريق .

---

(١) عند ابن كثير : فيروز فيروز .

(٢) الفلاة : الأرض التى لا ماء فيها . والجمع (فلا) مثل (حصاة) و (حصى) اهـ . مصباح .

قالت : فقلت : إنه قد ذهب الحاج ، وتقطعت الطريق .

قالت : فكنت أشتد إلى الكثيب ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فإذا أنا برجال على رواحلهم ، فألحت[(١)] بثوبي ، فأسرعوا ، وقالوا : مالك ؟

قلت : رجل من المسلمين يموت .

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر .

قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم .

ففدّوه بآبائهم وأمهاتهم ، فكفنه أحدهم ، ودفنوه .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .

ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ، لَيُوجَدُ من مسيرة كذا وكذا .

• عن أبي نوفل قال : لما قتل ابنُ الزبير ، أرسل الحجاج إلى أمه أسماء فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً[(٢)] ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير ، فلا إخالك إلا إياه .

انفرد بإخراجه مسلم . والكذاب هو المختار بن عبيد .

---

(١) فألحت بثوبي . أي : أشرت بثوبي إلى الرجال وهو تعبير مجازي كما في أساس البلاغة .

(٢) مبير . أي : ظالم سفاك للدماء ، ومفسد في الأرض .

● عن أبى هارون العبدى قال : كنا إذا دخلنا على أبى سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه سيأتيكم رجالٌ من أقطار الأرض ، ليتفقهوا ، فإذا أتوكم ، فاستوصوا بهم خيراً .

● عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَسْمعون ويُسْمع منكم ، ويُسْمع ممن يَسْمع منكم .

● عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها كل جمعة ، وإنها قالت يوم بدر :

أتأذن لى ، فأخرج معك ، أمرّض مرضاكم ، وأداوى جرحاكم ، لعل الله يُهْدى لى شهادة ؟

قال : قرّى ، فإن الله عز وجل يُهْدى لك شهادة .

وكانت أعتقت جارية لها وغلاماً عن دبر(١) منها ، فطال عليهما ، فغمّاها فى قطيفة حتى ماتت ، وهربا .

فأتى عمر فقيل له : إن ورقة قتلها غلامها ، وجاريتها وهربا .

فقام عمر فى الناس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يزور أمّ ورقه ويقول : انطلقوا نزورُ الشهيدة ! وأُتِىَ بهما ، فصُلِبَا .

● عن ابن عباس قال : لما أُسر العباس ، وطُلِبَ منه الفداء قال : ليس لى مال .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذى وضعته بمكة ،

---

(١) الدبر : الموت . يعنى ، قالت لهما : أنتما — بعد موتى — حرّان النوع من العتق يسميه الفقهاء بـ « التدبير » .

حين خرجتَ ، عند أم الفضل وليس معكما أحد ؟ وقلتَ : إن أصبت فى سفرى هذا ، فللفضل كذا ، وأنتم كذا ، ولعبد الله كذا ؟

قال : والذى بَعثك بالحق ، ما عَلم بهذا أحدٌ من الناس ، غيرى وغيرها ،[1] وإنى أعلم أنك رسول الله .

• وقد روى محمد بن إسحاق ، أن عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وهو فى الحجر .

وكان عمير من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة .

وكان ابنه وهب بن عمير ، فى أسارى بدر فذكر أصحاب القليب ومصابهم .

فقال صفوان : والله ما فى العيش بعدهم من خير .

فقال له عمير : صدقت ، والله ، أما والله لولا دَيْنٌ علىّ ، ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضَّيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ، ابنى أسير فى أيديهم .

فقال صفوان : فَعَلَىّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أسوتهم كأسوتهم .

قال عمير : فاكتم علىّ شأنى وشأنك . قال : أفعل .

ثم إن عميراً أمر بسيفه فشُحذ وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .

فرآه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال :

هذا عدو الله ، عمير قد جاء ، ما جاء إلاّ لشر ، وهو الذى حرّش بيننا ، وحزَرَنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) فى الأصل (وغيرك) وهو تحريف لمخالفته لسياق الكلام

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير ، قد جاء متوشحاً سيفه .

قال : فأدخله علىّ :

فأقبل عمر حتى أخذ بمحالة سيفه فى عنقه ، فلبّبه بها .

وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون .

ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه ، وعمر آخذ بمحالة سيفه فى عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير .

فدنا ثم قال : أنعم صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئتُ فى فداء أسير لى فى أيديكم ، فأحسنوا إليه .

قال : فما بال السيف فى عنقك ؟

قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنَتْ شيئاً .

قال : اصدُقْنى فى الذى جئت له . قال : ما جئت إلا لذلك .

فقال : بل قعدتَ أنت وصفوان فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قريش ، ثم قلت :

لولا دينٌ علىّ ، ولى عيال ، لخرجت حتى أقتل محمداً .

فتحمّل لك صفوانُ بن أمية بدَينك وعيالك ، على أن تقتلنى ، والله حائلٌ بينى وبينك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا نكذّبك ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقّهوا أخاكم فى دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً فى إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإنى أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ، وإلى دين الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك .

فأذن له ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش :

أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه .

فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

فلما قدم مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه ، فأسلم على يديه ناس .

* * *

قال المصنف : قال أبو الوفا بن عقيل : إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبلات ، فيه مخاطرة عظيمة ، لأن الأسود ومسيلمة ، فضحهما تخمينهما بخروج الخبر على خلاف ما أخبرا به .

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » .

فلو أنه أسلَمَ ، كان فى هذا ما فيه ، وإنما طالع العواقب ، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة .

فالحمد لله الذى ثبته على ذلك ، وأنه بانٍ لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم ، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام .

الباب السادس عشر

فى إلانة الصخر له صلى الله عليه وسلم

● عن جابر قال : مكث النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ، لم يذوقوا طعاماً .

فقالوا : يا رسول الله . إن ههنا كُدْيَةً[١] من الجبل .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رشوها بالماء .

ثم أخذ المِعْول[٢] وقال : بسم الله . فضربها ثلاثاً ، فصارت كثيباً[٣] تنهال[٤] .

قال جابر : فحانت منى التفاتة ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد شَدَّ على بطنه حجراً .

أخرجاه .

---

(١) الصخرة العظيمة . قال فى القاموس : (الكدية) بالضم : شدة الدهر كالكادية . والأرض الغليظة والصفاة (أى : الصخرة الملساء) العظيمة ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين . اهـ . المراد منه .

وفى الصحاح والمصباح : الكدية : الأرض الصلبة ، والمعنى المراد المناسب هنا ما أثبتناه فى صدر الكلام .

(٢) المعول : الفأس .

(٣) كثيباً . أى : ككومة الرمل . قال فى القاموس : الكثيب : التل من الرمل .

(٤) تنهال . أى : تتفتت وتنصب ، لأنها صارت كالرمل الناعم الذى لا يتماسك .

• عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فعرضت لنا صخرة فى مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول.

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول وقال : بسم الله .

وضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا .

ثم قال : بسم الله . وضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأنظر المدائن ، وأبصر قصورها البيض من مكانى هذا .

ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأنظر إيوان صنعاء من مكانى هذا .

الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم

● عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة .

فقالت امرأة من الأنصار ، كان لها غلام نجار : يا رسول الله ، إن لي غلاماً نجاراً ، أفلا آمره ، يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، خطب على المنبر قال : فأنَّ الجذعُ الذي كان يقوم عليه كما يئنُّ الصبي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكى لِمَا فَقَدَ من الذِّكْر(١) .

● عن الطفيل بن أُبي بن كعب ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يومَ الجمعة ، حتى يراك الناس وتُسْمِعهم خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاثَ درجات .

فلما صنع المنبر ، ووضع في موضعه ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر ، مرَّ إليه ، خارَ الجذعُ حتى كاد أن ينشقَّ .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسحه بيده ، حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

فلما هدم المسجد ، وغُيِّر ، أخذ ذلك الجذعَ أُبَىّ بن كعب .

فكان عنده فى داره ، حتى بَلِىَ وأكلته الأرضة ، وعاد رُفاتاً[١] .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره إليها .

فلما كثر الناس قال : ابنوا لى منبراً ، فبنوا له منبراً ، له عتبتان .

فلما قام على المنبر يخطب ، حَنَّت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أنس : وأنا فى المسجد ، فسمعت الخشبة تحنُّ حنين الواله[٢] ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت[٣] .

فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكى ، ثم قال :

يا عباد الله الخشبةُ تحنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ، لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه[٤] !

• عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر ، تحول إليه ، فحنَّ الجذع ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فمسحه .

أخرجه البخارى .

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فأتاه رجل رومى فقال : اصنع لى منبراً أخطب عليه .

---

(١) رواه أحمد ، ومثله عن الشافعى .

(٢) الواله : الذى ذهب عقله وتحير من شدة الفرح والحب والحزن . كما يستفاد من المصباح والصحاح .

(٣) رواه أحمد . (٤) روى هذه الزيادة البغوى .

فصنع له منبره هذا الذى ترون .

فلما قام عليه يخطب ، حنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها .

فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضمّه إليه ، فسكت ، فأمر به أن يُدْفَن ويحفر له .

● عن ابن بُريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خطب ، قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فَأُتِيَ بجذع نخلة فحفر له ، وأقيم إلى جنبه .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب وطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه .

فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فقال لمن يليه من الناس :

لو أعلم أن محمداً يَحْمَدنى فى شىء يرفق به ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ايتونى به . فأُتِيَ به ، فأمره أن يصنع له هذه المراقى ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك راحةً .

فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذعَ ، وعمد إلى الذى صُنع له ، جَزِع الجذع ، فحنَّ كما تحن الناقة ، حين فارقه النبى صلى الله عليه وسلم .

فسمع بريدة عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع ، رجع إليه ، فوضع يده عليه وقال :

اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه ، فتكون كما كنت ، وإن شئت فأغرسك فى الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فيَحْسُن نبتك ، وتُثمر ، فيأكل أولياء الله من ثمرتك ، فعلتُ » .

وزعم أنه سمع من النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : نعم قد فعلت . مرتين .

فسئل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أحبُّ أن أغرسه فى الجنة .

● عن أبىّ بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إلى جذع وكان عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .

فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات ، فقام عليها كما كان يقوم .

فأصغى إليه الجذع فقال له : اسكن . ثم التفت فقال :

إن تشأ أغرسك فى الجنة ، فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أن أعيدك رطبا كما كنت .

فاختار الآخرة على الدنيا .

فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، دُفع إلى أبىّ ، فلم يزل عنده إلى أن أكلته الأرضة .

* * *

قال ابن عقيل : لا ينبغى أن يُتعجَّب من حنين الجذع ، ومجىء الأشجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مَنْ جَعل فى المغناطيس خاصيةً تجذب الحديد إليه ، يجوز أن يجعل فى الرسول خاصية تجذب إليه .

الباب الثامن عشر

في تسبيح الحصى في يده صلى الله عليه وسلم

● عن أبي ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مكان ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حَصَيَات فسبَّحْن ، حتى سمعت لهن حَنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسْن .

ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل . ثم وضعهن فخرسْن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر حتى سُمِعَ لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فَخَرسْنَ .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسْن .

الباب التاسع عشر

فى ستره عمن قصد أذاه من المشركين

● عن ابن عباس قال : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » جاءت امرأة أبى لهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر .

فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بَذِيَّة ، فلو قمتَ لا تؤذيك .

قال : إنها لن ترانى .

فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، صاحبُك هَجَانى بشِعره . قال : لا ، ما يقول الشعر . قالت : أنت عندى مصدَّق ، وانصرفت .

فقال يا رسول الله ، إنها لم ترك ؟

قال : لا ، لم يزل ملَكٌ يسترنى منها بجناحه .

امرأة أبى لهب ، هى أم جميل بنت حرب ، أخت أبى سفيان .

الباب العشرون

في دفع من أراد أذاه من الإنس

● عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نَجْد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قفلتُ معهم ، فأدركتْه القافلة في وادٍ كثير العضاه(١) .

فنزل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرة ، فعلّق بها سيفه .

قال جابر : فنِمْنا نومة .

ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فجئناه ، فإذا أعرابي عنده جالس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظتُ ، وهو في يده صَلْتاً(٢) .

فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . هو ذا جالس .

ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله قال(٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) العضاه : شجر عظيم له شوك .

(٢) صلتاً : مجرداً من غمده ، بمعنى مصلت .

(٣) كذا ولعلها : أن رسول الله الخ .

لما رجع من غزاة بنى محارب ، جاءه رجل يقال له غورث بن الحارث ، حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من يمنعك منِّى ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك منى ؟

قال : كن خير آخذ .

قال : أتشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله .

• عن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمد وجهه فيكم بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم .

فقال : واللات والعزى ، إنّ رأيته يفعل ذاك ، لأطأنّ على رقبته ، ولأعفرنّ وجهه فى التراب .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، زعم ليطأ عنقه قال : فما فجأهم منه ، إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه .

فقالوا له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً وأجنحة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى ، لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .

انفرد بإخراجه مسلم .

• حكى الواقدى عن أشياخه قال : جاءت الظهر يوم الفتح .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذِّن بالظهر فوق الكعبة ، وقريش فوق الجبال ، وقد فرّ وجوههم وتغيبوا .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال عكرمة [١] بن أبى جهل : لعمرى لقد رفع لك ذِكرك ، أما الصلاة فنصلى ، ووالله ما نحب مَن قَتل الأحبة .

وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم .

وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليتنى متُّ قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبى العاص : هذا واللات ، الحادث الجلل [٢] ، يصيح عبد بنى جُمَح ، ينهق على بَنِيَّة أبى طلحة .

وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره .

وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا ، فلا أقول شيئاً ، ولو قلت شيئاً ، لأخبَرتْه هذه الحصاة .

فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف عليهم فقال : أما أنت يا فلان ، فقلت كذا ، وأنت يا فلان ، فقلت كذا .

فقال أبو سفيان : أما أنا يا رسول الله فما قلتُ شيئاً .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن عكرمة قال : قال شيبة بن عثمان : لما غزا النبى صلى الله عليه وسلم حُنَيناً : فذكرت أبى وعمى قتلَهما علىٌّ وحمزة ، فقلت : اليوم أُدْرك ثأرى من محمد .

فجئته مِن خَلْفه ، فدنوت منه ودنوت حتى لم يَبْق إلا أن أُسوره بالسيف سورة ، رُفع إلىَّ شُوَاظ من نار كأنه البرق ، فنكصت القهقرى .

---

(١) فى الأصل « يقول » ، والصواب (قال عكرمة .. الخ) لأن المقرر فى قواعد النحو أن يكون جواب (لما) فعلا ماضياً . (٢) فى الأصل « الجليل » وهو تحريف

فالتفت إلىَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعال يا شيبة .

فوضع يده على صدرى ، واستخرج الله الشيطانَ من قلبى .

فرفعت إليه بصرى ، وهو أحبُّ إلىَّ من سمعى وبصرى .

● عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رجلا من بنى مخزوم ، قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده فِهْر(١) يرمى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أتاه وهو ساجد ، رفع يده وفيها الفهر ، ليدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيبست يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : جَبُنْتَ عن الرجل ؟

قال : لا ، ولكن هذا فى يدى لا أستطيع أُرسلَه .

فتعجبوا من ذلك ، ووجدوا أصابعه قد يبست على الفهر .

فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا : هذا شىء يراد .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا فى حديث الحكم قالوا له : ما رأينا أعجزَ منك فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تلومونا ، لقد تواعدنا له .

فلما دنونا منه ، سمعنا صوتاً خلْفنا ، ظننَّا أنه ما بقى بتهامة جبال إلا ألقيت .

ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصَّفا والمروة ، التقتا فحالتا بيننا وبينه .

---

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يملأ الكف .

الباب الحادى والعشرون

فى كيفية هلاك بعض من آذاه

عن أنس قال : كان رجل نصرانى(١) فأسلم ، وكان يقرأ البقرة وآل عمران .

وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، وكان يقول :

ما يدرى محمد إلا ما كتبت له .

فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا :

هذا فعلُ محمد وأصحابه ، لمّا هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا . فألقوه .

فحفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا :

هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا على صاحبنا .

فحفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض .

فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه .

قال المفسرون قوله تعالى : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » بيّن أنهم قوم كانوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، والمستهزئون يطوفون بالبيت فمر بهم الوليد بن المغيرة .

---

(١) الأصل : كان رجلا نصرانياً . وهو تحريف ، والحديث أخرجه البخارى وأحمد .

فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله . قال : قد كُفيت . وأومأ إلى ساقه فمرّ برجل يريش نَبلاَ ، فتعلقت شظية من نبله بإزاره ، فمنعه الكبْر أن يُطَامِن لينزعها ، فمرض فمات .

ومرّ العاص بن وائل ، فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟

قال : بئس عبد الله . فأشار إلى أخمص قدمه ، فمات .

ومر الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله . فأشار إلى بطنه فمات حَبَناً(١) .

ومر الحارث بن قيس فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله . فأومأ إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات .

قال عكرمة : هلك المستهزئون قبل بدر .

قال ابن السائب : هلكوا فى يوم وليلة .

---

(١) الحبن : داء يصيب البطن .

الباب الثانى والعشرون

فى دفع من قصد أذاه من الشياطين

• عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلّت علىّ البارحة ، فقطع علىّ صلاتى ، فأمكننى الله منه فذَعْته ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه كلكم أجمعون ، فذكرت دعوة أخى سليمان « رَبِّ هبْ لى مُلْكاً لا ينبغى لأحدٍ مِنْ بَعْدِى » . قال : فرددته خاسئاً .

ومعنى فذَعْته : خنقته . .

عن أبى التَّياح قال : قلت لعبد الرحمن بن خُنَيْش : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادَتْه الشياطين ؟

قال : تحدَّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءه جبريل فقال : يا محمد ، قل . فقال : ما أقول ؟ قال :

قل : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خَلَق وَذَرَأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يَعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق [إلا طارقاً] يطرق بخير يا رحمن .

قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له شيطان

● عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ، فغِرْت عليه ، فجاء فعرف ما أصنع فقال : مالك يا عائشة أغِرْتِ ؟

قالت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك .

قال : أفأخذك شيطانك ؟ ! قلت : أومعى شيطان ؟ قال : نعم .

قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ !

قال : نعم ، ولكن ربى أعاننى عليه فأسلم .

انفرد بإخراجه البخارى .

وأكثر الرواة يقولون : « أسلمَ » بفتح الميم ، إلا سفيان بن عُيَينة قال : فأسلمُ بضمها ، وليس بصحيح ، لأنه فى بعض الألفاظ قال : « فلا يأمرنى إلا بخير » .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلت على آدم بخَصْلَتين : كان شيطانى كافراً فأعاننى الله عليه فأسلم ، وكن أزواجى عوناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً عليه .

الباب الرابع والعشرون

في دفع أذى الهوام عنه

● عن أبي أمامة قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفَّيه يلبسهما ، فلبس إحداهما ، ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى ، فرمى بها فخرجت منه حيَّة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما .

الباب الخامس والعشرون

فى إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت

● عن الهيثم بن عديّ عن أبيه قال : أصيبت عين أبى قتادة بن النعمان الظُّفرى يوم أحد ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهى فى يده فقال :

ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ، فلم تفقد منها شيئاً .

قال : يا رسول الله ، إن الجنة لجزاء جزيل ، وعطاء جليل ، ولكنى رجل مُبْتَلًى بحب النساء ، إن يقلن أعور ، فلا يُرِدْنَنى ، ولكن تردها لى ، وتسأل الله لى الجنة .

فقال : أفعل يا أبا قتادة . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنهُ على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟ فقال :

أَنَا ابْنُ الَّذِى سَالَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ ⁂ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَحْسَنِ حَالِهَا ⁂ فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ مَا يَدِّ

فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل إلينا المتوسلون .

ثم قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ⁂ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته

● عن أبى أسيد [الساعدى] البَدْرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل ، لا تَرِمْ(١) منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لى فيكم حاجة .

فانتظروه فجاء فقال : السلام عليكم .

قالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير . قالوا : كيف أصبحت يا رسول الله ؟

قال : بخير ، أحمد الله .

فقال : تقاربوا ، ليزحَفْ بعضُكم إلى بعض . ثلاثاً .

فلما أمْكَنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : هذا العباس عمِّى ، وصِنْو(٢) أبى ، وهؤلاء أهل بيتى ، اللهم استرهم من النار كسَتْرى إياهم بملاءتى هذه .

قال : فأمَّنت أُسْكُفَّة(٣) الباب وحوائط البيت . آمين ثلاثا(٤) .

---

(١) لا ترم . أى الزم منزلك ولا تفارقه .

(٢) الصنو : المثل .　　(٣) أسكفة الباب : عتبته .

(٤) الحديث رواه البيهقى وابن ماجه فى سننه ، عن عبدالله بن عثمان الوقاصى ، قال عنه ابن معين : لا أعرفه وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

الباب السابع والعشرون

فى تكليم الظبية(١) له

• عن أبى سعيد الخدرى قال : مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، خَلِّنى حتى أذهب فأرضع خِشفى(٢) ثم أرجع فتربطنى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« صَيْدُ قومٍ وربيطة قوم » فأخذ عليها ، فحلفت له ، فخلَّها .

فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما فى ضرعها .

فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتى خباء أصحابها . فاستوهبها منهم ، فوهبوها له ، فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى بعض شأنه ، فإذا هو بظبية فى رحل قوم ، فنادته : يا رسول الله . فوقف وقال : ما شأنك ؟

---

(١) روى حديث الظبية البيهقى من طرق من حديث أبى سعيد ، وضعفه جماعة من الأئمة . وذكره القاضى عياض فى الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل .

قال السخاوى : حديث الغزالة اشتهر على الألسنة وفى المدائح النبوية وليس له — كما قال ابن كثير — أصل ، ومن نسبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كذب .

(٢) قال فى المصباح : الخشف (بكسر الخاء) ولد الغزال . يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف . مثل حمل وحمول .

قالت : إن لى خِشْفين وهما جياع ، فأطلقنى لأنطلق فأرويهما ، وأرجع إليك فتشدّنى .

قال : أتفعلين ؟ قالت : نعم ، وإلا يعذبنى الله عذاب العَشّار(١) .

فحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه ، فما لبث أن جاءت وضرعها فارغ من اللبن .

فرقّ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوهبها من الرجل ، فوهبها له فأطلقها .

● عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحراء ، فإذا مناد ينادى : يا رسول الله . فالتفت فلم ير شيئاً . ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت : يارسول الله ، أدنُمنى . فدنا منها فقال : هل لك من حاجة ؟

قالت : نعم ، إن لى خِشْفين فى ذلك الجبل ، فحُلَّنى حتى أذهب فأرضعهما ، ثم أرجع إليك قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشّار ، إن لم أفعل .

فأطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفيها ، ثم رجعت ، فأوثقها النبى صلى الله عليه وسلم .

وانتبه الأعرابى فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، تطلق هذه . فأطلقها ، فذهبت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

---

(١) العشار : المكاس . يعنى [الذى يأخذ الضرائب على أموال الناس وعلى تجاراتهم] .

الباب الثامن والعشرون

فى كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر أن أعرابياً صاد ضَبّا ، فجعله فى كُمّه ، يريد أن يجىء إلى أهله فيذبحه ويشويه ، ويأكله ، فإذا هو بجماعة فقال : ما هذه الجماعة ؟

قالوا : على رجل يذكر أنه نبى ، وهو محمد بن عبد الله .

فجاء حتى شقّ الناس ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : واللات والعزى ، ما سلّمتُ على ذى مُهجْة أبغض إلىّ منك(١) ، ولولا أن يُسمِّينى قومى العَجُول ، لعجلْت عليك فقتلتك فسَرَرْت بقتلك الأسودَ والأبيض ، وأرحتُ بنى هاشم وغيرهم ، إذ تسبُّ آلهتنا .

فعرفه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أخا بنى سليم : ما حملك على الذى قلتَ ، ولم تكرمنى فى مجلسى ؟

قال : وتكلّمْنى أيضاً اللات والعزى(٢) ، لا آمنت بك ، حتى يؤمن بك هذا الضب . فطرح الضب بين يديه .

فقال عمر : ايذن لى أضرب عنقه .

فقال : أما علمتَ أن الحليم كاد يكون نبيا !

---

(١) فى شرح المواهب عند الدارقطنى : فأتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك .

(٢) كذا بالأصل . والرواية عند ابن كثير البداية ٦/١٩٤ : وتكلمنى أيضاً — استخفافا بالرسول — واللات والعزى الخ . ولعلها أصوب مما هنا .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب فقال له : يا ضب .

قال : لَبَّيك وسَعْديك . بلسان عربى مبين يُفْهم القوم جميعاً .

فقال له : يا ضب من تعبد ؟

قال : الذى فى السماء عرشُه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدَّقك ، وخاب من كذبك .

قال الأعرابى : لا أبتغى أثراً بعد عين ! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بشَعْرى وبَشَرى ، وسرِّى وعلانيتى .

والله لقد أتيتك ، وما على وجه الأرض أحد هو أبغضُ إلىَّ منك ، ولَأَنْتَ الآن ، أحب إلى من سمعى وبصرى ، ووالدى ، وولدى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك بى .

• عن ابن عباس قال : خرج أعرابى من بنى سُلَيم يتبدَّى فى البرَية ، فإذا هو بضب ، فاصطاده ، ثم جعله فى كمه ، ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه :

يا محمد ، أنت الساحر ، ولولا أنى أخاف أن قومى يسمونى العَجُولْ لضربتك بسيفى هذا .

فوثب له عمر ليبطش به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

اجلس أبا حفص ، فقد كاد الحليم يكون نبيا .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعرابى ، فقال له :

أسلم تَسلم من النار .

فقال : واللات والعزى ، لا أومن حتى يؤمن بك هذا الضب .

ثم رمى الضبَّ من كمه . فولّى الضب هارباً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الضب أقبل . فأقبل .

فقال له : من أنا ؟ قال : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

ثم أنشأ الضب يقول :

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ صَادِقٌ ... فَبُورِكْتَ مَهْدِيًّا وَبُورِكْتَ هَادِيَا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَعْدَ مَا ... عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاغِيَا

فَيَاخَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... إِلَى الْجِنِّ ثُمَّ الْإِنْسِ لَبَّيْكَ دَاعِيَا

أَتَيْتَ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ وَاضِحٍ ... فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا

فَبُورِكْتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتاً ... وَبُورِكْتَ مَوْلُوداً وَبُورِكْتَ نَاشِيَا

ثم سكت الضب ، فقال الأعرابى . واعجباً ! ضبٌّ اصطدته من البرّية ، ثم أتيت به فى كمّى ، يكلم محمداً بهذا الكلام ، ويشهد له بهذه الشهادة ! !

أنا لا أطلب أثرا بعد عين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فأسلم وحسن إسلامه .

ثم التفت إلى أصحابه . فقال : علموا الأعرابى سورا من القرآن(١) .

---

(١) حديث الضب هذا مشهور على الألسنة ولكنه غريب ضعيف . قال المزى : لا يصح إسناداً ولا متنا . وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع .
انظر شرح المواهب ١٤٨/٤ — ١٤٩ .

فصــل

فإن قال قائل : ما رويتم من المعجزات لم يُنْقل نقلَ التواتر .

قلنا : مجموع الوقائع يورث علماً ضروريا ، كشجاعة عليّ ، وجُود حاتم .

ثم عندنا ، القرآن الذى لا يُرْتاب فيه ، فمعجزه قائم أبداً ، ينادِى على منار التحدى : « فَأْتوا بسورة من مثله » .

ثم إذعان الملوك لنبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه ، وإقرار أهل الكتاب بصفته ، من أكبر الأدلة .

الباب التاسع والعشرون

فى إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي

● عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ، إنى سائلك ثلاث خصال ، لا يعلمهن إلا نبي .

قال : سَلْ . قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة ؟ ومن أين يُشْبه الولدُ أباه وأمه ؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بهن جبريل آنفاً .

قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : أمَّا أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم إلى المشرق تخرج من المغرب .

وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما شَبَه الولد أباه وأمه : فإذا سَبَق ماء الرجل ماءَ المرأة نَزَع إليه الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماءَ الرجل نزع الولد إليها .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله،إن اليهود قومٌ بُهْت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى يَبْهتونى عندك ، فأرسل إليهم فاسألهم عن أىِّ رجل ، ابنُ سلام فيكم ؟

فأرسل إليهم فقال : أىّ رجل ابنُ سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعالمنا وابن عالمنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا .

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك !

قال : فخرج ابنُ سَلاَم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقالوا : شرُّنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا .

فقال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، نحن نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنت أنبأتنا بها ، عرفنا أنك نبي واتبعناك .

قال : فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا :

والله على ما نقول وكيل .

قالوا : حدِّثنا عن علامة النبى .

قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنِّث المرأة ، وكيف تُذكر ؟

قال : يلتقى الماءان ، فإن علا ماء المرأة ماءَ الرجل أنثت ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت .

قالوا : صدقت .

قالوا : ما حرَّم إسرائيل على نفسه ؟

قال : كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه ، إلا ألبان الأبل ، فحرم لحومها . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هو الرعد ؟

قال : ملك من الملائكة ، موكَّل بالسحاب ، بيده أو فى يده ، مخراق من نار ، يَزْجر به السحاب ويصرِّفه حيث أمره الله تعالى .

قالوا : فما هذا الصوت الذى يُسمع ؟ قال : صوته .

قالوا : صدقت .

إنما بقيت واحدة ، وهى التى إن أخبرتنا بها ، اتبعناك ، أنه ليس من نبى إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء ، فمن يأتيك بالخبر من صاحبك ؟

قال : جبريل .

قالوا : جبريل ! ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدوُّنا من الملائكة ، لو قلت ميكائيل ، الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطار !

فأنزل الله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ـ الآية » (البقرة ٩٧) .

• عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه . فقالت قريش : يا يهودى : إن هذا يزعم أنه نبى .

قال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبى .

قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد ، مم يخلق الإنسان ؟

قال : يا يهودى من كلٍّ يُخْلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

فأما نطفة الرجل ، فنطفة غليظة ، منها العظم والعصب .

وأما نطفة المرأة ، فنطفة رقيقة ، منها الدم واللحم .

فقام اليهودى فقال : هكذا كان يقول مَنْ قَبْلك .

• عن ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حَبْر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعة كاد يُصْرع منها ، فقال : لم تدفعنى ؟

فقلت : ألا تقول يا رسول الله !

فقال اليهودى : إنما أدعوه باسمه الذى سماه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى .

فقال اليهودى : جئت أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينفعك شىء إنْ حدثتك ؟

قال : أسمع بأذنى .

فنكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه . فقال : سَلْ .

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر .

قال : فمَنْ أوّل الناس إجازةً ؟ قال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودى : فما تُحْفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون .

قال : فما غذاؤهم فى أثرها .

قال : يُنْحر لهم ثور الجنة ، الذى كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمَّى سَلْسبيلا .

قال : صدقتَ .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ، إلا نبي أو رجل أو رجلان .

قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلاَ مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة ، أذكَرا بإذن الله ، وإذا علا مَنِيُّ المرأة مَنِيَّ الرجل ، أنَّثا بإذن الله .

فقال اليهودي : لقد صدقتَ ، وإنك لنبي . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه ، ثم أتاني الله به .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثلاثون

فى رؤيته الأشياء من وراء ظهره

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل علينا بوجهه قبل أن يكبّر ، فيقول : تراصُّوا واعتدلوا ، فإنى أراكم من وراء ظهرى .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبلتى ها هنا ، فوالله ما يخفى علىّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إنى لأراكم من وراء ظهرى .

الحديثان فى الصحيحين .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا الصفوف ، فإنى أراكم من خَلْف ظهرى .

الباب الحادى والثلاثون

فى أنه كان يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلمة ، كما يرى فى الضوء .

الباب الثاني والثلاثون

في إجابة دعائه

• عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :

أين على ابن أبي طالب ؟

فقيل : هو يشتكى عينيه .

قال : فأرسلوا إليه ، فَأُتِيَ به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرئ ، كأن لم يكن به وجع .

أخرجاه .

• عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يَسْمُر مع علىّ ، وكان علىّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف .

فقيل : لو سألتَه ، فسأله ، فقال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلىّ ، وأنا أَرْمَدُ العين يومَ خيبر .

فقلت : يا رسول الله ، إني أرمدُ العين . فتفل في عيني وقال :

اللهم أذهب عنه الحرّ والبردَ . فما وجدتُ حَرًّا ولا برداً ، منذ يومئذ .

• عن يَعْلى بن مُرَّة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها ، فقالت :

يا رسول الله ، هذا أصابه داء يؤخذ في النوم ، ما أدرى كم مرة .

قال : ناولينيه . فدفعته إليه . فجعله بينه وبين واسطة الرّحل ، ثم فغر فاه(١) فتفل فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله يا عبد الله ، اخسأ يا عدو الله » ثم ناولها إياه .

وقال : « القينا فى الرّجعة فى هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث .

فقال : « ما فعل صبيّك ؟ » قالت : والذى بعثك بالحق ، ما حسسْنا منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترِزْ هذا الغنم .

قال : انزل فخذ منها واحدة ، ورُدَّ البقية(٢) .

● عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، إن به لَمماً وإنه يأخذه عند طعامنا .

قال : فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، فثَعَّ ثعّة(٣) فخرج مِن فيه ، مثلُ الجرْو الأسود . فسعى(٤) .

● عن أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سَنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام أعرابى فقال : يارسول الله ، هلك المالُ ، وجاع العيال ، فادعُ الله أن يسقينا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما فى السماء قَزَعَة(٥) .

---

(١) فغر فاه . أى : فتح فمه .
(٢) أخرجه الإمام أحمد .
(٣) ثع : قاء . وقيل : سعل .
(٤) تفرد به أحمد . وفيه فرقد السنجى وهو سيء الحفظ .
(٥) القزعة : القطعة من السحاب .

فثار السحابُ أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادَرُ على لحيته .

قال : فمُطِرْنا يومنا ومِن الغد وبعدَ الغد، والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى.

فقام ذلك الأعرابى ، أو رجل غيره فقال :

يا رسول الله ، تهدَّم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا .

قال : فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة فى مثل الجَوْبَة(١) حتى سال الوادى قناة شهراً .

قال : ولم يجئ أحد ، إلا حدَّث بالجَوْد . أخرجاه (٢).

● عن أنس بن مالك أنه سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدعاء ؟

قال : نعم ، بينا هو فى جمعة يخطب الناس ، فقيل له : يا رسول الله قحط المطر ، وأَجْدَبت الأرضُ ، فادع الله عز وجل .

فرفع يديه ، حتى رأينا بياض إبطيه ، فاستسقى وما فى السماء سحابة .

فما قضينا الصلاة ، حتى إن الشاب القريب الدار ليُهِمُّه الرجوعُ إلى أهله ، فدامت جمعة . فلما كانت الجمعة الأخرى ، قالوا :

يا رسول الله ، تهدَّمت البيوت ، واحتبس الرُّكبان ، وهلك المال .

فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بيده هكذا ، ففرَّق بين يديه : « اللهم حوالينا ولا علينا » . قال : فتكشَّطت عن المدينة .

---

(١) قال فى الصحاح : الجوبة : الفرجة فى السحاب وفى الجبال . وانجابت السحابة : انكشفت . والجوبة أيضاً : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى : صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة .

(٢) فى مواضع من كتاب الصلاة .

• عن عائشة بنت سعد أن أباها حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً دَهْساً لا ماء به ، وسبقه المشركون إلى القُلَب ، فنزلوا عليها ، وأصاب المسلمين العطش ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجمَ النفاقُ(١) .

وقال : بعض المنافقين : لو كان نبيًّا كما يزعم ، لاستسقى لقومه كما استسقى موسى .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : أو قالوها ! عسى أن يسقيكم . ثم بسط كفيه وقال :

« اللهم جَلِّلْنا سحاباً كثيفاً مُغْدَوْدقاً ، تضحك منه الأرجاء ، تُمْطِرنا منه رذاذاً قد قُطع ، سَجْلا نعاقاً(٢) ، يا ذا الجلال والإكرام » .

فما ردَّ يديه من ردائه ، حتى أظلتنا سحابة تتلون فى كل صفةٍ وصفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب .

قال : ثم أمطرنا الضروبَ التى قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعم السيلُ الوادى ، فشرب الناس وارتووا .

• عن أنس قال : لما كان يوم الحُدَيْبية ، هبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلا من أهل مكة فى السلاح ، من قِبَل جبل التنعيم ، يريدون غِرَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليهم ، وأخذوا ملك عنان فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآية : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ

---

(١) نجم النفاق . معناه : ظهر واستعلن واضحاً .

(٢) الرذاذ : المطر الضعيف ، والسجل المطر الغزير . والنعاق المرتفع الصوت .

يَدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ أَعَلَيْهِمْ »(١) .

• عن عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء ، فأتيته بقدح فيه ماء ، وكانت فيه شعرة فأخذتُها ، فقال : اللهم جمِّله . قال : فرأيته وهو ابن أربع وتسعين سنة ، ليس فى لحيته شعرة بيضاء .

• عن أنس قال : دعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، وأطلْ حياته .

فأكثَرَ الله مالى ، حتى إن كنز مالى يُحْمل فى السنة مرتين ، وولدى لصُلْبى ، مائة وستة .

• عن نوفل ، عن أبيه قال : كان ابن أبى لهب يسبُّ النبى صلى الله عليه وسلم واسمه عتبة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك » .

فخرج يريد الشام فى قافلة مع أصحابه ، فنزلوا منزلا فقال : والله إنى لأخاف دعوة محمد . قال : فقالوا له : كلاَّ .

قال : فحطوا المتاعَ وقعدوا حوله يحرسونه .

قال : فجاء السبع ، فانتزعه فذهب به .

• عن جابر ، عن بلال قال : أذَّنتُ بالصبح فى ليلة باردة ، فلم يأتِ أحد ، ثم أذَّنتُ فلم يأت أحد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما شأنهم يا بلال ؟

قلت : كبَدَهم(٢) البَرْدُ . فقال : « اللهم اكسر عنهم البرد » .

---

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) كبدهم : شق عليهم وضيق ، من الكبد وهو الشدة والضيق. أو أصاب أكبادهم ، وهو أشد البرد . النهاية ٤/٢ .

قال بلال : فلقد رأيتهم يتروَّحون :

● عن أنس ، أن أبا طالب مرض ، فعاده النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : يابن أخى ، ادعُ ربك الذى تعبده أن يعافينى .

قال : « اللهم اشفِ عمى » فقام أبو طالب ، كأنما أنشط من عِقَال .

قال : يابن أخى ، إن ربك الذى تعبده لَيُطيعك .

قال : وأنت يا عماه ، لو أطعتَ الله لأطاعك .

* * *

فصل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبعه المؤمنون عملاً بالدليل ، لا تقليدا .

ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب ، فيقولون : واصلتَ ونهيتنا ، وفعلت كذا . فيبين لهم سبب ذلك .

فلما أذعَنَتْ له القلوبُ وشاع الإسلام، ضَنِيَتْ قلوبُ مكذِّبيه وحاسديه .

فرضى اليهود بالخلود فى النار ، اتباعاً لمقتضى الحسد ، مع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ قوم يقولون ، بزَعْمهم ، مثلَ القرآن ، كمسيلمة فإنه قال : يا ضفدع نِقِّى كم تنقين .

وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبى فنبت شعره ، فمسح على رأس صبى فقرع .

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق في بئر فجاشت بالريّ ، فبصق هو في بئر فيبست .

* * *

فلما فشا الإسلامُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُتِحت البلدان ، اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا : لا طاقة لنا بالمسلمين ، فهلموا حتى نظهر الإسلامَ ونُدْخل فيه الآفات .

وهم الباطنية ، يظهرون الإسلام والتعبد ، ومقصودهم الجهالُ واصطيادهم .

فإذا تمكّنوا منهم ، كاشفوا بالإلحاد .

قال ابن عقيل : لو اجتمعتُ برئيس الباطنية ، سلكتُ معه طريقَ الإزراء على عقله وعقول أتباعه .

فكنت أقول : للآمال طرق ووجوه ، ووَضْعُ الأمل في جهة الإياس حُمْقٌ .

وقد طبّقت شريعة الإسلام الأرضَ وتمكنت .

فلها مَجْمَع كلّ سنة بعرفة ، وكل أسبوع في الجمعة ، ومجامع في المساجد .

فمتى تحدِّثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتَمْحِيق هذا الأمر الظاهر في الآفاق ، وكلَّ يوم يؤذَّن على مائتى ألف منار باسم هذا الرسول .

وغاية ما أنتم عليه حديثٌ في خلوة ، لو ظهر لم يُؤْمَن هلاك قائله .

فلا أعرفُ أحمقَ منكم !

هذا إلى أن يجيء باب المناظرة !

* * *

قال المصنف : وقد اندسَّ جماعة من الملحدين فى المسلمين ، كأبى العلاء المَعَرِّى وابن الراوَندى قبله ، فماتا على أقبح صفة .

واندسَّ منهم جماعة فى المحدِّثين ، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شَيْنَ الشريعة وتناقضها .

فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم ويبينون الصوابَ من الخطأ .

وأظهر قومٌ التكهن ، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب ، وأخذ قومٌ يتكلمون على ما فى القلوب ، والمنجِّم عمّا يكون غداً .

كلُّ ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأتِ بمعجزة .

ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

* * *

قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم أن البارى سبحانه ، إنما يُمْهل الكذاب يسيراً ، ثم يستأصله بالعذاب :

فيجوز أن يمهل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبِّت شريعتِه بعده ؟!

وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلَّل السَّبْت ، ثم ينصر أتباعه على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز ؟ !

حاشاه أن يفعل ذلك ، إذ لو فعله لم يَتَبين الصدقُ من المحال .

ألم تسمعه تعالى يقول : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ » (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .

فمن طعن فى صدقه ، طعن فى عدل البارى وحكمته ، لأن الطعن يتوجه على المُمِين .

قال : ولقد فاضت أشمةُ معجزاته على أصحابه .

فكتب عمر إلى نيل مصر ، ونادى ساريةَ ، فأسمعه .

وجىء بكنوز كسرى ، فقسمت فى مسجده صلى الله عليه وسلم .

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
ومثل ما بعث به ومثل أمته
ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

فى ذكر فضله على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام

اعلم أن الله تعالى أنشأ النفوس مختلفة .

فمنها الغاية فى جودة الجوهرية ، ومنها الـكَدِر .

وفى كل رُتْبة درجات .

فالأنبياء هم الغاية ، خُلقت أبدانهم سليمةً من العيب ، فصَلحت(١) لحلول النفوس الـكاملة ، ثم يتفاوتون .

فـكان نبينا صلى الله عليه وسلم ، أصحَّ الأنبياء مزاجا ، وأكملَهم بدنا ، وأصفاهم روحا .

وبمعرفة ما نذكره من أخلاقه وصفاته يتبين ذلك :

ولذلك قدَّمه الله عز وجل على الـكُلّ .

* * *

فمن ذلك ، خَلْقُ نفسه قبل خَلق نفوسهم .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) قال فى المصباح : صلح الشىء صلوحاً من باب قعد (الباب الأول) وصلاحاً أيضاً . وصلح (بضم اللام) فى الماضى والمضارع لغة وهو خلاف (فسد) وصلح يصلح بفتحتين (بفتح اللام فى الماضى والمضارع) لغة ثالثة فهو صالح . اهـ

« كنت أولَ النبيين فى الخلق وآخرَهم فى البعث »(١) .

وقد ذكرنا كيف خُلقت طينته فى أول الكتاب .

ومن ذلك : أنه أخذ له الميثاق على الأنبياء .

فقال عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ، لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ »(٢) .

فجَعل الأنبياء كالأتباع له ، وألهمهم الانقيادَ ، فلو أدركوه وجب عليهم اتباعه .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حيًّا ما وَسعه إلا اتباعى » .

وقدَّم ذكرَه على الأنبياء فقال عز وجل : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ »(٣) .

وخاطب كلَّ نبي باسمه فقال تعالى : « يَا آدَمُ اسْكُنْ »(٤) « يا نوح اهبط »(٥) « يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ »(٦) « يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ »(٧) « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ »(٨) « يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ »(٩)

---

(١) رواه الديلمى ، وأبو نعيم ، وابن أبى حاتم مرفوعا .

(٢) سورة آل عمران ٨١ — (٣) سورة النساء ١٦٣

(٤) سورة البقرة ٣٥ — (٥) سورة هود ٤٨

(٦) سورة هود ٧٦ — (٧) سورة الأعراف ١٤٤

(٨) سورة ص ٢٦ — (٩) سورة المائدة ١١٠

« يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ »(١) « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ »(٢).

ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيما له ، بل قال : « يا أَيُّهَا النَّبِيُّ »(٣) « يا أَيُّهَا الرَّسُولُ »(٤).

فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة ، فقال تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ »(٥) « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ »(٦) « وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ »(٧).

ولمّا ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللّقب ، فقال تعالى : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ »(٨).

وأخبر الله تعالى أنَّ الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم ، كقولهم : « يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ »(٩) « يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا »(١٠) « يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ »(١١) « يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ »(١٢).

ونهى أمته أن يخاطبوه باسمه ، فقال تعالى :

« لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً »(١٣).

---

(١) سورة مريم ٧
(٢) سورة مريم ١٢
(٣) سورة الأحزاب ١
(٤) سورة المائدة ٦٧
(٥) سورة آل عمران ١٤٤
(٦) سورة الفتح ٢٩
(٧) سورة محمد ٢
(٨) سورة آل عمران ٦٨
(٩) سورة هود ٥٣
(١٠) سورة هود ٦٢
(١١) سورة الأعراف ١٣٨
(١٢) سورة المائدة ١١٢
(١٣) سورة النور ٦٣

● عن ابن عباس فى قوله تعالى : « لَا تَجْعَلُوا دعاءَ الرسول بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً » .

وقد كان الأنبياء يجادلون أممهم عن أنفسهم .

يقول قوم نوح : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »(١) ، فقال دافعا عن نفسه : « لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ » وقال قوم هود : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ » [فقال : « لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ »](٢) وقال فرعون لموسى : « إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً »(٣) .

فقال موسى : « إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً »(٤) :

فتولىّ الله عز وجل المجادلة عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

فلما قالوا : هو شاعر . قال الله تعالى : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ »(٥) .

وقالوا : « كاهن ، فقال الله تعالى : « وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ »(٦)

وقالوا : ضال . فقال الله تعالى : « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ »(٧)

وقالوا : مجنون . فقال تعالى : « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ »(٨) .

* * *

وأقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته ، وإنما يقع القسم بالمعظّم .

● عن ابن عباس قال : ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ نفساً ، هى أكرمُ من محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف ٦٠
(٢) سورة الأعراف ٦٧
(٣) « الإسراء ١٠١
(٤) « الاسراء ١٥٢
(٥) « يس ٦٩
(٦) « الحاقة ٤٢
(٧) « النجم ٢
(٨) « القلم ٢

وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد غيره ، فقال : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »(١) .

قال ابن عقيل :

وأعظمُ من قوله لموسى : « وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي »(٢) .

قوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ »(٣) .

وقوله : « لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ »(٤) .

المعنى : أقسم لا بالبلد ، فإن أقسمت بالبلد ، فَلِأَنَّكَ فيه .

يا موسى ، اخلع نعليك ، ولا تجيء إلا ماشيا .

يا محمد ، اركب البُراق ، ولا تجيء إلا راكبا !

وقد أشار الله تعالى إلى أحوال الأنبياء ثم ذكر التوبة عليهم .

فقال تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى »(٥) .

وقال فى حق موسى : « إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً »(٦) ثم قال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » فغفر له .

وقال فى حق داود : « لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ »(٧) .

ثم قال : « فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ » .

---

(١) سورة الحجر ٧٢
(٢) سورة طه ٤١
(٣) « الفتح ١٠
(٤) « البلد ١ ، ٢
(٥) « طه ١٢١ ، ١٢٢
(٦) « القصص ٣٣
(٧) « ص ٣٤

وقال : « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ »(١) ثم قال : « وَأَنَابَ » .

وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا ، من غير أن يذكر له ذنبا ، فقال : « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ »(٢) .

* * *

ومن بيان فضله على الأنبياء : أن آدم سأل ربه ، بحرمة محمد ، أن يتوب عليه كما ذكرنا »(٣) .

وأن نوحًا دعا على قومه ، ونبيّنا قال : (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون) :

ثم قد اتخذه خليلا كما اتّخذ إبراهيم ، فقال عليه الصلاة والسلام : (ولكن صاحبكم خليلُ الله) .

• عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن صاحبكم خليل الله) يعنى نفسَه .

ثم جعله حبيبا ، وهذه ليست لغيره .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ربه : قد اتخذتك خليلا ، وهو فى التوراة مكتوب : محمد حبيب الرحمن .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وموسى نجيًّا ، واتخذنى حبيبا) .

ثم قال : وعزتى لأوثرنَّ حبيبى على خليلى ونجيِّ) .

---

(١) سورة ص ٤
(٢) سورة الفتح ٢
(٣) تقدم ذلك ص ٦٨

قال المصنف رحمه الله : فإن كان إبراهيم كَسر الأصنام ، فقد رمَى نبيُّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هُبَلَ من أعلى الكعبة ، ثم أشار يوم الفتح إلى ثلاثمائة وستين صنما ، فوقعت .

وإن كان هود ، نُصر على قومه بالدَّبور(١) ، فقد نُصر نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّبا(٢) .

فمزّقت أعداءه يوم الخندق .

وإن كان لصالح ناقة ، فقد سجدت الإبل لنبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن كان يوسف مليح الصورة ، فقد كان نبينا كالقمر ليلة البدر .

وإن كان الحجَر انفجر لموسى ، فقد نبع الماء من بين أصابع نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أَعْجَبُ ، لأن الماء ما يزال يخرج من الحجارة .

وخوار النخل وحنينه إلى نبينا ، أعجبُ من حالات عصا موسى .

وقد دعا نبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشجرةَ ، فشقّت الأرضَ وجاءت إليه .

---

(١) قال فى المصباح : الدبور . ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا .

(٢) قال فى القاموس : الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا ، إلى بنات نعش .
وفى المصباح . الصبا وزان العصا : الريح تهب من مطلع الشمس .
وفى الصحاح . الصبا : ريح ، ومهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس ، إذا استوى الليل والنهار . اهـ
فيكون المعنى نصرت بالريح الذى يهب من الشرق ونصر هود بالدبور وهو الريح الآتى من الغرب .

وإن كانت الجبال سبّحت مع داود ، فقد سبّح الحصا فى كفّ نبينا صلى الله عليه وسلم .

وإن كان الحديد لُيِّن لداود ، فقد لان الصخر لنبينا صلى الله عليه وسلم .

• وقال أبو نُعيم الأصبهانى : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار ، مال برأسه إلى الجبل ، ليخفى شخصه عنهم ، فليَّن الله الجبل حتى أدخل فيه رأسه ، واستروحَ إلى حجر من جبل أصمّ ، فلان له ، حتى أثَّر فيه ذراعُه وساعدُه .

وذلك مشهور يقصده الحاج ويرونه .

وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين ، فربط به دابته ، والناس يلتمسون ذلك الموضع إلى اليوم .

قال المصنف رحمه الله : وإن كان سليمان أُعطى ملكَ الدنيا ، فقد جيء لنبينا صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض ، فأباها زُهْداً .

وإن كانت الريح سُخِّرت لسليمان ، غدوُّها شهر ورَواحُها شهر ، فنبينا صلى الله عليه وسلم ، سار إلى بيت المقدس مسيرة شهر فى بعض ليلة .

وسارَ الرُّعْبُ بين يديه ، مسيرة شهر .

وعُرِج به ، مسيرة خمسين ألف سنة ، إلى العرش .

وإن كان سليمان فهم كلامَ الطير ، فقد فهم نبينا صلى الله عليه وسلم ، كلامَ البعير ، والذئب ، والشجر ، والحجر .

وإن كانت الجن سُخِّرت لسليمان ، فقد جاءت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم طائفة من الجن مؤمنة به .

وقد كان سليمان يصفّد مَن عصاه منهم ، فلما تفلّت عفريت على نبينا صلى الله عليه وسلم [تمكن منه] وأسَره .

وقد كانت الجن أعواناً لسليمان يخدمونه ، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم أعوانُه الملائكة ، يقاتلون بين يديه ، ويدفعون أعداءه .

وقد ذكرنا فيما تقدم ، أن أبا جهل لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي لِيَطأ على عنقه ، نكص على عقبيه وقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهَوْلاً ، وأجنحة .

وإن كان عيسى يخبر بالغُيوب ، فقد شاركه نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك .

* * *

وقد قرَن الله تعالى اسمَ نبينا صلى الله عليه وسلم باسمه عز وجل عند ذكر الطاعة والمعصية ، فقال تعالى : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ »(١) .

وقال : « وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ »(٢) .

وقال : « فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ »(٣) .

وقال : « فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُول »(٤) .

وقال : « وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ »(٥) .

وقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ »(٦) .

---

(١) سورة النساء ٥٩ — (٢) سورة التوبة ٧١

(٣) « النساء ٥٩ — (٤) « الأنفال ٤١

(٥) « التوبة ٧٤ — (٦) « الأحزاب ٥٧

وقال : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ »(١) .

وقال : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ »(٢) .

وقد ذكرنا أن الله تعالى قال لنبينا صلى الله عليه وسلم : « لا أُذْكَرُ إلَّا ذُكِرْتَ معى » .

* * *

وأما الأحاديث المنقولة فى تفضيله على الأنبياء صلوات الله عليهم :

● عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلى :

نصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر .

وجُعلت لى الأرضُ مسجداً وطَهوراً ، فأيُّما رجل من أمتى أدركته الصلاة فَلْيُصَلِّ .

وأحلت لى الغنائم ، ولم تحلَّ لأحد قبلى ، وأُعطيتُ الشفاعة .

وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة) .

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

بعثت بجوامع الكَلِم ، ونُصرت بالرُّعب ، وبَيْنا أنا نائم ، رأيتنى أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعتْ فى يدى .

الحديثان فى الصحيحين .

وجوامع الكلم : أن يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة .

---

(١) سورة التوبة ٦٣ (٢) سورة التوبة ٢٩

• عن أبى ذرٍّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُعطيتُ خمساً لم يعطهنَّ أحدٌ قبلى : بُعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لى الأرض طَهوراً ومسجداً ، وأُحلَّت لى الغنائم ، ولم تحلَّ لمن كان قبلى ، ونصرتُ بالرُّعب شهراً ، وأعطيت الشفاعة ، وما من نبى إلا وقد سأل شفاعة ، وإنى اختبأتُ شفاعتى ، ثم جعلتها لمن كان من أمتى ، لا يشرك بالله شيئاً .

• عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(فضِّلت بأربع : جُعلت الأرض لأمتى مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم . .)(١) .

• عن ابن الحنفية أنه سمع علىَّ بن أبى طالب يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُعطيتُ ما لم يعطَ أحد من الأنبياء » .

فقلنا : يا رسول الله : ماهو ؟

قال نُصرت بالرُّعب ، وأُعطيت مفاتيح الأرض ، وسُمِّيت أحمد ، وجعل التراب لى طهوراً ، وجُعِلت أمتى خير الأمم .

• عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزاة تبوك ، قام من الليل يصلى ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى ، وانصرف إليهم قال لهم :

لقد أُعطيت الليلة خمساً ، ما أعطيهن أحد قَبْلى .

---

(١) كذا ولم يذكر الاثنتين الباقيتين .

أمَّا أنا ، فأُرْسِلْتُ إلى الناس كلهم عامة ، وكان مَن قبلى ، إنما أُرْسِلَ إلى قومه .

ونُصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر ، لَمُلِئ منى رعباً .

وأُحلَّت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلى ، يعظِّمون أَكْلَها ، كانوا يحرقونها .

وجعلت لى الأرض مساجد وطهوراً ، أينما أدركتْنى الصلاة ، تمسَّحتُ وصلَّيت .

وكان من قبلى يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وبِيَعِهِمْ .

والخامسة : هى ما هى ! قيل لى : سَلْ ، فإنَّ كلَّ نبى قد سأل . فأخرتُ مسألتى يومَ القيامة ، فهى لكم ، ولمن شهد أن لا إله إلا الله .

● عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه مِنْ بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم فغضب وقال :

أمهوَّلون فيها يا ابن الخطاب ! والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاءَ نقيَّة ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبوه ، أو بباطل فتصدقوه ، والذى نفسى بيده ، لو كان موسى عليه السلام حيًّا ، ما وسعه إلا أن يتبعنى .

● عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لو بدَا لكم موسى فاتبعتموه ، ثم تركتمونى ، لضلَلْتم عن سواء السبيل .

ولو كان موسى حيًّا ، ثم أدرك نبوتى ، لاتبعنى .

● عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجُعِلَتْ لنا الأرض كلها مسجداً ، وجُعلت تربتها لنا طهوراً ، إذا لم نجد الماء) .

● عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فُضِّلت على الأنبياء بست : أُعطيتُ جوامعَ الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأُحلَّت لنا الغنائم ، وجُعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافةً ، وخُتم بى النبيون) .

● عن أُبيٍّ بن كعب قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى ، فقرأ قراءةً أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءةً سِوَى قراءة صاحبه .

فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ودخل آخر ، فقرأ سوى قراءة صاحبه .

فأقرأهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقرآ ، فحسَّن النَّبى صلى الله عليه وسلم شأنهما .

فَسُقِطَ(١) فى نفسى من التكذيبَ ، ولا إذ كنت فى الجاهلية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غَشِيِنى ، ضرب فى صدرى ، ففِضْتُ عرَقاً ، وكأنى أنظر إلى الله فرَقاً(٢) ، فقال :

---

(١) سقط . أى : ندم قال فى القاموس : سقط فى يده وأسقط مضمومتين (أى الحرف الأول فيهما) زل ، وأخطأ ، وندم ، وتحير . اهـ وفى الصحاح مثله . غير أنه لم يرتض (أسقط) قائلا : وقال أبو عمرو : لا يقال أسقط بالألف على ما لم يسم فاعله اهـ وهو من الأفعال الملازمة للبناء على المجهول إذا كان بمعنى (ندم) .

(٢) فرقا . بفتح الفاء والراء . أى : خوفاً .

(يا أبيّ ، أرسل إليّ : أن اقرأ القرآن على حرف . فرددت إليه : أن هوِّن على أمتى) .

فردَّ إليّ الثانية : أن اقرأه على حرف فرددت إليه : أن هوِّن على أمّتى .

فردَّ إليّ الثالثة : أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدَّة رددْتـكها مسألة تَسألُنيها .

فقلت : (اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يَرْغبُ فيه إليّ الخلقُ كلهم ، حتى إبراهيم صلوات الله عليه) .

هذا الحديث ، وحديثان قبله ، من أفراد مسلم .

● عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله فضّلنى على الأنبياء ، وفضَّل أمتى على الأمم ، وأرسلنى إلى الناس كافة ، ونُصرت بالرعب يسير بين يدىَّ ، قذفه فى قلوب أعدائى ، وجعلت الأرض كلها لى مسجداً وطهوراً ، فأيُّما عبد أدركته الصلاة ، فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لى الغنائم) .

● عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُعطيت خمساً لم تُعْطَ لأحد من الأنبياء قبلى : جُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، ولم يكن نبى من الأنبياء (يعنى : يصلى ، حتى يبلغ محرابه) ونُصرت بالرعب مسيرة شهر يكون بينى وبين المشركين مسيرة شهر ، فيقذف الله الرعب فى قلوبهم .

وكان النبىُّ يُبْعث إلى خاصة قومه ، وبُعثت إلى الجن والإنس .

وكانت الأنبياء يعْزلون الخُمسَ ، فتجئ النار فتأكله ، وأُمرت أن أقسمه فى أمتي .

ولم يبق نبيٌّ إلا وقد أُعطى سُؤله ، وأخّرتُ أنا ، الشفاعة لأمتى) .

فإن قال قائل : قد كان لسليمان سرارى ، ومعلوم أن العبيد والإماء ، أثرُ الغنيمة ، فما وجه قول الرسول : (أحلّت لى الغنائم) .

فالجواب : أنه كان الأنبياء إذا جاهدوا وقدّموا الغنيمة التى هى أمتعةٌ وأطعمة وأموال ، نزلت نار فأكلتها كلّها : خُمس ذلك النبى ، وسهام الأمّة .

يدل عليه ما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فجمعوا ما غنموا ، فأقبلت النار لتأكله ، فأبتْ أن تطعمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فيكم غلولٌ .

فأخرَجوا مثلَ رأس بقرة ، فوضعوه فى المال ، فأقبلت النار فأكلته .

فلم تحلّ الغنائم لأحد قبْلَنا ، ذلك بأن الله تعالى رأى ضَعْفَنَا وعَجْزنا فطيَّبها لنا) .

وأما العبيد والإماء والحيوانات ، فإنها تكون مِلْكا للغانمين دون الأنبياء .

فلا يجوز للأنبياء أخذُ شىء منْ ذلك بسبب الغنيمة ، بل بالابتياع والهدية ونحو ذلك .

ومِنْ هذا تَسرِّى سليمان .

وكان يجوز ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وكان يأخذ الخُمسَ والفَىْءَ ويتصرّف فيه ، وهما من خصائصه دون الأنبياء .

فإن قيل : فالعبيد والإماء غنيمة أيضاً ؟

قلنا : نعم ، ولكن ذلك حُرِّم على الأنبياء خاصة ، وأُحلّ لنبينا صلى الله عليه وسلم ، فانفرد بذلك عن الأنبياء .

* * *

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ الناس يوم القيامة ، وهل تَدْرون لم ذلك ؟

يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، وتَدْنو الشمس ، فيبلغ الناسُ من الغم والكرب مالا يطيقون ، فيقول بعضُ الناس لبعض :

ألا تَنظُرون من يَشْفع لكم إلى ربكم عز وجل ؟ فيأتون آدم) .

وذكَر حديث الشفاعة ، وأنه هو الذى يشفع فى الخلق .

وسيأتى هذا الحديث فى باب الشفاعة ، إن شاء الله تعالى ، ويذكر فى الأحاديث هناك ، احتياجَ الخلق كلهم إليه ، وتقدُّمه عليهم .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أولُ الناس خروجا إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشِّرهم إذا أَيِسُوا ، وأنا أكرمُ ولد آدم على الله ولا فخرَ) .

وفى رواية عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(أنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولهم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا وَافدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشِّرهم إذا أيسوا ، والمفاتيح يومئذ بيدى ، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربِّى ، يطوف علىَّ ألفُ خادم كأنهم بَيْض مكنون ، أو لؤلؤ منثور) .

• عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى دنا منهم ، فسمعهم يتذاكرون ، فإذا بعضهم يقول :

عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلا وإبراهيمُ خليله .

وقال آخر : ماذا بأعجب من أن يكلِّمَ الله موسى تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه .

وقال آخر : آدم اصطفاه الله .

فخرج عليهم فسلّم ثم قال : (قد سمعتُ كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليلُ الله ، وهو كذلك ، وموسى نجيُّه ، وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته ، وهو كذلك ، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة ولا فخر ، فيفتح الله فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنينَ ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

● عن ابن عباس قال : (ما خلق الله خَلْقاً ولا برأه ، أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم) .

● عن حذيفة قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إبراهيم خليل الله ، وموسى كلمه الله تكليما ، وعيسى كلمة الله ومن روحه ، فما أُعطيتَ يا رسول الله ؟

قال : (ولدُ آدم كلهم تحت لوائى ، وأنا أول من يُفتح له باب الجنة) .

● عن أنس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قلت : يا رب إنه لم يكن نبيٌّ إلا وقد أكرمتَه ، فجعلت إبراهيم خليلا ، وموسى كليماً ، وسخَّرت لداود الجبالَ ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لى ؟

قال : (أو ليس قد أعطيتك ما هو أفضل من ذلك كله ؟ : لا أُذْكَرُ

إلا ذُكِرتَ معى ، وجعلتُ صدورَ أمتك أناجيلَ يقرأون القرآن ظاهرًا ، ولم أعْطها أمة) .

• عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لمّا أسرى بى إلى السماء قلت : يا رب اتخذتَ إبراهيمَ خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، ورفعتَ إدريسَ مكاناً عليًا ، وآتيت داود زبورا ، وأعطيت سليمان مُلكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فماذا لى يا رب) ؟

قال : (يا محمد ، اتخذتك خليلا كما اتخذتُ إبراهيم خليلا ، وكلمتك كما كلمتُ موسى تكليما ، وأعطيتك فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، ولم أعطها نبيا قبلك ، وأرسلتك إلى أسود أهل الأرض وأحمرهم ، وإنسهم وجنِّهم ، ولم أرسل إلى جماعهم قبلك ، وجعلت الأرض لك ولأمتك ، مسجداً وطهوراً ، وأطعمتُ أمّتك الفَيْء ، ولم أُحلّه لأمّةٍ قبلَها ، ونصرتك بالرعب ، حتى إن عدوّك ليُرْعب منك ، وأنزلت عليك سيدَ الكتب ، قال : قرآنا عربيا ، ورفعتُ لك ذِكرك حتى لا أُذْكر إلا ذُكرتَ معى » .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله اختارنى على العالمين من النبيين والمرسلين) .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله اختيارنى على جميع العالمين من النبيين والمرسلين) .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله أعطى موسى الكلامَ ، وأعطانى الرؤية ، وفضّلنى بالمقام المحمود والحوض المورود) .

• عنَ ابن عمر قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(فُضِّلت على آدم بخصلتين : كان شيطانى كافراً ، فأعاننى الله عليه فأسلَمَ ، وكُنَّ أزواجى عَوْناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً على خطيئته) .

* * *

فصل

فإن قال قائل : كيف قال : (وبعثت إلى الخَلْق كافة) .

ومعلوم أن موسى لمَّا بُعث إلى بنى إسرائيل ، لو جاءه غيرهم من الأمم يسألونه تبليغَ ما جاء به عن الله ، لم يَجُزْ له كَتْمه ، بل يجب عليه إظهارُ ذلك لهم ؟

ثم قد أُهلِكَ الخَلْق فى زمن نوح ، وما كان ذلك إلا لعموم رسالته ؟

فقد أجاب عن هذا ابنُ عقيل فقال : (إن شريعة نبينا جاءت ناسخة لكل شريعة قَبْلها ، وقد كان يجتمع فى العصر الواحد نبيَّان وثلاثة ، يدعو كل واحد إلى شريعة تخصُّه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها .

بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه دعا الكلَّ ونسخ ، وقال :

(لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى) .

وما كان يمكن عيسى أن يقول هذا فى حق موسى .

وأما نوح فإنه لم يكن فى زمنه نبىٌّ يدعو إلى ملته) .

* * *

الباب الثانى

فى ذكر خصائصه

قد خُصَّ النبي صلى الله عليه وسلم بواجبات ومحظورات ومباحات وتكرُّمات .

• فالواجبات : السواك ، والوِتْر ، والأُضْحية ، وركعتا الفجر . وفى قيام الليل خلاف .

• والمحظورات : الرمزُ بالعين ، وأكل الصدقة المفروضة ، والتزوج بالإماء ، وخَلْع لَأْمَة الحرب حتى يَلْقى العدوَّ .

وأما قول الشعر والكهانة ، فقد ذكرت فى المحظورات ، وإنما مُنِع من ذلك ، لا أنه حُرِّم عليه .

• وأما المباحات :

فمنها الوصال فى الصوم ، وقد مُنِع منه غيره ، وأَخْذُ الماء من العطشان ، وخُمْس الخمْس ، والصَّفِيُّ من المَغْنَم ، والتزوج بأى عدد شاء ، والنكاح بغير مَهْر ولا ولىٍّ وبلفظ الهِبَة .

• وأما التكرُّمات : فتحريم أزواجه على غيره فى الدنيا ، وجَعْلُ أزواجه فى الجنة .

وبُعث إلى الخَلْق كافة ، ولا نبيَّ بَعْدَه .

وخُلِّدتْ شريعته فلم تُنْسخ ، وجُعِل مُعْجِزُه باقياً ، يُتصفَّح إلى يوم القيامة ويُتحدَّى به .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فُضِّلتُ على الناس بأربع : بالسخاء ، والشجاعة ، وكثرة الجماع . وشدة البطش)(١) .

الباب الثالث

فى إنفاذ قطف له من الجنة

● عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

(إن الله يقرئك السلام ، وأرسلني إليك بهذا القطف(٢)) .

فأخذه صلى الله عليه وسلم .(٣)

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط . وقد ضعفه الذهبي والحافظ وابن الجوزى ، لأن فيه سعيد بن بشير ، وهو ضعيف .

(٢) قال فى المختار من الصحاح : القطف ـ بكسر القاف ـ العنقود وبجمعه جاء فى القرآن فى قوله تعالى : « قطوفها دانية » .

(٣) هذا الحديث باطل ، ذكره السيوطي فى اللآلىء المصنوعة ٢٧٦/١ ، قال فى الميزان : هذا خبر منكر . وقال البخارى : لا يتابع حفص بن عمر الدمشقي على هذا الحديث . وقال ابن يونس : كان يعرف بحفص صاحب القطف ! !

والعجب من أن ابن الجوزى ، رحمه الله ، يورد فى كتابه هذا الأحاديث الموضوعة التي يذكرها هو نفسه فى الموضوعات .

الباب الرابع

في إنفاذ مقاليد الدنيا إليه

عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(أُتيت بمقاليد الدنيا على فرس أَبْلَق عليه قطيفةٌ من سندس)(١) .

الباب الخامس

في رفع ذكره

● عن أبي سعيد الخُدْري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أتاني جبريل فقال : إن الله عز وجل يقول لك : تدري كيف رفعتُ لك ذِكْرَك ؟ إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي)(٢) .

---

(١) قوله (أبلق الخ) قال في المختار من الصحاح : البلق : سواد وبياض . القطيفة : دثار (كساء) مخمل (السندس) الرقيق من الحرير اه صحاح .
وفي المصباح المخمل كساء له خمل وهو كالهدب (شعر جفن العين) في وجهه .
(٢) رواه أحمد وابن حبان . وهذا ، كما قال الزمخشري من باب التمثيل ، يشير إلى أن دينه يسود في الأرض وينتشر .

الباب السادس

فى ذكر مثله ومثل الأنبياء

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثَلى ومَثَل الأنبياء من قَبْلى كمثل رجل ابْتَنَى بيوتاً فأحْسَنَهَا وأكْملها وأَجْملها ، إلا موضعَ لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويَعْجبون من البنيان ، فيقولون :

ألاَ وَضَعْتَ هاهنا لبنة فيتمَّ بنيانك ؟ !

قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فكنت أنا اللَّبِنَةَ) .

● عن الطُّفَيْل بن أبىِّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثَلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنَها وأجْملها وترك فيها موضعَ لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لِمَ لَمْ(١) توضع هذه اللبنة ؟ فأنا فى النبيين موضع تلك اللَّبنة) .

---

(١) الأصل : (لو لم) وهو تحريف .

الباب السابع

فى ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به

● عن بُرَيْد بن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتى قومَه فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى ، وأنا النذير العُرْيان[1] فالنَّجَاءَ) .

فأطاعته طائفة من قومه فأدْلجوا[2] وانطلقوا على مهل ، فنَجوْا ، وكذبَته طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[3] ، فذلك مثلُ مَن أطاعنى واتبع ما جئت به ، ومثلُ من عصانى وكذَّب ما جئت به من الحق) .

أخرجاه .

---

(١) قوله :« أنا النذير العريان » أى : أتيتكم بأمر مخيف جداً ، لتأخذوا حذركم فلا يصيبكم ما تكرهون قال : فى القاموس : والنذير العريان : رجل من خثعم حمل عليه يوم ذى الخلصة عوف بن عامر فقطع يده ويد امرأته ، أو كل منذر بحق لأن الرجل إذا أراد إنذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها اهـ .

(٢) أدلجوا : أى : ساروا الليل كله اهـ مصباح . وفى القاموس والصحاح : الدلج بفتح الدال والجيم . والدلجة بضم الدال وفتحها مع سكون اللام فيهما السير من أول الليل وقد أدلجوا . فإن ساروا من آخره (فادلجوا) بتشديد الدال .

(٣) اجتاحهم . أى : أهلكهم بالجائحة وهى الشدة التى تجتاح المال من سنة (جدب) أو فتنة اهـ من الصحاح بتصرف . والمراد : تحيط بهم أنواع المصائب المهلكة فلا تبقى منهم ولا تذر .

الباب الثامن

فى فضل أمته على الأمم

● عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتيناه من بَعْدهم ، فهذا يومهم(١) الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع ، لليهود غَد وللنصارى بعد غد) .

● عن أبى سعيد قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(والله إنى لأرجو أن تكونوا ربعَ أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة) .

الحديثان فى الصحيحين .

● عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَثَلُكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال :

من يعملُ لى من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط ؟ ألا فعملت اليهود .

ثم قال : من يعملُ لى من نصف النهار إلى صلاة العصر ؟ ألا فعملت النصارى .

ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين .

---

(١) أى يوم الجمعة .

ألا فأنتم الذين عملتم .

فغضب اليهود والنصارى فقالوا : نحن أكثر عملا وأقلُّ عطاء[١] .

قال : فهل ظلَمْتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا .

قال : فإنما هو فضلى أوتيه من أشاء) .

انفرد بإخراجه البخارى[٢] .

● عن بَهْز بن حكيم بن معونة ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا إنكم تُوفون سبعين أمَّةً ، أنتم خيرها وأكرمُها على الله عز وجل) .

● عن أنس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(لمّا أُسْرِى بى إلى السماء قرّبنى ربى تعالى ، حتى إذا كان بينى وبينه كقاب قوسَيْن أو أدْنَى قال : يا حبيبى يا محمد . قلت : لبيك يا رب .

قال : هل غمّك أنْ جعلتُك آخر النبيين ؟ قلت : لا يا رب .

قال : أَبْلغ أمتك عنى السلام ، وأخبرهم أنى جعلتها آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ولا أفضحَهم عند الأمم) .

---

(١) الأصل : « نحن أقل عملا وأكثر عطاء » وهو تحريف ورواية البخارى : مالنا أكثر عملا وأقل عطاء ؟

(٢) رواية البخارى مخالفة لما هنا . صحيح البخارى « كتاب الإجارة » .

الباب التاسع

فى ذكر مثله ومثل أمته

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثلى كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، جعل الفراشُ وهذه الدواب التى يقَعْن فى النار ، يقَعْن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلِبْنه فيتقحَّمْنَ(١) فيها) .

أخرجاه .

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملَكان ، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه : اضربْ مَثَلَ هذا ومثل أمته .

قال : إنَّ مثله ومثل أمته كمثل قوم سَفْرٍ(٢) انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به .

فبينما هم كذلك ، أتاهم رجل مُرَحَّل فى حُلَّة ، فقال :

---

(١) يتقحمن . أى يرمين بأنفسهن من غير روية .

(٢) سَفْرٌ : أى مسافرون . وأصل . سفر جمع « سافر » وفعله « سفر » من باب « جلس » فهو سافر وقوم سفر كصاحب وصحب وسفار كراكب وركاب .

هذا ملخص ما يستفاد من المعاجم .

أرأيتم إن وردتُ به رياضاً مُعْشبةً(١) وحياضا رِواءً(٢) أتتبعونى ؟ قالوا : بلى .

قال : فإنَّ بَيْن أيديكم رياضاً أعْشَبَ من هذه ، وحياضا أَرَوْى من هذه ، فاتبعونى . فقالت طائفة : صدق والله ، لنَتبعنَّه .

وقالت طائفة : لقد رضينا بهذا نقيم عليه) .

---

(١) معشبة . أى : كثيرة العشب وهو الكلأ الرطب فى أول الربيع . قال فى الصحاح : والفعل للماضى من (معشبة) أعشب لا غير . وفى المصباح (عشب) الموضع يعشب من باب تعب : نبت عشبه وأعشب بالألف كذلك فهو عاشب على تداخل اللغتين وعشبت الأرض وأعشبت فهى عشبية ومعشبة .

(٢) رواء : على وزن « كتاب » جمع للمذكر مفرده « ريا » و « ريان » والمعنى : حياضاً مروية تذهب العطش .

الباب العاشر

فى ذكر مثل من قبل ما جاء به
ومن لم يَقْبَل

• عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثلُ ما بعثَنى الله به من الهُدَى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفةٌ نقيَّة قَبلت الماء وأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكان منها أجادِبُ(١) أمسكت الماء نفع(٢) الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان(٣) لا تمسك ماء ولا تُنْبت كلأً .

فذلك مثل من فَقُه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أُرسلت به)

أخرجاه .

• عن أبى عثمان النهْدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى

---

(١) أجادب . والمعنى المراد : أنها لا تكاد تخصب . قال فى القاموس : أجادب : قيل : جمع أَجْدُب . جمع جَدْب اه .

(٢) البخارى : فنفع .

(٣) قال فى القاموس : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام وجمعه « قيع » و « قيعة » و « قيعان » .

وفى المصباح القاع : المستوى من الأرض وزاد ابن فارس الذى لا ينبت وجمعه « أقواع » و « أقوع » وقيعان . وقاعة الدار ساحتها .

البطحاء[١] ومعه ابن مسعود ، فأقعده وخطَّ عليه خطًّا ، ثم قال : لا تبرحنَّ فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلِّمهم فإنهم لن يكلموك .

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد ، ثم جعلوا ينتهون إلى الخط فلا يجاوزونه يَصْدُرُونَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان من آخر الليل جاء فتوسَّد فخذى[٢] ، وكان إذا نام نفخ .

فَبَيْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسدٌ فخذى ، راقد أتانى رجالٌ كأنهم الجِمَال عليهم ثيابٌ بيض الله أعلمُ ما بهم من الجَمَال ، حتى قعد طائفة عند رأسى وطائفة عند رجلى ، فقالوا بينهم :

ما رأينا عبداً أوتى مثلَ ما أوتىَ هذا النبى ، إن عينيه لتنامان وإنَّ قلبه ليَقْظان ، اضربوا له مثلاً : سيد بنَى قصراً[٣] ثم جعل مأدبة فدعا الناسَ إلى طعامه وشرابه .

ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك . فقال لى : أتدرى ما هؤلاء ؟ قلت : الله ورسوله أعلمُ . قال : هم الملائكة .

قال : وهل تدرى ما المثلُ الذى ضربوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : الرحمن ، بنَى الجنة فدعا إليها عبادَه فمن أجابه دخل جَنّته ، ومن لم يجبه عاقَبه أو عذَّبه .

---

(١) قال فى القاموس : والبطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى وقريش البطاح : الذين ينزلون بين أخشبى مكة (أى : والأخشبان جبلا مكة) والأخشب : الجبل الخشن العظيم .

(٢) توسد فخذى . أى : وضع رأسه على فخذى .

(٣) الأصل : قصى . وهو تحريف .

الباب الحادي عشر

في وجوب طاعته

● قال الله تعالى : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ »(١) .

وقال : « مَنْ يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله »(٢) .

● عن عروة بن الزبير قال : إن الزبير كان يحدِّث أنه خاصمَ رجلا من الأنصار ، وقد شهد بَدْراً ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى شِراجِ(٣) من الحَرّة كانا يسقيان به(٤) النخل .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسْقِ ، ثم أرسلْ إلى جارك) .

فغضب الأنصارى وقال : يا رسول الله أنْ كان ابن عمتك !

فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير : (اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر)(٥) .

---

(١) سورة النساء ٥٩ (٢) سورة النساء ٨٠

(٣) الشراج : مسيل الماء من الحرة إلى السهل . (٤) البخارى بها .

(٥) المعنى المراد هنا : حتى ينحبس الماء عند السد ويجتمع فلا يتجاوزه وإليك نصوص المعاجم التى تشير إلى هذا المعنى :

قال فى المصباح : الجدار : الحائط والجمع جدر مثل كتاب وكتب ، والجدر لغة فى الجدار وجمعه جدران » وفى الحديث (اسق أرضك حتى يبلغ الماء الجدد) .

قال الأزهرى : المراد به ما رفع من أعضاد الأرض ليمسك الماء تشبيها بجدار الحائط .

=

فاستوفَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم للزبير حقَّه فى صريح الحُكم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبْل ذلك قد أشار إلى الزبير برأيٍ فيه سَعة له وللأنصارى ، فلما أغضب الأنصاريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقَّه فى صريح الحكم .

قال عروة : قال الزبير : ما أحسب هذه الآية نزلت إلا فى ذلك : « فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمنون حتى يُحكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّموا تَسْلِيمًا »(١) .

أخرجاه .

= وقال السهيلى : «الجدر : الحاجز يحبس الماء وجمعه جدور مثل فلس وفلوس» .

وفى الصحاح : الجدر والجدار : الحائط وجمع الجدار جدر ، وجمع الجدر : الجدران مثل بطن وبطنان .

وفى أساس البلاغة : والجدر وهو أصل الجدار ، وسمى بذلك لأن جداره مستوطىء (أى : غير مرتفع) .

(١) سورة النساء ٦٥

الباب الثاني عشر

في وجوب تقديم محبته

على الوالد والولد والنفس

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) .

• عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك) .

قال عمر : فأنت الآن — والله — أحبُّ إليَّ من نفسي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر) .

انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري ، واتفقا على الذي قبله .

الباب الثالث عشر

فى وجوب تقديمه فى الذكر

● عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تجعلونى كقدَح الراكب) .

قال : إن الرجل يرفع متاعه على راحلته ، فيبتغى فى قدَحه ماء فيعيده فى إداوته . قال : اجعلونى فى أول الحديث وفى وسطه وفى آخره .

قال المصنف : موسى بن عبيدة[١] ليس بشىء .

قال يحيى : وتفسير هذا الحديث قد ذُكر فيه .

وقد قيل : إن الراكب إذا فرغ من تعبئة متاعه أخّر القدَح .

والمعنى الآخر : لا تؤخرونى فى الذِّكر . وهو يرجع إلى المعنى الأول .

---

(١) أحد رواة الحديث .

أبوابُ صفاتِ جَسَدِه

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في صفة رأسه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن على ، عن خاله هِنْد بن أبى هالَة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامَة » .

● عن نافع بن جُبير قال : وصَف لنا علىٌّ بن أبى طالب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (كان عظيمَ الهامَة) .

البابُ الثانى

في صفة جبينه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن [على ، عن] خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعَ الجبين .

الباب الثالث

فى صفه حاجبيه صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن على بن أبى طالب ، عن خاله هند بن أبى هالَة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزَجَّ الحواجب ، سَوَابغَ فى غير قَرَن[1] ، بينهما عِرْق يُدِرُّه[2] الغضب) .

● قال المصنف : قوله (أزجَّ الحواجب) أى طويل امتدادها .

(١) السوابغ : جمع سابغة ، أى كاملات ، والقرن الاجتماع ، أى أن طرفى حاجبيه قد طالا حتى كادا يلتقيان ، ولم يلتقيا وقوله : سوابغ . . حال من الحواجب .

(٢) يدره : يظهره ، إذا امتلأ دما .

الباب الرابع

في صفة عينيه وأهدابه

• عن الحسن بن على ، عن خاله هند بن أبى هالَة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدْعجَ العينين أزجَّ الحواجِب سوابغَ من غير قَرَن ، أهدَبَ الأشفَار) .

الدَّعَجُ : سواد العينين . والأهدب : الطويل الأشفار ، وهو الشعر المتعلق بالأجفان .

• عن جابر بن سَمُرة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشْكلَ العينين) .

ورواه أبو داود عن شُعبة فقال : (أشْهَلَ العينين) .

• عن جابر بن سمرة قال : (كنت إذا نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ أكْحَلَ ، وليس بأكحل) .

قال المصنف : أمّا قوله : (أشْكل العينين) :

قال أبو عبيدة : (الشُّكلة : حُمْرة فى بياض العين ، والشُّهْلة : حمرة فى سوادها . والكحَل : سواد هدب العين خِلْقةً) .

قال الزَّجّاج : (الكَحَل : أن يسوَدَّ مواضع الكحل) .

الباب الخامس

فى صفة خديه

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند بن أبى هالة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلَ الخدَّين) .

الباب السادس

فى صفة أنفه

● عن هند بن أبى هالة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقْنَى العِرْنِين ، له نور يَعْلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمّ) .

العِرْنين : الأنف(١) . والقَنَى : أن يكون فى عَظْم الأنف احديداب فى وسطه . والأشَمُّ : الذى عَظْمُ أنفِه طويلٌ إلى طرف الأنف .

(١) العرنين : أعلى الأنف ، أى أوله حيث يكون فيه الشمم ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين أو ما صلب من عظم الأنف ، أو كله ، وهو ما أراده المصنف ويجمع على عرانين .

الباب السابع

فى صفة فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عايه وسلم ضَلِيع الفم .

● عن جُميع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليعَ الفم مُفَلّج الأسنان .

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْلَجَ الثَّنِيَّتيْن .

● عن هند قال : كان رسول الله صلى الله عايه وسلم يَفتَرُّ عن مِثْل حبِّ الغَمام(١) .

قوله : « ضليع الفم » أى كبير ، والفَلَج : تباعُد ما بين الثنايا والرُّباعيات .

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الثّغْر .

---

(١) حب الغمام : البرد ، الجامد المعروف ، شبه به أسنانه فى صفائه وبياضه ولمعانه ورطوبته .

الباب الثامن

في صفة نكهته

صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك قال : صحبت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وشَمَمْتُ العطرَ كله فلم أشمَّ نَكْهَةً أطيبَ من نَكْهته .

الباب التاسع

في صفة وجهه

صلى الله عليه وسلم

- عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخَّما ، يتلألأ(١) وجهه كتلألُؤ القمر ليلة البدر .
- عن على قال : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوِير .
- عن جابر بن سمرة قال : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديراً .
- عن أم مَعْبَد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : رأيت رجلا ظاهرَ الوَضَاءة متبلجَ الوجه .

قال المصنف : « متبلِّج الوجه » : يعنى مُشْرِق الوجه مضيئه ، ومنه : تبلَّج الصُّبح ، إذا أسْفَر .

---

(١) يتلألأ : يلمع .

الباب العاشر

فى ذكر اللحية الكريمة

• عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كَثَّ اللحية .

• عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمَ اللحية .

عن أم مَعْبَد قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية .

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته ، من طولها وعَرْضها بالسَّوِيَّة .

الباب الحادي عشر

في صفة شعره

• عن البَراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الجُمَّة(١) ، جُمَّته إلى شَحْمة أذنية(٢) .

• عن البراء قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يَضْرب مِنْـكبيه .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجْل الشَّعر ، ليس بالسَّبط ولا الجَعْد القَطط .

• عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجل الشعر إذا تفرقت عَقِيقَته فُرق ، وإلاّ فلا يجاوز شَعْرُه شحمةَ أذنيه إذا هو وَفَّره .

الرَّجْل : الشعر الذي [فيه] تـكسيرٌ ، فإذا كان منبسطا قيل : شعر

---

(١) الجمة : شعر الرأس الـكثيف .

(٢) اختلفت أقاويل الشراح فى الوفرة والجمة واللمة .

قال الحافظ العراقى : ورد فى شعره صلى الله عليه وسلم ثلاثة أوصاف : جمة ووفرة ولمة .

فالوفرة : ما بلغ شحمة الأذن . واللمة : ما نزل عن شحمة الأذن . والجمة : ما نزل عن ذلك إلى المنـكبين .

هذا قول جمهور أهل اللغة .. واختلف فيه كلام الجوهرى ..

انظر شرح المواهب ٤/٢٠٣/٢٠٥

سبط . والقطط : الشديد الجُعودة . والعَقِيقة : الشعر المجتمع فى الرأس .

• عن أنس قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصف أذنيه .

• عن عائشة قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعرٌ فوقَ الجُمَّة ودُونَ الوَفْرة .

• عن أم هانئ قالت : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وله أربعُ غَدَائر . يعنى ذوائب .

• عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكة قَدْمةً(١) وله أربعُ غدائر .

وفى رواية : رأيته وإذا له ضفائر أربع .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط كأنه حَبَك الرمال .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَسْدِل ناصيته سَدْلَ أهل الكتاب ، ثم فرق بعد ذلك فَرْقَ العرب .

• عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم سدَل(٢) ناصيته ما شاء الله أن يَسْدِل ، ثم فَرَق بعدُ .

---

(١) بعض الروايات يدل على أن هذا القدم يوم فتح مكة ، لأنه حينئذ اغتسل وصلى الضحى فى بيتها . (٢) سدل : أرخى .

الباب الثانى عشر

فى ذكر صفة عنقه

صلى الله عليه وسلم

● عن أم مَعْبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : فى عنقه سَطع .

قال المصنف : السَّطَع : الطول .

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأن عنقه جِيدُ دُمْية فى صفاء الفضة .

قال المصنف : الدُّمْية الصورة المصوَّرة .

● عن عثمان بن عبد الملك ، قال : حدثنى خالى ، وكان من أصحاب على يوم صِفِّين ، عن على ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن عنقه إبريقُ فضة .

الباب الثالث عشر

فى بعد ما بين منكبيه

صلى الله عليه وسلم

● عن البَرَاء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنـكبين .

قال المصنف : المنـكب : مجتمع رأس العَضُد فى الـكتف .

الباب الرابع عشر

فى غلظ الكتد

● عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جليلَ الكَتَد .

قال المصنف : الكتد : مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل .

الباب الخامس عشر

فى صفة صدره
صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ، سواءَ البطن والصدر .

الباب السادس عشر

فى صفة بطنه
صلى الله عليه وسلم

عن أم معبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لم تعِبْه ثُجْلة .

قال المصنف : الشُّجلة عظمُ البطن واسترخاء أسفله .

● عن أم هانئ . قالت : ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرتُ القراطيس المثنيّ بعضُها على بعض .

● عن مُخَرِّش(١) الكعبي ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة ليلا فنظرتُ إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

البابُ السّابع عشر

فى صفة سرته

صلى الله عليه وسلم

● عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجردَ ذو مَسْرَبة .

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْوَرَ المتجرِّد دقيق المسْربة ، موصولَ ما بين اللبّة والسُّرة بشَعر ، يجرى كالخيط ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

(١) هو مخرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى ومخرش : بالخاء والحاء قال الزمخشرى : الصواب بالخاء .

الباب الثامن عشر

في ذكر أصابعه

صلى الله عليه وسلم

• عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفَّين والقدمين سائل الأطراف .

قال المصنف : الشثن : الغليظ الأصابع من الكفَّين والقدمين . والسائل الأطراف : الممتد الأصابع .

ورواه بعضهم شائن بالألف والنون . والمعنى فيهما واحد .

الباب التاسع عشر

في صفة كفيه

صلى الله عليه وسلم

• عن علي رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين .

• عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَحْب الراحة .

• عن أنس قال : ما مسَسْت قط خَزًّا ولا حريراً ألْيَنَ من كف رسولِ الله صلي الله عليه وسلم .

• عن مارية قالت : بايعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فما مسَسْت قط ألينَ من يده صلى الله عليه وسلم .

• عن عون بن أبى جحيفة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبطح فركز عنزة(١) فصلّى إليها ، وجعل أصحابه يأخذون يده فيُمِرُّونها على وجوههم ، فجئت وأخذت يده فأمررتها على وجهى ، فإذا هى أبردُ من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

الباب العشرون

فى صفة زنديه

صلى الله عليه وسلم

• عن هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلَ الزندين ضخمَ الكراديس .

• عن صالح مولى التَّوْأمة قال : كان أبو هريرة رضى الله عنه ينعت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : كان شبيح الذراعين . أى طويلهما .

(١) العنزة : واحد العنز ، وهو نبت أو شجر صغار .

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر ساقيه

صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان فى ساقَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُمُوشة .

قال المصنف : الحموشة : دقة الساقين .

● عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم أن أباه أخبره أن أخاه سراقة أخبره قال : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، فرأيت ساقيه فى غَرْزها كأنهما جُمَّارة(١) .

قال بعض البلغاء :

يَا رَبِّ بِالْقَدَمِ الَّتِى أَوْطَأْتَهَا(٢)
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْمَحَلَّ الْأَعْظَمَا

---

(١) الجمارة : قلب النخلة وشحمتها . شبه به ساقه فى البياض .

(٢) قوله : (يا رب بالقدم الخ) كلام مناف لخالص التوحيد وللتوسل المشروع لأن التوسل المجمع على مشروعيته لا يعدو أنواعاً ثلاثة .

١ — التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، أو صفة من صفاته .

٢ — التوسل بعمل صالح قام به الداعى .

٣ — التوسل بدعاء رجل صالح .

هذه أنواع التوسل التى وقع الإجماع على مشروعيتها لدى أهل القرون الثلاثة =

. . . .

= المشهود لهم بالخيرية . وأما التوسل بالذوات لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة وأهل القرون الثلاثة . وأقل ما يقال فيه ويتساهل فى الحكم عليه أنه شرك أصغر وربما جر إلى الشرك الأكبر كما هو حاصل لدى عامة الناس فى هذا الزمان من الطواف فى الأضرحة والتمسح بالأعتاب . وإليك بعض الأمثلة لكل نوع من أنواع التوسل على الترتيب فنقول :

١ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فى أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » .

(رواه النسائى ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي)

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كثر همه فليقل (اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب غمى) إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً .

(رواه أحمد واللفظ له ، والحاكم وإسناده صحيح)

٣ — وروى أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر قال : (يا حىّ يا قيوم برحمتك أستغيث) .

(رواه الترمذى ، والحاكم ، وهو حديث حسن)

١ — رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ .

٢ — روى بريدة بن الحصيب قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : « اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . =

. . . .

= فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » (رواه أحمد وأبو داود وغيرهما)

وإسناده صحيح .

ومن التوسل بعمل صالح قام به الإنسان قصة أصحاب الغار . الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت الغار وكانوا ثلاثة . فتوسل كل واحد منهم بعمل صالح قدمه فانفرجت الصخرة عن باب الغار وخرجوا والحديث بطوله رواه الشيخان والنسائى وغيرهم .

ولولا خشية الإطالة وتشعب رواياته لذكرنا الحديث بطوله .

وأما التوسل بدعاء الرجل الصالح فيدل عليه حديث الاستسقاء ، وهو ما رواه أنس ابن مالك رضى الله عنه حيث قال : « أصاب الناس سنة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فبينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قام أعرابى ورسول الله قائم فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع يديه يدعو : اللهم أغثنا ثلاث مرات . وما نرى فى السماء قزعة (قطعة من السحاب الصغار المتفرق) فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس . فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذى يليه حتى الجمعة الأخرى ماتقلع (أى : ما تنقطع) وقام ذلك الأعرابى أو غيره فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يده فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم على رءوس الجبال والآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر . فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت مثل الجوبة (أى الحفرة المستديرة الواسعة) اهـ .

ومن ذلك أيضاً استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما المروى فى البخارى عن أنس ، واستسقاء معاوية ، والضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشى كما رواهما ابن عساكر فى تاريخه بسند صحيح . =

وَبِحُرْمَةِ الْقَـدَمِ الَّتِي جُعِلَتْ بِهَا
كَتِفُ الْبَرِيَّةِ بِالرِّسَالَةِ سُلَّمَا
ثَبِّتْ عَلَى مَتْنِ الصِّرَاطِ تَكَرُّماً
قَدَمِي وَكُنْ لِي مُنْقِـذاً وَمُسَلِّمَا
وَاجْعَلْهُمَا ذُخْرِي وَمَنْ كَانَا لَهُ
أَمِنَ الْعَـذَابَ وَلَا يَخَافُ جَهَنَّمَا

= وليعلم القارئ أنى اختصرت ولم أذكر نص استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس ولا نص استسقاء معاوية والضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي كما أني اختصرت روايات حديث الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم خشية الإطالة . ومن رام المزيد وإرواء غلته فى هذا الموضوع فعليه أن يقرأ كتاب (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة) وكتاب (التوسل ، أنواعه وأحكامه) لمحدث العصر محمد ناصر الدين الألبانى فقد عالج الموضوع حفظه الله وبارك فى عمره وحفظ عليه الصحة والعافية بما لا مزيد لمستزيد .

ونختم الكلام بلفت نظر القارئ إلى ما أثبته المؤلف من الأبيات التى جرى هذا التعليق عليها وما تضمنته من التوسل بالذوات وتلك مهزلة ما بعدها مهزلة لأن ذلك يؤدى إلى جواز أن يتوسل الإنسان بنعل رسول الله وبقية أعضاء جسمه صلى الله عليه وسلم ولا أظن أن عاقلا يقول بذلك ولا يرضى به .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر صفة عقبه

صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْهوسَ العَقِب .

أى قليل لحم العقب .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر قدميه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم خَمْصانَ الأخمصين ، مسيحَ القدمين ، يَنْبو عنهما الماء .

● عن عثمان بن عبد الملك قال : حدثنى خالى وكان من أصحاب على ، عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكف والقدم .

الأخمص : ما ارتفع عن الأرض من باطن الرجل .

والمسيح القدم : الذى ليس بكثير اللحم فيهما . والشثن : الغليظ .

الباب الرابع والعشرون

في ضخامة كراديسه

صلى الله عليه وسلم

• عن عليّ قال : كان رسولُ الله صلىّ الله عليه وسلم ضخم الـكراديس .

قال المصنف : الـكراديس : رءوس العظام .

• عن إبراهيم بن محمد ، من ولد على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جليلَ المُشَاش .

قال المصنف : المشاش : رءوس العظام ، مثل الركبتين والمرفقين والمنـكبين .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر اعتدال خلقه

صلى الله عليه وسلم

• عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدلَ الخلْقة بادن متماسك .

والمعنى : أنه كان تامّ خَلْق الأعضاء ، ليس بمسترخى اللحم ولا كثيره .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر طوله

• عن ربيعة أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان رَبْعةً من القوم ، ليس بالطويل البائن ولا القصير .

• عن البَراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالقصير ولا بالطويل .

• عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا .

الأحاديث الثلاثة فى الصحيحين .

• عن إبراهيم بن محمد [من] ولد على بن أبى طالب قال : كان علىّ عليه السلام إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل المُمَغَّط ولا بالقصير المتردد ، وكان ربعة من القوم .

قال الأصمعى : الممَغَّط : الذاهب طُولًا ، والمتردد : الداخل بعضه فى بعض قِصَراً .

• عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطولَ مِن المَرْبوع ، وأَقْصر من المشذَّب .

المشذّب : الطويل الذى ليس بكثير اللحم .

• عن عائشة قالت : كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يماشيه أحدٌ يُنْسَب إلى الطول إلا طالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وربما ماشَى الرجلين الطويلين فطَوَ لهما(١) ، فإذا فارقاه نُسِبا إلى الطول ، ونُسِبَ هو إلى الرَّبْعة .

---

(١) كذا ، والقياس : طالهما .

الباب السابع والعشرون

فى رقة بشرته

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أليَنَ الناس كفا ، ما مَسَسْتُ خَزَّةً ولا حريرةً أليَنَ من كفه صلى الله عليه وسلم .

● عن عثمان بن عبد الملك قال : حدثنى خالى ، وكان من أصحاب على ابن أبى طالب يوم صِفِّين ، عن على عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة .

الباب الثامن والعشرون

فى صفة لونه

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، ليس بالأديم ولا بالأبيض الأَمْهَق.

قال المصنف : الأمهق الشديد البياض :

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ كأنما صِيغ من فضة .

• عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْرَباً .

وفى رواية : مُشْرَباً حُمْرَة .

قال المصنف : المُشْرَب : الذى فيه بياض حُمْرَة .

• عن أنس قال : كان لون رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَرَ .

قال المصنف : هذا الحديث لا يصح[1] ، وهو يخالف الأحاديث كلها .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لوناً .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر حسنه

صلى الله عليه وسلم

• عن البراء قال : ما رأيت شيئاً قط أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

• عن أبى إسحق قال : قيل للبراء : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟

---

(١) فى شرح الشمائل ١/١٦ قال العراقى : هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره عنه « أزهر اللون » ثم نظرنا إلى من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس فكلهم وصفوه بالبياض دون السمرة ، وهم خمسة عشر صحابيا ، وعلى ثبوت هذه الرواية فالمراد بالسمرة الحمرة .

قال : لا ، بل مثل القمر .

انفرد بإخراجه البخاري .

• عن أبى هريرة قال : ما رأيتُ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه .

• عن جابر بن سمرة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى حُلَّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلَهُو أحسنُ فى عينيَّ من القمر !

• عن البراء قال : ما رأيت أحداً فى حُلة حمراء مُرجّلا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شعر قريب من منكبيه .

أخرجاه .

• عن سعيد الجرَيرى قال : سمعت أبا الطفيل يقول : رأيت النبى ، وما بقى على وجه الأرض أحد رآه غيرى .

قلت : صفْه لى : قال : كان أبيض مَليحاً مُقْصدا(١) .

• عن أم معبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان أحْلَى الناس وأجمله مِنْ بعيد ، وأجهرَ الناس وأحسنه مِنْ قريب .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما صِيغ من فضة .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأنورَهم لونا .

---

(١) المقصد : الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ، أى معتدل الخلق .

• عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر .

• عن محمد بن عمار قال : قلت للربيع بنت مُعَوِّذ : صِفِى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : يابُنى لو رأيتَه رأيت الشمس طالعةً .

• عن ابن عباس قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوءَ الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه على ضوء السِّراج .

الباب الثلاثون

فى ذكر عرقه

صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل بيتَ أم سليم فينام على فراشها وليست فيه .

فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأُتيت فقيل لها : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائمٌ على فراشك ، فجاءت وقد عَرِق الفراش ، ففتحت عَتِيدَتها(١) فجعلت تنشف ذلك العرَق فتعصره فى قواريرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتصنعين ؟

قالت : نرجو بركته لصبياننا .

(١) العتيدة : ما يجعل فيه الثياب .

قال : قد أصَبْتِ .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهرَ اللون ، كأنّ عَرَقَه اللؤلؤ .

• عن عائشة قالت : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه مثل اللؤلؤ الرطب ، أطيبَ من المِسْك الأَذْفَر(١) :

• عن على قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم كأن عَرَقه اللؤلؤ ، وريح عرقه كالمسك .

• عن حبيب بن أبى حردة ، حدثنى رجل من بنى حريش قال : كنت مع أبى حين رَجَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزَ بن مالك ، فلما أخذتْه الحجارةُ أُرعبتُ ، فضمَّنى إليه صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثلُ ريح المسك .

• عن أبى هريرة قال : قال رجل : يارسول الله ، إنى زوّجت ابنتى ، وإنى أحب أن تعيننى . قال : ماعندى شىء ، ولكن الْقَنِي غداً وجىء معك بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة قال : فجاء فجعل يسلت العرَق من ذراعيه حتى ملأ القارورة وقال : خذها وأخبر أهلك إذا أرادت أن تتطيب أن تغمس هذا العود فى القارورة فتطيب به .

فكانت إذا تطيَّبت شمَّ أهل المدينة ريحاً طيبة فسمُّوا المطيّبين(٢) :

---

(١) الأذفر : الجيد الذكى .

(٢) الحديث باطل ، ذكره السيوطى فى كتابه اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ١/٢٧٤ وقال : آفته جليس بن غالب الكابي . وقال فى الميزان : هذا منكر جداً ، وجليس : قال ابن عدى : منكر الحديث ، وقال الدارقطنى : متروك .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر خاتم النبوة

● عن [الجعد بن[1]] عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد[2] يقول : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يارسول الله إن ابن أختي وَجِـع .

فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربتُ من وضوئه وقمت خَلْف ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه ، فإذا هو مثل زِرِّ الحَجَلَة .

ورواه البخاري في الصحيح ، عن محمد بن عبد الله ، عن حاتم ، كذا .

والحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويجعل له باب من جنسه ويُزَرّ .

ومنه قوله : أعِزُّوا النساء يلزَمْن الحجال .

وقد رواه إبراهيم عن حمزة ، عن حاتم قال : « رز الحجلة » الراء قبل الزاي . ذكره البيهقي .

وقال أبو سليمان ، يعني الخطَّابي ، عن بعضهم : إن زر الحجلة بيض الحجل والحجل على هذا أبيضُ القبج[3] .

(١) من شمائل الترمذي .

(٢) يكنى أبا يزيد الكندي ، ولد في السنة الثانية من الهجرة ، وحضر حجة الوداع مع أبيه ؛ ومات سنة ثمانين .

(٣) القبج : طائر .

• عن جابر بن سمرة قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم غُدَّة حمراء مثل بيضة النعام .

• عن عمرو بن أخطب قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا زيد ادْنُ منّى فامسح ظهري(١) . فمسحت ظهره ، فوقعت أصابعى على الخاتم .

قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرات مجتمعات .

• عن أبى نَضْرة(٢) قال : سألت أبا سعيد الخدرى عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى خاتم النبوة فقال : كان فى ظهره بَضْعةً(٣) ناشزة .

• عن عبد الله بن سَرْجس قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أناس من أصحابه ، فدُرْتُ من خلفه ، فعرف الذى أريده فألقى الرداء عن ظهره ، فرأيت موضعَ الخاتم على كتفه(٤) مثل الجُمْع(٥) حولها خِيلَان(٦) كأنه(٧) الثآليل(٨) .

---

(١) لعل الرسول رأى فى نفسه استشرافاً لمعاينة أمر خاتم النبوة فأحب أن يزيده يقينا . كما فى شرح الشمائل للترمذى .

(٢) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة .

(٣) البضعة : قطعة من اللحم ، والناشزة : المرتفعة .

(٤) شمائل الترمذى : على كتفيه . أى قريباً من كتفه الأيسر .

(٥) الجمع : الأصابع أى ضمها إلى الكف ، والتشبيه فى الهيئة لا فى المقدار .

(٦) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة .

(٧) الترمذى : كأنها . (٨) الثآليل : الحبوب التى تظهر فى الجسد .

● عن عبد الله بن سَرْجِس قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً . ثم دُرْتُ حتى صِرتُ خلفه حتى نظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه على نغض كتفه اليسرى جُمْعا عليه خِيلان .

● عن أبى معونة بن قُرَّة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنته أن أُدْخِل يدى فى جُرُبَّانه وإنه ليدعو لى ، فما منعه أن دعا لى .

قال : فوجدتُ على نغض كتفه مثل السَّلْعَة(١) .

قال المصنف : الجُرُبَّان : جيب القميص . ونغضُ الكتف : فَرْعه .

(١) السلعة . غدة تظهر بين الجلد واللحم .

أبواب صفاته المعنوية

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في حسن خلقه

• عن أنس قال : لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى ، فانطلق بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أنسا غلامٌ كَيِّس فليخدمك .

فخدمتهُ في السفَرِ والحضَر ، والله ما قال لى لشىء صنعتُه : لم صنعته ؟ ولا لشىء لم أصْنعه : لم لا صنعتَ هذا(١) ؟

أخرجاه .

• عن أبى عبد الله الجَدَلىّ(٢) قال : قلت لعائشة : كيف كان خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهله ؟

قالت : كان أحسنَ الناس خُلقاً . لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا سخّابا(٣) فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلَها ، ولكن يعفو ويَصْفح .

• عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَّابا ولا لعَّانا ولا فحَّاشا ، كان يقول لأحدِنا عندَ المَعتبة : تَرِبَ جبينُه .

• وعن عبد الله بن مسعود قال : بَيْنَا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من ثمانين رجلا من قريش ليس فيهم إلا قُرَشى ، لا والله

---

(١) فى مسلم : لم لم تصنع هذا هكذا .

(٢) نسبة لقبيلة جديلة . (٣) رواية الترمذى : ولا صخابا .

ما رأيت صفحةَ وجوهِ رجالٍ قط أحسنَ من وجوههم يومئذ، فذكروا النساء فتحدّثوا فيهن ، فتحدث معهم حتى أحببتُ أن يسكت .

• عن سِمَاك قال : قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : نعم ، كان طويلَ الصمت قليلَ الضحك ، وكان أصحابُه يذكرون عنده الشِّعر وأشياء من أمورهم ، فيضحكون ويتبسَّم .

• عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام مِنًى تغنيان وتضربان بالدف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجًّى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دَعْهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد(١) .

• قالت عائشة : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد ، حتى أكون أنا أسأم فأقعد ، فاقْدُروا قَدْرَ الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

أخرجاه(٢) .

• عن خارجة بن زيد بن ثابت قال : دخل نفرٌ على زيد بن ثابت فقالوا له : حدّثنا أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : كنا إذا ذكَرْنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس خُلقا .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فى كتاب العيدين وهذا لفظ مسلم .

● عن عائشة قالت : ما كان أحدٌ أحسنَ خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : لبَّيك . فأنزل الله تعالى : « وإنك لعلَى خلقٍ عَظيم » .

● عن عائشة قالت : كنت ألعب بالبنات فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنَّ لى صواحب يأتيننى فيلعبن معى ، فينقمعْن إذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُسَرِّبهن إلىَّ فيلعبن معى .

● عن أنس بن مالك قال : كان إذا لقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واحداً من أصحابه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى يَنْزع عنه .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ بصبيان فسلَّم عليهم .

● عن أنس بن مالك قال : مرَّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن صِبْيان فقال : السلام عليكم يا صبيان .

الباب الثانى

فى ذكر حلمه وصفحه

صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : سأل أهلُ مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يَجْعل لهم الصَّفا ذهبا وأن ينحِّى عنهم الجبال فيَزْدرعون .

فقيل له : إن شئت أن تَسْتأنى بهم ، وإن شئت أن نُعْطيهم الذى سألوا ، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم . قال : (لا بل أَسْتَأْنى بهم) .

● عن أبى هريرة قال : جاء الطُّفيل بن عمرو الدَّوسى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ دوساً قد عصَتْ وأبَتْ فادعُ الله عليهم .

فاستقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه ، فقال الناس : هلكوا !

فقال : (اللهم اهدِ دَوْساً وائتِ بهم) .

● عن عروة أن أسامة أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فَدَكيَّة ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعدَ ابن عُبَادة قَبْل وقعة بدر . حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدة الأوثان واليهود ، وفيهم عبد الله بن أُبَيّ ، وفى المجلس عبدُ الله بن رَوَاحة .

فلما غشيت المجلسَ عَجَاجةُ الدابة خَمَّر عبد الله بن أُبَيّ أنفَه وتردَّى به ثم قال : لا تغبِّروا علينا .

فسلَّم ثم وقف ونزل ، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن ، فقال له عبدُ الله بن أبي : لا أحسنَ من هذا إذا كان ما تقول حقًا ، فلا تؤْذونا به في مجالسنا [وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منّا فاقْصُصْ عليه . فقال عبد الله ابن رواحة : اغشَنا في مجالسنا][1] فإنا نحب ذلك .

فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا أن يتواثبوا[2] ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفِّضهم حتى سكتوا .

ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال : أَيْ سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حباب ، يريد ابن أُبيّ ، قال كذا وكذا .

قال : أُعفُ عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذى أعطاك وإن أهل البُحَيرة قد اصطلحوا على أن يتوِّجوه ، ويعصبوه بالعصابة ، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شَرِق بذلك .

فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

● عن عبد الله بن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول :

لما توفى عبد الله بن أُبيّ ، دُعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه .

فلما وقف يريد الصلاة عليه ، تحولتُ حتى قمتُ فى صدره فقلت : يا رسول الله ، أعَلَى عدوِّ الله ابن أبيّ ، القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا . أعدِّد عليه أيامه .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح مسلم ٥/١٨٣

(٢) يتواثبوا : يعنى : يتقاتلوا .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتبسَّم ، حتى أكثرتُ عليه ، قال :

أخِّر عني يا عمر ، إني خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لي : استغفر لهم ، أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، فلن يَغْفر الله لهم .

لو أعلم أني [إن] زدتُ على السبعين غُفر لهم لزدْتُ !

قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه إلى قبره حتى فرغ منه .

قال : فعجباً لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم .

قال : فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هذه الآية : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُون »(١) .

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله(٢) .

• عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم متسلِّحين يريدون غِرَّةَ(٣) النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأخذهم سَلَماً واستحياهم . فأنزل الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ »(٤).

• عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له قط ولا امرأةً قط ، ولا ضَرَب بيده إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

---

(١) سورة التوبة ٤٨ (٢) أخرجه البخارى والإمام أحمد والترمذى .

(٣) غرة . أى : اغتيال النبى وقتله وأصحابه على غفلة منهم .

(٤) سورة الفتح ٢٤

وما نِيلَ منه شيء فانتقم من صاحبه ، إلا أن تُنْتَهك محارمُ الله ، فينتقم لله عز وجل .

وما عُرِض عليه أمران ، إلا اختار أيسرهما ، إلا أن يكون مَأْثماً ، فإن كان مَأْثماً ، كان أبعدَ الناس منه .

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُغْضبه الدنيا وما كان منها ، فإذا تُعدِّى الحقُّ ، لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

● عن عائشة أنها قالت للنبي صلي الله عليه وسلم : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحد ؟

فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسى على بنى عبد كُلَاَل(١) فلم تُجبْنى إلى ما أردت .

فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفقْ إلا وأنا بقَرْن الثعالب ، فرفعتُ رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتنى ، فنظرتُ ، فإذا فيها جبريل ، فنادانى : إن الله قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

فنادانى ملك الجبال ، فسلّم علىَّ ثم قال : [إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك](٢) يا محمد فما شئت ، إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يَعْبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

---

(١) صحيح مسلم : على ابن عبد ياليل بن عبد كلال .

(٢) من صحيح مسلم ١٨١/٥

• عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نَجْرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جَبْذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته . ثم قال : يا محمد . مُرْ لى من مال الله الذى عندك .

فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ، ثم أمر له بعطاء(١).

• قال البخارى : فلما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناساً فى القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الأبل ، وأعطى عُيَيْنة مثل ذلك ، وأعطى أناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة .

فقال رجل : والله إن هذه القِسْمة ، ماعُدِلَ فيها ، وماأريد بها وجه الله.

فقلت : والله لأخبرنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم .

فأتيته فأخبرته فقال : مَنْ يَعْدِلُ إذا لم يَعْدل اللهُ ورسولُه ! رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبَر !

• عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله ، ادعُ الله على المشركين . قال : (إنى لم أُبْعَث لعَّانا ، وإنما بُعِثْتُ رحمةً) .

• عن أبى هريرة قال : لمَّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة طاف بالبيت وصلى فيه ركعتين ، ثم أتى الكعبة وأخذ بعضادَتَىْ الباب ، فقال : (ما تقولون وما تظنون ؟) :

قالوا : نقول أخٌ وابنُ عمٍّ حليمٌ رحيمٌ . قالوا ذلك ثلاثا ،

---

(١) أخرجاه من حديث مالك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقول كما قال يوسف : لا تَثْرِيبَ(١) عليكم اليومَ يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين) .

فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور ، فدخلوا فى الإسلام .

● عن عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صَفْوان بن أبى أمية ، وأبى سفيان بن حرب ، والحارث بن هشام .

قال عمر : فقلت : قد أمكنَنى الله تعالى منهم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثَلى ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) .

قال : فانفضحتُ حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل يعطى الناس يوم حنين من فضةٍ ، فى ثوب بلال .

فقال له رجل : يا نبى الله ، اعدِلْ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ويحك ! فمن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبتُ إذاً وخسرت إذا كنت لا أعدل !) .

فقال عمر : ألا أضربُ عنقه فإنه منافق ؟

فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتلُ أصحابى !

● عن ابن عمر قال : أُتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل من

---

(١) قال فى القاموس : ثرب ، لامه وعيره بذنبه . وفى الصحاح « التثريب . كالتأنيب والتعيير فى اللوم) اهـ والمراد هنا : لا لوم ولا عتاب عليكم .

ذهب وفضة ، فجعل يقسمه بَيْن أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد والله إن الله أمرك أنْ تعدل ، فما أراك تعدل .

قال : (ويحك ! من يَعْدلُ عليك بعدى !) .

فلما ولّى قال : ردُّوه علىَّ رويداً .

● عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، أن أخاه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : جيرانى علىَّ ما أخذوا .

فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الناس يزعمون أنك نُهيت عن البغى ثم تستحلى به(١) .

فقال : إن كنتُ أفعل ذلك إنه لعَلَىَّ ، وما هو عليكم ، خلُّوا له جيرانه .

● عن عائشة قالت : ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَزُورا من أعرابى بوسقٍ من تمر الذخيرة ، فجاء به إلى منزله ، فالتمس التمرَ ، فلم يجده فى البيت .

قال : فخرج إلى الأعرابى . فقال : يا عبد الله ، إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى أنه عندنا .

فقال الأعرابى : واغدراه .

فوكزه الناس فقالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا ؟ !

فقال : دعوه .

● عن أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شىء ، فأعطاه شيئاً ، ثم قال : أحسنتُ إليك ؟ قال : لا ، ولا أَجْملت .

---

(١) كذا ، واستحلى الأمر : رضيه .

قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه .

فأشار إليهم : أن كفُّوا . ثم قام فدخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابى فدعاه إلى البيت ، [فزاده شيئاً[1]] فرضى . فقال : إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك وقلت ما قلت ، وفى أنفس المسلمين شىء من ذلك ، فإن أحببت فقلْ بين أيديهم ما قلتَ بين يدىَّ ، حتى يذْهب من صدورهم ما فيها عليك .

قال : نعم .

فلما كان الغداة أو العشى جاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم هذا كان جائعا ، فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وإنا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضى ، أكذاك ؟

قال الأعرابى : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألا إن مثَلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردَتْ عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً .

فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فأنا أرفَقُ بها .

فتوجَّه لها صاحبُ الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض ، فجاءت فاستناخت ، فَشَدَّ عليها رحلَها واستوى عليها .

وإنى لو تركتكم حين قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل[2] النار .

• عن زيد بن أرقم قال : سحَر النبىَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود ، فاشتكى ذلك أياماً ، فأتاه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحَرك فعقد لذلك عُقَدا .

---

(١) من الشفا ٩٦

(٢) الأصل : دخلتم . وهو تحريف . وما أثبته من الشفا ٩٦

فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فاستخرجها فجاء بها .

فجعل كلَّما حلَّ عقدةً وجَد لذلك خِفَّةً .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عِقَال .

فما ذَكَر ذلك لليهودى و[لا] رآه فى وجهه قط .

• عن أنس قال : خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين ، فما سبَّنى سبَّةً قط ، ولا ضربنى ضربةً ، ولا انتهرنى ، ولا عبَس فى وجهى ، ولا أمرنى بأمر ، فتوانيتُ فيه ، فعاتبنى عليه .

فإن عاتبنى أحدٌ من أهله قال : (دَعُوه ، فلو قُدِّر شىء كان) .

• عن عبد الله بن سَلاَم قال : إن الله عز وجل لمَّا أراد هُدَى زيد ابن سَعْيَة(١) قال زيد : ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفته فى وجهه ، سوى اثنتين لمَّا أَخْبُرها منه : يسبقُ حلمُه جهلَ الجاهل ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلماً .

فكنت أنطلق إليه لأخالطه وأعرف حلمه ، فخرج يوماً ومعه على ابن أبى طالب ، فجاءه رجل كالبدوىّ ، فقال : يا رسول الله ، إن قرية بنى فلان أسلموا ، وحدَّثتهم أنهم [إن] أسلموا أتتهم أرزاقهم رغَدا .

وقد أصابتهم سنَةٌ وشِدَّة ، وإنى مُشْفِق عليهم أن يخرجوا من الإسلام ، فإن رأيتَ أن ترسلَ لهم بشىء يعينهم .

قال زيد : فقلت : أنا أبتاع منكم بكذا وكذا وَسْقًا . فأعطيته ثمانين ديناراً ، فدفعَها إلى الرجل وقال : اعجَلْ عليهم بها فأَغْنِهم .

فلما كان قبل المَحَلِّ بيوم أو يومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله صلى الله

(١) الأشهر : سعنة . بالنون .

عليه وسلم إلى جنازة فى نفر من أصحابه ، فجَبَذْتُ رداءه جَبْذَةً شديدة ، حتى سقط من عاتقه ، ثم أقبلتُ بوجه جَهْم غليظ ، فقلت : ألا تقضينى يا محمد ، فوالله ما عَلِمْتكم بنى عبد المطلب لَمُطُل .

فارتعدت فرائصُ عمر بن الخطاب كالفُلك المستدير ، ثم رمى ببصره فقال :

أىْ عدوَّ الله ، أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع ! فوالذى بعثه بالحق ، لولا ما أخاف فَوْتَه لسبقنى رأسُك .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر فى تُؤَدة وسكون ، ثم تبسَّم وقال : أنا [وهو](١) أحوجُ إلى غير هذا ، أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة ، اذهب يا عمر فاقضه حقَّه وزده عشرين صاعاً من تمر .

فقلت : ما هذا ؟

قال أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكانَ منازعتك .

فقلت : أتعرفنى يا عمر ؟

قال : لا ، فمن أنت ؟

قلت : أنا زيد بن سَعْيَة .

قال : الحَبْر ؟

قلت : الحَبْر .

قال : فما دعاك أن تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت ؟ وتقولَ له ما قلت ؟

(١) من الشفاء ٨٤ .

قلت : يا عمر ، إنه لم يَبْقَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أَخْبَرْهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلْماً ، فقد اختبرتُه منه ، فأشهدك يا عمر ، أني رضيتُ بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ، وأشهدك أنَّ شَطْر مالي لله ، فإني أكثرُها مالًا ، صدقةً على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : أو على بعضهم ، فإنك لاتَسَعهم كلهم . قلت : أو على بعضهم.

قال : فرجع عمر وزيد بن سَعْيَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

فآمن به وصدَّقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

● عن الزُّهري قال : إن يهوديا قال : ما كان بقي شيء مِن نَعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا رأيتُه إلا الحِلْم .

وإني أَسْلَفْتُه ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم ، فتركته حتى بقي من الأجل يوم ، فأتيته فقلت : يا محمد : أَوْفِنِي حقي ، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مُطْل .

فقال عمر : يايهودي جُننتَ ؟ ! أما والله لولا مكانُه لضربتُ الذي فيه عيناك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا حفص ، نحن كنا إلى غير هذا منك أحْوجَ ، إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما عليَّ ، وهو إلى أن تكون أعَنْتَه في قضاء حقه أحْوَجُ .

قال : فلم يزده جهلى عليه إلا حلماً ، قال : يهودىُّ[1] إنما يحلُّ حقُّك غداً .

ثم قال : يا أبا حفص ، اذهب إلى الحائط الذى كان سأل أول يوم .

فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا ، وزدْه لِماقلتَ له كذا وكذاصاعا .

وإن لم يَرْضَه ، فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا .

فأَتى به الحائط فرضى ، فأَعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمره من الزيادة .

فلما قبض اليهودى تَمْرَه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله .

وإنه — والله — ما حملنى على ما رأيتنى صنعتُ يا عمر ، إلا أنى كنتُ رأيتُ صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة كلها إلا الحِلْم .

فاختبرتُ حلمه اليوم ، فوجدتُه على ما وُصِف فى التوراة .

وإنى أشهدك أن هذا التمرَ وشطرَ مالى فى فقراء المسلمين .

فقال عمر : أو على بعضهم . فقال : أو بعضهم .

وأسلم أهل بيت اليهودى كلهم إلا شيخاً كان له مائة سنة ، فبقى على الكفر .

---

(١) يهودىٌّ . أى : يا يهودىٌّ . حذف منه أداة الندا (يا) تخفيفاً .

الباب الثالث

فى نهيه أن يبلغ ما لا يصلح

• عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُبلِّغنى أحدٌ منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فإنى أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصَّدْر .

قال : فأتاه مال فقسمه ، فانتهيت إلى رجلين يتحدثان ، وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد بقسمته التى قَسَم وجه الله والدار الآخرة .

قال : فوثبت حين سمعتها ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرتُ له ذلك ، ثم قلتُ :

إنك قلت : لا يبلغنى أحدٌ عن أحد من أصحابى شيئاً ، وإنى سمعت فلاناً وفلاناً يقولان : كذا وكذا . فاحمرَّ وجهه وقال :

دعنا منك ، فقد أوذى موسى بأكثر من مثل هذا فصبر !

الباب الرابع

في ذكر شفقته ومداراته

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريدُ أن أطيلها فأسمع بكاءَ الصبيّ فأَتجوَّز(١) فى صلاتى مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائى » .

● عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنى لَأقوم فى الصلاة فأُريد أن أطوّل فيها ، فأسمع بكاء الصبى فأَتجوز فى صلاتى كراهية أن أشقّ على أمه » .

انفرد بإخراج هذا البخارى ، واتفقا على الذى قبله .

● عن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة فى المسجد من حصير ، فصلّى فيها ليالى ، حتى اجتمع إليه ناس ، ثم فقد صوتَه ، فظنوا أنه قد نام ، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم ، فقال :

« ما زال بكم الذى رأيتُ من صنيعكم ، حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم ، ولو كُتب عليكم ما قُمتم به ، فصلُّوا فى بيوتكم ، فإن أفضلَ صلاةِ المرء فى بيته إلا المكتوبة » .

---

(١) فأتجوز (أى لا أطيل الصلاة) .

● عن أنس قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أين أبى ؟

قال : فى النار .

فلما رأى ما فى وجهه قال : (إنّ أبى وأباك فى النار) .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الذى قبله .

● عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصَّفا ذهباً . ونؤمنُ بك .

قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم .

فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئتَ أصبح لهم الصَّفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذّبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة .

[قال : بل التوبةُ والرحمةُ](١) .

● عن أبى أمامة أن فتى شاباً أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ائذن لى فى الزنا .

فأقبل عليه القومُ فزجروه وقالوا : مه مه .

فقال : أُدْنُهُ .

فدنا منه قريباً ، فجلس . قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبُّونه لأمهاتهم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من تاريخ ابن كثير ، والحديث أخرجه أحمد .

أفتحبُّه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

أتحبُّه لأختك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

أتحبه لخالتك ؟ قال لا : والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

قال : فوضع يده عليه ثم قال : اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجَه.

قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء .

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قولَ الله تعالى : « رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢) » .

وقولَ عيسى : « إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٢) » .

فرفع يديه وقال : اللهم أمَّتى أمَّتى . وبكى . فقال الله عز وجل : ياجبريل ، اذهب إلى محمد ، وربُّكَ أعلم ، فَسَلْهُ ما يبكيه .

فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة إبراهيم ٣٦ (٢) سورة المائدة ١١٨ .

قال : فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل له : إنّا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك .

● عن أنس بن مالك قال : بَيْنا نحن جلوس فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُزْرِموه(١) ، دعوه . فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : (إن المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والقذر ، إنما هى لذكر الله تعالى والصلاة ، وقراءة القرآن) .

وأمرَ رجلا فجاء بدلو من ماء فشَنَّه(٢) عليه .

● عن عائشة أن رجلا استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إيذنوا له فبئس أخو العشيرة . فلما دخل عليه ، ألانَ له القول .

فقالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ، قلتَ له الذى قلت ، ثم ألنْتَ له القول :

قال : يا عائشة ، إن شرَّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة ، مَنْ تركه الناسُ اتِّقاءَ فُحْشه .

● عن مسعود بن الحكم قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم فعطس رجل من القوم فقلت : رحمك الله . فرمانى القوم بأَبصارهم وضربوا بأَيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتُهم يُصْمتوننى سكتُّ .

قال : فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله . (٢) شنه : صبه .

بأبى وأمى ، ما رأيتُ معلِّماً أحسنَ تعليما منه . ما ضربَنى ولا سبَّنى .
ثم قال : « إنَّ هذه الصلاة لا يَصْلُح فيها شىء من كلام الآدميين ، إنما هو التسبيح والتحميد والتكبير » :

● عن مالك بن الحُوَيْرِث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا قد اشْتَقْنَا أهلَنا ، فسألَنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : ارجعوا إلى أهاليكم فأقيموا فيهم » .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قعد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده .

الباب الخامس

فى ذكر حيائه

صلى الله عليه وسلم

● عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء فى خِدْرها(١) ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه .

● عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صُفْرَةً فكرهها وقال : [ألا] أمرتم هذا أن يغسل هذه الصُّفْرَة .

وكان لا يواجه أحداً فى وجهه بشىء يكره .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شىء لم يقل له : قلتَ كذا وكذا .

● عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيِيًّا(٢) لا يُسْأل عن شىء إلا أعطَى .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : العذراء : البكر من النساء اهـ . و «الخدر» هو الستر ، والجمع خدور ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة وإلا فلا ، وأخدرت الجارية : لزمت الخدر اهـ من المصباح المنير .

(٢) حيا : أى : كثير الحياء .

الباب السادس

فى ذكر تواضعه

صلى الله عليه وسلم

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : استبَّ مسلمٌ ويهودى .

فقال المسلم : والذى اصطفى محمداً على العالمين .

وقال اليهودى : والذى اصطفى موسى على العالمين .

فغضب المسلم على اليهودى فلطمه ، فأتى اليهودىُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فاعترف بذلك .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا تخيِّرونى على موسى ، فإن الناس يُصْعقون(١) يومَ القيامة ، فأكون أولَ من يُفيق ، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صُعِق فأفاق قَبْلى ، أم كان ممن استثناه الله تعالى .

---

(١) المراد : يُغْشَى عليهم . قال فى أساس البلاغة : صعقتهم السماء وأصعقتهم : أصابتهم بصاعقة وهى نار لا تمر بشىء إلا أحرقته مع رعد شديد .

وفى المختار من الصحاح : « صعقتهم السماء » من باب (قطع) إذا ألقت عليهم الصاعقة . والصاعقة أيضاً : العذاب . وصعق الرجل بفتح الصاد وكسر العين ، صعقة : غشى عليه . وفى الأساس صُعِق وصَعِق إذا غشى عليه من هدة أو صوت شديد يسمعه . وصعق : مات . وقوله تعالى : (فصعق من فى السماوات والأرض) أي : مات .

• وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغى لعبد أن يقول : أنا خيرٌ من يونس بن متَّى .

• عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تُطْرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله) .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « فَاسْأَلْهُ مَابَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنتُ أنا ، لأسرعتُ الإجابةَ ، وما ابتغيتُ العُذْرَ .

• وسئلت عائشة رضى الله عنها ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع إذا دخل بيته ؟

قالت : كان يكون فى مَهْنَةِ أهله(١) ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلّى .

• عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا وخَيْرنا وابن خيرنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس : قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبدُ الله ورسولُه ، والله ما أحبُّ أن ترفعونى فوق منزلتى .

• وقيل لعائشة رضى الله عنها : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟

---

(١) فى مهنة أهله ، أى: فى خدمتهم . «ومهنة» بفتح الميم لا غير كما فى المصباح .

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَشَراً من البشر ، يُفلّي ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه .

● وفي رواية : يصنع في بيته كما يصنع أحدكم في بيته ، يَخصف النعلَ ويرقع الثوبَ .

● عن البَرَاء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل الترابَ ، وقد وارَى البياضُ بياضَ بطنه .

● عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودُ المرضى ويشهد الجنائز ، ويأتي دعوةَ المملوك ، ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوماً على حمار خطامه ليف .

● وعنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟

فنظر الغلام إلى أبيه ، فقال أبوه : قل ما يأمرك به محمد . فقالها ، فمات .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا على أخيكم وادفنوه .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو دُعيتُ إلى كُرَاع(١) لأجبتُ ، ولو أهدى إليَّ ذِراعٌ لقبلتُ) .

● عن أنس رضي الله عنه : ما كان شخص أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لِمَا يعلمون من كراهيته لذلك .

---

(١) الكراع . بضم الكاف : مستدق الساق .

• عن الحسن رضى الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : لا والله ما كان يُغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحُجّاب ، ولا يُغدَى عليه بالجفان ولا يُرَاح عليه بها .

ولـكنه كان بارزاً ، من أراد أن يَلْقَى نبيَّ الله لقيه .

كان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ويُرْدف بعده ، ويَلْعق والله يدَه ! صلى الله عليه وسلم .

• عن قيس بن أبى حازم أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قام بين يديه استقبلته رِعْدة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (هَوِّن عليك ، فإنى لستُ مَلِكاً ، إنما أنا ابنُ امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ)(١) .

• عن أنس رضى الله عنه ، أن امرأة كانت فى عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله إن لى إليك حاجة .

قال : يا أم فلان خذى فى أى طريق شئت قومى فيه حتى أقوم معك !

فخلا معها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناجيها حتى قضت حاجتها .

• وعنه قال : إنْ كانت الوليدةُ من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يَنْزِع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

• عن ابن أبى أوْفَى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنفُ ولا يستـكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له حاجته .

---

(١) القديد : اللحم للقدد . أى المجفف .

• عن قدامة بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمْرة على ناقة شهباء ، لا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ، ولا إلَيْك !

• عن نصر بن وهب الخزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حماراً مَرْسوناً بغير سَرْج موكف عليه قطيفة جُورية(١) ، ثم دعا معاذا فأردفه .

• عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بنسوة فسلّم عليهن .

وقد سبق أنه كان يسلّم على الصبيان .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى ذَرٍّ . قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بَيْن ظَهرانَىْ أصحابه . فيجىء الغريبُ فلا يدْرى أيهم هو حتى يَسْأل .

فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكانا(٢) من طين ، فكان يجلس عليه ونجلس بجانبيه .

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله كُلْ ، جعلنى الله فداك ، متكِّئاً فإنه أهْوَنُ عليك .

قال : لا ، بل آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

• وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءنى ملَك . فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت نبيًا عَبْداً وإن شئت نبيًا مَلِكا .

---

(١) جورية : نسبة إلى جور مدينة بفارس .
(٢) دكانا . أى : مصطبة .

فنظرتُ إلى جبريل فأشار لى : أَنْ ضَعْ نفسك .

فقلت : نبيًّا عَبْداً .

● عن عبد الله بن أبى أوْفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِر الذِّكْرَ ويُقِلّ اللَّغو ، ويطيل الصلاةَ ويُقَصِّر الخطبة ، ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشى مع الأرملة والمسكين يقضى لهما حاجتهما .

● عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كنت فى عصابة من المهاجرين جالساً ، وإنَّ بعضَهم يَسْتتر ببعض من العُرْى ، وقارئ لنا يقرأ علينا ، فكنا نستمع إلى كتاب الله .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

الحمد لله الذى جعل من أمتى من أُمرتُ أن أَصْبِرَ معهم نفسى .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليَعْدِلَ بيننا بنفسه . فقال : أبشروا معاشر صعاليك(١) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام .

---

(١) صعاليك . أى : فقراء .

الباب السابع

في أنه بعث رحمة

صلى الله عليه وسلم

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، ادعُ على المشركين .

قال : (إني لم أُبْعَثْ لعَّانا وإنما بُعِثتُ رحمة) .

● وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا رحمةٌ مُهْداة) .

قلت : وهذا الحَصْر مؤيَّدٌ بقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)(١) .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧

الباب الثامن

في ذكر اشتراطه على ربه سبحانه

أن يجعل سبَّه لمن سَبَّ من المسلمين أجراً

● عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ، إنما أنا بشر ، فأيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو جَلَدْتُهُ فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة)(١) .

● عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عند أم سليم يتيمة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليتيمة فقال : آنتِ ، هيه ، لقد كبرتِ لا كَبِر سنُّك !

فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سُليم : يا بنيَّة مالك ؟

قالت : دعا عليَّ نبي الله أن لا يكبر سني ، فالآن لا يَكْبَر سنِّي أبداً .

فخرجت أم سليم مستعجلة تَلُوثُ خمارها حتى لقيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : مالك يا أم سليم ؟

فقالت : أدعوتَ على يتيمتي ألا يَكْبَرَ سِنُّهَا ؟ !

فضحك ثم قال : يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي أني

---

(١) أخرجه مسلم ٨/٢٥ . وروايته . آذيته شتمته لعنته جلدته .

اشترطت على ربى عز وجل ، فقلت : إنما أنا بَشَرٌ أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب الرجل(١) ، فأيما أحد دعوتُ عليه من أمتى ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقُرْبَة تقربه إلىّ(٢) يوم القيامة .

قال ابن عقيل : أما لعنه فى الخمر فتشريع للزجر ، فلو كانت وضعت للزجر ثم أبان أنها رحمة ، خرجت عن موضعها ، فيصير ذلك ترغيباً فى المعصية .

وذلك غير جائز على الشارع .

اللهم إلا أن يكون أراد به من وجهٍ أنه رحمة فى [غايته] ذلك أن لَعْن الرسول لمن لعنه يكون عند من لعنه غاية فى المنع عن ارتكاب ما لعنه عليه وحاملا له على التوبة ، فيكون مُسَمَّياً للعنة رحمةً حيث أفْضت إلى الرحمة ، تسمية للشىء باسم ما يؤول إليه .

---

(١) صحيح مسلم ٢٨/٨ ، كما يغضب البشر .

(٢) مسلم . تقربه بها منه .

الباب التاسع

فى ذكر جوده

صلى الله عليه وسلم

• عن جابر رضى الله عنه قال : ما سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا .

• عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون فى رمضان ، حين يلقى جبريل عليه السلام ، وكان جبريل يلقاهُ فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . قال :

فلرَسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

• عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يُسْأَلُ شيئاً على الإسلام إلا أعطاه .

قال : فأتاه رجل فسأله ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة .

قال : فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسْلموا ، فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة(١) !

• عن جُبَير بن مطعم رضي الله عنه قال :

---

(١) الفاقة : الفقر .

بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة(١) من حُنَين عَلِقَه الأعراب يسألونه ، حتى اضطروه إلى سَمُرَة فخطف رداءه .

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : رُدُّوا علىَّ ردائى ، أتخشون علىَّ البخل ؟ ! فلو كان لى عدد هذه العضاه ذهباً لقسمته بينكم ، لا تجدونى بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صُبْرَةٌ من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ، فقال : أدَّخِره يا رسول الله ! قال : أما تخشى أن يكون له سجار(٢) فى النار ؟ أنفق بلال ولا تخش إقلالا .

● عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئاً لغدٍ .

● عن هارون بن رئاب قال : قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبعون ألف درهم ، وهو أكثرُ مالٍ أُتى به قط ، فوضع على حصير ، ثم قام فقسمه ، فما ردَّ سائلا حتى فرغ منه .

---

(١) مقفلة : أى راجعة .

(٢) الأصل : بخاتى . وما أثبته من حلية ١/١١٩ . وسجر التنور : أحماه .

الباب العاشر

فى ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم

• عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجودَ الناس ، كان فزَعٌ بالمدينة فخرج الناس قِبَل الصوت فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم فاستنبأ الفزعَ على فرس عُرْى لأبى طلحة ما عليه سرج ، فى عنقه السيف ، فقال : لم تراعوا . وقال للفرس : وجدناه بحراً ، وإنه لبحر .

• عن البراء رضى الله عنه أنه سأله رجل من قيس فقال : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين ؟ فقال البراء : ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ، كان هوازن قوماً رُمَاة ، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكْبَبْنَا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها ، وهو يقول :

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطلب

• عن على رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذُ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ .

• وعنه قال : كنا إذا احمرَّ البأس ولقى القومُ القومَ ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان أحدٌ أقرب إلى العدو منه .

• عن البراء رضى الله عنه قال : كنا والله إذا احمرَّ البأس ، نتَّقى به ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن الشجاع منا ، الذى يحاذِى به .

الباب الحادى عشر

فى ذكر مزاحه وملاعبته

وأنه لا ينطق إلا بالحق

● عن أنس رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر ، وكان يهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً بادينا ونحن حاضروه .

وكان رجلا دميما ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، والرجل لا يبصره ، فقال : أرسلنى ، من هذا ؟ !

فالتفت فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألوا ، ما ألصق ظهره بصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرفه .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يشترى العبد !

فقال : يا رسول الله ، إذن والله تجدنى كاسداً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لكن عند الله لست بكاسد . أو قال : لكن أنتَ عند اللهِ غالٍ .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبْدُنْ(١) .

فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا .

---

(١) لم أبدن . أى : لم يكثر لحمى ولم يثقل جسمى من السمن .

ثم قال : تعال حتى أسابقك ، فسابقته ، فسبقته . فسكت عنى .

حتى إذا حملتُ اللحمَ ، وبدنتُ ونسيت ، خرجت معه فى بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، فقال لى : تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقنى .

فجعل يضحك ويقول : هذه بتلك .

عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ياذا الأذنين ، قال أبو أسامة : يمازحه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْلَعُ (١) لسانَه للحسن بن على رضى الله عنهما ، فيرى الصبيُّ حُمْرةَ لسانه فيهشُّ إليه .

● عن عبد الله بن الحارث بن جَزء رضى الله عنه قال : ما رأيتُ رجلا أكثر مزاحاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقا .

● عن أنس رضى الله عنه أن رجلا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : احملنى . فقال : إنّا حاملوك على ولد الناقة .

قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال : وهل تلِد الإبلَ إلا النوقُ !

● وقال : لا يدخل الجنة عجوز .

قال : إن عجوزاً دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شىء فقال لها ومازَحها : إنه لا يدخل الجنة عجوز .

(١) يدلع : يخرج لسانه من فمه .

وحضرت الصلاة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فبكت بكاءً شديداً ، حتى رجع النبى صلى الله عليه وسلم .

فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن هذه المرأة تبكى لما قلت لها : إنه لا يدخل الجنة عجوز !

فضحك وقال : لا يدخل الجنة عجوز ، ولكن قال الله تعالى :

« إنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً »(١) وهن العجائز الرمص .

وعنه أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم ، فرأى أبا عُمير حزيناً فقال : يا أم سليم ، ما بالُ أبى عمير حزيناً ؟

قالت : يا رسول الله ، مات نُغَيره(٢) .

فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ !

● عن ابن عباس قال : كانت فى النبى صلى الله عليه وسلم دعابة .

● عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس .

● عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مَزَّاحًا ، وكان يقول : إن الله لا يؤاخذ المَزَّاح الصادق فى مزاحه .

● عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كنت أكتب كل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه .

---

(١) سورة الواقعة . الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . العروب من النساء : المتحببة إلى زوجها وجمعه : عرب ، بضم العين والراء .

(أتراباً) أى : مستويات فى السن ومفرده (ترب) بكسر التاء .

(٢) النغير : نوع من الطير مثل العصفور .

فنهتنى قريش فقالوا : إنك تكتب كل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يتكلم فى الغضب .

فأمسكت عن الكتابة ، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا حق .

• عن خَوات بن جُبير قال : نزلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظهران ، فخرجت من خبائى(١) فإذا نسوة يتحدثن ، فأعجبننى .

فرجعت ، فأخرجت حلة لى من حبرة فلبستها ، ثم جلست إليهن .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته ، فقال :

يا أبا عبد الله ، ما يجلسك إليهن ؟

فهِبْت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، جملٌ لى شَرود ، أبتغى له قيداً .

قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته ، فألقى رداءه ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ، ثم جاء فقال : أبا عبد الله ، ما فعل شِرَادُ(٢) جملك ؟ !

ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقنى فى منزل إلا قال لى : السلام عليك يا أبا عبد الله ، ما فعل شِرادُ جملك ؟ !

قال : فتعجلت إلى المدينة ، فاجتنبت المسجدَ ومجالسةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك ، تحيَّنْتُ ساعة خلوة المسجد فجعلت أصلى .

---

(١) خبائى . أى : خيمتى .
(٢) شرد الجمل شرادا : نفر .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حُجَره ، فجاء يصلى ، فصلي ركعتين خفيفتين ، ثم جاء فجلس ، وطوّلت رجاء أن يذهب ويدَعنى .

فقال : طوِّل ، يا أبا عبد الله ما شئتَ ، فلستُ بقائم ، حتى تنصرف !

فقلت : والله لأعتذرنَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبردنَّ صدره .

قال : فانصرفتُ ، فقال : السلام عليك يا أبا عبد الله ، ما فعل شِرادُ الجمل ؟ !

فقلت : والذى بعثك بالحق ما شردَ ذلك منذ أسلمتُ .

فقال : (رحمك الله) مرتين أو ثلاثا ، ثم أمسك عنِّى فلم يَعُدْ .

أبواب آدابه وسمته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

في جعله يده اليمنى للطهور
واليُسْرَى لدفع الأذى

● عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت يده اليمنى لطهوره وطعامه ، وكانت يده اليسرى لخلائه وما به من أذى .

البابُ الثاني

في فعله عند عطسته

● عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس يَخْفِض صوته وتلقاها بثوبه وخَمَّر(١) وجهه .

● وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم [كان] إذا عطس خَمَّر وجهه وأخفَى عطسته .

* * *

(١) خمر : غطى .

الباب الثالث

فى محبته التيامن فى أعماله

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ شيئاً أخذه بيمينه ، وإذا أعطى أعطى بيمينه ، ويبدأ بميامنه فى كل شىء .

الباب الرابع

فى ذكر جلسته

عن قَيْلة بنت مَخْرمة أنها رأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهى قاعدة القرفصاء ، قالت : فلما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشعَ فى الجلسة أُرعدْتُ من الفرَق .

الباب الخامس

فى ذكر احتبائه

● عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس احتبَى(١) بيديه .

---

(١) الاحتباء : أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

البَابُ السَّادِسُ

في ذكر اتكائه

• عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة على يساره(١) .

البابُ السابع

في ذكر استلقائه

• عن عَبّاد بن تميم ، عن عمّه(٢) ، أنه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم مُسْتلقياً فى المسجد ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى .

(١) هذا لبيان الواقع ، لا للتقييد .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عاصم ، روى صفة الوضوء وغيره ، ويقال : هو الذى قتل مسيلمة الكذاب ، روى عنه الستة .

الباب الثامن

في صفة منطقه وألفاظه

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا .

● وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [كان] إذا تكلم بكلمة ردّها ثلاثا ، وإذا أتى قوماً فسلّم عليهم سلّم ثلاثا .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يَسْرد سَرْدَكم هذا ، كان يتكلم بكلام يُبيِّنه ، فَصْلاً(١) يحفظه من يَسْمعه .

● وفي رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدِّث حديثاً ، لو عَدَّه العادُّ لأحصاه .

● عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هنداً فقلت :
صِفْ لي مَنْطقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال :
كان لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السَّكْت ، يفتتح الكلم(٢) ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فَصْلاً لا فُضُول فيه ولا تقصير .

● عن أم مَعْبَد قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا صمت ، فعليه الوقار ، وكأنّ مَنْطقه خَرزات نظمٍ يتحدَّرن ، حلو المنطق لا نَزْرٌ ولا هَذْر(٣) .

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا تكلم رُئِيَ كالنور من ثناياه .

---

(١) رواية الترمذي في الشمائل : بكلام بين فصل .

(٢) شمائل الترمذي : الكلام .

(٣) النزر : القليل . والهذر : السقط في الكلام .

الباب التاسع

فى ذكر تحريك يده حين يتكلم

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشار ، أشار بكفه كلها ، وإذا تعجّب ، قلّبها ، وإذا [تحدّث][1] اتّصل[2] بها ، وضرب براحته اليمنى بطنَ إبهامه اليسرى ، وإذا غضب ، أعرض وأشاح .

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ٢/١٦

(٢) اتصل : أى حديثه المفهوم من تحدث .

الباب العاشر

فى ذكر منبره

صلى الله عليه وسلم

● عن سهل بن سعد أنه سئل عن المنبر من أىّ عود هو ؟

قال : أمَا والله إنى لأعرف من أىّ عُود هو ، وأعرف من عَمله وأىّ يوم صُنع ، ورأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم أىّ يوم جلَس عليه .

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى امرأة لها غلام نجار فقال لها : مُرِى غلامَك النجار أن يعمل لى أعواداً أجلس عليها إذا كلمتُ الناس .

فأمَرَتْه فذهب إلى الغابة ، فقطع طَرْفاً ، فعمل المنبر ثلاث درجات .

فأرسلت به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوضعه فى موضعه الذى تَرون .

فجلس عليه أول يوم ، فكبَّرَ وهو عليه ، ثم ركع ، ثم نزل القهقرى فسجد ، وسجد الناس معه ، ثم عاد حتى فرغ .

فلما انصرف قال : يا أيها الناس ، إنما فعلت هذا ، لتأتمّوا بى وتعلموا صلاتى .

الباب الحادي عشر

فى ذكر فصاحته

صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، وكان يقول :

إن الله أدّبنى ، فأحسن تأديبى ، ونشأتُ فى بنى سعد .

وقال : بُعِثْتُ بجوامع الكلم .

● عن عمر بن الخطاب أنه قال : يا رسول الله ، مالك أفْصَحنا ولم تخرج من بين أظْهُرنا ؟

قال : (كانت لغة إسماعيل قد دَرَسَت ، فجاء بها جبريل فحفظتها)(١) .

● عن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أفصح الناس ، كان يتكلم بالكلام ، لا يَدْرون ما هو ، حتى يخبرهم .

● عن على قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب ، إلا وقد سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسمعته يقول : (مات حَتْفَ أنفه) ، وما سمعتها من عربى قبلَه .

قال المؤلف رحمه الله : كلُّ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حِكَمٌ وفصاحة .

---

(١) رواه أبو نعيم .

ومن طرائفها : (إياكم وخضراء الدِّمن)(١) .

(إن ممّا يُنْبت الربيعُ ، لَما يقتل حَبطاً أو يُلِمُّ(٢)) .

و (لا يُلْدَغ المؤمن مِنْ جُحْر مرتين) .

و (الناس كأسنان المشْط) . و (المرء كثيرٌ بأخيه) .

وقوله للأنصار : (إنكم لَتَقِلّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع) .

وقوله : (خير المال ، مُهْرَة مأثورة(٣) ، أو سكة مأبُورَة)(٤) .

وقوله : (خير المال ، عين ساهرةٌ ، لعين نائمة) .

و (من بَطَّأَ به عمله ، لم يُسْرع به نسبه) .

وقوله : (حبُّك الشيء يُعْمِى ويُصِمّ) .

و (كُلُّ الصيد ، في جوف الفرا)(٥) . (القناعة مالٌ لا ينفد) .

ومثل هذا كثير .

---

(١) الدمن : العطن والبعر . والمراد : منبت السوء .

(٢) الحبط : وجع يبطن البعير ، من كلأ يكثر منه ، فلا يخرج منه شيء . ويلم : يكاد .

(٣) المهرة : الأنثى من ولد الفرس . والمأثورة . النفيسة .

(٤) السكة : السطر من النخل ، و « المأبورة » : الملقحة .

(٥) الفرأ ، كجبل ، حمار الوحش ، وقد ترك الهمز في المثل لأنه موضوع على الوقف ، والمعنى : كل الصيد دونه .

الباب الثانى عشر

فى تكلمه بالفارسية

• عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : قوموا ، فقد صنع لكم جابر سُوراً .

قال أبو العباس ثَعْلب : إنما يراد من هذا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلَّمَ بالفارسية ، صنع سُوراً ، أى : طعاماً ، دعا إليه الناس .

• عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، قال : مَرَّ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أشتكى بطنى ، فقال : يا أبا هريرة : اشتكيت درد اشتكيت دَرْد ؟ عليك بالصلاة فإنها شفاء من كل سقم .

قال المؤلف : هذا الحديث لا يَثبت عند علماء النقل .

قالوا : أبو هريرة لم يكن فارسيا ، إنما مجاهد فارسى ، فالذى قال هذا ، أبو هريرة ، خاطب به مجاهداً .

ومن رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَهِمَ .

وقد روى هذا الحديث ، إبراهيم بن البراء ، من طريق أبى الدرداء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ، وإبراهيم يحدِّث عن الثقات بالموضوعات .

الباب الثالث عشر

فى ذكر ما تمثل به من الشعر

• قال البراء : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الأحزاب ، ينقل التراب وقد وارى الترابُ بياضَ إبطيه وهو يقول :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا   وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا   إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

• وعنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

• عن جندب بن سفيان البَجلى قال : أصاب حجرٌ إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَدَمِيَتْ فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ   وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

• وقد قيل لعائشة رضى الله عنها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشىء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة ، ويتمثل بقوله :

* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ *

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أَصْدَقَ كلمة قالها شاعر ، كلمةُ لَبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ *

وكاد شعر أمية بن أبى الصَّلْت [أن] يُسْلِمِ .

الباب الرابع عشر

فى ذكر ماسمع من الشعر

● عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أردفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟

قلت : بلى يارسول الله . قال : هيه . حتى أنشدته مائة بيت .

● وعن نابغة قال : أنشدتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم :

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا   وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة قال : أجل ، إن شاء الله .

ثم قلت :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَلِيمٌ إِذَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يَفْضُضِ اللهُ فاك .

● عن سعيد بن المسيب قال : قَدِمَ كعبُ بنُ زهير متنكِّراً ، حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعده .

فأتى أبا بكر ، فلما أن صلّى الصبحَ ، أتاه به وهو متلثم بعمامته .

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : رجل يبايعك على الإسلام .

فبسط يده .

فحسر عن وجهه، فقال: بأبي أنت وأمي يارسول الله، هذا مقام العائذ بك.

أنا كعب بن زهير.

فتجهمت الأنصار، وأغلظت له، لِمَا كان مِنْ ذِكْرِه للنبي صلى الله عليه وسلم، ولانَتْ له قريشٌ، وأحبُّوا إسلامَه.

فآمنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأنشده مِدْحَته التي يقول فيها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُشْفَ مَكْبُولُ

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردةً اشتراها معاوية بن أبي سفيان من آل كعب بن زهير بعده، بمال كثير.

فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين. زعم ذلك أبان.

قال المصنف: وقد أنشده جماعة، منهم العباس، وعبد الله بن رواحة، وحسّان، وضمار، وأسد بن زنيم، وعائشة، في خَلْق كثير، قد ذكرتهم في كتاب الأشعار.

* * *

الباب الخامس عشر

في صفة مشيه

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنه يتوكأ .

● عن لقيط بن صبرة عن أبيه ، أنه أتى عائشةَ هو وصاحب له يطلبان النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يجداه .

فلم يلبثا ، أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم مُتَقَلِّعاً يتكفَّأ .

● عن علي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفّأ تكفُّؤاً كأنما يتقلع(١) من صَبَب(٢) ، لم أر قبله ولا بعده ، مثله صلى الله عليه وسلم .

● [عن الحسن] عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب ، وإذا التفت ، التفتَ جميعاً ، خافضَ الطَّرْف .

نظرُه إلى الأرض ، أطوَلُ من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره ، الملاحظةُ .

يسوق أصحابه ، ويبدأ مَنْ لقيه بالسلام .

---

(١) التقلع : رفع الرجل من الأرض بهمة وقوة ، لا مع اختيال وتقارب خطا .
والتكفؤ : الميل إلى سنن المشى أى : إلى قدام ، كالسفينة فى جريها .

(٢) الصبب : ما انحدر من الأرض . ومن بمعنى فى . أى : كأنما ينزل فى موضع منحدرا . والرواية : كأنما ينحط .

• عن أبى هريرة قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فكنت إذا مشيت ، سبقنى ، وإذا هرولت سبقته ، فقلت : تُطْوَى له الأرضُ .

• عن أبى هريرة قال : ما رأيت أحداً أسرعَ فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرضُ تُطْوَى له ، إنا لنُجْهِدُ أنفسنا ، وإنه غير مُكْتَرِث .

• عن عمر بن الخطاب قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَطأ رجلاه .

• عن جابر قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَمْشون أمامَه إذا خرج ، ويدَعون ظهره للملائكة .

• عن ابن عباس قال : مشيت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم أختبره فأنظر : يكره أن أمشى وراءه ، أو يحب ذلك ؟ .

فالتمسَنى بيده ، فألحقَنى به ، فعرفت أنه يَكره ذلك .

الباب السادس عشر

فى ذكر ضحكه وتبسمه

صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة أنها قالت : ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً قط ، حتى أرى لَهَوَاته ، إنما كان يتبسم .

أخرجاه .

● عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : ما رأيت أحداً كان أكثرَ تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن صُهيب قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدَتْ نواجذه .

● عن أبى هريرة قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدَتْ أنيابه .

● عن حُصَين بن زيد الكَلْبى قال :

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ما كان إلاّ التَّبسُّم .

● عن الحسين بن على قال : سألت خالى هنداً عن صفة ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : جُلُّ ضحكه التبسم ، يَفْترُّ عن مِثْل حَبِّ الغمام .

● عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال :

أقبل أعرابىٌّ على ناقة له ، حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبى الله ، وحمزةُ بن عبد المطلب جالس فى نفر من المهاجرين والأنصار ، وفيهم النُّعَيْمَان ، فقال لِنُعَيمان :

ويحك إن ناقته سمينة ، فلو نحرتَها ، فإنا قد قَرِمْنا(١) إلى اللحم ، ولو فعلت غرَّمْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلْنا لحماً .

فقال : إنى لو فعلت ذلك وأخبرتموه ، وجَد(٢) علىَّ . قالوا : لا نفعل .

فقام فضربها فى لَبتها ، ثم انطلق .

فمرَّ بالمقداد قد حفر حفرة ، قد استخرج منها طيناً ، فقال : يا مقداد غيِّبنى فى هذه الحفرة ، وأطْبق علىَّ شيئاً ، ولا تدلَّ علىّ أحداً ، فإنى قد أحدَثت حدَثاً . ففعل .

فلما رأى الأعرابى ناقته قد نُحرت صرخ .

فخرج نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان .

قال : فأين توجَّه ؟ قالوا هاهنا .

فتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حمزة وأصحابه ، حتى أتى على المقداد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت نعيمان ؟ فصمت .

قال : لَتُخْبرَنِّى أين هو ؟ فقال : مالى به علم . وأشار بيده إلى مكانه .

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

وقال : أىْ غُدَر ، ما حملك على ما صنعت !

---

(١) قرمنا . أى : اشتدت شهوتنا إلى اللحم .
(٢) وجد على . أى غضب .

قال : والذى بعثك بالحق ، لأَمرنى به حمزةُ وأصحابه .

فأرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابىَّ وقال:

شأنكم بها . فأكلوها .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكَر صنيعه ، ضحك حتى تبدو نواجذُه .

● عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبَنى رسولُ الله صلي الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا ضَحِك .

● وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عن رجل أُخْرِجَ من النار فقيل له : تمنَّ . فيتمنَّى فيقال : هو لك ما تمنيت ، وعشرة أضعاف الدنيا . فيقول : تَسْخَر بى وأنت الملِك !

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ نواجذه .

وفى هذا أحاديث كثيرة .

● وقد روى حديث يخالف هذه الأحاديث ، عن على بن أبى طالب ، قال :

لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، أتانى ثلاثة نفر يختصمون فى غلام من امرأة وقعوا عليها جميعاً فى طُهْرٍ واحد ، كلهم يدّعى أنه ابنه .

فأقْرَعْتُ بينهم ، فألحقتُه بالذى أصابته القرعة و [جعلت] لصاحبيه ثلثى الدية .

فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله وسلم ، ذكرت له ذلك ، فضحك ، حتى ضرب برجله الأرضَ ثم قال :

(إذاً حكمتَ فيهم بحُكْمِ الله) . أو قال : لقد رضى الله حكمك فيهم .

وهذا الحديث لا يَثْبت ، فيه جماعة مُجرّحون ، ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يزيد على التبسم .

الباب السابع عشر

فى محبته الفأل والحسن من القول

• عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا عَدْوى ولا طِيَرَةَ ويعجبنى الفأل) .

قالوا : يا نبي الله : وما الفَأْل ؟ قال : (الكلمةُ الحسَنة) .

أخرجاه .

• عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم غيَّر اسم عاصية فقال : أنت جميلة .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع : يا راشد ، يا نَجيح .

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطيَّر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الاسمَ الحسن .

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمةً فأعجبته فقال : أَخَذْنا فَألَكَ مِنْ فِيك .

الباب الثامن عشر

في تغييره الاسم القبيح

● عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيّر الاسمَ القبيح إلى الاسم الحسَن .

● عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم غيَّر اسمَ عاصية فقال : أنت جميلة .

الباب التاسع عشر

في قبوله الهدية وإثابته عليها صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبل الهدية ويُثيب عليها .

● عن عائشة قالت : والله لقد كان يأتي على آل محمد شهرٌ ما كانوا يختبزون فيه . فقلت : ياأمَّ المؤمنين ، ما كان يأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : كان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً ، وكان لهم شيء من لبن ، يُهْدون منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لو أُهْدِيَ إليَّ كرَاع لقَبِلْتُ ، ولو دُعيت إلى كُرَاع لأجبتُ) .

البابُ العشرون

فى كثرة مشاورته أصحابه

● عن عائشة قالت : ما رأيت رجلًا أكثر استشارةً للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البابُ الحادى والعشرون

فى ذكر فعله فى أول مطر يقع

● عن أنس قال : مُطِرْنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحَسَرَ(١) عن رأسه حتى أصابه المطرُ ، فقلت له : لم صنعتَ هذا يارسول الله ؟ قال : (إنه حديثُ عهدٍ بربه عز وجل) .

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يكشفون رءوسهم فى أول مطرة تكون من السماء فى ذلك العام ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو أَحْدَثُ عهداً بربنا وأعظمه بركةً) .

---

(١) فحسر . أى : كشف .

الباب الثانى والعشرون

فى احتياطه فى نفى التهمة عنه

• عن صفية بنت حُيَىّ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدّثته ، ثم قمت ، فانقلبت ، فقام معى يَقْلِبُنِي (١) وكان فى مسكنها فى دار أُسامة بن زيد ، فمرّ رجلان من الأنصار .

فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسْرَعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(على رِسْلِكما ، إنها صفية بنت حُيَىّ) .

فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال :

(إن الشيطان يجرى من ابن آدم ، وإنى خشيت أن يَقْذف فى قلوبكما شراً أو شيئاً) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من نسائه .

فمرّ رجل فقال : يا فلان هذه امرأتى . فقال :

رسول الله : من كنت أظن به ، فإنى لم أكن أظن بك .

فقال : إن الشيطان يَجْرى من ابن آدم [مَجْرَى الدم](٢) .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الذى قبله .

---

(١) يقلبني : يرجعنى إلى بيتى .

(٢) من صحيح مسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى علامة رضاه وسخطه

• عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّه الأمرُ ، استنار وجهه ، كأنه دارَة القمر .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ، احمرَّ وجهه .

• عن عِمْرَان بن حُصَين قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كَرِه شيئاً عُرِف ذلك فى وجهه .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتدَّ وَجْدُه ، أكْثَرَ من مَسِّ لحيته .

الباب الرابع والعشرون

فى مخالطته للناس

● عن الحسن بن على قال : سألت خالى هندَ بن أبى هالة ، عن مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه ؟

قال : كان يَخْزَن لسانَه إلا فيما يَعْنيه ، ويؤلِّفهم ولا يُنَفِّرهم ، ويُكْرِمُ كريمَ كلِّ قوم ويُوَلِّيه عليهم ، ويَحْذَرُ الناسَ ، ويحترز منهم ، من غير أن يَطْوى عن أحدٍ بِشْرَه ولا خُلقه ، ويتفقدُ أصحابَه ، ويسأل الناسَ عما فى الناس ، ويحسِّن الحسَن ويقوِّيه ، ويقبِّح القبيح ويُوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يَغْفَل مخافةَ أنْ يغفَلوا أو يميلوا ، لكل حالٍ عنده عتاد [لا يقصِّر عن الحق ولا يَجُوزه](١) .

الذين يلونه من الناس خيارُهم ، أفضلُهم عنده أعمُّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلةً ، أحسنُهم مُوَاساة ومُؤازرة .

وكان لا يقوم ولا يجلس ، إلا على ذِكْر .

وإذا انتهى إلى قومٍ ، جَلس حيث ينتهى به المجلسُ ، ويأمر بذلك .

يعطى كلَّ جلسائه نصيبَه .

لا يَحْسب جليسُه ، أنَّ أحداً أكرم عليه [منه](١) .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من شمائل الترمذى .

مَن جالسه [أو قاومه فى حاجةٍ صابَرَه حتى يكون هو المنصرف](١) .
ومن سأله حاجةً لا يردُّه إلا بها أو بميسورٍ من القول .

قد وسع الناس بَسْطُه وخُلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا فى الحق عنده سواء .

مجلسُه ، مجلسُ حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا تُرْفَع فيه الأصوات ، ولا تؤبن(٢) فيه الحُرَم ، يتعاطفون فيه بالتقوى ، متواضعين .

يوقِّرون فيه الكبيرَ ، ويرحمون فيه الصغير ، ويُؤْثرون ذا الحاجة ، ويَحفْظون فيه الغريب .

قلت : فكيف كانت سيرته فى جلسائه ؟

فقال : كان دائم البِشْر ، سهل الُخلق ، ليِّن الجانب ، ليس بعَيَّاب ولا مَدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يوئس منه ، ولا يخيِّب مُؤمِّله(٣) .

قد ترك نفسه من ثلاث : المِرَاء والإكثار(٤) وما لا يَعنْيِه .

[وتَرك الناسَ من ثلاث ، كان لا يذم أحداً ولا يعيبه](*) ولا يطلب عورةَ أحد ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابَه ، وإذا تكلم، أطرق جلساؤه كأنما

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ٢/١٤٥ .
(٢) لا تؤبن : لا تنتهك ، ولا تعاب .
(٣) الرواية فى شمائل الترمذى : ولا يجيبه وأشار شارحها إلى رواية أخرى « ولا يخيب منه » وقال : والظاهر أنه سهو لأن الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه في هذا المقام .
(٤) الإكثار : من الكلام ، أو من الدنيا زيادة على ما يحتاجه ، وتروى : الإكبار بالباء ، أى استعظام نفسه . ومنه قوله تعالى : « فلما رأينه أكبرنه »(*) .

على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديثَ ، من تكلم عنده ، أنصتوا له حتى يَفْرغ .

[حديثُهم عنده ، حديثُ أولهم](١) .

يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجَّب مما يتعجبون به .

قد صبرَ للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى إنْ كان أصحابه يَسْتجلبونهم(٢) ، ويقول : إذا رأيتم طالبَ حاجة ، فارفدوه(٣) . ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز [فيقطعه](٤) بنَهْى أو قيام .

قال الحسن : فكتمتُها الحسينَ زماناً ، ثم حدَّثته بها ، فوجدته قد سبقنى إليه ، فسأله عما سألته عنه ، ووجدتُه سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرجه .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا أوى إلى منزله ، جزَّأ دخوله ثلاثةَ أجزاء :

جزءاً لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه .

ثم جزَّأ جُزْأه بينه وبين الناس ، فردَّ ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدَّخر عنهم منه شيئاً .

وكان مِنْ سيرته فى جزء الأمة : إيثارُ أهل الفضل على قدر فضلهم .

فمنهم ذو الحاجة والحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ٢/١٤٥ .

(٢) يستجلبونهم : يجيئون بهم إلى مجلسه ، ليستفيدوا من أسئلتهم .

(٣) فارفدوه . أى . اقضوا حاجته .

(٤) من شمائل للترمذى ٢/١٤٧ .

فيتشاغل بهم ، ويشغلهم فيما يصلحهم مِنْ مَسْألته عنهم ، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم .

ويقول : « لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبْلغونى حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه مَنْ أبْلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغَها ، ثَبَّتَ الله قدميه يوم القيامة » .

يدخلون روّادًا ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلةً على الخير .

قال المصنف : قوله : « فردّ بالخاصة » أى يعتمد على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومَه . والذواق : العلم[١] .

• عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس صدراً ، وأصدقهم حُجَّة ، وألْيَنَهم عريكةً ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهةً هابَه ، ومَنْ خالَطه معرفةً أحبَّه .

يقول ناعتُه : لم أرَ قبْلَه ولا بعده مثلَه . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الذواق : فى الأصل الطعام ، وأريد به هنا العلم ، فإنه للأرواح ، بمنزلة الطعام للأجساد .

الباب الخامس والعشرون

في يمينه إذا حلف

● عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، ومقلِّب القلوب » .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أبى ذرّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(والذى نفسى بيده ، لآنيةُ الحوض ، أكثرُ من عدد نجوم السماء وكواكِبها فى الليلة المُصْحية) .

● عن أبى هريرة قال : كان يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ، وأستغفر الله) .

الباب السادس والعشرون

فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه

• عن رافع بن خَدِيج قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال : (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك) .

• عن أبى بَرْزة قال : لما كان بأخرةٍ ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس فأراد أن يقوم قال :

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك) :

قالوا : يا رسول الله ، إنك تقول الآن كلاماً ، ما كنتَ تقوله فيما خَلَا .

قال : (هذا كفارةُ ما يكون فى المجلس) .

أبوابُ زهدِ رسولِ اللهِ

صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

الباب الأول

في إعراضه عن الدنيا

• عن عبد الله قال : نام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَصير ، فأثّر في جنبه ، فقلت : يا رسول الله ، ألا آذنْتَنا(١) فنبسط تحتك ألْيَن منه ؟ فقال : (مالي ولِلدُّنيا ، إنما مثَلي ومثل الدنيا مثل راكب سار في يوم صائف فقال(٢) تحت شجرةٍ ثم راح وتركها) .

• عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عَرض ربِّي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أجُوع يوماً وأشبع يوماً . فإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك ، وإذا جُعْتُ تضرّعت إليك ودعوتك) .

• عن عائشة قالت : اتخذتُ فراشين ، حَشْوها ليف وإذخَر ، فقال : (يا عائشة ، مالي وللدنيا ، إنما أنا والدنيا ، بمنزلة رجل نزل تحت شجرة فقال في أصلها(٣) ، حتى إذا فاء الفَيْء(٤) ارتحل فلم يرجع إليها أبداً) .

---

(١) آذنتنا . أي : أعلمتنا .
(٢) قال . أي : نام وقت القيلولة ، وهو قبيل الظهر ، ومضارعه (يقيل) .
(٣) فقال في أصلها . أي : نام قريباً من ساقها .
(٤) فاء الفيء . أي : ذهب الظل .

الباب الثانى

فى اقتناعه باليسير من الدنيا

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) .

أخرجاه .

• عن عائشة قالت : ما رفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قط عشاءً لغداء ، ولا غداء لعشاء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا من النعال ، ولا رُئِى قط فارغاً فى بيته ، إما يخصف نعلًا لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة .

الباب الثالث

فى أنه كان لا يدخر شيئاً

• عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يَدَّخر شيئاً .

الباب الرابع

فيما روى أنه كان يدخر

● عن عمر قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ، مما لم يوجِف المسلمون عليه بخيل ولا رِكاب .

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً .

وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عُدّةً فى سبيل الله .

● عن ابن عُيينة قال : قال لى مَعْمر : قال لى الثورىّ : هل سمعتَ فى الرجل يجمع لأهله قوت سنة أو بعض سنة ؟

قال معمر : فلم يَحْضرنى ، ثم ذكرت حديثاً حدّثناه الزهرى عن مالك ابن أوس ، عن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخلَ بنى النضير ، ويحبس لأهله قوتَ سنتهم .

هذا ، والأول حديث واحد ، وهو متفق عليه .

فإن قال قائل : كيف الجمع بينه وبين مارويتم أنه كان لا يدخر شيئاً لغد ؟

فالجواب : أنه كان يدّخر ليعطى أهله نفقاتهم ، ولا يدخر لنفسه .

الباب الخامس

فى ذكر نفقته

• عن زيد بن سلام قال : حدثنى عبد الله الهوازنى ، يعنى أبا عامر ، قال : لقيت بلالا مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

يا بلال ، حَدِّثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : ما كان لى شىء ، إلا أنا الذى كنت أَلِى ذلك منه منذ بعثه الله عز وجل إلى يومى هذا(١) .

فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عارياً(٢) يأمرنى ، فأستقرض الشىء وأشترى البُرْدة فأكسوه وأطعمه .

حتى اعترضنى رجل من المشركين فقال : يا بلال إن عندى سعة ، فلا تَسْتَقرض من أحد إلا منّى ففعلتُ .

فلما كان ذات يوم ، توضأت ثم قمت أؤذن ، فإذا المشرك فى عصابة من التجار .

فلما رآنى قال : يا حبشى . قلت : لبيك .

فتجهّمنى وقال قولًا غليظاً ، وقال : أتدرى كم بينك وبين الشهر ؟ فقلت : قريب .

---

(١) ابن كثير : إلى أن توفى .

(٢) ابن كثير عن البيهقى : عائلا .

فقال : إنما بينك وبينه أربع ليال ، وآخذك بالذى لى عليك ، فإنى لم أعطك الذى أعطيتك مِنْ كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، ولكن أعطيتك ، لتكون لى عبداً ، فأردّك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك .

فأخذ فى نفسى ما يأخذ فى أنْفُس الناس ، فأذّنت للصلاة .

حتى إذا صليت العتمة ، رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى أهله .

فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فقلت :

يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ! إن المشرك الذى ذكرتُ لك أنى كنت أتدَيَّن منه ، قد قال كذا وكذا ، وليس عندك ما يَقْضى عنى ولا عندى ، فهو فاضحى .

فَأْذن لى أن آتى بعض الأحياء الذين أسلموا ، حتى يرزق الله رسولَه ما يقضى عنى .

فخرجت حتى أتيت منزلى ، فحملت سيفى وِرمحى ونعلى عند رأسى ، واستقبلت بوجهى الأفقَ ، فكلما نمت انتبهت [فإذا رأيتُ علىَّ ليلًا نِمْتُ](١) حتى انشقَّ عمودُ الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق .

فإذا إنسان يسعى يدعو : يا بلال أجِبْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فانطلقت حتى أتيته ، فإذا أربع ركائب ، عليهن أحمالهن فقال لى :

أبشر فقد جاءك الله بقضائك(٢) . فحمدت الله تعالى .

فقال : ألم تمرَّ على الركائب المناخات الأربع ؟ فقلت : بلى .

قال : فإن لك رقابهن وما عليهن . فإذا عليهن كسوة وطعام ، أهداهن عظيمُ فدَك ، فانهض فاقض دينك(٣) .

(١) من ابن كثير : البداية والنهاية ٦/٥٥

(٢) ابن كثير عن البيهقى . بقضاء دينك .

(٣) ابن كثير : فاقبضهن إليك ثم اقض دينك .

قال : ففعلت ، لحطَطْت بعضَ أحمالهن ثم عقلتهن ، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح ، حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت إلى البقيع ، فجعلت إصبعى فى أذنى فناديت :

مَنْ يَطْلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بدين فَلْيَحْضُرْ .

فما زلت أبيع وأقضى ، حتى لم يَبْقَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم دَيْن فى الأرض ، حتى فضل عندى أوقيتان أو أوقية ونصف .

ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامَّةُ النهار .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده ، فسلّمت عليه فقال لى : ما فعل ما قِبلك ؟

قلت : قضى الله عز وجل كلَّ شىء كان على رسول الله ، فلم يَبْق شىء .

فقال : فضل شىء ؟ قلت : نعم . ديناران .

قال : انظر ، أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما . فلم يأتنا أحد ، فبات فى المسجد حتى أصبح ، وظل فى المسجد اليوم الثانى(١) .

حتى إذا كان آخر النهار ، جاء راكبان ، فانطلقت بهما ، فكسوتهما وأطعمتهما .

حتى إذا صلى العتمة(*) نادانى(٢) : فقال : مافعل الذى قِبلك ؟ قلت :

---

(١) يبعد أن يكون ذلك صحيحاً فإنه ليس على الرسول شىء أن يبيت فى بيته ولديه ديناران ، وقد روى أنه كان يدخر قوت سنة .

(*) العتمة . أى : العشاء .

(٢) ابن كثير : دعانى .

قد أراحك الله منه . فكبَّر وحمد الله ، شفقاً(١) من أن يُدركه الموتُ وعنده ذلك ، ثم اتبعته ، حتى جاء أزواجَه ، فسلّم على امرأة امرأة ، حتى أتى مَبِيته .

فهذا الذى سألتنى عنه .

الباب السادس

فى صفة عيشه فى الدنيا

● عن أبى حازم قال : رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً : والذى نفس أبى هريرة بيده ، ما شَبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاثة أيام تِباعا ، من خبز حنطة حتى فارق الدنيا(٢) !

● عن سِماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير [يقول : سمعت عمر بن الخطاب](٣) يخطب فذكرَ(٤) عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يظل اليوم يلتوى ، ما يجد دِقْلا(٥) يملأ به بطنه .

● عن عروة عن عائشة أنها قالت : والذى بعث محمداً بالحق ، ما رأى منخلا ، ولا أكل خبزاً منخولا ، منذ بعثه الله إلى أن قُبض .

(١) شفقا . أى : خوفاً . (٢) أخرجه أحمد ومسلم .
(٣) سقطت من الأصل ، وأثبتها من ابن كثير البداية ٦/٥٢ . والحديث رواه أبو داود . (٤) الأصل : فقال . وما أثبته من ابن كثير .
(٥) الدقل : الردىء من التمر .

قلت : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قالت : كنا نقول أفّ .

• عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثا ، لم يذوقوا طعاماً .

قالوا : يا رسول الله : إن ههنا كُدْيَة(١) من الجبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رُشُّوها بالماء . فرشوها بالماء . ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ المِعْول أو المسحاة ثم قال : بسم الله . فضربها ثلاثاً فصارت كثيباً ينهال .

قال جابر : فحانت مني التفاتةٌ ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدّ على بطنه حجراً .

أخرجاه .

• عن عروة أنه سمع عائشة تقول :

كان يمر بنا هلالٌ ، وهلال ، ما يوقَد في بيتٍ من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار .

قال : قلت : يا خالة ، فعلى أي شيء كنتم تعيشون ؟

قالت : على الأسودين ، التمر والماء .

• عن عائشة أنها قالت : يا ابن أختي ، والله إنْ كنا لننظر إلى الهلال بعد الهلال : ثلاثة أَهِلَّة ، ما يوقَد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار .

قلت : فما كان يُعيشكم في ذلك الزمان يا خالة ؟

---

(١) كدية : الأرض الصلبة اهـ مصباح .

قالت : الأسودان ، التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، نعم الجيرانُ ، كانت لهم مَنائح فيمنحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

● عن نوفل بن إياس الهُذَلى قال : أتينا بيتَ عبد الرحمن بن عوف بصحفةٍ فيها خبز ولحم ، فلما وُضِعت بكى عبدُ الرحمن ، قلت : ما يبكيك ؟

قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع وأهلُ بيته من خبز الشعير ، ولا أرى أنَّا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا !

● عن همّان بن كاهل قال : أخبرتنى عائشة قالت :

أُهديت لنا ذات ليلة ، يَدُ شاة من بيت أبى بكر ، قالت :

فوالله إنى لَأُمسكها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحزُّها ، أو يمسكها علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحزُّها .

قلت : يا أم المؤمنين على غير مصباح ؟ قالت : لو كان عندنا مصباح(١) لأكلناه ، إنْ(٢) كان لَيأتى على آل محمد الشهرُ ما يختبزون فيه خبزاً ولا يطبخون فيه بُرْمة .

● عن أنس بن مالك قال : مشيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالةٍ سَنخة(٣) ، ولقد سمعته يقول :

ما أَصْبح ولا أمْسى لآل محمد إلا صاع . وإنهن يومئذ تسعة أبيات .

---

(١) تريد الزيت الذى يوقد به .

(٢) إن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ، تقديره (إنه) .

(٣) الإهالة : كل دهن يؤتدم به ، أو يختص بدهن الشحم . والسنخة : المتغيرة الرائحة من طول المكث .

• عن أبى هريرة قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالساً ، فقلت : ما أصابك يا رسول الله ؟ قال : الجوع . فبكيتُ .

قال : « لَا تَبْكِ يا أبا هريرة ، فإن شدة الجوع لا تصيب الجائع (يعنى فى القيامة) إذا احتسب فى دار الدنيا » .

• عن أنس بن مالك قال : جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟

قالت : قرصٌ خَبَزْتُهُ ، فلم تَطِبْ نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة .

فقال : (أمَا إنه أولُ طعام دخل فَمَ أبيك منذ ثلاثة أيام) .

• عن ابن عباس قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن درعه مرهونة عند رجل يهودى ، على ثلاثين صاعاً من شعير ، أخذها رزقاً لعياله .

• عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودرعه مرهونة عند أبى شحمة اليهودى .

• عن أنس قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادمه إلى يهودى يبيع البُرَّ ، فقال : قل له يعطينا ثوبين ، حتى يجيئنا شىء فنقضيه .

فجعل يتشاغل عنى ويبايع الناسَ ، ثم التفتَ إلىَّ فقال : والله ، ما لمحمد زَرْع ولا ضرع ، فمن أين يَقْضينى ؟

فجئت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كَذَب عدو الله ، ولو أعطانى لقضيته ، وكنت خيراً له منهم .

ثم قال : لَأَنْ يَلْبس الرجلُ ثوبَه(١) (مُعلماً ، يعنى مرقوعاً) خير له من أن يأكل فى أمانته .

(١) ز : ثوباً .

أبوابُ تعبّده وطهارته

عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

الباب الأول

فى ذكر ما كان يقول إذا دخل الكنيف

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الكنيف قال : (اللهم إنى أعوذ بك من الخُبُث والخبائث)

الباب الثانى

فيما كان يقول إذا خرج

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال : (غفرانك) .

الباب الثالث

فى ابتلاع الأرض حدثه

• عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : إنى أراك تدخل الخلاء ، ثم يجىء الذى يدخل بعدك ، فلا يرى لما يخرج منك أثر .

قال : يا عائشة ، أما علمتِ أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء(١) .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الغائط ، دخلتُ على أثره ، فلا أرى شيئاً ، فذكرت ذلك له فقال : يا عائشة ، أما علمتِ أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من شىء ، إلا ابتلعته الأرض(٢) .

عن ابن عباس قال : لم يُحْدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع قط ، إلا ابتلعته الأرض .

---

(١) ليس لهذا الحديث ثبوت ، ولا دلالة تقتضى الاحتفاء به .

(٢) وهذا الحديث بعيد عن الصحة ، ومناقض لحقائق الكتاب والسنة وبديهيات العقل .

الباب الرابع

فى ذكر وضوئه وغسله

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثلاثاً بإناء يكون رطلين ، ويغتسل بالصاع .

• عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمُدّ .

الباب الخامس

فى أنه كان يتوضأ لكل صلاة

• عن عمرو بن عامر قال سمعتُ [أنساً][1] يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة . قال[2] : فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نُحْدث .

انفرد بإخراجه البخارى .

(١) من صحيح البخارى كتاب الوضوء .

(٢) البخارى : قلت . وفى الرواية اختلاف .

الباب السادس

فى جمعه الصلوات بوضوء واحد

• عن سليمان بن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح ، توضأ ومسح على خُفَّيه ، وصلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر : يا رسول الله ، إنك فعلتَ شيئاً لم تكن تفعله .

قال : (عَمْداً فعلتُه يا عمر)(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب السابع

فى مسحه على خفيه

• عن المغيرة بن شعبة قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفَره ، فقضى حاجته وتوضأ وضوءه للصلاة ، ومسح على خفيه ، ثم صلى .

أخرجاه .

(١) الرواية فى مسلم ، كتاب الوضوء ، مخالفة لما هنا : ١٦٠/١

الباب الثامن

فى ذكر سواكه

● عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُمرت بالسواك ، حتى ظننت أو خشيت ، أن سينزل علىّ فيه قرآنٌ) .

● عن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يَشُوص فاه بالسواك(١) .

الباب التاسع

فى صفة غسله

● عن ابن عباس قال : حدّثتنا ميمونة قالت صببْت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُسْلا ، فأفرغ بيمينه على يساره فغَسَلهما ، ثم غسل فرجه ، ثم مال بيده للأرض فمسحها بالتراب ، ثم غسلها ، ثم مضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ، ثم أفاض على رأسه ، ثم تنحى فغسل قدميه .

(١) قوله « يشوص الخ » يعنى : يغسل وينظف فمه بالسواك . قال فى المختار من الصحاح : الشوص : الغسل والتنظيف . وباب (قال) وهو يشوص فاه بالسواك .

ابوابِ صلاۃ

علیہ الصلاۃ والسلام

الباب الأول

فى صفة صلاته

صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته بـ (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمُك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك) .

• عن عطاء أنه كان جالساً فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو حُمَيد السَّاعدى : أنا أحْفَظكم لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيتُه إذا كَبَّر ، جعل يديه حذاء مِنكبيه .

وإذا ركع أمكنَ يديه من ركبتيه ثم صهر ظَهره .

فإذا رفع رأسه ، استوى حتى يَعود كلُّ فقار مكانه .

فإذا سجد ، وضع يديه غيرَ مُفْترش ولا قابضهما ، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القِبْلةَ .

وإذا جلس فى الركعتين ، جلس على رجله اليسرى ، ونَصَب اليمنى ، وقعد على مقعدته .

أخرجاه .

• عن أنس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويُكملها .

• عن سالم عن أبيه قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا افتتح الصلاة ، رفع يديه حتى يحاذى منكبيه ، وإذا أراد أن يركع ، وبعدما يرفع رأسه من الركوع ولا يرفع بين السجدتين .

أخرجاه .

• عن عبد الله بن القاسم قال : جلسنا إلى عبد الرحمن بن أبزى فقال : ألا أريكم صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فقلنا بلى .

فكبَّر ، ثم قرأ ، ثم ركع ، فوضع يديه على ركبتيه حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم رفع حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم سجد حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم رفع .

فصنع فى الركعة الثانية ، كما صنع فى الركعة الأولى . ثم قال : هكذا صلاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى

فى مقدار ما كان يقرأ فى الصلوات المفروضات

• عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأ فى صلاة الغداة(١) من الستين إلى المائة .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نَحْزِر قيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهر والعصر ، فحَزَرْنا قيامَه فى الركعتين الأُولَيَيْن من الظهر ، قَدْر قراءة ثلاثين آية ، وحزرنا قيامه فى الركعتين الأخريين ، قدر النصف من ذلك ، وحزرنا قيامه فى الركعتين الأوليين من العصر ، على قدر قيامه من الأخريين من الظهر ، وفى الأخريين من العصر ، على النصف من ذلك(٢) .

• عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ : « والمرسلات عُرْفا » فقالت : يا بنى ، لقد ذكَّرتَنى هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى المغرب .

• عن البراء قال : صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فقرأ بـ « التين والزيتون » .

---

(١) الغداة : الصبح .

(٢) أخرجه مسلم : ٢/٣٧

الباب الثالث

فيما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة

• عن وَرَّاد ، كاتب المغيرة قال : كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة :

اكتُبْ إليّ بما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعانى المغيرة وكتب إليه :

إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا انصرف من الصلاة قال :

(لا إله إلا الله وَحْده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيتَ ، ولا مُعْطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ) .

أخرجاه .

• عن ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [كان] إذا أراد أن ينصرف من صلاته ، استغفر ثلاث مرات ثم قال :

(اللهم أنت السّلامُ ومنك السلامُ ، تباركت يا ذا الجَلَال والإكرام) .

الباب الرابع

فى تنفله بالنهار

● عن عائشة قالت : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شىء من النوافل أشد تعَاهداً منه على ركعتى الفجر .

أخرجاه .

● عن أبى أمامة الباهلىّ قال : قال أبو أيوب الأنصارى : نزل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً ، فرأيته إذا زالت الشمس ، فلو كان فى يده عملُ الدنيا ، فَضّه ، وإن كان نائماً ، فكأنما يوقَظ له ، فيغتسل أو يتوضأ ، ثم يركع أربع ركعات ، يتمهن ويُحْسِنهن ، ويتمكن فيهن .

فسألته عن ذلك فقال : إن أبواب السماء ، وأبواب الجنان ، تفتح فى تلك الساعة ، فلا تُرْتَج(١) أبواب السماء وأبواب الجِنَان حتى تصلّى هذه الصلاة ، فأرجو أن يصعَد منّى إلى ربى فى تلك الساعة خيرٌ .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَدَع أربعاً قبل الظهر ، وركعتين قبل الفجر على كل حال .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألتُ عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التطوع ، فقالت : كان يصلى قبل الظهر أربعاً فى بيتى ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يرجع إلى بيتى ، فيصلى ركعتين .

وكان يصلى بالمسجد ، المغرب ثم يرجع إلى بيتى ، فيصلى ركعتين .

وكان يصلى بهم العشاء ، ثم يدخل بيتى ، فيصلى ركعتين .

انفرد بإخراجه مسلم(٢) .

---

(١) ترتج : تغلق .

(٢) الحديث بطوله فى مسلم ١٦٢/٢

الباب الخامس

فيما كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة : « ألم تنزيل »(١) و « هل أتى »(٢) .

أخرجاه .

الباب السادس

فى ملازمته المسجد بعد الصلاة

• عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى الغداة جلس فى مُصَلّاه حتى تطلع الشمس .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) يعنى : سورة السجدة . (٢) يعنى : سورة الإنسان .

الباب السابع

فى صلاته الضحى

● عن أبى ليلى قال : ما أخبرنى أحدٌ أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى ، غير أمِّ هانئ ، فإنها حدَّثت أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة ، فاغتسل ، وصلى ثمانى ركعات .

ما رأيته قط صلّى صلاةً أخفَّ منها ، غير أنه كان يتم الركوع والسجود .

أخرجاه .

● عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أنس بن مالك قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت رجل من أصحابه ركعتين ، فقيل لأنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى ؟ قال : ما رأيته صلّاها إلا يومئذ .

● عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتىَ نقول لا يَدَعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصلِّيها .

الباب الثامن

في ذكر صلاته بالليل

• عن مسروق قال : سألتُ عائشةَ أيُّ العمل كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : الدائمُ . قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : كان يقوم إذا سمع الصارخَ .

قال لنا ابن ناصر : الصارخُ : الديك . وأولُ ما يصيح : نصفَ الليل .

• عن حُذَيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يَشُوص فاه بالسِّواك .

أخرجاه .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلِّي ، افتتح صلاته بركعتين خفيفتين(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن خالد بن مَعْدَان قال : حدثني ربيعةُ الجُرَشي(٢) قال : سألتُ عائشةَ فقلت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من الليل ؟ وبِمَ كان يستفتح ؟

---

(١) قيل : إنهما ركعتا الوضوء ، والأظهر أنهما من جملة التهجد .

(٢) نسبة إلى بنى جرش بطن من حمير . وفى صحبته نظر . اللباب ٢٢١/١

قالت : كان يكبِّر عشرا ويحمد عشراً ، ويسبح عشراً ، ويهلِّل عشراً ، ويستغفر عشراً ويقول : (اللهم اغفر لى واهْدِنى وارزقنى) عشرا .

ويقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الضِّيق يوم الحساب) عشرا .

● عن علقمة قال : سألتُ عائشةَ : أكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخصُّ شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمَةً(١)، وأيُّكم يُطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطيق ؟!

● عن أبى سلَمَة قال : سألتُ عائشةَ عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ، فقالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعاً ، فلا تسَلْ عن حُسنهن وطُولهنّ ، ثم يصلى أربعاً ، فلا تسَلْ عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً .

فقلت : يا رسول الله ، أتنام قبل أن توتر ؟ قال : (يا عائشة إنه أرانى تنام عيناى ولا ينام قلبى) .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يصلى من الليل تسْعَ ركعات(٢) فيهن الوتر ،

---

(١) الديمة : الدائم . والديمة : مطر يدوم فى سكون ، بلا رعد وبرق .

(٢) قد اختلفت الروايات عن عائشة رضى الله عنها فى قدر قيامه صلى الله عليه وسلم قال القرطبى : وقد أشكل حديثها حتى نسب إلى الاضطراب ، وإنما يتم ذلك لو اتحد الراوى عنها والوقت .

ويجمع بين أحاديثها : بأن تكون أخبرت بإحدى عشرة من غالب أمره ، وباقى الروايات إخبار عما كان يقع منه نادراً ، وذلك بحسب الحال من ضيق الوقت واتساعه أو تطويل القراءة ، أو مرض أو نوم أو كبر سن . انظر شرح شمائل الترمذى لابن جسوس : ٢/٦٢ .

وكان يصلى ليلاً طويلا قائماً وليلا طويلا جالساً ، فإذا قرأ[١] وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا بَدِنَ وثَقُل يقرأ ما شاء الله وهو جالس .

فإذا غبر[٢] من السورة ثلاثون آية ، أو أربعون آية ، قام فقرأها ثم سجد .

أخرجاه :

● عن ابن عباس قال : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل ، يتهجّد قال :

(اللهم لك الحمدُ ، أنت نور السموات والأرض ومَن فيهنّ ، ولك الحمد ، أنت قيّم السمواتِ والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحقُّ ، ووَعْدك حَقٌّ ، ولقاؤك حق ، والجنةُ حق ، والنار حق ، والساعةُ حق ، والنبيّون حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمتُ ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، وإليك أنَبْتُ ، وبك خاصَمْتُ ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدّمت وما أخّرت ، وما أسْرَرْت وما أعلنت ، أنت المقدِّم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك) :

● عن كُرَيب أن ابن عباس أخبره ، أنه بات عند ميمونة ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى خالته ، قال :

فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأصل : اقترأ . وما أثبته عن شمائل الترمذى ٢/٦٩

(٢) غبر : بقى .

فى طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل ، أو قبْله بقليل ، أو بعده بقليل .

فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح النومَ عن وجهه بيده :

ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شَنٍّ معلقة ، فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلى .

قال ابن عباس : فقمت فصنعتُ مثلَ الذى صنع ، ثم ذهبتُ فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى ، وأخذ بأذنى اليمنى يَفْتِلها ، ثم صلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبحَ .

وفى رواية أخرى أنه قال :

(اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن شمالى نوراً ، وأمامى نوراً ، وخلفى نوراً ، واجعل لى نوراً) .

• عن صفوان بن المعطَّل قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فرمَقْتُ صلاته ليلاً ، فصلى العشاء الآخرة ثم نام .

فلما كان نصفُ الليل ، استيقظ ، فتلا الآيات العَشْر من آخر سورة آل عمران ، ثم تسوَّك ، ثم توضأ وصلى ركعتين .

فلا أدرى ، أقيامُه ، أم ركوعه ، أم سجوده ، أطْوَلُ ، ثم انصرف فنام .

ثم استيقظ فتلا الآيات ، ثم تسوَّك ، ثم توضأ ، يعنى : ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ ، ففعل ذلك ، ثم لم يفعل كما فعل أول مرة ، حتى صلّى إحدى عشرة ركعة .

● عن زيد بن خالد الجُهَنى أنه قال : لأَرْمُقَنَّ صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوسَّدتُ عتبته أو فُسْطَاطه .

فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم أَوْتَر . فذلك ثلاث عشرة ركعة .

قال المصنف : اختلفت الروايات فى عدد الركعات اللواتى كن يصلِّى بالليل ، فروى سَبْع ، وتِسْع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة .

فالظاهر أنه قد كان يَنقص ويزيد .

الباب التاسع

فى طول قيامه بالليل

• عن حذيفة قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً ، فافتتح البقرة فقلت ، يركع عند المائة ، فمضى ، فقلت : يصلى بها فى ركعة ، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، يقرأ مترسِّلا(١) ، .

إذا مرَّ بآية فيها تسبيح ، سَبَّح ، وإذا مرَّ بسؤال ، سأل ، وإذا مرَّ بتعوذ ، تعوَّذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم .

وكان ركوعه نحواً من قيامه . ثم قال : « سمع الله لمن حمده » .

ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربى الأعلى .

وكان سجوده قريباً من قيامه .

• عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فلم يزَلْ قائماً حتى هَمَمْتُ بأمرِ سُوء .

قال : ما هَمَمْتَ ؟ قال : هممتُ أن أجلس وأدَعه .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله . أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

قال : يا عائشة أفلا أكون عبداً شَكُوراً !

(١) مترسلا : يعنى بالتأنى .

• عن المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى تَرِمَ قدماه . فقيل له : أليس قد غَفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

• عن ابن عباس أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى جعل لكل نبي شَهْوة ، وإن شهوتى قيامُ هذا الليل !

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد شيئاً من وجع ، فقيل : يا رسول الله إنا نرى أثراً لوجعٍ عليك . قال :

أمَّا مع ما ترون ، قد قرأت البارحة ، السَّبْعَ الطِّوال !

• عن أنس قال : تعبَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار كالشَّن(١) البالى !

(١) الشن : القربة .

الباب العاشر

فى قيامه طول الليل بآية

• عن عائشة قالت : قام رسول الله صلي الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلةً .

• عن أبى ذر قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فقرأ بآية حتى أصبح ، يركع بها ويسجد بها :

« إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(١) .

فلمّا أصْبَح قلت : يا رسول الله ، ما زلتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحتَ ، تركع بها وتسجد بها .

قال : (إنى سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتى ، فأعطانيها ، وهى نائلةٌ — إن شاء الله — مَن لا يشرك بالله شيئاً) .

(١) سورة المائدة ١١٨ .

الباب الحادي عشر
في صفة قراءته

• عن أم هانئ قالت : كنت أسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عَرِيشي[١] .

• عن ابن أبي مُلَيكة[٢] عن أم سلمة ، قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته : « الحمد لله رب العالمين » . ثم يقف ، ثم يقول : « الرحمن الرحيم » . ثم يقف .

• عن حفصة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلى في سُبْحته[٣] قاعدا ، ويقرأ بالسورة ويرتلها ، حتى تكون أطولَ مِنْ أطول منها .

• عن يَعْلى بن مَمْلَك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته ، فقالت : ومالكم وصلاته ! كان يصلى ثم ينام قَدْر ما صلّى ، ثم يصلى قَدْرَ ما ينام ، ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يُصْبح .
ثم نعتت قراءته ، فإذا هى نعتَتْ قراءةً مُفسَّرةً ، حرفاً حرفا .

• عن ابن عباس قال : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَدْرَ ما يَسْمعه مَنْ في الحجرة ومن في البيت .

• عن أبي هريرة قال : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل يَرْفع طَوْراً ، ويَخفض طوراً .

---

(١) العريش : السرير .
(٢) ت : عن أبي مليكة .
(٣) السبحة : النافلة .

الباب الثاني عشر

في حسن صوته

• عن قَتَادة قال : ما بعث الله نبيًّا إلا حسَنَ الصَّوت ، وكان نبيُّكم حَسَن الوجه حسن الصوت .

الباب الثالث عشر

في ذكر الزمان الذي كان يختم فيه

• عن عائشة أنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لا يقرأ القرآن في أقلّ من ثلاث . [أي : ثلاثة أيام] .

الباب الرابع عشر

في دعائه قائماً إذا ختم

• عن أبي هريرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن ، دعا قائماً .

الباب الخامس عشر

فى ذكر وتره

● عن عائشة قالت : مِنْ كلِّ الليل قد أَوْتَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهى وتره إلى السَّحَر .

أخرجاه .

● عن سعيد بن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سَبِّح اسمَ ربك الأعلى » و « قل يا أيها الـكافرون » و « قل هو الله أحد ». وإذا أراد أن ينصرف من الوتر قال : سبحان الملك القدوس . (ثلاث مرات) ثم يرفع صوته فى الثالثة .

● عن أبى عبد الرحمن بن أبزى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سبح اسم ربك الأعلى » و « قل يا أيها الـكافرون » و « قل هو الله أحد » وكان إذا سلّم قال : سبحان الملِك القدوس ، سبحان الملك القُدُّوس . يطوِّل الثالثة .

● عن أبى عبد الرحمن بن أبزى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سبح اسمَ ربك الأعلى » و « قل يا أيها الـكافرون » و « قل هو الله أحد » والمعوِّذتين .

● عن عِمْران بن حُصَين ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ، يقرأ فى الأولى بـ « سبح اسمَ ربِّك الأعلى » وفى الثانية . بـ « قل يا أيها الـكافرون » وفى الثالثة بـ « قل هو الله أحد » .

● عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل ، مَثْنَى مثنى ، ويوتر بركعة . أخرجاه .

الباب السادس عشر

فيما كان يصنع إذا فاته

وِرده من الليل

• عن عائشة قالت : كان إذا شُغل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيام الليل بنوم ، أو وجع ، أو مرض ، صلّى من النهار ثِنْتَيْ عشرة ركعة .

الباب السابع عشر

في صلاته التراويح

• عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في شهر رمضان عشرين ركعة ، سوى الوتر .

الباب الثامن عشر

فى قطعه إياها خوف أن تفترض

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى رمضان ، فجئت فقمت خَلْفه ، وجاء رجل فقام إلى جنبى ، ثم جاء آخر ، حتى كنا رَهْطاً .

فلما أحسّ رسول الله صلى عليه وسلم أنّا خَلْفَه ، تجوّز فى صلاته ، ثم قام فدخل منزله ، فصلى صلاةً لم يصلِّها عندنا .

فلما أصبحنا قلنا : يا رسول الله ، أَفَطِنْتَ بنا الليلةَ ؟

قال : (نعم ، فذاك الذى حَمَلنى على الذى صنعتُ) .

● عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلةً فى جوف الليل فصلّى فى المسجد . فصلى رجالٌ بصلاته .

فأصبح الناسُ يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم .

فخرج فى الليلة الثانية ، فصلى ، فصلوا بصلاته .

فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، وكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى ، فصلَّوا بصلاته .

فلما كانت الليلة الرابعة ، عجزَ المسجدُ عن أهله ، فلم يخرج إليهم .

فطفق رجال يقولون : الصلاة . فلم يخرج إليهم ، حتى خرج لصلاة الصبح .

فلما قضى الصلاة ، أقبل على الناس فتشهّد ثم قال :

(أمّا بعد ، فإنه لم يَخفَ عَلَىّ شأنكم الليلة ، ولكنى خشيت أن تُفرَض عليكم ، فتعجزوا عنها) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّبهم فى قيام رمضان ، من غير أن يأمرهم بعزيمةِ أمرٍ فيه ، ويقول :

(من قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) .

الباب التاسع عشر

فى سجوده الشكر

• عن أبى بَكْرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الشىء مما يَسُرُّ ، خَرَّ ساجداً ، شكراً لله تعالى .

أبوابُ صَومِهٖ

صَلَّی اللہ عَلَیْہِ وَسَلَّم

الباب الأول

فى ذكر صومه من الشهر وفطره

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم إذا صام ، حتى يقول القائلُ لا يُفْطر ، ويفطر إذا أفطر ، حتى يقول القائل : لا والله لا يصوم .

● عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول : لا يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول : ما يريد أن يصوم ، وما صام شهراً متتابعاً غير رمضان ، منذ قدم المدينةَ .

أخرجاها .

● عن أنس أنه سُئل عن صوم النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

كان يصوم من الشهر ، حتى نرى أنه لا يريد أن يفطر منه ، ويفطر حتى نرى أنه لا يريد أن يصوم منه شيئاً .

وكنتَ لا تشاء أن تراه من الليل مصلّيا ، إلا رأيتَه مصلياً ، ولا نائماً ، إلا رأيته نائماً(١) .

---

(١) قال العسقلانى : وليس المراد أنه كان يستوعب الليل قائماً أو نائماً . والمعنى فى هذا التركيب على الإثبات ، لا على النفى ، والمراد . إن شئت أن تراه مصلياً رأيته كذلك ، وإن شئت أن تراه نائماً كذلك ، انظر شرح الشمائل ٨٧/٢ .

الباب الثانى

فى صومه ثلاثة أيام من كل شهر

● عن عبد الله أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من غُرة كل شهر ثلاثة أيام .

عن معاذة قالت : قلت لعائشة : أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم .

قلت : من أيِّه كان يصوم ؟ قالت : كان لا يُبالى من أيِّه صام .

عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام : الاثنين من أول الشهر ، ثم الخميس الذى يَلِيه ، ثم الخميس الذى يَليه .

الباب الثالث

فى صومه الاثنين والخميس

● عن عائشة أنها سُئلت عن صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يتحرّى الاثنين والخميس .

● عن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الأيامَ ، يَسْرُد حتى يقال لا يفطر ، ويفطر الأيام ، حتى لا يكاد يصوم ، إلا يومين من الجمعة ، إن كانا فى صيامه [وَ] إلا صامهما .

فقلت : يا رسول الله ، إنك تصوم ، حتى لا تكاد تفطر ، وتفطر ، حتى لا تكاد تصوم إلا يومين ، إن دخلا فى صيامك ، وإلا صُمْتهما .

قال : أى يومين ؟ قلت : الاثنين والخميس . قال : (ذلك يومان تُعْرَض فيهما الأعمال على رب العالمين ، فأحبُّ أن يعرض عملى وأنا صائم) .

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تُعْرَض الأعمالُ يوم الاثنين والخميس ، وأحب أن يُعْرض عملى وأنا صائم .

● عن حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم الاثنين والخميس.

الباب الرابع

فى صومه شعبان

● عن عائشة قالت : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من شهرٍ من السَّنة أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصومه كله[(١)] [أخرجاه] .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان .

● عن أسامة بن زيد قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهرٍ ما يصومه من شعبان .

فقلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر ما تصوم من شعبان ؟

قال : ذاك شهر تَغْفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرْفع فيه الأعمالُ إلى رب العالمين ، فأُحب أن يُرْفع عملى وأنا صائم .

● عن أم سلَمة قالت . ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صام شهرين متتابعين ، إلا أنه كان يَصِل شعبان برمضان .

قال الترمذى : هذا إسناد صحيح .

---

(١) فى ذلك معارضة لما روى عن عائشة وابن عباس ، أنه ماصام شهراً كاملا غير رمضان فإما أن يقال كما قال ابن عبد البر . قولها الثانى متأخرعن قولها الأول ، فأخبرت عن أول أمره بأنه كان يصوم أكثر شعبان ، وأخبرت ثانياً عن آخر أمره ، أنه كان يصومه كله .

وإما أن يقال كما قال ابن المنير : إن الكلام محمول على المبالغة ، فلا تكون « كل » للإحاطة والشمول ، كما فى قوله تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها » .

هذا والرواية فى صحيح مسلم : كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان « إلا قليلا » قال النووى : الثانى مفسر للأول . والمراد بالكل حينئذ ، المعظم . وانظر شرح الشمائل ٢/٨٩ .

الباب الخامس

فى مواصلته للصيام

• عن أنس قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل ، وذلك فى آخر الشهر ، فأخذ رجالٌ من أصحابه يواصلون ، فقال :

(ما بالُ رجالٍ يواصلون ؟ ! إنكم لستم مِثْلى ، أما والله لو مُدَّ لى الشهرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ المتعمِّقون تعمُّقَهم) .

• عن أنس قال : واصَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فواصل أُناسٌ ، فقال : (إنى لست مِثلكم . إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى) .

الباب السادس

فى ذكر ما كان يفطر عليه

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رُطَبات قبل أن يصلى ، فإن لم يكن رطبات ، فتيمرات ، فإن لم يكن تمرات ، حَسَا حَسَوَاتٍ من ماء .

الباب السابع

فيما كان يقوله إذا أفطر عند قوم

● عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال لهم : (أفطَر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرارُ ، وصَلَّت عليكم الملائكة) .

الباب الثامن

فى جده واجتهاده

فى العَشر الأخير من رمضان

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العشر الأواخر من رمضان ـ حتى توفاه الله ـ يُحيي الليلَ ، ويوقظ أهلَه ويشدُّ المِئزَر .

أخرجاه .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقى عشرٌ من رمضان ، شدَّ مِئزره ، واعتزل أهله .

الباب التاسع

في ذكر اعتكافه

في العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى .

الباب العاشر

في أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج

● عن عبد الله بن زيد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر يومَ الفطر ، لم يخرج حتى يأكل .

فإذا كان يومُ النحر ، لم يأكل حتى يذبح .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا كان يوم الفطر لم يخرج حتى يأكل تمرات ، يأكلهن أفراداً .

الباب الحادى عشر

فى حمل الحربة بين يديه يوم العيد

● كان النجاشى قد وهب للزُّبير بن العوام حَرْبَةً ، فكانت تلك الحربة تُحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأعياد .

الباب الثانى عشر

فى عدد تكبيراته فى صلاة العيد

● عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَبَّرَ فى عيدٍ ثنتى عشرة تكبيرة ، سبعاً فى الأولى ، وخمساً فى الثانية ولم يصلِّ قبلها ولا بعدها .

الباب الثالث عشر

فى مخالفته الطريق يوم العيد

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد رجع فى غير الطريق الذى خرج منه(١) .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى العيد من طريق ، ورجع فى أخرى .

(١) الرواية فى صحيح البخارى عن جابر ، قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق) ثم قال : تابعه يونس عن فليح عن أبى هريرة ، وحديث جابر أصح .

أَبْوَابُ حَجِّهِ وَعُمْرَتِهِ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

• قد حج النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة حجات ، وما حجَّ بعد الهجرة إلا مرةً ، وهى التى تسمَّى حجة الوداع .

الباب الأول

فى ذكر إحرامه

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ مِنْ قِبَل مسجد ذى الحُلَيْفة حين استوَتْ به راحلتُه .

الباب الثانى

فى ذكر تلبيته

• عن ابن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَبَّيْك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

الباب الثالث

فى دعائه يوم عرفة

● عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيرُ الدعاء يوم عرفة ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) .

● عن ابن عباس بن مِرْداس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة ، فأجيب : إنى قد غفرتُ لكم ، ما خلا الظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه .

قال : أى رب ، إن شئتَ أعطيتَ المظلوم من الخير وغفرتَ للظالم ، فلم يُجِبْه عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء ، فأجيب إلى ما سأل .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قال : تبسَّم .

فقال أبو بكر أو عمر : إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذى أضحكك ، أضحكَ الله سنَّك ؟

قال : إن عدو الله إبليس ، لمَّا علم أن الله قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى ، أخذ التراب ، فجعل يَحْثو على رأسه ويدعو بالويل والثبور ، فضحكتُ مماَّ رأيتُ من فعله(١) .

---

(١) ذكر المؤلف نفسه هذا الحديث فى « الموضوعات » وقال عنه : لا يصح ! وقد تعقبه فى ذلك ابن حجر وألف فى الرد عليه رسالة « قوة الحجاج » انظر اللآلى المصنوعة ٢/١٢٢ — ١٢٣ وشرح المواهب ٨/١٨٦

الباب الرابع
فى ذبح أضحيته بيده

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح أضحيته بيده وكبَّر عليها .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحِّى بكبشين أقرنين أملَحين ، وكان يسمِّى ويكبِّر ، ولقد رأيته يذبحهما بيده ، واضعاً على صِفَاحهما(١) قدمَه .

أخرجاه .

● عن جابر قال : ضحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملَحين أقرنين مَوْجُوءَيْن ، فقدَّم أحدهما فقال : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك ، وإليك ، عن أمتى ، وعن من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لى بالبلاغ .

ثم قدَّم الآخرَ وقال : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك وإليك ، عن محمد وآل محمد .

قال : المَوْجوء الذى قد خُصِي .

---

(١) الصفاح : جمع صفح . وهو : الجانب .

الباب الخامس

فى طوافه واستلامه الحجر

● عن ابن عباس أنه قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وجعل يستلم الحجر بمحجنه[1] ، ثم أتى السقايةَ وبنو عمه ينزعون منها ، فقال : ناولونى . فدُفع إليه الدلو فشرب . ثم قال : (لولا أن الناس يتخذونه نُسكا ويغلبونكم عليه لنزعت معكم) .

ثم خرج ، فطاف بين الصفا والمروة .

الباب السادس

فى استلامه الركن اليمانى

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الركن اليمانى ، ويضع خدَّه عليه .

(١) المحجن : عصا معوجة ، كالصولجان .

الباب السابع

فى سعيه بين الصفا والمروة

● عن حبيبة بنت أبى تَجْراة(١) ، قالت : أشرَفْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى ، فإذا هو يقول لأصحابه :

(اسعوا ، فإن الله كتب عليكم السَّعْى) .

ولقد رأيته من شدة السعى ، يدور الإزارُ حول بطنه ، حتى رأيت بياضَ إبطه وفخذه .

الباب الثامن

فى رميه الجمرة

● عن الفضل بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّى حين تُرْمى جمرة العقبة . قال : ورمى بسبع حصيات وكبَّرَ مع كل حصاة .

(١) صحابية ، روت عنها صفية بنت شيبة .

الباب التاسع

فى دخوله الكعبة

• عن ابن عباس قال : لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحية كلها ، ولم يصلّ حتى خرج منه .

فلما خرج ، ركع ركعتين فى قِبَل الكعبة وقال : هذه القبلة .

أخرجاه .

• عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، ومعه أسامة ، وبلال ، وعثمان بن أبى طلحة ، فأجافوا[1] عليهم الباب طويلا ، ثم فتح ، وكنت أول من دخل ، فلقيت بلالا فقلت : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بين العمودَيْن المقدمين .

فنسيت أن أسأله كم صلى ؟

(١) أجافوا : ردوا وأغلقوا .

الباب العاشر

فى خطبته فى حجة الوداع

● عن ابن عباس قال(١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● (يا أيها الناس ، أىُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام .

قال : أى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام .

قال : فأىُّ شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام) .

قال : (فإنَّ أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا) .

ثم أعادها مراراً ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال :

اللهم هل بلَّغْتُ ؟ ثلاث مرات ، وقال :

(لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقابَ بعض) .

● عن أبى شُريح العدَوى قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدَ من يوم الفتح ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

(إن مكة حرَّمها الله ، ولم يحرمها الناس ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرةً .

---

(١) البخارى : « عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال » .

فإنْ أحدٌ ترخّص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا :

إن الله عز وجل أَذِن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حُرمتها اليوم كحرمتها أمس . فليبلغ الشاهدُ الغائبَ) .

أخرجاه . انفرد البخارى بالذى قبله .

• عن أبى نضرة قال : حدّثنى من شهد خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فى وسط أيام التشريق ، وهو على بعير ، فقال :

(يا أيها الناس ، ألا إنّ ربكم واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا ، لا فضل لعربى على عجمى ، ألا ، لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟) .

قالوا : نعم . قال : (ليبلغ الشاهدُ الغائبَ) .

• عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع ، فقال : (اتقوا الله وصلّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أولى أمركم ، تدخلوا جنة ربكم) .

الباب الحادى عشر

فى سياقه حجته جملة

● عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قلت لجابر بن عبد الله : أخبرنى عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أُذِّن فى السنة العاشرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌّ .

فقدم المدينة بَشَرٌ كثير وكلٌّ يريد أن يأتمَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُلَيفة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القَصْواء ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرتُ إلى مَدِّ بصرى بين يديه ، بين راكب وماشٍ ، وعن يمينه ، مثل ذلك ، وعن يساره ، مثل ذلك ، ومن خلفه ، مثل ذلك .

فأهلَّ بالتوحيد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته ، حتى إذا أتينا البيت معه ، استلم الركن ، فرمَل(١) ثلاثاً ، ومشى أربعاً .

ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ : « واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى »(٢) ، فصلى ركعتين ، ثم رجع إلى الركن فاستلمه .

---

(١) رمل : أسرع .

(٢) سورة البقرة ١٢٥

ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ :

« إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَة من شَعَائِرِ الله » ابدأوا بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا ، فَرَقِيَ عليه ، حتى رأى البيت .

فاستقبل القبلة ، فوحَّدَ الله وكبره ، وقال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنجزَ وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) .

ثم نزل إلى المروة ، حتى انصبَّت قدماه فى بطن الوادى .

حتى إذا صعدنا ، مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال :

لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لم أسُقِ الهديَ ، ولجعلتها عمرة .

فقام سراقة بن مالك بن جُعْشم فقال : يا رسول الله ، ألِعامنا هذا أم للأبد ؟

قال : فشبَّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى ثم قال : دخلت العمرةُ فى الحج ، مرتين ، لا ، بل لأبد الأبد .

وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمةَ ممن حَلَّ ، ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر عليها ذلك ، فقالت : أبى أمرنى بهذا(١) .

---

(١) ف صحيح مسلم : « فكان على يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقت » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ : ماذا قلت حين فرضتَ الحجَّ ؟ قال : قلت اللهم إنى أُهِلُّ بما أهلّ به رسولك . قال : فإن معى الهدْى فلا تَحل .

وكان الذى قدم به علىٌّ من اليمن ، والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

فحلّ الناسُ كلهم وقَصَّرُوا ، إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هَدْى .

فلما كان يوم التروية ، توجهوا إلى منى ، فأهلُّوا بالحج ، فنزل(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم(٢) الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، والفجر .

ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقُبَّةٍ من شَعر فضربت له بنَمِرةَ(٣) .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تشكُّ قريشٌ إلا(٤) أنه واقفٌ عند المَشْعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهليّة .

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى عرفةَ ، فوجد القُبة قد ضُربت له بنَمرة فنزل بها .

---

(١) صحيح مسلم : وركب .
(٢) صحيح مسلم : فصلى بها .
(٣) نمرة : موضع بجنب عرفات ، وليس منها .
(٤) الأظهر فى « إلا » أنها زائدة وأن فى موضع نصب على إسقاط الجار ، أى ولا تشك قريش فى أنه . ويحتمل أن يكون الاستثناء من محذوف تقديره : ولا تشك قريش فى أنه يخالفها فى جميع المناسك إلا الوقوف عند المشعر الحرام .
انظر شرح النووى على صحيح مسلم .

حتى إذا زاغتِ الشمسُ ، أمر بالقَصْواء فرُحِّلت له .

فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس فقال :

(إن دماءكم وأموالكم ، عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا .

ألا كلُّ شىء من أمر الجاهلية ، موضوع تحت قدمى ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أولَ دم أضَعُه من دمائنا ، دَمُ ربيعة بن الحارث ، كان مُسْتَرْضَعاً فى بنى سعد فقتلَتْه ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضعه ، ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

واتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة(١) الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطِئْن فُرشكم أحداً تكرهونه ، فإنْ فعلن ذلك ، فاضربوهن ضربا غير مبرِّح ، ولهن عليكم رزقُهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركتُ فيكم ، ما إنْ تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تُسْألون عنى فما(٢) أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بَلّغت الرسالة وأديت ونصحت .

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد (ثلاث مرات) .

ثم أذَّن ثم قام ، فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

---

(١) الأصل : اتخذتموهن أمانة الله . وهو تحريف . وما أثبته من صحيح مسلم .

(٢) الأصل : ما . وما أثبته عن صحيح مسلم .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المَوْقف ، فجعل بطنَ ناقته القَصْواء إلى الصَّخْرات ، وجعل حبلَ الشاة بين يديه ، واستقبل القبلَة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصُّفْرَة قليلا حتى غاب القرص ، وأردف أسامة خلفه .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شَنق(١) لِلْقَصْواء الزمامَ ، حتى إنّ رأسها لَيصيب مَوْرِكَ(٢) رَحْله ويقول بيده اليمنى :

أيها الناس السَّكِينة السَّكِينة . كلما أتى جبلا من الجبال ، أرْخَى لها قليلا .

حتى أتَى المزدلفةَ ، فصلى بها المغربَ والعشاء ، بأذان واحد ، وإقامتين ، ولم يسبِّح بينهما شيئاً .

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حين تبيَّن له الصبحُ بأذان وإقامة .

ثم ركب القَصْواء حتى أتى المَشْعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، ودعا وكَبَّرَ ، وهلل ووَحَّد ، فلم يزل واقفاً حتى أسْفَرَ جدًّا .

فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضلَ بن عباس حتى أتى بطنَ مُحَسِّر ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرةَ التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكَبِّر مع كل حصاة

---

(١) الأصل : شرف . وما أثبته من صحيح مسلم .
وشنق : ضم وضيق يقال : شنقت البعير شنقا من باب قتل ، إذا كففته ورفعت رأسه بزمامه .

(٢) المورك : والموركة : للرفقة التى تكون عند قادمة الرحل ، يضع الراكب رجله عليها ، ليستريح من وضع رجله فى الركاب .

منها ، مثل حصى الخَذْف(١) ، رمى مِنْ بطن الوادى ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدَنة ، ثم أعطى عليًا فنحر ما غَبَر(٢) وأشرَكه فى هَدْيه ، ثم أمر من كل بدَنة ببَضْعة(٣) ، فجعلت فى قِدْر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر .

قال : فأتى بنى عبد المطلب ، وهم يَسْقون على زمزم ، فقال : (انزعوا بنى عبد المطلب ، فلولا أنْ يغلبكم الناس على سِقايتكم لنزعت معكم) فناولوه دلواً فشرب منه .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) حصى الخذف : حصى صغار بحيث يمكن أن يرمى بإصبعين . والخذف فى الأصل مصدر سمى به ، وهو الرمى بطرفى الإبهام والسبابة .
(٢) ما غبر : ما بقى .
(٣) البضعة : القطعة من اللحم .

الباب الثانى عشر

فى عدد عمره

صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حجةً واحدة ، واعتمر أربع مرات ، عمرتُه زمن الحديبية(١) ، وعمرته فى ذى الحجة(٢) من المدينة ، وعمرته من الجِعْرَانة ، حيث قسم غنائمَ حُنَين ، وعُمْرته مع حجته .

---

(١) كانت فى ذى القعدة ، سنة ست من الهجرة . قال النووى : وصدوا فيها وتحللوا ، وحسبت لهم عمرة .

(٢) الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتمر إلا فى ذى القعدة ، غير عمرته مع حجته ، ويدل لذلك ما رواه مسلم فى صحيحه ٤/٦٠ حدثنا قتادة أن أنسا رضى الله عنه أخبره أن رسول الله اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته . ثم ذكرهن ، وقد كانت تلك العمرة الثانية فى ذى القعدة من السنة السابعة وهى المعروفة بعمرة القضية . فلعل ما هنا تحريف .

أبوابُ خوفه وتضرُّعِه

وحزنه وفكره، وبكائه، وورعه
وقصر أمله، واستغفاره وتوبته

عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

الباب الأول

في ذكر خوفه وتضرعه

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يُدْخل أحدكم عملُه الجنةَ) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال : (ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفَضْل) .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم أحدٌ يُنْجِيه عمله) قالوا : ولا أنت ؟ ! قال : (ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله بمغفرة ورحمة) ووضع يدَه على رأسه صلى الله عليه وسلم .

● عن مُطرف بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولِصَدْره أزيزٌ كأزيز المرْجَل .

● عن عائشة قالت : كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت فإذا به ساجد كالثوب المطروح ، فسمعته يقول (سجَد لك سَوادي وخَيالي ، وآمنَ بك فؤادي ، ربِّ هذه يدايَ وما جنيتُ بها على نفسي ، يا عظيمًا يُرْجَى لكلِّ عظيم ، اغفر الذنب العظيم) .

ثم قال : (إن جبريل أمرني أن أقول هذه الكلمات التي سمعتِ ، فقوليهن في سجودك فإنّ من قالها ، لم يَرْفع رأسه حتى يُغْفَر له) .

● عن عائشة قالت ترخَّص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أمر ، فتنزَّهَ عنه ناسٌ من الناس ، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فغضب حتى بان الغضبُ في وجهه ، ثم قال : ما بالُ أقوامٍ يَرْغَبون عمّا أُرْخِص لي فيه ، فوالله لأَنَا أَعْلَمهم بالله وأشدُّهم خشيةً) .

الباب الثانى

فى انزعاجه للغيم والريح

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِف ذلك فى وجهه . فقلت : يارسول الله ، الناسُ إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرِف فى وجهك الكراهة؟

قال : (ياعائشة : مايُؤمننى أن يكون فيه عذاب ؟ قد عُذِّب قومٌ بالريح، وقد رأى قومُ العذابَ فقالوا : هذا عارضٌ مُمْطِرنا !) .

أخرجاه .

الباب الثالث

فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق

• عن سالم بن عبدالله ، عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوتَ الرعد والصواعق قال :

(اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تُهْلِكنا بعذابك ، وعافِنا قبلَ ذلك) .

الباب الرابع

فى ذكر خوفه وفكره

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَاصل الأحزان ، دائم الفِكْر ، ليست له راحة .

الباب الخامس

فى ذكر بكائه

قال المصنِّف : قد ذكرنا فى باب شفقته أنه سأل فى أمَّته وبكى ، فأوحى الله إليه : سأرضيك فى أمتك .

● عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ علىّ) فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك ، وعليك أُنْزِل ؟!

قال : (نعم ، إنى أُحبُّ أن أسمعه مِن غيرى) .

فقرأت سورة النساء حتى أتيتُ على هذه الآية : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » قال : (حَسْبُكَ) .

فنظرت إليه ، فإذا عيناه تَذْرِفان .

أخرجاه .

• عن مُطرِّف ، عن أبيه ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولِجَوْفِهِ أزيزٌ كأزيز المِرْجَل من البكاء !

• عن عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعُبَيْد بن عُمَيْر على عائشة ، فقال ابن عمر : حدِّثينى بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبكت ثم قالت : كلُّ أمره كان عجباً ، أتانى فى ليلتى حتى إذا دخل معى فى لحافى ، وألصق جلده بجلدى . فقال : يا عائشة ، أتأذنين لى فى عبادة ربى ؟! فقلت : إنى لأحبُّ قُرْبك وهواك .

قالت : فقام إلى قِرْبة فى البيت ، فلم يُكثِرْ صَبَّ الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ، قالت : ثم بكى ، حتى رأيت دموعه بَلَّت حُجْزته(١) ، ثم اتكأ على جنبه الأيمن ، ثم وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلّت الأرض .

فجاءه بلال يُؤذنه بالصلاة ، فرآه يبكى ، فقال : يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟!

ثم قال : ومالى لا أبكى ، وقد أنزل الله علىَّ الليلة : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ »(٢) الآيات .

ثم قال : ويلٌ لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها .

---

(١) الحجزة : معقد الإزار .
(٢) سورة آل عمران ١٩٠ .

• عن على قال : لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، يصلى ويبكى ، حتى أصْبَح . يعنى : ليلة بَدْر .

• عن أبى هريرة قال : صحبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ليلةً ، فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فبكى حتى سقط . فقرأها عشرين مرة ، كلُّ ذلك يبكى حتى يَسْقط ، ثم قال لى آخر ذلك :

(لقد خاب من لم يَرْحمه الرحمن الرحيم) !

• عن سلمة المخزومى قال : لمَّا أصيب زيدُ بن حارثة انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأته ابنته ، أجهشت فى وجهه .

فانتحب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعضُ أصحابه :

ما هذا يارسول الله ؟ !

قال : (هذا شوق الحبيب إلى حبيبه) .

• عن أنس قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَذْرفان ، وقال :

(إن العين تَدْمع ، والقلبَ يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرْضى ربنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون !) .

• عن أسامة بن زيد قال : أرسلَتْ بنتُ النبى صلى الله عليه وسلم : أن ابناً لى فى الموت . فأرسل يقول :

(إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكلُّ شىء عنده بأجل مسمًّى) .

فأرسلت تقسم عليه ليأتينَّها ، فقام ومعه رجال ، فرُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبىُّ ونَفْسه تقَعقع ، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ !

قال : (رحمةٌ جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يَرْحم مِن عباده الرحماء) .

● عن عبد الله بن عمر قال : اشتكى سعدُ بن عبادة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل وجده فى غاشية أهله ، فقال :

قد قَضى ؟ قالوا : لا . فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم !

● عن عائشة قالت : لما مات عثمان بن مَظْعون كشف النبيُّ صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه ، وقبّل بين عينيه وبكى ، ثم بكى طويلا ، ثم رفع على السرير فقال : (طوباك يا عثمان ، لم تَلْبسكَ الدنيا ولم تَلْبسها) .

● عن مَيْسرة بن مَعبد ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعُبّاد أوثان ، وكنا نقتل الأولاد ، وكانت عندى بنت وكانت مسرورة بدعائى إذا دعوتها ، فدعوتها يوماً فاتبعتنى .

فمررتُ حتى أتيت بئراً من أهلى غير بعيد ، فأخذت بيدها فواريتها(١) فى البئر ، وكان آخر عهدى بها أن تقول : يا أبتاه يا أبتاه .

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى وَكَف دَمْعُ عينيه .

فقال له رجل من جلساء رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحْزَنْتَ رسولَ الله. فقال له : كُفَّ فإنه يسأل عما أهمَّه .

قال : أعِدْ علىَّ حديثك . فأعاده ، فبكى حتى وكَف الدمعُ من عينيه على لحيته ثم قال : (إن الله قد وضَع عن الجاهلية ما عملوا فاستأنِفْ عملَك) .

---

(١) واريتها : أخفيتها .

• عن ثابت بن سَرْح قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل لى عينين هَطَّالتين ، تبكيان بذروف الدموع ، وتشفقان من خشيتك قبل أن يصير الدمعُ دماً والأضراسُ جَمْرا[١]) .

الباب السادس

فى ذكر ورعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيصيب التمرة فيقول : (لولا أنى أخشى أنها من الصدقة لأكلتها) .

أخرجاه .

• عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نائما ، فوجد تمرة تحت جنبه ، فأخذها فأكلها ، ثم جعل يتضوَّر[٢] من آخر الليل ، وفزع لذلك بعض أزواجه فقال : (إنى وجدت تمرة تحت جنبى فأكلتها فخشيت أن تكون من تمر الصدقة) .

(١) الأصل : حمرا .
(٢) قال فى المختار من الصحاح : التضور : الصياح والتلوى عند الضرب أو الجوع .

الباب السابع

فى قصر أمله

• عن أبى سعيد الخدرى قال: اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر . فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ؟ !) .

(إن أسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده ، ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرىّ لا يلتقيان حتى أُقْبَض ، ولا رفعتُ طَرْفى ، فظننت أنى واضعه حتى أُقْبَض ، ولا لقمت لقمة ، فظننت أنى لا أسيغها حتى أغصَّ بها من الموت .

ثم قال : يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعُدُّوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إن ما توعدون لآت ، وما أنتم بمُعْجزين) .

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء ، فيتمسح بالتراب ، فأقول : يا رسول الله ، إن الماء منك قريب .

فيقول : وما يدرينى ، لعلى لا أبلغه(١) .

(١) لا يصح معنى هذا الحديث ، ولا يعقل أن يكون رسول الله مناقضاً للقرآن فى قوله : « فلم تجدوا ماء فتيمموا » .

الباب الثامن

فى توبته واستغفاره

● عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(يا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم ، فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة) .

● عن ابن عمر قال : إنْ كنا لَنعـدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول : (رَب اغفر لى وتُبْ علىّ ، إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة .

● عن عائشة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضُّحا ثم قال : (اللهم اغفرلى وتُبْ علىّ، إنك أنت التواب الرحيم) حتى قالها مائة مرة .

● عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة) .

● عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه ، عن جده ، قال : جاءنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس فقال :

(ما أصبحت غداةً قط ، إلا استغفرتُ الله فيها مائة مرة) .

أبوابُ دعائه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى بسط يديه عند الدعاء

● عن ابنة الحسين قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا ابتهل ودعا ، كما يستطعم المسكينُ !

الباب الثانى

فى دعائه عند الصباح والمساء

● عن ابن عمر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى :

(اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى ، وآمن رَوْعاتى(١) .

(١) روعاتى . أى : مخاوفى . قال فى المختار من الصحاح : الروع . بفتح الراء : الفزع . والروعة : الفزعة .

والروع : بضم الراء القلب والخاطر . يقال : وقع ذلك فى روعى . أى : فى قلبى وخاطرى (بالى) وفى الحديث (إن الروح الأمين نفث فى روعى) . و «راعه» من باب « قال » فارتاع . أى : أفزعه ففزع . وروعه ترويعا خوفه تخويفا . وقولهم : لا ترع . أى : لا تخف . وراعه الشىء : أعجبه وبابه (قال) والأروع من الرجال : الذى يعجبك. انتهى بتصرف يسير .

اللهم احفظنى من بين يدىّ ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتى) قال : يعنى الخسف .

● عن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى :

(أصبحْنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم حنيفا وما كان من المشركين) .

● عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح :

(اللهم بك أَصبَحْنا وبك أَمْسَينا ، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » .

● عن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمْسَى قال : (أمسَيْنا وأمسَى المُلْكُ لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

رب أسألك خيرَ هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شرِّ ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها .

رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر .

رب أعوذ بك من عذابٍ فى النار وعذاب فى القبر) .

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثالث

فى دعائه عند الكرب

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب :

(لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم) .

الباب الرابع

فى دعائه مطلقا

● عن أبى موسى ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول هذا الدعاء :

(اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى ، وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلمُ به منى ، اللهم اغفر لى جِدِّى وهَزْلى ، وخطئى وعَمْدى ، وكلُّ ذلك عندى .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخَّرت ، وما أسررتُ وما أعلنت ، وما أنت أعلمُ به منى ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، وأنت على كل شىء قدير) .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات :

(اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ، ومن شرِّ فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المسيح الدجال ، اللهم اغسل خطاياى بماء الثلج والبَرد ، ونَقِّ قلبى من الخطايا ، كما نقَّيتَ الثوب الأبيض من الدنس ، وباعِدْ بينى وبين خطاياى ، كما باعدتَ بين المشرق والمغرب ، اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثَم(١) والمَغْرَم(٢)) .

هذا والذى قبله فى الصحيحين .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : المأثم : إذا وقع فى الإثم وهو الذنب .

(٢) المغرم : ما يلزم أداؤه والمعنى : أعوذ بك يارب أن أقع فى الذنب وأعوذ بك من غلبة الدين .

• عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(اللهم إنى أعوذ بك من العَجْز والكسل ، والجُبْن والهَرم ، والبخل وعذاب القبر ، اللهم آتِ نفسى تقواها ، وزَكِّها أنت خيرُ من زكاها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يَخْشع ، ونفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(اللهم إنى أعوذ بك من البَرص والجنون والجذام ، وشتَّى الأسقام) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول : (يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبى على دينك) .

فقلنا : يا رسول الله ، آمنا بك ، وبما جئتَ به ، فهل تخاف علينا ؟ قال :

(نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها تبارك وتعالى) .

• عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو :

(اللهم اغفر لنا ذنوبنا وظُلْمنا ، وهَزْلنا وجِدّنا وعَمْدنا ، وكلُّ ذلك عندنا .

اللهم إنى أعوذ بك من غلَبة الدَّيْن ، وغلبة العدوِّ ، وشماتة الأعداء) .

• عن عبد الله بن أبى أوْفَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول :

(اللهم طَهِّرنى بالثَّلج والبَرَد والماء البارد ، اللهم طَهِّر قلبى من الخطايا كما طهرتَ الثوب الأبيض من الدَّنس ، وباعد بينى وبين ذنوبى ، كما باعَدْت بين المشرق والمغرب .

اللهم إنى أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ، ونفسٍ لا تشبع ، ودعاء لا يُسْمَع ، وعلمٍ لا يَنفع) .

• عن أبى اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات السبع .

(اللهم إنى أعوذ بك من الهَرَم ، وأعوذ بك من التَرَدِّى[1] وأعوذ بك من الغَمِّ والغَرْق والحَرْق والهَدْم ، وأعوذ بك أن يتخبَّطنى الشيطانُ عند الموت ، وأعوذ من أن أموت فى سبيلك مُدْبِرًا ، وأعوذ بك من أن أموت لَديغاً) .

• عن قيس بن عَبَّاد قال : صَلَّى بنا عَمَّارٌ صلاةً فأَوْجَز فيها ، فأنكروا ذلك فقال : ألم أُتِمَّ الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى .

قال : أمَا إنى قد دعوت فيها بدعاء كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو به :

(اللهم بعِلْمك الغَيْب ، وقُدْرتك على الخلق ، أَحْيِنى ما علمتَ الحياة خيراً لى ، وتوفَّنى ، إذا كانت الوفاة خيراً لى ، أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمَةَ الحق فى الغضب والرضا ، والقَصْد فى الفقر والغنى ، ولذةَ النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك ، وأسألك نعيما لا يَنْفَدُ[2] ، وقُرَّةَ عين لا تنقطع ، وأعوذ بك من كل ضَرَّاء مُضِرَّة[3] وفتنة مُضِلّة ، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداةً مهتدين) .

---

(١) التردى ، معناه : السقوط فى مكروه .
(٢) لا ينفد . أى : لا يفنى ولا يزول .
(٣) ضراء مضرة . أى : شدة فيها ضرر .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو :

« ربِّ أعِنِّى ولا تُعِنْ علىَّ ، وانصرنى ولا تنصر علىَّ ، وامكُر لى ولا تمكر علىَّ ، واهدنى ويسِّر لى الهدى ، وانصرنى على من بغى علىَّ ، ربِّ اجعلنى لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك رهَّاباً ، لك مِطواعاً ، لك مُخبِتًا(١) ، لك أوَّاهًا منيباً ، ربِّ تقبَّلْ توبتى ، واغسل حَوْبتى ، وأجِبْ دعوتى ، وثبِّت حُجَّتى ، وسدِّد لسانى ، واهدِ قلبى ، واسْلُل سخيمةَ قلبى) .

• عن عروة بن نوفل قال : سألتُ عائشةَ عن شىء كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان يدعو : (اللهم إنى أعوذ بك من شرِّ ما عملتُ ومن شرِّ ما لم أعمل) .

• عن أبى هريرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم أصلح لى دِينى الذى هو عصمةُ أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعل الحياة زيادةً لى فى كل خَيْر ، واجعل الممات راحةً لى من كل شر) .

• عن عبد الله بن عمر قال : كان مِنْ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم إنى أعوذ بك مِنْ زوال نعمتك ، وتحوُّل عافيتك ، وفَجْأة نقمتك ، وجميع سخطك) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله علية وسلم يقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الهَمِّ والحزن والعَجْز والكسل والجبن والبخل وضَلَعِ الدَّيْن(٢) وغلَبة الرجال) .

• عن أبى هريرة قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مخبتاً . أى : خاشعاً . (٢) ضلع الدين . أى : ثقل الدين .

(اللهم اغفر لى ما قدَّمْتُ وما أخَّرْت ، وما أسررتُ وما أعْلَنْتُ ، وما أنت أعْلَمَ به مِنِّى ، أنت المقَدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت) .

• عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والعِلّة والذلة ، وأعوذ بك أن أَظْلِم أو أُظْلَم) .

• عن أنس قال : كان أكثرُ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم آتنا فى الدنيا حَسنةً وفى الآخرة حَسنةً ، وقِنا عذابَ النار) .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوّذُ من : (جَهْد البلاء ودَرْك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) .

ابوابُ آلاتِ بنْیَہ

علیہ الصلاۃ والسلام

الباب الأول

في ذكر سريره

● عن أنس قال : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مُضْطَجع مزمَّل(١) بشريط ، وتحت رأسه وسادة من أَدَم(٢) حَشْوها ليف .

فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر ، فانحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انحرافةً .

فلم يَرَ عمر بَيْنَ جنبيه وبين الشريط ثوباً ، وقد أثَّر الشريطُ بجنبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى عمر .

فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟

قال : والله ، ما أبكي إلا أن أكون أعلم أنك أكْرَمُ على الله مِنْ كسرى وقيصر ، وهما يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت رسولُ الله بالمكان الذى أرى .

قال : (أما(٣) ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) .

قال : بلى . قال : فإنه كذلك .

---

(١) مزمل . أى : ملفوف . (٢) أدم : جلد مدبوغ .

(٣) ت : فما .

• عن عمرو بن مهاجر : كان متاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عمر بن عبد العزيز في بيتٍ ينظر إليه كلَّ يوم .

وكان إذا اجتمعت إليه قريش ، أدخلهم ذلك البيتَ ثم استقبل ذلك المتاعَ فيقول :

هذا ميراثُ مَنْ أكرَمكم الله وأعزَّكم به .

قال : وكان سريراً مزمَّلاً بشريط ، ومِرْفَقَةً من أدم ، محشوة ليفاً ، وجَفْنة(١) وَقَدَحا وثوباً ، ورحًى وكنانةً فيها أسْهُم .

وكان في القطيفة ، أثَرُ رشح عرق رأسه أطيب من ريح المسك .

فأصيب رجلٌ ، فطلبوا أن يغسلوا بعضَ ذلك الرشح فيُسَعَّط به .

فذكر ذلك لعمر ، فسُعط به فبرأ .

البَابُ الثاني
في ذكر حصيره

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحتجر حصيراً بالليل فيصلي عليه ، ويُبْسط بالنهار فيجلس عليه للناس .

---

(١) جفنة . أي : قصعة .

الباب الثالث

فى ذكر كرسيه

• عن أبى رفاعة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على كرسى خُلْب(١) قوائمه حديدٌ(٢) .

• عن أبى رفاعة [العُذْرى](٣) قال : أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت : رجل غريب يسأل عن دينه .

فأقبل إلىّ وترك خطبته ، ثم أتى بكرسى خُلْب قوائمه حديد .

فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل يعلمنى مما علمه الله .

قال أبو عبد الرحمن فى حديثه : قال حميد : أراه رأى خشباً أسود خشبه جديد .

انفرد بإخراجه مسلم .

وقد ذكره ابن قتيبة فقال : أتى بكرسى من خُلُب . والخلب : الليف .

قال المصنف : لولا ما ذكرناه عن حميد لكان الأليق أن يكون من ليف قوائمه من جريد بالراء . والجريد : السعف .

(١) الخلب : الليف . (٢) ت : جريد . (٣) سقطت من ز .

الباب الرابع
في ذكر فراشه

● عن عائشة قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدَم ، حشوه ليف .

● عن عائشة قالت : كان ضِجَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل من أدم ، حشوه ليف .

● عن عائشة قالت : دخلت علىّ امرأةٌ من الأنصار ، فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءةً مَثْنِيّة ، فانطلقتْ فبعثت إلىّ بفراش حَشْوه صوفٌ .

فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا ؟

فقلت : إن فلانة الأنصارّية دخلتْ فرأت فراشَك فبعثت إلىّ بهذا .

قال : ردِّيه .

قالت : فلم أردَّه وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، قالت : حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال : (رُدِّيه يا عائشة ، فوالله لو شئتُ لَأَجْرَى الله علىّ جبالَ الذهب والفضة) . قالت : فردَدْته .

● عن الربيع بن زياد الحارثى ، قال : قدمْتُ على عمر بن الخطاب فى وفد العراق ، فأمر لكل رجل منا بَعباَء(١) فأرسلتْ إليه حفصة فقالت :

---

(١) العباء : كساء ، كالعباءة .

يا أمير المؤمنين إياكَ أهلَ العراق وجوه الناس ، فأحسنْ كرامتهم .

فقال : ما أزيدهم على العباء يا حفصة ، أخبريني بألين فراشٍ فرشتِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : كان لنا كساء من هذه اللبدة ، أصبناه يومَ خيبر ، فكنت أفرشه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ ليلة ، إلا أني ربَّعته ليلةً فقال :

يا حفصة أعيديه لمرّته الأولى ، فإنها منعتْني وَطْأَتُه البارحةَ من الصلاة .

فأرسل عمر عينيه بالبكاء ، وقال : والله لا أزيدهم على العباء !

● عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : سألتُ عائشةَ ما كان فراشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : مِسْحٌ(١) نَثْنيه ثَنْيتين فينام عليه .

فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثَنَيْتُه أربع ثنيات كان أوْطأَ له . فثنيناه أربع ثنيات [فلما أصبح قال : ما فرشتم لي الليلة ؟ قالت : قلنا هو فراشُك ، إلاّ أنّا ثَنَيْناه بأربع ثنيات](٢) قلنا هو : أوْطأُ لك .

قال : ردُّوه لحالته الأولى ، فإنه منعني وطأتُه صلاتي(٣) الليلة .

---

(١) المسح : كساء من شعر .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من شمائل الترمذى .

(٣) ت : صلاة الليلة .

الباب الخامس

فى ذكر اللحاف

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعليه طرف اللحاف ، وعلى عائشة طرفه .

• عن ابن عباس قال : تضيَّفْتُ ميمونةَ وهى خالتى ، فجاءت بكساء فطرحته وفرشَتْه للنبى صلى الله عليه وسلم .

ثم جاءت ميمونةُ بخرقة ، فطرحتها عند رأس الفراش .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد صلّى العشاء الآخرة .

فانتهى إلى الفراش ، فأخذ الخرقة التى عند رأس الفراش ، فاتّزَر بها ، وخلع ثوبيه فعلقهما ثم دخل معها فى لحافها .

الباب السادس

فى ذكر وسادته

● عن أنس قال : دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وتحت رأسه وسادة من أَدَم ، حَشْوها لِيفٌ .

● عن عمر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو على حصير قد أثّر فى جنبه ، وإذا تحت رأسه مِرْفَقة(١) من أدم حشوها ليف .

الباب السابع

فى اتكائه على الوسادة

● عن جابر بن سَمرة قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة على يساره .

● عن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة فيها صُور .

---

(١) مرفقة . معناها هنا : المخدة .

الباب الثامن

فى ذكر قطيفته

• عن أنس قال : حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ(١) وقطيفةٍ لا تساوى أربعة دراهم !

الباب التاسع

فى ذكر قبته

• عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو فى قُبَّة من أَدَم .

(١) رث . أى : بالٍ .

أبواب لباسه

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى ذكر قميصه

• عن أم سلمة قالت : كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص .

• عن أنس بن مالك قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميص قُطْنيٌّ ، قصير الطول ، قصير الكُمَّين .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس قميصاً فوق الكعبين ، مستوى الكُمَّين ، بأطراف أصابعه .

• عن ابن عمر قال : ما اتُّخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميص له زِرٌّ .

• عن عائشة قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان خشنان غليظان ، فقلت : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين خشنان غليظان ، تَرْشح فيهما ، فيثقلان عليك .

• عن قتادة قال : سألتُ أنسًا : أىُّ اللباسِ كان أعجبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحِبَرة(١) .

• عن قتادة قالت : قلت لأنس : أىُّ اللباس كان أعجبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال الحبَرة . أخرجاه.

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : والحبرة كالعنبة (أى : على وزنها) بُرْدٌ يمانى . والجمع (حِبَر) على وزن (عنب) وحبرات بفتح الباء .

الباب الثانى

فى ذكر جبته

● عن المغيرة بن شعبة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، غسَل وجهه، ثم ذهب يَحْسِر(١) عن ذراعيه ، وعليه جُبَّه شامية ، ضيّقة الكُمَّين ، فأخرج يده من تحتها .

● عن يزيد بن هارون قال : أخرجت لنا أسماء ، جبَّةً مَزرورةً بالديباج. فقالت : فى هذه كان يَلْقى رسول الله صلى الله عليه وسلم العدوّ .

● عن دِحْية الكلبى أنه أهْدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم جبَّة من الشام وخفين ، فلبسهما حتى تخرقا .

● عن سهل بن سعد قال : خِيطت لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم جبَّة من صوف أَنْمار فلبسها ، فما أُعجبَ بثوبٍ ، ما أُعجب بها .

فجعل يمسُّها بيده ويقول : انظروا ما أحسنها .

وفى القوم أعرابى فقال : يارسول الله ، هَبْها لى . فخلعها ، فدفعها فى يده !

(١) يحسر . أى يكشف . والمراد هنا : يشمر .

الباب الثالث

فى ذكر إزاره وكسائه

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فى خميصة لها أعلام . فنظر إلى أعلامها نظرةً ، فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جَهْم وائتونى ، بأَنبجانيَّة أبى جهم ، فإنها أَلْهَتْنى عن صلاتى .

الخميصة : رداء من صوف ذو عَلَمين . والأَنْبجانِيَّة : كساء من الصوف غليظ ، له خَمل ، وليس له عَلَم .

• عن أبى بُرْدة قال : أخرجَتْ لنا عائشة كساءً مُلَبَّداً ، وإزاراً غليظا ، فقالت : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين .

• عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة إلى المسجد وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل(١) من شعر أسود .

• عن سلمه بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم عثمانَ إلى مكة ، فأجاره أبان بن سعد ، فقال : يا ابن عَمِّ ألا أراك متخشِّعاً ؟ أسْبِلْ كما يُسْبِل قومُك . قال : هكذا يَتَّزِرُ صاحبُنا ، إلى نصف ساقيه .

(١) المرط : كساء من صوف أو خز . والمرحل : الذى فيه صور الرحال .
قال فى القاموس : « وكمعظم : برد فيه تصاوير رحل . وتفسير الجوهرى إياه بإزاء خز فيه علم ، غير جيد ، إنما ذلك تفسير للمرجل » .
وقال النووى : « الذى رواه الجمهور وضبطه المتقنون ، بالحاء المهملة ، أى عليه صور رحال الإبل . ولا بأس بهذه الصور ، وإنما يحرم تصوير الحيوان » .
وقال الخطابى : المرحل الذى فيه خطوط . وانظر شرح المواهب ٥/٢٥ .

• عن الأشعث بن سليم قال : سمعت عمتي(١) تحدث عن عمّها قال : بَيْنا أنا أمشي إذا إنسان خلفي يقول : ارفع إزارك ، فإنه أنْقَى وأبْقَى. فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : يا رسول الله إنما هي بُرْدة مَلْحاء(٢) . قال : أما لك فيّ أسوة ؟ فنظرتُ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه .

الباب الرابع

في ذكر حلته

• عن عبد الله بن الحارث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم اشترى حُلة بسبع وعشرين ناقة فلبسها .

• عن جابر بن عبد الله قال : مارأيت أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُلة حمراء .

(١) الأصل : أمي ، وما أثبته من شمائل الترمذي ١٣٩/٠ .

(٢) الملحاء : التي فيها خطوط سواد وبياض .

الباب الخامس

في ذكر بردته

● عن سليم بن جابر قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه ، وإذا هو مُحْتَبٍ بِبُرْدة قد وقع هدبُها على قدميه .

● عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس بردةً سوداء فقالت عائشة: ما أحْسَنها عليك ، يَشُوب بياضُك سوادَها ، وسوادُها بياضَك !

● عن أنس قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نجْرانيٌّ غليظ الحاشية .

● عن جابر بن عبد الله قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم بُرْدٌ أحمر يلبسه في العيدين .

● عن أبي رِمْثَة قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدان أخضران .

الباب السادس

في ذكر عمامته

• عن جابر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

• عن خالد الحَذَّاء قال : أخبرني أبو عبد السلام قال : قلت لابن عمر : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْتَمّ ؟ قال : يُدِير كَوْرَ(١) العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه ، ويُرْخى لها ذؤابةً بين كتفيه .

• عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا اعتمّ سَدَل عمامته بين كتفيه . قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك .

(١) الكور : لوث العمامة على الرأس .

الباب السابع

فى ذكر قلنسوته

• عن ابن عمر قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوةً بيضاء .

• عن أبى هريرة قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنسوةً بيضاء شامية .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس من القلانس فى السفَر ذوات الآذان ، وفى الحضر ، المشمّرة . يعنى الشامية .

• عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس بيضاء مِضْرّية(١) وقلنسوة بُرْد حَبِرة ، وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السَّفَر .

• عن عبد الله بن بُسْر قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله قلنسوة مصرّية ، وقلنسوة لها آذان ، وقلنسوة شامية .

---

(١) ت : مصروية .

الباب الثامن

فى ذكر ردائه

● عن عروة بن الزبير قال : كان طولُ رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعين ونصف ، وكان له ثوب أخضر يلبسه للوفود إذا قدموا عليه .

● عن عروة أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه إلى الوفد رداء وثوب أخضر ، طولهأربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء اليوم ، قد كان خَلِقَ وطُرِّف بثوبٍ يلبسونه يوم الفطر ويوم الأضحى .

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قام يوماً حتى بلغ وسط المسجد ، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه من ورائه ، وكان رداء خشناً فحمَّر رقبته .

● عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران ، ورداء وعمامة .

● عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، أن النجاشى كتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم : إنى قد زوّجتك امرأةً من قومك وهى على دينك : أم حَبيبة بنت أبى سفيان ، وأهديتُ لك هديةً جامعة : قميصاً وسراويلَ وعِطافاً وخُفّين ساذَجين .

فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما .

قال سليمان : قلت للهيثم : ما العِطَاف ؟ قال : الطيلسان .

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر القِناع(١) كأن ثوبه ثوبُ زيَّات .

الباب التاسع

فى ذكر سراويله

● عن قيس قال : جلبت أنا ومخرمة العبدى بَزًّا من هجر إلى مكة . فأتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل ، وثَمَّ وَزَّانٌ يَزِن بالأجر ، فقال : إذا وزَنتَ فأرجح .

---

(١) القناع : خرقة تلقى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن . واختلف فى المراد بهذا الثوب . فقيل : إن المراد به ما جاور عنقه لنظافته من القميص والرداء . وقيل المراد بالثوب : القناع نفسه لأن المناسب ألا يكون ثوبه كثوب زيات .

وقال بعضهم : الربيع بن صبيح ، أحد رواة هذا الحديث ، كان عابداً ولم يكن الحديث من صناعته فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، كما قال ابن حبان ؛ ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث . « كأن ثوبه ثوب زيات » فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوباً وأحسنهم هيئة ، وأجملهم سمتاً . انظر شرح الشمائل ٢/٥٦ .

الباب العاشر

فى لبسه الصوف صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال: لبس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصوف، واحتذى المخصوفَ، ولبس خَشنا، وأكل شِبْعاً. فسألنا الحسن: ما الشبع؟ قال غليظُ الشعير، ما كان يسيغه إلا بجرعة ماء!

• عن أبى أيوب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف، ويخصف النعلَ، ويرقع القميص، ويركب الحمار ويقول: (من رغب عن سنّتى فليس منى).

• عن أنس بن مالك قال: لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم جبّة من صوف ثلاثة أيام، فلما عرق، وجد منها ريحاً كرهها، فرمى بها.

الباب الحادى عشر

فى لبسه ما يتفق من اللباس

• عن جليس بن أيوب قال: دخل الصّلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبّة صوف وإزار صوف، فاشمأزّ منه محمد وقال:

أظن أن أقواماً يَلْبَسون الصوف، يقولون. قد لَبسه عيسى بن مريم. وقد حدّثنى من لا أتّهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والقطن واليمنية، وسُنَّةُ نبيِّنا أحقُّ أن تُتّبع.

البابُ الثانى عشر

فى وقت لبسه الثوب المستجد

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجدَّ ثوباً ، لبسه يومَ الجمعة .

البابُ الثالث عشر

فيما كان يقوله عند اللبس

● عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا استجدَّ ثوباً سمَّاه باسمه : عمامةً ، أو قميصاً ، أو رداءً ، يقول :

(اللهم لك الحمدُ كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخيرَ ما صُنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له) .

البابُ الرابع عشر

فى ذكر خفه

● عن ابن بُرَيدة عن أبيه ، أن النجاشى أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين ، فلبسهما ومسح عليهما وصلى .

الباب الخامس عشر

فى ذكر نعله

• عن أنس قال كانت نعلا النبى صلى الله عليه وسلم لهما قبالان . والقِبَالُ : زمام النعل .

• عن مطرف بن عبد الله الشخِّير قال : أخبرنى أعرابى لنا قال : رأيتُ نعلَ نبيكم صلى الله عليه وسلم مخصوفة .

• عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعلان لهما زِمامان .

• عن عُبَيد بن جُرَيج أنه قال لعبد الله بن عمر :

رأيتك تلبس النعال السِّبتيَّة(١) . قال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السِّبتية(٢) التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها .

• عن أبى ذر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعلين مَخصوفَين من جلود البقر .

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس نعليه بدأ باليمنى ، وإذا خلع خلع اليسرى .

---

(١) السبتية : نسبة إلى السبت ، بكسر السين ، وهو جلود البقر وكل جلد مدبوغ

(٢) البخارى : يلبس النعال التى ليس الخ .

أبواب ذكر مراكبه

عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

الباب الأول

فى ذكر خيله

● عن أنس قال : لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء ، من الخيل .

● عن أبى هريرة قال : كان أحبَّ الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَشْقَر الارْثَم الأَقْدح(١) المُحَجَّل فى الشق الأيمن .

● عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال له المرْتجز .

● قال المصنف : أولُ فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسٌ يقال له السَّكْب(٢) ، وكان له المُرْتجز(٣) ، وهو الفرس الذى اشتراه من الأعرابى وشهد فيه خزيمة بن ثابت ، وفرس يقال له اللِّزاز(٤) ، وفرس يقال له الطِّرف(٥) وفرس يقال له الورْد ، وفرس يقال له النَّحيف .

وبعضهم يقول : اللَّحيف . وبعضُ العلماء يسمَّى بعضَ خيله : اليَعْسُوب .

---

(١) الأرثم من الخيل : الذى فى أنفه بياض . والأقدح : الضامر .

(٢) يقال : فرس سكب أى : كثير الجرى ، كأنما يصب جريه صبا .

(٣) سمى به لحسن صوته . المواهب ٣/٣٨٤

(٤) سمى به لشدة تلززه ، أو لاجتماع خلقه .

(٥) الطرف . الكريم الطرفين .

الباب الثانى

فى ذكر ناقته

• عن أنس قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العَضْباء ، وكانت لا تُسْبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال : مالكم ؟ قالوا : سُبقت العضباء .

فقال : (إنه حقٌّ على الله عز وجل أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلاّ وضَعه) !

• عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القَصْواء .

• عن معاذ قال : كنت رَدِيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل أحمر .

• عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلَّف عثمان على بنته وكانت مريضة وخلَّف أسامة ، فبينما هم ، إذ سمعوا ضَجَّة التكبير ، فجاء زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجَدْعاء وهو يقول : قُتل فلان وأُسِر فلان .

واعلم أن القَصْواء ، هى العَضباء ، وهى الجَدْعاء .

• قال سعيد بن المسيَّب : كان فى طرف أذنها جَدع .

والجدعاء : التى استؤصلت أذنها . والمقصوّة : التى قُطع بعضُ أذنها .

وحكى لنا شيخنا ابن ناصر ، عن ثعلب ، أنه قال : هذه أسماء لناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن جَدْعاء ، ولا مَقْصوّة .

الباب الثالث

فى ذكر بغلته

● عن العباس بن عبد المطلب قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فلم يثبت معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، فلم نفارقه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء ، أهداها له فَرْوة ابن نفاثة .

● عن الأصبغ بن نباتة قال : لما قتل عليٌّ أهل النهروان ، ركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الشهباء .

قال المصنف : كانت بغلته تسمى الشهباء وتسمى الدُّلدُل .

الباب الرابع

فى ذكر حماره

● عن معاذ قال : كنت رِدْف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير .

● عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار ، عليه إكاف .

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ويوم النضير ، على حمار عليه إكافٌ مَخْطوم بحبْل من ليف .

الباب الخامس

فى ذكر سرجه

● عن أبى عبد الرحمن الفهرى قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فى يوم صائف شديد الحر ، فقال : يا بلال : أسْرج لى فرسى . فأخرج سرجا رقيقا من لبد ، ليس فيه أشَر ولا بَطر .

الباب السادس

فيما كان يقوله إذا ركب

● عن على بن ربيعة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بدابّـة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : « بسم الله » .

فلما استوى عليها قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » ثم حمد الله ثلاثا وكبّر ثلاثا ، ثم قال :

(سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمتُ نفسى فاغفر لى) . ثم ضحك .

فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال :

(يَعجب الربُّ من عبده إذا قال : اغفر لى . ويقول :

« علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى) .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

الباب السابع

فى صفة سيره

● عن هشام قال : سئل أسامة عن سَيْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : فقال : كان سـيره العَنَق ، فإذا وجد فجوةً نَصّ . والنَّصُّ فوقَ العنق(١) . والفَجْوة : المتسع .

(١) العنق . بفتح العين والنون : ضرب من السير فسيح سريع و « النص » منتهى ما تستطيعه الدابة من السرعة .

والمعنى : حث الدابة واستخراج منتهى ما عندها من سرعة السير .

أبواب ذكر مواليه وخدمه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

في ذكر مواليه

• أسْلَمَ ، ويكنى أبا رافع . أحمر ، ويكنى أبا عَسيب . أسامة بن زيد . أفْلَح . أَنسة . أيمن . ثوْبان . ذَكْوان ، ويقال : هو مهران ، ويقال : طهْمان . رافع . رَباح . زيد بن حارثة . زيد بن بَوْلَى . سابق . سالم . سلمان الفارسي . سليم ، ويكنى : أبا كبشة الدّوسي . سعيد أبو كنديد . شُقْرَان ، واسمه صالح . ضُمَيرة بن أبي ضميرة . عبد الله بن أَسْلَمَ . عبيد ابن عبد الغفار . فَضالة اليماني . كَيْسَان . مهران ، أبو عبد الرحمن ، وهو سَفِينة في قول إبراهيم الحربي . وقال غيره : اسم سَفِينَة : رومان . مِدْعَم . نافع . نُفَيع ، ويكنى : أبا بَكْرة . نبيه . واقد . وردَان . هشام . يَسَار . أبو أثيلة . أبو الحمراء . أبو رافع والد البهي(١) . أبو السّمح . أبو ضَمْرة . أبو عبيد واسمه سعد ، وقيل : عبيد . أبو مُوَيْهِبَة وهو من مُزَينة . أبو واقد . كركرة . مابُور(٢) . أبو لبابة . أبو لقيط . أبو هند مُولدى .

---

(١) ابن كثير ويقال له أبو البهي . البداية ٥/٣١٤

(٢) مابور : القبطي ، وهو من جملة من أهداه المقوقس إلى رسول الله .

الباب الثاني

في ذكر مولياته

أم أيمن واسمها بركة . أميمة . خضرة . رَضْوى . ريحانة . سَلْمى . مارية . ميمونة بنت سعد . ميمونة بنت أبي عَسِيب . أم ضُميرة . أم عيَّاش .

الباب الثالث

في ذكر من خدمه من الأحرار

قد خدمه من الأحرار جماعة منهم ابن مسعود .

• عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عبد الله يُلْبِسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ثم يمشي أمامه ، حتى إذا أتى مجلسه ، نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا ، فإذا أراد أن يقوم ، ألْبَسه نعليه ، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة .

قال المصنف : وقد كان بلال يخدمه كثيراً ، وكان خازنَه على بيت ماله . وخَدمه المغيرةُ ، وخَلْقٌ كثير من الصحابة ، وكان من أخصِّهم بخدمته ، أنس بن مالك . وقد خدمه بعض اليهود .

• عن أنس بن مالك قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى ذكر خاتمه

صلى الله عليه وسلم

• عن أنس أنه أبصر فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من وَرِق[١] يوماً واحداً ، فصنع الناسُ خواتيم من ورق .

فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم .

أخرجاه .

• عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ خاتما فلبسه ثم قال : (شَغلنِى هذا عنكم منذ اليوم ، إليه نظرةٌ وإليكم نظرة !) ثم رمى به .

• عن ابن عمر قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاتم . فكان يجعل فصَّه فى باطن يده . قال :

فطرحه ذات يوم ، فطرح الناسُ خواتيمهم ، ثم اتَّخذ خاتماً من فضة ، فكان يَخْتِم به ولا يلبسه .

• عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتَّخذ خاتما من فضة ونقش عليه[٢] : « محمد رسول الله » وقال :

---

(١) ورق . بكسر الراء . أى : فضة .

(٢) البخارى : فيه .

(إنى اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه : محمد رسول الله . فلا تنقشوا عليه)[١] . أخرجاه .

• عن أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة فَصُّه منه .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق ، وكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم كان فى يد عمر ، ثم كان فى يد عثمان ، نَقْشُه ، محمد رسول الله .

زاد مسلم : ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أَرِيس[٢] .

أخرجاه .

• عن أنس بن مالك قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من ورق ، وكان فَصُّه حبشيًا .

• عن أنس قال : كان نَقْش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « محمد » سطر ، و « رسول » سطر ، و « الله » سطر .

---

(١) البخارى : فلا ينقشن أحد على نقشه .

(٢) بل فى البخارى أيضاً : « ثم كان بعد فى يد عثمان ، حتى وقع بعد فى بئر أريس » البخارى ٢/١١٤

فصل

واختلفت الرواية : هل كان يلبسه فى يمينه أو فى يساره ؟

● عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه .

محمد بن عباد ضعيف وابن ميمون ليس بشىء .

قال البخارى : هو ذاهب الحديث .

واليسار أصح .

● عن أنس قال : كأنى أنظر إلى وَبيص[1] خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اليسرى وهو يَخْطبنا .

● عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر والحسن والحسين ، كلهم يتختَّمون فى اليسار .

(١) الوبيص : البريق .

الباب الثانى

فى ذكر خضابه

● عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهب قال : دخلنا على أم سلمة ، فأخرجت إلينا شَعَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً بالحنّاء والكَتَم (١) .

● عن أبى رِمْثة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكَتَم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .

● عن عائشة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحِنّاء والكَتَم ويقول : (غيِّروا ، فإن اليهود لا تغيِّر) .

وقد روى عنه أنه اختضب بالحناء وحده .

● عن أبى رِمْثَة قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فرأيته قد خضَب لحيته بالحناء .

وروى أنه اخْتَضب بالصُّفْرة .

● عن عبيدالله بن جُرَيج أنه قال لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، رأيتك تصبغ بالصفرة . فقال :

إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، فأنا أحبُّ أن أصبغ بها . أخرجاه .

---

(١) الكتم : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصفِّر لحيته بالوَرْس والزعفران .

• عن عائشة قالت : كان أكثر شيبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرأس ، فى فَوْدَى رأسه . (والفَوْدان : حَرْفا الفَرْق) .

وكان أكثر شيبة فى لحيته حول الذقن ، وكان شيبة ، كأنه خيوط الفضة ، يتلألأ بين سواد الشعر .

وإذا مسَّه بصُفْرة — وكان كثيراً ما يفعل ذلك — صار كأنه خيوط الذهب .

فإن قيل : فما وجه الاختلاف ؟

قلنا : قد كان يخضب بهذا تارة ، وبهذا تارة .

فإن قيل : قد روى أنه لم يَخْضب :

• عن ثابت قال : سئل أنس عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يَخْضب .

• عن زياد مولى سعد قال : سألت سعد بن أبى وقاص :

هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ولاهَمَّ به ، كان شَيْبُه فى عنفَقته وناصيته ، لو أشاء أن أعدَّها عددتها .

• عن بشير مولى المازنيين قال : سألت جابر بن عبد الله : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . ما كان شَيْبُه يحتاج إلى خضاب ، كان وضَحاً فى عنفقته وناصيته ، لو أراد أن نُحْصِيَها أَحْصَيناها(١) .

---

(١) ت : أن نخضبها أخضبناها . وهو تحريف .

فالجواب : أمّا حديثُ أنس فجوابه من وجهين :

أحدها : أنه قد اختلفت الرواية عنه .

• عن أنس قال : رأيت شَعْرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا .

• عن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال : سألت أنس بن مالك :

هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَضَب ؟ قال : ما أرى . قلت : فإنه كان عندنا من شَعْره . شَعْرٌ فيه صُفرة .

قال أنس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسُّه بصُفْرة .

• والثانى : أن قوله : (ما أَرى) إخبار عن ظن .

وقوله : (لم يخضب) شهادة على نَفْىٍ .

وقد قطع غيره من الصحابة ، مثل ابن عمر ، وأبى رِمْثة ، وعبد الله ابن زيد ، صاحب الأذان ، على أنه خضب ، والإثبات مُقَدّم على النَفْىِ .

وهذا جواب أحمد بن حنبل ، حين قيل له : إن أنساً يقول : لم يخضب .

• وأما حديث سعد وجابر : فراويهما ، الواقدىُّ ، وقد كذّبه أحمد .

وقال يحيى : ليس بثقة . وقال أبو زُرْعة : كان يضع الحديث .

ثم شهادتهما على نَفْىٍ ، والإثبات مقدّم .

الباب الثالث

في استعماله المشط

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُكثر تسريحَ لحيته ورأسه بالماء .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضْجعه من الليل ، وضع له سِوا كه وطَهُوره ومشطه .

فإذا أهبَّه الله(١) من الليل ، استاك وتوضأ وامتشط .

الباب الرابع

في فرق رأسه صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : كان أهل الكتاب يَسْدلون(٢) شعورهم .

وكان المشركون يَفْرقون شعورهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحبُّ موافقة أهلِ الكتاب فيما لم يُؤْمر به .

فسَدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ناصيته(٣) ثم فرَق بعدُ .

(١) أهبه . أى : أيقظه من نومه . (٢) يسدلون . أى يرخون ويرسلون .

(٣) ناصيته . أى : مقدم شعر رأسه .

الباب الخامس

في استعماله الدهن

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دَهْن رأسه ويسرح لحيته .

الباب السادس

في ذكر المرآة

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر وجهه في المرآة قال :

(الحمد لله الذى حَسَّن خَلقى وخُلقى ، وزان منى ما شانَ(١) من غيرى)

● عن أنس قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا نظر وجهه في المرآة قال : الحمد لله الذى سوَّى خَلْقى فعدله ، وكرَّم صورة وجهى وحسَّنها وجعلنى من المسلمين) .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر في المرآة قال : (اللهم كما أحْسَنت خَلْقى فحسِّن خُلقى) .

---

(١) قوله : وزان . أى : حسَّن . و (شان) أى : قبح . والمعنى : حسَّن من خَلقى ما قبح من غيرى .

• عن عائشة قالت : كنت أزوِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاةٍ له ، أُزوده دُهْناً ، ومشطا ، ومرآةً ومقصين ، ومكحلة ، وسوا كا .

• عن عائشة قالت : سَبْعٌ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركهن فى سفر ولا حضر : القارورة ، والمشط ، والمرآة ، والمكحلة ، والسواك ، والمقصان ، وَالمِدْرى .

الباب السابع

فى أخذه من اللحية

• عن عمرو بن شعيب ، عن جده قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من طول لحيته وعرضها .

الباب الثامن

فى جز شاربه

• عن ابن عباس قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجزُّ شاربه .

• عن أبى عبد الله الأغرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص شاربه ، ويأخذ من أظفاره ، قبل أن يروح إلى الجمعة .

الباب التاسع

فى استعمال النورة

● عن أم سلمة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اطَّلى ، وَلِي عانتَه .

● عن حبيب بن أبى ثابت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينوِّر(١) ما أَقْبَل منه ، ويُنَوِّر أهله سائر جسده .

● عن أبى مَعْشر أن النبى صلى الله عليه وسلم نوَّره بعضُ أهله ، ونوَّر هو عورته بيده .

● عن زياد بن كليب ، أن رجلا نوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغَ مَراقَّه(٢) كَفَّ الرجُل ، ونوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه .

● عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينوِّر ، فإذا كثر شعره حَلَقه .

والكلام فى هذا ، مثل الكلام فى الخِضاب .

(١) النورة : هناه يطلى به الجسم. والعامة فى مصر يسمونها : بودرة لإزالة الشعر.
(٢) المراق : ما لان من البطن .

الباب العاشر

فى تطيبه ومحبته للطيب

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(حُبِّب إلىّ ، النساء ، والطيب ، وجُعلت قُرَّة عَيْنى فى الصلاة) .

● عن أنس قال : ما شَمِمْت مِسْكةً ولا عنبرةً ، أطيبَ من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيبَ الناس ريحاً . ما شممت رائحةً قط مسكةً ولا عنبرة أطيبَ منه .

● عن جابر بن سمرة قال : مسَسْت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها جُؤنة عَطَّار(١) .

● عن أنس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سَلّةٌ يتطيب منها .

● عن عائشة قالت : كان أحبّ الطيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، العُود .

● عن محمد بن على قال : سألت عائشة : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعطر ؟ قالت : كان يتعطر بذكارة(٢) المِسْك والعنبر .

● عن أنس قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرض عليه طِيبٌ فردّه .

---

(١) الجؤنة : وعاء مغشى بجلد ، يعد فيه الطيب ويحرز ، أصله الهمز ويلين .

(٢) الذكارة من الطيب : ما ليس له ردع . أى : لطخ وبقع .

أبواب أكله ومأكولاته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر مائدته وسفرته

• عن الحسن بن مهران قال : سمعت فرقداً ، صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت على مائدته .

• عن أنس قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خِوَان ولا فى سُكُرّجة(١) ، ولا خُبز له مُرقّق .

فقلت لقتادة : على ما كانوا يأكلون ؟ قال : السُّفْرَة(٢) .

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض .

الباب الثانى

فى ذكر قصعته

• عن عبد الله بن بشر قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفْنة (أى : القصعة) لها أربع حِلق .

---

(١) السكرجة : إناء صغير كانت العجم تستعمله على الموائد فى السكوامخ وما أشبهها.

(٢) السفرة : فرش من جلد يوضع عليه الطعام . وفى الشمائل : على هذه السفر ، وهى جمع سفرة .

الباب الثالث

فى صفة خبزه

● عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعات طاوياً(١) وأهله لا يجدون شيئاً ، وكان أكثر خبزهم الشعير .

● عن أبى أمامة قال : ما كان يَفْضل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير .

● عن سهل بن سعد قال : [و] قيل(٢) له أكَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النَّقِيَّ (٣) ؟ قال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّقِيَّ حتى لقى الله .

فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كانت لنا مَنَاخل . قيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟

قال : كنا ننفخه فيطير منه ما يطير ، ثم نعجنه .

● عن أنس قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خِوان ، ولا أكل خبزاً مُرققاً حتى مات .

---

(١) طاوياً . أى : جائعاً . (٢) شمائل الترمذى : أنه قيل له .
(٣) النقى . أى : الدقيق المنخول .

الباب الرابع

فى اختياره البقل

• عن أنس قال : كان أحبُّ الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البَقْل .

الباب الخامس

فى ائتدامه بالخل

• عن ابن عباس قال : كان أحبَّ الصباغ(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلُّ .

• عن أم هانئ قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعندك شيء ؟ فقلت : لا ، إلا خبز يابس وخَلٌّ .

فقال : هات ، ما أقفر بيتٌ أُدمٍ فيه خَلٌّ .

(١) الصباغ : الإدام .

الباب السادس

فى أكله القثاء

● عن الربيع بنت معوذ قالت : بعثنى معاذ بن عَفْراء بِقِناع[١] من رُطب وعليه جزو[٢] من قِثّاء زُغْبٍ[٢]، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القثاء ، فأتيته بها وعنده حِلْية قد قَدِمَتْ عليه من البحرين فملأ يده منها فأعطانيه .

الباب السابع

فى أكله الدباء

● عن أنس أن خياطاً دعا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام صنعه . قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزَ الشعير ومرقاً فيه دُبَّاء وقَديد .

قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَتَبَّع الدُّبَّاء من الصَّحفة ، فلم أزل أحب الدبّاء من يومئذ .

● عن أبى طالوت قال : دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع وهو يقول : يا لك من شجرة ، ما أحبَّك إلىَّ لِحُبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك !

---

(١) القناع : الطبق الذى يؤكل فيه ، وقيل : الذى يهدى عليه .

(٢) الجرو : الصغير من كل شىء ، حتى الحنظل والبطيخ ونحوه . ورواية الترمذى فى الشمائل : أجر : جمع جرو ، والزغب : صغار الريش ، شبه وبر القثاء به .

الباب الثامن

فى أكله السمن والأقط

• عن ابن عباس قال : أُهْدِى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وضب ، فأكل السمن والأقط ، ثم قال للضب : إن هذا لَشَيْءٌ ما أكلتُه قط ، فمن شاء أن يأكله فليأكل . فأكل على خِوانه .

الباب التاسع

فى أكله الحيس

• عن ابن عباس قال : كان أحبَّ الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من التمر ، وهو الحَيْس .

الباب العاشر

فى حبه الثريد

• عن عكرمة قال : صَنَع سعيدُ بن جبير طعاماً ثم أرسل إلى ابن عباس : ائتنى أنت ومن أحببتَ من مواليك . فجاء وجئنا معه ، فقال له ائتنا بالثريد ، فإنه كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الثريد من الخبز .

الباب الحادى عشر

فى جمعه بين طعامين

• عن سهل بن سعد الساعدى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرُّطب .

• عن عبد الله بن جعفر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعجبه أن يجمع بين البطيخ والرطب .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب بيمينه والبطيخ فى يساره ، ويأكل الرطب بالبطيخ . وكان أحبَّ الفاكهة إليه .

• عن عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، والقثاء بالملح .

الباب الثاني عشر

في ذكر أكله اللحم وما كان يختار من الأعضاء

• عن عبد الله بن جعفر قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُتِيَ بلحم، فجعل القوم يُلقمونه اللحم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطيبُ اللحم: لحمُ الظهر.

• عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بلحم، فرفعت إليه الذراع، وكانت تعجبه.

• عن أبي عبيد قال: طَبخت للنبي صلى الله عليه وسلم قِدْراً، وكان يعجبه الذراع، فناولتُه الذراع، ثم قال: ناولني الذراع. فناولته.

ثم قال: ناولني الذراع. فقلت: يا رسول الله: وكم للشاة من ذراع؟!

فقال: والذي نفسي بيده، لو سكتَّ لناولتَني الذراعَ ما دعوتُ[1].

• عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعجبه في الشاة إلا الكتف.

(١) لا يلزم أحداً تصديق مثل هذه الروايات، لمخالفتها للأسباب، وخلوها من المغزى.

الباب الثالث عشر

فى أكله القديد

• عن جابر بن عبد الله قال : أكلنا القَديد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع عشر

فى أكله الشواء

• عن عبد الله بن الحارث قال : أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء فى المسجد .

الباب الخامس عشر

فى أكله لحم الدجاج

• عن زَهْدم الجَرْمىّ قال : كنا عند أبى موسى ، فقدَّم طعامه ، وقدم فى طعامه دجاجا ، وفى القوم رجل من بنى تيم الله فلم يَدْنُ ، فقال له أبو موسى : أُدْنُ ، فإنى رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج .

الباب السادس عشر

في أكله لحم الحبارى

● عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم الحُبَارى(١) .

الباب السابع عشر

في تركه أكل ما يعافه

● عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة بنت الحارث وهي خالته ، فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمَ ضَبٍّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل شيئاً حتى يعلم ما هو .

فقال بعض النسوة : ألا تخبرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأكل؟

فأَخبرته أنه لحم ضَبٍّ فتركَه .

قال خالد : فسألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحرامٌ هو ؟

---

(١) قال في المصباح : الحبارى : طائر معروف وهو على شكل الإوزة . برأسه وبطنه غبرة ، ولون ظهره وجناحيه كلون السحاني غالبا ، والجمع حبابير وحباريات على لفظه أيضاً . والحبرور ، وزان عصفور : فرخ الحبارى .

قال : لا ، ولـكنه طعامٌ ليس فى قومى ، فأجِدُنى أعافُه(١) .

قال خالد : فاجترَرْتُه فأكلته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر . أخرجاه .

• عن أبى شيخ قال : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر محارب : نصركم الله . لا تَسْقُونى حَلب امرأة.

قال العسكرى : وكان الحلب فى النساء ، عيباً عند العرب ، يعيَّرون به ، وأنشدوا :

كَمْ عَمةٍ لك يا جَرير وخالة ... فَدْعاء(٢) قد حَلبتْ علىَّ عِشَارِى

قال : ويجوز أن يكون قد كرهه لما يعترى النساء من الحيض وغيره(٣) .

قال : ويدل على ذلك ما روى سعيد بن جُبَير قال :

كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ ألطف الناس ، وكان لا يشرب من ميزابِ الإداوة ، ولا يأكل من لحوم الجَلّالات من غير تحريم .

• وقد روى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل قاذورة ، ولا يأكل الدجاج حتى يُعلف .

قال : القاذورة هاهنا : الذى يتقذر الشىء ، وكأنه كان يجتنب ما تأكل النجاسات حتى تَعتلف الطاهر . ويقال القاذورة . ويراد به الفعل القبيح .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (من أتى شيئاً من هذه القاذورات) .

---

(١) أعافه . أى أكرهه ولا تميل نفسى إليه .

(٢) فدعاء . أى صارت معوجة اليد من الرسغ من كثرة مزاولتها لحلب البهائم .

(٣) قال السيوطى : « لا تسقونى حلب امرأة » لأن حلب النساء معيب عند العرب يعيرون به . قال ابن الجوزى : قال إبراهيم الحربى: « النساء إذا حلبن ربما أخذهن البول . ثم ترجع إلى الضرع وفى يدها شىء من النجاسة فلذلك تنزه عنه » الدر النثير بهامش النهاية .

الباب الثامن عشر

فى اجتنابه ما يؤذى ريحه

● عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاماً بعث فَضْله إلى أبى أيوب ، فأتى يوما بقصعة فيها ثوم ، فبعث بها فقال : يا رسول الله : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكنى أكره ريحه .

قال : وإنى أكره ما تكره .

انفرد بإخراجه البخارى .

الباب التاسع عشر

فى أكله الجمار

● عن ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل جُمّار نخل(١) .

الباب العشرون

فى حبه الحلواء والعسل

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحَلْواء والعسل .

(١) الجمار : شحم النخل .

الباب الحادي والعشرون

في أكله التمر

• عن عائشة قالت : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا وإحداهما تمر .

• عن ابن عباس قال : كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام مما يليه ، حتى إذا جاء التمر جالت يده .

• عن عبد الله بن بشر قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه أبي بتمر وسويق ، فجعل يأكل التمر ويلقي النوى على ظهر إصبعيه ثم يلقيه . يعني : السَّبَّابة والوسطى .

الباب الثاني والعشرون

في أكله العنب

• عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خَرْطاً(١) .

(١) الخرط : أن يضع العنقود في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عارياً منه . النهاية لابن الأثير ١/٣٣٣ . وهذا الحديث موضوع . وللمؤلف نفسه أورده في الموضوعات .

الباب الثالث والعشرون

فى أكله الرطب

● عن أنس قال : كنت إذا قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رطباً أكل الرطب وترك الذَّنَب .

● عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يستحب أن يفطر على رُطبات فى زمان الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويجعلهن وتراً : ثلاثا ، أو خمسا ، أو سبعا .

الباب الرابع والعشرون

فيما كان يفعل إذا أتى بأول الرطب

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بالباكورة من التمر قال : (اللهم بارك لنا فى مدينتنا ومُدِّنا وصاعنا ، واجعل مع البركة بركة) ثم يعطيه أصغر من حَضره من الولدان .

الباب الخامس والعشرون

فى أكله الخبيص

• عن عبد الله بن سَلاَم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرْبد ، فإذا عثمان بن عفان يقود ناقةً ، حمل عليها دقيقاً وسمناً وعسلا .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَنِخْ) فأناخ .

ثم دعا ببُرْمة ، فجعل فيها من السمن والعسل والدقيق .

ثم أمر ، فأوقد تحتها ، حتى أدرك ، أو قال : أنْضَج . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلوا) . وأكل منه .

ثم قال : هذا شيء تدعوه فارس : الخبيص .

الباب السادس والعشرون

فى أكله بثلاث أصابع ولعقها

• عن كعب بن عجرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث : الإبهام ، والتى تليها ، والوسطى .

ثم رأيته يلعق الوسطى ، والتى تليها ، ثم الإبهام .

• عن ابن لكعب بن مالك عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع ، ولا يمسح يده حتى يلعقها .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب السابع والعشرون

فى أكله مما يليه

● عن عبد الحكم قال : رآنى عبد الله بن جعفر وأنا غلام ، وأنا آكل من هاهنا وهاهنا ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تَعْدُ يدُه ما بَيْن يديه .

الباب الثامن والعشرون

فى أكله مقعياً من الجوع

● [عن أنس بن مالك قال : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر ، فرأيته يأكل وهو مُقْعٍ[1] من الجوع[2]] .

(١) مقع . أى : جالس على أسته ، مفترش رجليه وناصب يديه . وفى المصباح (أقعى إقعاء : ألصق أليتيه بالأرض ونصب ساقيه ووضع يده على الأرض) اهـ .

(٢) سقط من الأصل وأثبته من شمائل الترمذى ١/١٥٥ .

الباب التاسع والعشرون

فى أنه لم يأكل متكئا

● عن أبى جُحَيفة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (أمَّا أنا فلا آكل متكئا) .

انفرد بإخراجه البخارى .

الباب الثلاثون

فى أنه لم يذم طعاما

● عن أبى هريرة قال : ما عاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، كان إذا أُتِيَ به ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه .

أخرجاه .

● عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذمُّ ذَواقاً(١) ، ولا يمدحه .

---

(١) الذواق : الطعام .

الباب الحادي والثلاثون

في أنه كان لا يأكل الصدقة

● عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الصدقة لا تحلُّ لمحمد ولا لآل محمد) .

● عن سلمان أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بشيء وقال : هذا صدقة . فقال لأصحابه : كلوا . ولم يأكل . قال : فجئته بشيء قلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذا هدية . فأكل وأمَر أصحابَه فأكلوا .

● عن أبي رافع قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساعياً على الصدقة ، فاستَتْبع أبا رافع .

فذكر ذلك أبو رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنّ الصدقة حرام على محمد وآل محمد ، وإنّ مَوْلَى القوم من أنفسهم ، أو منهم) .

● عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتِيَ بطعام سأل عنه : (أهديةٌ هو أم صدقة ؟ » .

فإن قيل : صَدَقة ، قال لأصحابه : كلوا . ولم يأكل .

وإن قيل : هدية ، ضرب بيده ، فأكل معهم .

● وذكر أبو الوفاء بن عقيل أنه إنما حُرِّمت الصدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبيحت له الهدية ، لأن الهدية تحيّة ، والتَّحايا معَرَّضة للمقابلة بأحسن منها ، وبيتُ النبوة ، بيتُ المكارم ، والرغبات إليهم في الاستزادة .

والصدقةُ مَرْحمة ، تقتضي المَسْكَنة ، فصِينَ بيتُ النبوة عن ذلك ، وعن أنْ تَعْلوَ أيديَهم يَدٌ .

الباب الثاني والثلاثون

في حمده الله عند الفراغ من الطعام وغسل يده

● عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه ورُفعت مائدته قال : (الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه ، غير مَكْفِيّ ولا مُودَّع ولا مُسْتَغْنًى عنه ربَّنا) .

انفرد بإخراجه البخاري .

● عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مُسْلمين) .

● عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى طعام ، فذهبنا معه ، فلما طَعِم وغسل يده قال :

(الحمد لله الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم ، مَنَّ علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا ، وكلَّ بلاء حسَن بَلَانا .

الحمد لله غيرَ مُوَدَّع ولا مكافأ ، ولا مَكفور ، ولا مستغنًى عنه ، ربَّنا .

الحمد لله الذي أطْعَم من الطعام ، وسقَى من الشراب ، وكسا من العُرْي وهدَى من الضلالة ، وبصَّر من العمَى .

الحمد لله الذي فَضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا .

الحمد لله رب العالمين) .

● عن أبي أيوب الأنصاري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل وشرب قال :

(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وسَوَّغه(١) وجعل له مَخْرجاً) .

---

(١) سوغة : سهل مدخله في الحلق .

ابواب شربه ومشروباته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى أنه كان يستعذب له من الماء

● عن عائشة قالت : كان يُستعذَبُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء من السُّقيا .

والسقيا : من أطراف الحَرَّة(١) من أرض بنى فلان .

الباب الثانى

فى اختياره الماء البائت

● عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً ، فاستَسْقَى ، وجدولٌ قريبٌ منه ، فقال :

(إنْ كان عندكم ماء قد بات فى شيء ، وإلا كَرَعْنا) .

انفرد بإخراجه البخاري .

(١) قال فى النهاية : السقيا منزل بين مكة والمدينة . وقيل : هى يومين من المدينة .

الباب الثالث

في اختياره الماء البارد

• عن عبادة بن الوليد ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له رجل من الأنصار ، يُبرد له الماء في أشجاب(١) ، أو على جُمّارة من جريد .

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الحلو البارد .

الباب الرابع

في ذكر الآنية التي كان يشرب منها

• عن عيسى بن طهمان [عن ثابت](٢) ، قال : أخرجَ لنا أنس ابن مالك قَدح خشب غليظ مُضَبَّب(٣) بحديد ، فقال : يا ثابت هذا قدحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأشجاب : جمع شجب ، وهو السقاء الذى بلى وصار شنا .
والمعنى المناسب هنا : الخشبات الثلاث يعلق عليها الراعي دلوه ليبرد الماء في الهواء . كما يدل عليه سياق الكلام .

(٢) من شمائل الترمذى .

(٣) مضبب . أى : مطوق .

• عن أنس [قال] : لقد سَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدح الشرابَ كله : الماء والنبيذ والعسل واللبن .

• عن محمد بن إسماعيل قال : دخلت على أنس فرأيت فى بيته قدحاً من خشب ، فقال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ويتوضأ .

• عن ابن عباس أن صاحب إسكندرية بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح قَوَارير(١) ، فكان يشرب منه .

الباب الخامس

فى شربه اللبن

• عن ابن عباس قال : كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أطعمه الله طعاما فليقل :

اللهم باركْ لنا فيه ، وأبْدِلنا به ما هو خيرٌ منه .

ومن سقاه الله لبنا فليقل :

اللهم بارك لنا فيه ، وزِدْنا منه ، فإنا لا نعلم يُجْزِئ عن الطعام والشراب غيره » .

(١) القوارير : جمع قارورة ، وهى القدح من الزجاج .

الباب السادس

فى شربه النبيذ ، وصفة ذلك النبيذ

• عن عائشة قالت : كنا نَنْبذ للنبى صلى الله عليه وسلم غدوةً ، فيشربه بالعشىّ ، فيشربه بالغداة .

الباب السابع

فى شربه السويق

• عن أنس قال : كنت أسقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القدح ، اللبن ، والعسل ، والسَّويق ، والنبيذ ، والماء البارد .

الباب الثامن

فى كيفية شربه

• عن ربيعة بن أكثم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عَرْضا ويشرب مَصًّا ويقول : هو أهْنَأ وأمْرَأ .

الباب التاسع

فى تنفسه فى الاناء ثلاثا

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتنفّس فى الإناء ثلاثا .

أخرجاه .

والمعنى : كان يتنفس فى الشُّرب من الإناء ثلاثا .

● وقد روى أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إذا شرب أحدكم ، فلا يتنفس فى الإناء) .

وبيان ما قلنا : ما روَى أنس بن مالك أنه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شَرب جرعةً ثم قطع ، ثم سَمَّى ثم جرع ، ثم قطع ثم سَمَّى ثم جرع ، ثم قطع ، ثلاثاً ، حتى فرغ ، فلما فرغ ، حمد الله .

● عن ابن مسعود قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا شرب تنفس على الإناء ثلاث أنفاس ، يحمد الله على كل نفَس ، ويشكره عند آخرهن .

الباب العاشر

فى شربه قاعداً وقائماً

● عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب قاعداً وقائماً ، وصلى حافياً ومنتعلاً ، وانصرف عن يمينه وشماله .

الباب الحادى عشر

فى شربه بعد أصحابه إذا سقاهم

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسقى أصحابه . قالوا : يا رسول الله ، لو شربتَ قال : (ساقى القوم آخرهم شُرْباً) .

الباب الثاني عشر

في مناولته من عن يمينه

● عن أنس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبْنا له من شاةٍ داجنٍ ، وشِيبَ له من بئرٍ في الدار ، وأعرابيٌّ عن يمينه ، وأبو بكر عن يساره ، وعمر ناحيةً ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : أعطِ أبا بكر ، فناوله الأعرابيَّ وقال : الأَيْمن فالأيمن .

● عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُتِيَ بشراب فشرب منه ، وعن يمينه أعرابي ، وعن يساره الأشياخ .

فقال للغلام : أتأذن في أن أعطي هؤلاء ؟

فقال : والله لا أوثر نصيبي منك أحداً !

فتلّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في يده .

الحديثان في الصحيحين . ومعنى تلّه : ألقاه .

أبواب نومه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى مسامرته أزواجه بالليل

● عن عائشة قالت : حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نساءه حديثا ، فقالت امرأة منهن : كان الحديث حديثَ خُرَافة(١) .

فقال : أتدرون ماخرافة ؟ كان رجلا من عُذْرة أَسَرتْه الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهراً ثم رَدُّوه إلى الإنس ، فكان يحدثهم بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .

قال المصنف : ومن هذا الفن(٢) حديث أم زَرْع ، وهو معروف .

(١) قال ابن حجر : لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ ، وهو الكناية عن ذلك الحديث بأنه كذب مستملح ، لأنها تعلم أنه لا يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم إلا الحق ، وإنما أرادت أنه حديث مستملح لا غير .

(٢) أى من مسامرته لأزواجه ، وقد حدث به عائشة وهو فى الصحيحين .

الباب الثاني

في صعوده ونزوله ليلة الجمعة

• عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الصيفُ، خرج من البيت ليلة الجمعة ، وإذا كان الشتاء ، نزل ودخل البيت ليلة الجمعة .

الباب الثالث

في وضوئه قبل النوم

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جُنب ، غسل فرجه ، وتوضأ وضوءه للصلاة .

أخرجاه .

الباب الرابع

في اكتحاله عند نومه

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكتحل بالإثمد كلَّ ليلة قبل أن ينام ، وكان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال .

الباب الخامس

فى صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل

● عن عائشة قالت : كان ضِجَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل ، من أدم محشوًّا ليفاً .

الباب السادس

فيما كان يصنع إذا أتى الفراش

عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى فراشه فى كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما : «قل هو الله أحد» و «قل أعوذ برب الفلق» و « قل أعوذ برب الناس » ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

أخرجاه .

● عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : (اللهم ربَّ السموات السّبع ورب الأرضين قُدساً ورب كل شىء ، فالق الحب والنَّوى ، منزِّل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذٌ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخِر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن ، فليس دونك شىء ، اقضِ عنى الدَّيْن ، وأغنِنى من الفقر) .

الباب السابع

فى كيفية نومه ، وما كان يقوله عند النوم

• عن البَراء بن عازب قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه ، نام على شقه الأيمن ثم قال : (اللهم إنى أسلمتُ نفسى إليك ، ووجَّهت وجهى إليك ، وألجأتُ ظَهرى إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَى منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت ونبيِّك الذى أرسلت) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(من قالهن ثم مات من ليلته ، مات على الفطرة) .

• عن حذيفة بن اليمان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه قال : (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)(١) .

(١) المروى أنه كان يقول ذلك إذا استيقظ كما روى المصنف بعد .

الباب الثامن

فى ما كان يقوله إذا استيقظ

● عن أبى ذر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ قال: (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) .

● عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى [إذا] انتصف الليل ، أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ فجعل يمسح النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم توضأ وقام يصلى .

● عن شمر بن عطية قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقلت : لَأَرْمُقَنَّ الليلة كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما صلى العشاء اضطجع فنام هَوِيًّا(١) من الليل ثم استيقظ فنظر فى السماء . فقال : « رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا » إلى قوله : « إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٢) » .

---

(١) الهوى : الحين الطويل .

(٢) سورة آل عمران . الآيات (من ١٩١ إلى نهاية ١٩٤) .

الباب التاسع

فى أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه

● عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله أتنام قبلَ أن تُوتِر ؟ قال : (يا عائشة إن عينىَّ تنامان ولا ينام قلبى) .

فإن قال قائل : إذا كان نومه يساوى نومَنا فى انطباق الجفن وعدم السماع ، حتى إنه نام عن الصلاة ، فما أيقظه إلا حَرُّ الشمس ، فما وَجْه الفَرْق ؟

فقد أجاب عنه ابن عقيل فقال : النومُ يتضمَّن أمرين :

أحدهما : راحة الجسد ، وهو الذى يشاركنا فيه .

والثانى : غفلةُ القلب . وقَلْبُه كان متيقظاً سليماً من الأحلام ، مُتلقياً للوحى فى المنام ، متفكراً فى المصالح على مثل ما يكون المتنبِّه ، فما يَغْفل قلبُه بالنوم عما وضِع له .

وقد كان يُغْشَى عليه عند نزول الوحى ويستطرح ، وهى حالةٌ لو أصابت بعضَ أمته ، انتقض وضوءه .

وهو كان فى تلك الحالة ، حافظاً محفوظاً من غَلَبات الطبع ، واسترخاء مخارج الحدَث ، فهو غائب عنا حينئذ بحال .

فالله سبحانه يسيِّر إليه ما يشاء .

وأمّا نومُه حتى طلعت الشمس فله وجهان :

أحدهما : أنه أريد بذلك أن يَشْرع ما يتعبَّد به ويسهو ويَنفل . وهذا كإعدامه الماء حتى تيمم .

والثانى : أن يكون ذلك جرَى لانكشاف علوم تخصُّه من المعارف ، عطّلته عن القيام بحقوق الظواهر ، لاشتغال الباطن بأدب التلقِّى ، كما قال من مَلَكه ذكرُ محبوبه :

فوَاللهِ مَا أَدْرِى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا
أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ العِشَا أَمْ ثَمَانِيَا

وما زالت مُهمّات القلوب تُخِلُّ بالأعمال [و] الأركان .

الباب العاشر

في ذكر بعض مناماته

● عن سَمُرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى صلاةَ الغداة(١) أقْبل علينا بوجهه فقال : هل رأى أحدٌ منكم الليلةَ رؤيا ؟ فإن كان أحدٌ رأى رؤيا قصَّها عليه ، فيقول فيها ما شاء الله أن يقولِ .

فسألَنا يوماً فقال : هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا ؟ قلنا : لا .

قال : لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدى فأخرجانى إلى فضاء أو أرض مستوية .

فمرّا بى على رجل ، وإذا آخر قائم على رأسه بيده كَلُّوب(٢) من حديد ، فيدخله فى شِدْقه فيشقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يُخْرِجه فيدخله فى شدقه الآخر ، ويلتئمُ(٣) هذا الشدق . فهو يفعل ذلك به .

---

(١) صلاة الغداة . أى : صلاة الصبح .

(٢) الكلوب : المهماز . قال فى الصحاح : الكلوب : المنشال (حديد ينشل بها اللحم من القدر) وكذلك : الكلاب . والجمع كلاليب اهـ .

وفى المصباح : والكلوب . مثل : تنور . والكلاب . مثل تفاح ، خشبة فى رأسها عقافة منها أو من حديد .

والمراد هنا : الحديدة المعقوفة التى يعلق الجزار عليها اللحم وهى لغة العامة فى الديار الشامية . وأما فى مصر فيقولون : الخطاف .

(٣) ز : ويلتحم .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق . فانطلقت معهما ، فإذا رجل مُستلقٍ على قفاه ، ورجل قائم بيده فِهرٌ (١) أو صخرة فيَشْدخ (٢) بها رأسَه فيتدَهْدَه الحجَر ، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسُه كما كان ، فيصنع مثل ذلك .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .

فانطلقتُ معهما ، فإذا بيت مبنيّ على بناء التَّنُّور (٣) أعلاه ضيق وأسفله واسع ، تُوقد تحته نار ، فيه رجال ونساء عراة ، فإذا أُوقدت ارتفعوا ، حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت (٤) رجعوا فيها .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .

فانطلقتُ ، فإذا نهرٌ من دم ، فيه رجل ، وعلى شاطىء النهر رجل ، بين يديه حجارة ، فيُقْبل الرجل الذى فى النهر .

فإذا دنا ليخرج ، رمى الرجلُ فى فيه حجراً ، فرجع إلى مكانه ، فهو يفعل ذلك به .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلقْ .

فانطلقتُ ، فإذا روضة خضراء ، فيها شجرة عظيمة ، وإذا شيخ فى أصلها ، حوله صبيان ، وإذا رجل قريب منه ، حوله نار يحشُّها (٥) ويسعى حولها .

---

(١) فهر . أى : الحجر قدر ما يدق به الجوز ، أو ما يملأ الكف . اه قاموس .

(٢) فيشدخ . أى : يكسر . قال فى الصحاح : الشدخ : كسر الشيء الأجوف .

(٣) التنور : هو الفرن أو المخبز المستدير .

(٤) خمدت . أى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها . كما فى الصحاح .

(٥) يحشها : يحركها ويوقدها .

فصعدا بى فى الشجرة ، فأدخلانى داراً [ثم أدخلانى داراً] هى أحسنُ وأفضلُ ، فيها شيوخ وشباب .

فقلت لهما : إنكما طوّفتما بى الليلة ، فأخبرانى عما رأيتُ . قالا : نعم .

أما الرجل الأول ، الذى رأيتَ ، فإنه كذاب يكذب الكذْبة ، فتُحْمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فهو يُصْنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة ، ثم يصنع الله به ما شاء .

وأما الرجل الذى رأيتَ مستلقياً ، فرجلٌ آتاه الله تبارك وتعالى القرآن ، فنامَ عنه بالليل ، ولم يعمل بما فيه بالنهار ، فهو يفعل به ما رأيت إلى يوم القيامة .

وأما الذى رأيت فى التّنور ، فهم الزناة والزّوانى .

[وأما الذى رأيت فى النّهر فآكل الربا](١) .

وأما [الشيخُ](١) الذى رأيتَ فى أصل الشجرة ، فهو إبراهيم الخليل .

وأما الصبيان الذين حوله ، فأولاد الناس .

وأما الرجل الذى رأيت يوقد النار ويحشّها ، فذاك مالك خازن النار ، وتلك النار .

وأما الدار التى دخلتَ أولاً ، فدارُ عامة المؤمنين . وأما الدار الأخرى ، فدار الشهداء .

وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل .

ثم قالا لى : ارفع رأسك ، فإذا كهيئة السحاب ، فقالا : وتلك دارُك .

---

(١) سقطت من ز .

فقلت : دعائى أدخل دارى . فقالا : إنه قد بقى لك عمرٌ لم تستكمله ، فلو قد استكملته ، لدخلت دارك[١] . أخرجاه .

● عن سالم عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدّث قال : (بَينا أنا نائم ، رأيتنى أُتيت بقدح فشربتُ منه حتى إنى أرى الرِّىّ يخرج من أظفارى ، ثم أعطيتُ فَضْلى عمر .

قالوا : ما أوّلتَ ذلك يا رسول الله ؟ قال : العِلْم) . أخرجاه .

● عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بَينا أنا نائم ، رأيتُ الناسَ يُعْرَضون علىّ ، وعليهم قُمُص ، منها ما يبلغ الثُّدْى ، ومنها ما دون ذلك ، وعُرِضَ علىّ عمر بن الخطاب ، وعليه قميص يجرّه) .

قالوا : فما أوّلت ذلك يا رسول الله ؟ قال : (الدِّين) . أخرجاه .

● عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

رأيتُ الناسَ مجتمعين فى صَعيدٍ ، فتقدّم أبو بكر فنزَع ذَنُوبا[٢] أو ذنوبَيْن ، وفى نَزْعه ضَعْف ، والله يغفر له .

ثم أخذها عمر ، فاستحالتْ غرْباً[٣] ، فلم أرَ عَبْقريّاً[٤] فى الناس يَفْرى فَرِيّه[٥] ، حتى ضرب الناسُ بعَطَن[٦]) . أخرجاه .

---

(١) فى الحديث اختلاف بين رواية البخارى ومسلم ، وبين ما هنا .

(٢) الذنوب : الدلو الممتلئة ماء .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة ، المتخذة من جلود البقر .

(٤) عبقريا : حاذقا كاملا .

(٥) يفرى فريه : يصنع صنعه .

(٦) أى ارتووا وأناخوا إبلهم حول الماء .

• عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(بينا أنا نائم ، رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر .

فقلت : لمن هذا القصر ؟

قالوا : لعمر .

فذكرتُ غَيْرتك ، فولّيتُ مُدْبراً) .

فبكى عمر وقال : أو عليك أغار يا رسول الله !(١)

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رأيتُ كأنى أَنْزِع على غنم سُود ، مخالطها غنم عفرُ(٢) ، إذ جاء أبو بكر ، فنزع ذَنُوباً أو ذنوبَيْن ، وفى نَزْعه ضَعْف ، ويغفر الله لأبى بكر .

إذ جاء عمر فأخذ الدلوَ ، فاستحال غَرْباً فأرْوى الناسَ وصَدَر الشاء ، فلم أرَ عبقريًّا يَفْرى فَرِيّه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأوّلتُ أن الغنم السُّود : العرب ، وأن العُفْر ، إخوانهم من هذه الأعاجم .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(رأيتُ كأنى الليلة فى دار عُقْبة بن رافع فأتيت بتَمْرٍ من تمر ابن طاب .

فأوّلتُ أن لنا الرِّفعة فى الدنيا ، والعاقبة فى الآخرة ، وأن ديننا قد طاب) .

---

(١) أخرجه البخارى ٣/٢٧٢

(٢) عفر . أى : يعلو بياضها حمرة . اهـ صحاح .

● عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
رأيتُ كأنى أتيت بمكيلة تمر ، فعجمتُها(١) فى فى ، فوجدت فيها نواةً آذَتنى ، فلفظتُها(٢) .

ثم أخذت أخرى فعجمتها ، فوجدتُ فيها نواةً فلفظتها .

فقال أبو بكر : دَعْنى فلأَعبُرْها(٣) ، فقال : اعْبُرْها . قال : هو جيشك الذى بعثتَ ، يَسْلمون ويغنمون .

فيلقَوْن رجلا فَينْشدهم ذمتك فَيدَعونه .

ثم يَلْقون رجلا فينشدهم ذمتك فيدَعونه .

قال : كذلك قال الملَك .

● عن ابن مسعود قال : أكرَيْنا الحديثَ ذات ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم غدَوْنا عليه فقال :

عُرضت علىّ الأنبياء الليلةَ بأممها ، فجعَل النبى يمرُّ ومعه الثلاثة ، والنبى ومعه النَّفر ، والنبى وليس معه أحد ، حتى مرّ موسى بن عمران ومعه كَبْكَبة(٤) من بنى إسرائيل ، فأعجبونى فقلت :

من هؤلاء ؟ قال : أخوك موسى ، معه بنو إسرائيل .

فقلت : أين أمتى ؟ فقيل لى : انظر عن يمينك .

فنظرت ، فإذا الظِّرابُ قد سُدّ بوجوه الرجال .

---

(١) فعجمتها . أى : خبرت حالها . اهـ صحاح .
(٢) فلفظتها . أى : ألقيتها من فمى .
(٣) فلأعبرها . أى : فلأفسرها .
(٤) الكبكبة : الجماعة المتضامة .

فقيل لى : أرضيتَ ؟ قلت : يا رب ، رضيتُ .

فقيل ، إنّ ، مع هؤلاء سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (فداكم أبى وأمى ! إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا .

فإن قصّرتم ، فكونوا من أهل الظّراب .

فإن قصّرتم فكونوا من أهل الأفق ، فإنّى قد رأيتُ ناساً يتهاوشون .

فقال عُكّاشة بن مِحْصَن : ادع الله لى يا رسول الله ، أن يجعلني من السبعين . فدعا له .

قال : ثم تحدثنا فقال : (مَنْ ترون هؤلاء السبعين الألف ؟) .

[فقلنا] قومٌ ولِدوا فى الإسلام ، ثم لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا .

فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال :

هم الذين لا يَكْتَوون ، ولا يَسْتَرْقُون ، ولا يتطيّرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

أكرَينَا : بمعنى أطَلْنَا . والظّراب : صغار الجبال . ويتهاوشون : يَدْخل بعضهم فى بعض .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بينا أنا نائم إذ أُتيت خزائن الأرض ، فوضع فى يدى سواران من ذهب ، فكبُرا علىّ وأهمّانى . فأوحى إلىّ : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا .

فأوّلتهما الكذابَيْن اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

● عن سالم عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

رأيت امرأة سوداء ، ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة .

فأوّلت أن وباء المدينة ، نُقل إلى مَهيعة وهى الجُحْفة .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَينا أنا نائم أعطيت مفاتيحَ خزائن الدنيا حتى وُضِعتْ فى كفِّى .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل على أم حرَام ، بنت مِلْحان فتطعمه ، وكانت تحت عُبادة بن الصامت .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأطعمتْه ، ثم جلست تفلِّى رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استيقظ وهو يضحك .

[قالت :] فقلت : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟

قال : (ناسٌ من أمتى ، عُرضوا علىّ غُزَاةً فى سبيل الله ، يركبون ثَبَجَ(١) هذا البحر ، ملوكاً على الأسِرّة ، أو مثل الملوك على الأسِرّة) . شكّ أيهما قال .

فقلت : يا رسول الله ، اُدع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت منهم .

ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .

فقلت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناسٌ من أمتى ، عُرضوا علىّ غزاةً فى سبيل الله . كما قال فى الأولى .

قالت : فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنتِ من الأوّلين .

فركبتْ أمُّ حرَام البحر فى زمن معاوية ، فصُرعت عن دابتها ، حين خرجت من البحر ، فهلكت .

---

(١) الثبج : وسط الشيء .

● عن عبد الرحمن بن سَمرة قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ ونحن فى مسجد المدينة ، قال : إنى رأيت الليلة عَجباً .

قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : رأيت رجلاً من أمتى ، قد احتوشَتْه(١) الشياطين ، فجاءه ذِكْرُ الله عز وجل ، فخلّصه من بينهم .

ورأيت رجلا من أمتى احتوشَتْه ملائكة العذاب ، فجاءته صَلاتُه فاستنقذَتْه من أيديهم .

ورأيت رجلا من أمتى يلهث(٢) عطشاً ، كلما وردَ حوضاً مُنع ، فجاءه صومُ رمضان ، فسقاه وأرْوَاه .

ورأيت رجلا من أمتى ، والنبيون قعود حِلَقاً حلقاً ، كلما دنا من حلقة ، رُد ، فجاءه اغتساله من الجنابة ، فأخذ بيده وأجلسه إلى جنبي .

ورأيت رجلا من أمتى مِنْ بين يديه ظُلْمة ، ومن خَلْفه ظُلْمة ، وعن يمينه ظلْمة . وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو متحيِّر فيها ، فجاءه حَجُّه ، وعُمْرته ، فاستنقذَاه من الظلمة ، وأدخلاه النورَ .

ورأيت رجلا من أمتى يكلِّم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صِلَةُ الرَّحم فقالت : يا معشر المؤمنين ، كلِّموه فإنه كان واصلاً لِرَحمه . فكلّموه وصافَحوه .

ورأيت رجلا من أمتى يتَّقى وَهَجَ النار وشَررَها بيده عن وجهه . فجاءته صدَقتُه ، فصارت سِتْراً على رأسه ، وظِلاً على وجهه .

ورأيت رجلا من أمتى ، قد أخذته الزبانيةُ من كل مكان .

فجاءه أمْرُه بالمعروف ، ونَهْيه عن المُنْكَر ، فاستنقذَاه من أيديهم ، وأدخلاه فى ملائكة الرحمة فصار معهم .

---

(١) احتوشته . أى : أحاطت به من كل جانب .

(٢) يلهث . أى : يخرج لسانه من شدة العطش والتعب .

ورأيت رجلا من أمتي جاثياً على ركبتيه ، بينه وبين الله حِجَاب .

فجاءه حُسْنُ خُلقه ، فأخذ بيده ، فأدخله عَلَى الله عز وجل .

ورأيت رجلاً مِنْ أمتي ، قد هَوَتْ صحيفته قِبَل شماله .

فجاءه خَوْفُهُ من الله تعالى ، فأخذ صحيفته ، فجعلها فى يمينه .

ورأيت رجلا من أمتي قد خفّ ميزانُه .

فجاءته أفراطُه ، يعني أولاده الصِّغار ، فثقّلوا ميزانَه .

ورأيت رجلا من أمتي على شَفِير جهنم ، فجاءه وجَلُه(١) من الله تعالى فاستنقذَه من ذلك .

ورأيت رجلا من أمتي قائماً على الصراط يُرْعِد ، كما تُرْعد السّعفةُ(٢) فى ريحٍ عاصف ، فجاءه حُسْن ظَنّه بالله ، فسكّن رَوْعته ، ومضَى على الصراط .

ورأيت رجلا من أمتي ، يَحْبو أحياناً ، ويتعلّق أحياناً .

فجاءته صلاتُه عليّ ، فأخذتْ بيده ، فأقامتْه على الصراط ومضى .

ورأيت رجلا من أمتي ، انتهى إلى أبواب الجنة ، فغلِّقت الأبوابُ دونه . فجاءته شهادة أنْ لا إله إلا الله ، ففتحت الأبواب وأدخلتْه الجنة .

---

(١) وجله . أى : خوفه .

(٢) السعفة : ورقة الجريد .

أبواب الطب

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى كثرة أمراضه

● عن هشام قال : كان عُرْوة يقول لعائشة : لا أَعْجبُ من فقهك ، أقول : زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابنةُ أبى بكر . ولا أَعْجَبُ من عِلْمك بالشعر وأيام[1] الناس ، أقول : ابنة أبى بكر ، ولـكن أَعْجَبُ مِنْ عِلْمك بالطِّب !

فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سَقِـيما فى آخر عمره ، فـكانت تَقْدَم عليه وفودُ العرب من كل وَجْه ، فتَنْعتُ الأنعاتَ ، فـكنت أعالجها ، فِمنْ ثَمّ[2] .

الباب الثانى

فى أنه سحر

● عن عائشة قالت سَحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بنى زُريق ، يقال له لَبيد بن أعْصم ، حتى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخيَّل إليه أنه يَفعل الشىء وما يفعله .

(١) ز : وكلام الناس . (٢) فمن ثم . أى : فمن وقتئذ صرت عالمة بالطب .

● قالت : حتى إذا كان ذات يوم ، أو ذات ليلة ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا . ثم قال :

يا عائشة : أشَعرْتِ أن الله أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟

جاءنى رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رِجْلى .

فقال الذى عند رجلى ، للذى عند رأسى : ما وَجَعُ الرجل ؟

قال : مَطْبوب . قال : ومَنْ طبَّه ؟ قال : لَبيد بن الأعصم .

قال : فى أى شىء ؟ قال : فى مُشْط ، ومُشَاطَة ، وجف طَلعةِ ذَكر(١) .

قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان .

قال : فأتاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناسٍ من أصحابه ، ثم جاء فقال : يا عائشة ، لكأنّ ماءها نُقاعة الحِناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين .

قلت : يا رسول الله . أفلا نقتله ؟ قال : لا . أمّا أنا ، فعافانى الله ، وكرهت أن أثيرَ(٢) على الناس شرًا .

قالت : فأمر بها فدفنت » . أخرجاه .

(١) المشاطة : الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط ، والجف : وعاء الطلع وهو : أول ما يبدو من ثمر النخل .

(٢) وفى رواية للبخارى : أثور .

الباب الثالث

في ذكر حجامته صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : احتجمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِم في رأسه ، من صداع كان به ، أو شيء كان به .

أخرجاه .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً : واحدةً على كاهله ، واثنتين على الأخْدعين .

الكاهل : موصل العنق في القلب . والأخدعان : عرقان في العنق .

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم في رأسه ويسمّيه أمّ مُغيث .

• عن أنس بن مالك أنه سئل عن كَسْب الحجّام فقال :

احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَجَمه أبو طيبة ، فأمَر له بصاعين من طعام ، وكلّم أهلَه ، فوضعوا عنه من خَراجه ، وقال :

(إنّ أفضَل ما تداويتم به الحجامة) .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو مُحْرِمٌ ، بمَلَل على ظهر القدَم .

• عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأمَرني أن أعطي الحَجّام أجره .

• عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين .

الباب الرابع

فى تداويه بالحناء

● عن سلمى قالت : كنت أخْدم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فما كانت تصيبه قَرْحة ولا نكبةٌ إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء .

* * *

ابوابُ نکاح

علیہ الصلاۃ والسلام

الباب الأول

فى تحبيب النساء إليه

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حُبِّب إلىَّ من الدنيا الطِّيبُ والنساء ، وجُعلت قُرَّة عينى فى الصلاة » .

قال ابن عقيل : إنما قال صلى الله عليه وسلم : (حُبب إلىّ من الدنيا) لإقامة العذر ، وبراءة النفس من الانتماء إلى مَحبّة الدنيا ، وبمجرد الاختيار .

(وجعلت قرة عينه فى الصلاة) لظهور آثارٍ من العبودية ، بها يظهر مالا يظهر فى سائر العبادات .

قال المصنف : وهذا الكلام لا أرتضيه ، لأن مضمونه وضع فيما غيرُه أصْلَح ، فأنا معذور .

وإنما الصواب أنْ يقال : إنه لمّا عظُمَ من التناسل لإيجاد الموحِّدين [حُبِّب](١) فيه لينسخ حالُه غيرَه .

وأمّا الطِّيب ، فإنه من الأدب فى خدمة الحق ، ولقاء الخَلْق .

وأما الصلاة ، فإنها لمّا كانت فى الدنيا ، نُسبت إليها .

(١) الأصل : عمر ، ولا معنى لها .

الباب الثانى

فى ذكر أزواجه وعددهن

• أول أزواجِ رسول الله صلى الله علية وسلم خديجة بنت خُوَيلد .

وقد سبق ذِكرُ تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها . وتوفيت بعد أن مضى من النبوة سبعٌ ، وقيل : عَشْر ، قبل أن تُفْرض الصلوات الخمس .

ولم ينكح غيرَها حتى ماتت ، وكانت تُنْفق عليه ، وكان يكرمها بعد موتها كثيراً ، ويُهْدى إلى صدائقها .

ودخلت عليه أم أزفر ، ماشطة خديجة ، فأكرَمها وقال :

(هذه كانت تَغْشانا فى عهد خديجة ، وإنّ حُسْن العهد من الإيمان) .

• عن عبد الرحمن بن زيد قال : إن آدَم عليه السلام ذكَر محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ ما فُضِّل به علىّ ابنى صاحبُ البعير ، أن زوجته كانت عَوْناً له فى دِينه ، وكانت زوجتى عَوْناً لى على الخطيئة .

قال المصنف : يشير إلى خديجة عليها السلام .

وسيأتى هذا الحديث(١) مرفوعاً فى فضله على الأنبياء .

• سَوْدَة بنت زَمْعة . كانت تحت السَّكْران بن عمرو ، فأسلما

---

(١) بل سبق ذلك ص ٢٧١

وهاجرا إلى أرض الحبشة ، فمات زوجُها ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهاجَر بها ، فلما كبرت ، أراد طلاقها ، فسألته أن لا يفعل ، وجعلت ليلتها لعائشة .

• عائشة بنت أبى بكر . تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى بنت ست سنين ، وبَنَى بها وهى بنت تِسْع ، ولم ينـكح بِكْراً غيرَها . وبقيت معه تسعَ سنين .

• حفصة بنت عمر . كانت عند خُنَيس بن حُذَافة ، وهاجرت معه إلى المدينة ، فمات عنها ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم طلقها تطليقةً ، فقال له جبريل :

(إن الله يأمرك أن تراجِـع حفصة ، فإنها صوّامة قوّامة) فراجَعها .

وقيل : إنما هَمَّ بطلاقها ولم يفعل .

• أم سَلَمة ، واسمها هند بنت أبى أمية ، واسمه سهل ، كانت عند أبى سلمة ، فهاجر بها إلى أرض الحبشة ، وتوفى سنة أربع ، فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• أم حَبيبة : واسمها : رَمْلة بنت أبى سفيان ، كانت عند عُبيد الله ابن جحش ، هاجرا إلى الحبشة ، فتنصَّرَ عُبيدُ الله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى ليزوجها إياه ، فوكّلَت خالدَ بن سعيد بن العاص ، فزوّجها إياه .

• زينب بنت جحش : كانت عند زيد بن حارثة فطلقها ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• زينب بنت خزيمة : كانت عند الطفيل بن الحارث فطلّقها ، فتزوجها أخوه عَبدة بن الحارث ، فقُتل عنها يوم بَدْر شهيداً ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• جُوَيرية بنت الحارث : أصابها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلق .

وكانت قد وقعت فى سَهم ثابت بن قيس ، فكاتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى كتابتَها وتزوجها .

• صفية بنت حُيَى . قُتل زوجها كِنانة بن الربيع يومَ خيبر .

فسبَاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصطفاها لنفسه ، فأسلمت فأعتقها ، وجعل عِتقها صداقها .

• ريحانة بنت زيد : سَبَاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى النضير ، فأعتقها وتزوّجها .

ويقال : كان يطأها بِملْك اليمين ، ولم يعتقها .

• ميمونة بنت الحارث : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف[١] ، وقدّر الله تعالى أنها ماتت فى المكان الذى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

• وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من النساء ، ولم يدخل بهن .

---

(١) سرف : موضع قريب من التنعيم . و « التنعيم » موضع قريب من مكة ، وهو أقرب أطراف الحل إلى مكة ، ويقال : بينه وبين مكة أربعة أميال ويعرف بمساجد عائشة اهـ من المصباح .

منهن : الكِلاَبية . فمنهم من يسميها « فاطمة » ومنهم من يسميها « عَمْرة » ، ومنهم من يقول : العالية .

ومنهن : أسماء بنت النعمان ، وقَتِيلة بنت قيس ، ومليكة بنت كعب ، وأم شريك ، وخَوْلة ، وشَراف ، وليلى بنت الحطيم ، والغِفَارية .

وقد خطب جماعةً ، فلم يتم النكاح .

وفيما ذكرنا خلاف وقد ذكرته فى كتاب « التَّلْقيح »[١] .

وقد عُرِض عليه نسوة فأبَى .

(١) هو كتابه : « تلقيح فهوم أهل الأثر » المطبوع بحيدر آباد .

الباب الثالث

فى ذكر سراريه

• مارية القبطية : بعث بها المُقَوقس ، ريحانة بنت زيد ، التى ذكرناها فى أزواجه . وقد قيل : إنها كانت سُرِّية .

وقال أبو عُبيدة : كانت له أربع سَرارى ، مارية ، وريحانة ، وأخرى جميلة ، أصابها فى السَّبْى ، وجارية ، وهبتها له زينبُ بنت جحش .

قال أبو الوفاء بن عقيل : استكثارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء وزيادته على ما أبيح لأمته ، دليل على أنه لم يَبْنِ لنفسه ناموساً ، ولو أراد الناموسَ ، لاشتغل بالتعبد عن النساء .

الباب الرابع

فى ذكر قوته على الجماع

• عن جابر بن عبد الله قال : أعطِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكفيت .

قلت للحسن : ما الكفيت ؟ قال : الجماع .

الباب الخامس

فى استتاره وغض بصره عند الجماع

• عن مولى لعائشة قال : قالت عائشة : ما رأيت عورةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَطّ .

• عن أنس قال : ما رأيت عورةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَطّ .

• عن عائشة قالت : ما أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحداً من نسائه إلا مُقنَّعا ، يُرْخى الثوبَ على رأسه ، وما رأيتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه منِّى .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى امرأةً من نسائه ، غمض عينيه ، وقنَّع رأسَه وقال للتى تكون تحته : عليكِ بالسَّكينة والوقار .

الباب السادس

فى ذكر طوافه على نسائه فى ساعة

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه جميعاً فى يوم واحد .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه فى الساعة من الليل أو النهار ، وهن إحدى عشرة امرأة .

قلت لأنس : وهل كان يُطيق ذلك ؟ قال : كنا نتحدث أنه أُعطى قوةّ ثلاثين .

الباب السابع

فى أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد .

الباب الثامن

فى اغتساله فى كل وطء

● عن أبى رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى يوم ، فجعل يغتسل عند هذه وعند هذه .

فقيل : يا رسول الله ، لو جعلتَه غسلا واحداً ؟

قال : هذا أزكَى وأطيبُ وأطهر .

الباب التاسع

في مداراته نساءه

● عن عائشة قالت : جاء جيشٌ يزفنون[1] يوم عيدٍ في المسجد ، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعتُ رأسي على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم ، حتى كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحَلْواء ، والعسل ، وكان إذا صلى العصر ، دار على نسائه ، فيدنو منهن .

فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما يحتبس ، فسألتُ عن ذلك فقيل لي : أهدَت لها امرأةٌ من قومها عُكَّةً من عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شَرْبة . قلت : أما والله لنحتالنَّ له .

فذكرتُ ذلك لسَوْدَة وقلت : إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له : يا رسول الله ، أكلتَ مَغَافير ؟ فإنه يقول لك : لا .

فقولي له : ما هذه الريح ؟

فإنه سيقول : لك سَقَتْني حفصةُ عسلاً .

فقولي : جرست نَحْلُه العُرفط[2] وسأقول ذلك له وقولي له ، أنت ياصفية.

فلما دخل على سَوْدة قالت : تقول سَوْدة : والذي لا إله إلا هو لقد

---

(١) يزفنون : يرقصون .

(٢) جرست : أكلت ، والعرفط : شجرة من العضاه .

كِدْتُ أن أباديه بالذى قلتِ ، وإنه على الباب فَرَقاً منكِ ، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أكلتَ مَغَافير ؟

قال : لا . قلت : فما هذه الريح ؟

قال : سقتْنى حفصةُ شربةَ عسل قلت : جرست نحلُه العُرْفُط .

فلما دخل علىّ قلت له مثل ذلك .

ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك .

فلما دخل على حفصة قالت : يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟

قال : (لا حاجة لى به) . قالت مولاة سودة : والله لقد حرَمْناه .

قالت : قلت لها : اسكتى .

● عن عائشة قالت : كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامٌ فقال : مَنْ ترضَيْن أن يكون بينى وبينك ؟ أترضين أبا عبيدة ابن الجراح ؟

قلت : لا ، ذاك رجل لن يقضى لك علىّ .

قال : أترضين بعمر ؟ قلت : لا ، إنى أَفْرَق(١) من عمر . قال : فالشيطان يَفْرَقُه .

أترضين بأبى بكر ؟ قلت : نعم .

فبعث إليه فجاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقض بينى وبين هذه . قال : أنا يا رسول الله ؟

قال : نعم .

---

(١) أفرق . أى : أخاف .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : اقْصِدْ يا رسول الله .

قالت : فرفع أبو بكر يده فلطم وجهي لطمةً بدرَ منها أنفي ومِنْخراي دماً وقال : لا أبالكِ ! فمن يَقْصُد إذا لم يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَرَدْنا هذا . وقام فغسل الدمَ عن وجهي وثوبي بيده .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا غضبتُ وضع يده على منكبي وقال :

(اللهم اغفر لها ذَنْبَهَا وأذهبْ غيظَ قلبها ، وأعِذْها من الفتن) .

البابُ العاشر

فى تأديبه أزواجه

بالهجر للخطأ والإيلاء منهن شهراً واعتزالهن

وفى سبب ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهن سألنه من النفقة ما ليس عنده .

والثانى : أنه خلا بمارِيَةَ فى بيت حفصة ، فلما علمت قال : اُكتمى علىّ . فأخبرت عائشة .

والثالث : أنه أُهديت إليه هدية فبعث إلى زينب نصيبها فردّته ، فزادها فردّته ، فقالت : لقد أقمَّتَ وجهك حيث تُرَدُّ هديتك .

فقال : (أنتن أهونُ على الله من أن تُنْقِمْننى ، لا أدْخل عليكن شهراً) .

● عن عمر بن الخطاب قال : تغضّبتُ يوماً على امرأتى ، فإذا هى تراجعنى ، فأنكرتُ أن تراجعنى ، فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواجَ النبى صلى الله عليه وسلم لَيراجِعْنه ، وتهجره إحداهن إلى الليل .

فانطلقتُ فدخلتُ على حفصة ، فقلت :

أتراجعن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم .

قلت : وتَهجره إحداكن اليومَ إلى الليل ؟ قالت : نعم .

قلت : قد خاب مَنْ فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمنُ إحداكن

أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هى قد هلكت !

ثم دخلتُ على حفصة وهى تبكى ، فقلت :

أطلّقكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : لا أدرى ، هو معتزلٌ فى هذه المشربة(١) . وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً ، من شدة مَوْجدته(٢) عليهن .

أخرجاه .

● عن جابر قال : أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناسُ ببابه جلوسٌ . فلم يُؤْذَن له .

ثم أقبل عمر فاستأذن ، فلم يؤذن له .

ثم أذِن لأبى بكر وعمر ، فدخلا والنبىُّ صلى الله عليه وسلم جالسٌ ، وحَوْله نساؤه وهو ساكت .

فقال عمر : لأكلمنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعلّه يضحك .

فقال : يا رسول الله ، لو رأيتَ ابنة زيد ، يعنى امرأة عمر ، سألتنى النفقةَ آنفاً فوجَأْتُ(٣) عُنقها !

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ نَوَاجِذُه وقال : (هن حَوْلى كما ترى يسألنَنى النفقةَ) .

---

(١) المشربة — بفتح الميم — المشرعة . وهى الموضع الذى يقصده من يريد الشرب .

(٢) موجدته . أي : غضبه .

(٣) فوجأت . أي : ضربت .

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة ، كلاهما يقول تسألين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده !

فنهاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال نساؤه : والله لا نَسْأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ هذا المجلس ما ليس عنده .

فأنزل الله تعالى آية التخيير .

فبدأ بعائشة فقال : (إنى ذا كرٌ لك أمراً ، ولا أحبُّ أن تَعجلى فيه حتى تستأمرى أبَوَيْك) .

فقالت : ما هو ؟

فتلا عليها : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ »[1] الآية .

فقالت عائشة : أفيكَ أستَأمِر أبويَّ ؟ ! إنّى أختار الله ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترتُ .

فقال : (إنَّ الله لم يبعثنى مُتَعَنِّتاً ، ولكن بعثنى معلماً ميسِّراً ، لا تسألنى امرأةٌ منهن عما اخترتِ إلا أخبرتها) .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٨

الباب الحادي عشر

في ذكر أولاده وعددهم

● عن ابن عباس قال : كان أولَ من ولد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة قَبْل النبوة : القاسمُ ، وبه يُكْنَى .

ثم ولد له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم .

ثم ولد له في الإسلام : عبدُ الله ، فَسُمِّى الطيب ، والطاهر .

وأمهم جميعاً ، خديجة بنت خُويلد .

وكان أول من مات مِنْ ولده : القاسمُ ، ثم مات عبد الله .

فقال العاصُ ابن وائل : قد انقطع ولده فهو أبْـتَر .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ شانِئَكَ هو الأَبْـتَر »(١) .

● عن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : مات القاسم وهو ابن سنتين .

وقال محمد بن عمر : كانت سُليمى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وكانت تقبل خديجة في أولادها ، وكانت تَعقّ عن الغلام شاتين ، وعن الجارية شاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تَسْتَرْضِع لهم ، وَيُعَدّ ذلك قبلَ ولادتها .

---

(١) سورة الكوثر الآية ٣

قال أبو بكر البَرْقى(١) :

يقال : إن الطَّيب والمطيَّب وُلِدا فى بطن ، والطاهر والمُطَهَّر ، ولدا فى بطن .

والصحيح أن هذه الألقاب لـ « عبد الله » ، لأنه ولد فى الإسلام .

وأما إبراهيم ، فمن مارية ، عاش ستة عشر شهراً : وقيل : ثمانية عشر .

وأما زينب ، فهى أكبر ولده ، توفيت سنة ثمان من الهجرة .

وأما رُقَيّة ، فتزوَّجها عثمان ، وتوفيت على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ، وتزوج بعدها أم كلثوم ، وتوفيت سنة تسع من الهجرة .

وأمّا فاطمة فولدت قبلَ النبوة بخمس سنين . والصحيح أنها أصغر بناته . وقد ذكر الزبير بن بكّار أن أصغر بناته ، رقيّة .

---

(١) نسبة إلى برق ، وهو بيت كبير من خوارزم ، والبرق بالفارسية بره ، ولد الشاة ، اللباب ١/١١٤

أبواب سفره

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر اليوم الذى كان يسافر فيه

● عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : قلّ ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفَراً أن يخرج إلا يوم الخميس .

● عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب يومَ الخميس ، ويستحب أن يسافر فيه .

● عن عائشة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسافر يوم الاثنين والخميس .

الباب الثانى

فى ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال :

(اللهم أنت الصاحبُ فى السَّفَر والخليفةُ فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة فى السَّفَر والكآبة فى المُنقَلَب ، اللهم اقبض لنا الأرض ، وهوِّن علينا السفَر) .

• عن عبد الله بن سَرْجِس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في سفر قال :

(اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفَر ، وكَآبة المُنقَلب ، والحَوْر بعد الكَوْر(١)، ودعوة المظلوم ، وسوء المَنظر في الأهل والمال) يبدأ بالأهل .

انفرد بإخراج هذا مسلم .

• عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا ركب راحلته ، يعني إلى السفر ، كبَّر ثلاثاً ثم قال :

« سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مُقْرنين(٢) . وإنا إلى ربنا لمُنْقلبون » .

ثم يقول (اللهم إني أسألك في سفَري هذا ، البِرّ والتقوى ، ومن العمل ما تَرْضَى ، اللهم هوِّن علينا السَّفَر ، واطوِ لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل ، اللهم اصحَبْنا في سَفرنا ، واخلُفْنا في أهلنا) .

• عن علي بن ربيعة قال : رأيت عليًّا أُتِيَ بدابّة ليركبها ، فلما وضع رجله في الرِّكاب قال : « بسم الله » .

فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كُنّا له مُقْرِنين ، وإنّا إلى ربنا لَمُنْقلبون .

ثم حمد الله ثلاثاً ، وكبّر ثلاثاً ، ثم قال :

سبحانك ، لا إله إلا أنت ، قد ظَلمتُ نفسي فاغفر لي .

---

(١) الحور : النقصان . والكور : الزيادة .

(٢) مقرنين . أي : مطيقين وقادرين .

ثم ضحك فقلت : مم تضحك يا أمير المؤمنين ؟

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلَ ما فعلتُ ، ثم ضحك . فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الربُّ مِن عبده إذا قال : ربِّ اغفر لى . يقول الله تعالى : (عَلِم عبدى أنه لا يغفر الذنوبَ غيرى) .

الباب الثالث

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّع المسافر

● عن سالم أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سَفَراً : أُدْنُ منّى أودِّعك ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّعنا فيقول :

(أستودعُ الله دِينَك ، وأمانتك ، وخواتيمَ عملك) .

● عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ودَّع رجلا من أصحابه قال : (زوَّدك الله التقوى وغفر ذنبَك ولقَّاك الخيرَ حيث توجَّهت).

الباب الرابع

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّفَر

• عن أسامة أنه سُئل عن سَيْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وأنا شاهد(١) ، قال : كان سيره العَنَق(٢) ، فإذا وجَد فجوةً نَصَّ ، والنَّصُّ : فَوْق العَنَق .

أخرجاه .

الباب الخامس

فيما كان يقول إذا نزل منزلا من الليل

• عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا أو سافر فأدركه الليل بأرضٍ قال :

(رَبِّي وربُّكِ الله ، أعوذ بالله من شَرِّكِ وشرِّ ما فيكِ ، وشرِّ ما دَبَّ عليكِ ، أعوذ بالله من شرِّ كل أسَدٍ وأسْوَد ، وحيَّةٍ وعقرب ، ومن شرِّ ساكِنِي البلد ، ومن شرِّ والدٍ وما ولَد) .

---

(١) القائل هو عروة والحديث فى البخارى : عن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه قال : سئل أسامة الخ صحيح البخارى ١/٢٣٥ .

(٢) العنق : نوع من سير الإبل ، فيه إسراع .

الباب السادس

فيما كان يقوله في السحر

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا كان في سَفَرٍ وأسْحَرَ يقول . (سمع سامعٌ بحمد الله وحُسْنِ بلائه علينا ، ربَّنا صاحبنا وأفضِلْ علينا ، عائذاً بالله من النار) .

الباب السابع

في تنفله على الراحلة

• عن أنس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد أن يصلِّيَ على راحلته ، استقبل القِبْلَةَ ، وكبَّر للصلاة ، ثم خلَّى عن راحلته ، فصلَّى حيث ما توجَّهت به .

الباب الثامن

فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم
إذا رجع من السفر

● عن ابن عمر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا قَفَلَ من غَزْوٍ، أو حَجٍّ، أو عُمْرة، يكبِّر على كل شَرَف(١) من الأرض ثلاثَ تكبيرات، ثم يقول:

(لا إله إلا الله وَحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون، صدق الله وَعْدَه، ونَصرعَبْدَه وهَزم الأحزابَ وحده).

أخرجاه.

● عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الرجوعَ من السفر قال: (آيبون تائبون لربِّنا حامدون).

فإذا دخل على أهله قال: (أَوْباً أَوْباً، لربنا تَوْباً، لا يغادِر علينا حَوْباً(٢)).

---

(١) شرف: أى: مرتفع من الأرض.
(٢) حوبا: أى: ذنبا.

الباب التاسع

فيما كان يصنع إذا قدم من السفر

● عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال :
كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يَقْدَم من سفر إلا نهاراً فى الضُّحا .
فإذا قدم ، بدأ بالمسجد ، فصلَّى فيه ركعتين ، ثم جلس .

● عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم يقعد ما قدَّر له فى مسائل الناسِ وسلامهم .

الباب العاشر

فى أنه كان لا يطرق أهله ليلا

● عن أنس بن مالك أن رسول لله صلى الله عليه وسلم كان لا يَطْرُق أهلَه ليلا ، كان يدخل عليهم غُدْوَةً أو عِشاءً .

أبوابُ آلات حربیہ

صلی اللہ علیہ وسلم

الباب الأول

فى ذكر سيفه

● عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفَّلَ سيفَه ذا الفِقَار يومَ بَدْر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يومَ أحد(١) .

● عن على قال : كان اسمُ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفِقَار .

● عن ابن عاصم قال : أخرج إلينا علىُّ بن الحسين سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قَبِيعته(٢) والحلقتان اللتان فيهما الحمائلُ ، من فضة . قال : فسألته ، فإذا هو قد نحل(٣) ، كان سيفاً لمنبِّه بن الحجاج السَّهمى ، اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بَدْر .

● عن أنس قال : كانت قَبِيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة .

---

(١) فى صحيح البخارى : « ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين » .

(٢) القبيعة : ما على رأس مقبض السيف ، من فضة ، أو حديد ، أو غيرهما .

(٣) نحل : رق .

الباب الثانى

فى ذكر درعه

• عن على قال : كان اسم درع النبى صلى الله عليه وسلم ، ذا الفُضول .

• عن جابر بن عبد الله قال : أخرج علىُّ بن الحسين لنا درعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هى يَمانية رقيقة ، ذات زَرَافين(١) ، فإذا علقت بزرافينها ، شمّرت ، فإذا أرسلت ، مَسّت الأرضَ .

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : كانت فى درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حلقتان من فضة .

• عن السائب بن زيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يومَ أحد ، دِرعان ، قد ظاهَر بينهما .

الباب الثالث

فى ذكر مغفره

• عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعلى رأسه مِغفَر من حديد .

---

(١) الزرافين جمع زرفين وهى : الحلقة .

الباب الرابع

فى ذكر قوسه

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبهم يوم الجمعة فى السَّفَر ، متوكئاً على قوسٍ قائماً .

الباب الخامس

فى ذكر رمحه

● عن أنس قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم رمح أو عصا ، تُرْكَزُ له ، فيصلِّى إليها .

الباب السادس

فى ذكر حربته

● عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان تُرْكَز له الحَرْبة . فتوضع بين يديه ، فيصلى إليها والناسُ وراءه .

وكان يفعل ذلك فى السفَر ، فمن ثَمّ ، اتخذَها الامراء .

● عن ابن يزيد قال : بعثنى نجدة الحَرُورى إلى ابن عباس أسأله :

هل [كان] يُسْتَر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرْبة ؟

قال : نعم . فى خيبر .

الباب السابع

فى ذكر رايته ولوائه

● عن عبد الله بن بُرَيدةَ ، عن أبيه ، أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء ولواؤه أبيض .

● عن عائشة قالت : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، وكانت رايته سوداء من مِرْط لعائشة مُرَحَّل(١) .

● عن يونس بن عُبيد مولَى محمد بن القاسم قال : بعثنى محمد بن القاسم إلى البراء بن عازِب أسأله عن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت ؟ قال : كانت سوداء مربَّعة من نَمِرة(٢) .

● عن ابن عباس قال : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ، ولواؤه أبيض مكتوب فيه : « لا إله إلا الله محمد رسولُ الله » .

● عن الحسن قال : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسمَّى العُقاب .

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز . والمرحل : الذى فيه صور الرحال .
(٢) النمرة : بردة من صوف .

الباب الثامن

فى ذكر قضيبه

• عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبُّ العراجينَ ، فلا يزال فى يده منها شىء ، فدخل يوماً المسجدَ وفى يده عرجون، فرأى نخامةً فى القبلة فحكّها بالعرجون .

• عن أبى الزبير أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان يخطب وفى يده مِخْصَرة(١) .

• عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغَرْقَد ، فقعد ومعه مِخْصرة ، فنكس ، وجعل ينكت بيده .

قال المصنف : كان له قضيب ، وهو اليومَ عندَ الخلفاء .

الباب التاسع

فى ذكر عصاه

• عن ابن عباس قال : التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ، ويأمر بالتوكؤ على العصا .

(١) المخصرة : ما يتوكأ عليه ، وما يشير به الخطيب إذا خطب .

أبواب غزواته

عليه الصلاة والسلام

● غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزاةً قاتل منها في تسع : بَدْر ، وأُحد ، والمُرَيْسيع ، والخَندق ، وقُرَيظة ، وخَيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف .

وقد قيل : إنه قاتل في بني النضير ، وفي غزاة وادي القُرى ، وفي الغابَة .

ونحن نشير إلى غزواته إشارة لطيفة ، إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في ذكر ما كان يقوله إذا غزا

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال : (اللهم أنت عَضُدي ، وأنت نصيري ، وبك أُقاتِل) .

الباب الثانى

فى ذكر غزاة الأبواء

● وهى غزاة وَدان وهى أولُ غزاة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وذلك على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة .

وحمل اللواء حمزةُ ، وخرج فى المهاجرين ، ليس فيهم أنصاريّ ، حتى بلغ الأبواء ، يعترضُ عِيرًا لقريش ، فلم يَلْقَ كيداً[1] .

وواعَد مَخْشِيَّ بن عمرو الضَّمْرى وهو سيدهم ، على أن لا يغزو بنى ضَمْرة ولا يَغزونه . وكتب بينه وبينهم كتابا .

وانصرف إلى المدينة ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

(١) كيداً . أى : حرباً . قال فى الصحاح : وربما سمى الحرب كيداً . يقال : غزا فلان فلم يلق كيداً (أى حرباً) وكل شىء تعالجه فأنت تكيده . اهـ المراد منه .

الباب الثالث

فى غزاة بواط

● وكانت فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مُهاجره ، وحمل اللواء ، سعدُ بن أبى وقّاص ، واستخلَف على المدينة ، سعدَ ابن معاذ(١) .

وخرج فى مائتين من أصحابه ، يعترضُ عِيرَ قريش ، وكان أمية بن خلَف فيها ، ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير .

فبلغ بُوَاطًا ، وهى جبال هيّنَة ، من ناحية رُضْوى . وبين بواط والمدينة ، نحوٌ من أربعة بُرُدٍ ، فلم يَلْق كيداً ، فرجع إلى المدينة .

الباب الرابع

فى غزاة طلب كرز بن جابر

على رأس ثلاثة عشر شهرا . وكان كُرْز قد أغار على سَرْح(٢) المدينة فاستاقه ، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وادى سَفْوان(٣) من ناحية بدر ، ففاته كُرْز ، فرجع .

(١) قال ابن هشام : واستخلف على المدينة ، السائب بن عثمان بن مظعون .
(٢) السرح : ما يرعى من النعم .
(٣) الأصل : شقران . وهو تحريف .

الباب الخامس

فى غزاة ذى العشيرة(١)

على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجره . واستخلف على المدينة أبا سَلَمة وخرج هو وأصحابه على ثلاثين بعيرا يَعْتَقبونها(٢) ، خرج يعترض عير(٣) قريش فيها أموالهم ، فبلغ ذا العُشَيرة ، وبينها وبين المدينة ، تسعة بُرُد ، ففاتوه .

وهى العير التى رجعت من الشام ، وخرجت قريش للدَّفع عنها ، فكانت وقعة بدر .

(١) الذى فى المراجع كلها : غزوة العشيرة ، نسبت إلى المكان الذى وصلوا إليه ، وهو موضع لبنى مدلج بـ « ينبع » .

(٢) يعتقبونها . أى يركبونها مناوبة .

(٣) الأصل : بعير . محرفة .

الباب السادس

فى غزاة بدر

كان مع أبى سفيان أموالٌ لقريش يتَّجر لهم بها ، وهو فى قلة من العدد .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ، فخرجوا لطلب الأموال .

فبلغَ أبا سفيان ، فبعث إلى مكة ضَمْضَم بن عمرو ، يَسْتَنْفِر قريشا لأجل أموالهم ، فجاء وقد جدع بعيره ، وشقَّ قميصَه وهو يقول :

يا معشر قريش . اللطيمة(١) ! أموالُكم مع أبى سفيان ، قد عَرض لها محمدٌ وأصحابُه ، لا أرى أن تُدْرِكوها ، الغوثَ الغوث .

فتجهزوا سراعاً ، وخرجوا .

● عن ابن عباس قال : رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاثِ ليالٍ ، رؤيا أفزعتها ، فأخبرت بها العباس وقالت :

قد تخوَّفتُ أن يدخل على قومك منها شرٌّ .

رأيتُ راكباً أقبلَ على بعير له ، حتى وقف بالأبْطَح ، ثم صرخ بأعلى صوته :

انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث . فاجتمع له الناسُ .

ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه ، فمَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، فصرخ :

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : اللطيمة : العير (قافلة الجمال) التى تحمل الطيب وبز التجار .

ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث .

ثم مثل به بعيرُه على جبل أبى قُبَيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً ، ثم أرسلها ، فأقبلت تهوى .

حتى [إذا](١) كانت بأسفل الجبل ، ارْفَضَّتْ(٢) فما بقى بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ ، إلا دخلتها منه فَلْقة(٣) .

فقال العباس : رؤيا ، فاكتميها(٤) .

ثم خرج العباسُ فلقى أبا جهل فقال : يا بنى عبد المطلب ، متى حدَثت هذه النبيَّةُ فيكم ؟ ! قلت : وما ذاك ؟

قال : رؤيا عاتكة ، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالكم ، حتى تتنبَّأ نساؤكم ؟ !

فإن مضت الثلاثُ ، ولم يكن من ذلك شىء ، كتبنا عليكم كتاباً ، أنكم أكْذَبُ أهل بيت فى العرب :

قال العباس : فأنكرْتُ أن تكون رأت شيئاً .

قال : فلم تبق امرأة(٥) من بنى عبد المطلب إلا جاءت فقالت :

أقررتم لهذا الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناوَلَ النساء ؟

فخرجتُ لأتعرّض له ، فرآنى فاستتر فقلت :

هذا قد فَرِق(٦) أن شاتمته . وإذا هو قد سمع صوتَ ضَمضم .

---

(١) من ابن هشام . (٢) ارفضت . أى : تفتتت وتفرقت .
(٣) فلقة . أى : قطعة .
(٤) ابن هشام : والله إنها لرؤيا فاكتميها ، لا تذكريها لأحد .
(٥) الأصل : إلا امرأة ، وما أثبته عن ابن هشام .
(٦) فرق . أى : خاف .

• قال أهل التفسير : لمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيء أهل مكة ، استشار أصحابه . فقال أبو بكر فأحْسَن . وقال عمر [فأحْسَن] .

وقال المِقْدَاد : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك .

والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا هيهنا قاعدون .

والذى بعثك بالحق ، لو سِرْت بنا إلى بَرْكِ الغماد ، يعنى مدينة بالحبشة(١) ، لجالَدْنا مَنْ دونه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

ثم قال : أشيروا عَلَيّ . وإنما يريد الأنصار .

فقال سعدُ بن مُعاذ : امض لما أردتَ ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فَخُضته ، لَخَضناه معك ، إنا لَصُبُر عند الحرب ، فَسِرْ بنا على بركة الله .

فقال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله ، لَكَأَنِّى أنظر إلى مَصَارع القوم .

ثم سار حتى نزل قريباً من بدر .

ونجا أبو سفيان بالعير ، ثم بعث إلى القوم : إن الله قد نجَّى أموالكم فارجعوا .

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً .

---

(١) برك الغماد : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن ، وقيل : هى أقاصى هجر ، أو أقصى اليمن .

وكانت بدر موضعاً من مواسم العرب ، يجتمع لها سوقٌ كل عام .

فنُقيم هناك ثلاثاً ، ونَنْحَر الجزُر ، ونطعم الطعامَ ، ونشرب الخمور ، وتضرب علينا القيانُ(١) ، وتسمع بنا العربُ ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

فبلغ ذلك أبا سفيان فقال : واقوماه ، هذا عملُ عمرو(٢) بن هشام . يعنى : أبا جهل . ثم لحق بالمشركين فمضى معهم .

وبُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه .

ونظر عُمَير بن وَهْب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه : أرى نوَاضح يثرب تحملُ الموتَ الناقع ، ما لهم مَلْجأ إلا سيوفُهم .

والله ما أرى [أن] يُقْتَل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلاً منكم .

فإذا أصابوا منكم مثل عددهم ، فلا خير فى العيش بعد ذلك .

فهَمَّ عُتبة بالرجوع ، فقال له أبو جهل : انتفخَ سَحْرك(٣) .

وعقد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الألوية ، واستقبل القبلة ومدَّ يديه وقال :

« اللهم إنْ تَهلك هذه العصابة ، لا تُعْبَد فى الأرض » .

فما زال يستغيث حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فردّاه ، ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبى الله كفاك(٤) مُنَاشدتك(٥) ربك ، فإنه سيُنْجِز لك ما وعدك ،

---

(١) القيان : المغنيات . (٢) الأصل : عروة . وهو تحريف .

(٣) انتفخ سحره : جبن . والسحر : الرئة .

(٤) الأصل : كذلك . وهو تحريف .

(٥) مناشدتك . أى : إلحاحك عليه ومطالبتك له .

وخرج عُتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، فدعا إلى المبارزة .

فخرج فِتْية من الأنصار فقالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أَخْرِج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا حمزة قُمْ ، يا عبيدة قُمْ ، يا علىّ قم . فقالوا : أكفاء كرام .

فبارز عبيدةُ عتبة ، وبارز حمزةُ شيبة ، وبارز علىٌّ الوليد .

فقتل حمزةُ عُتبة ، وقَتل علىٌّ الوليد ، واختلفَ عبيدةُ وعقبة ضربتين ، كلاهما أثبتَ صاحبَه ، فكرَّ حمزةُ وعلىّ على عُتْبة ، فقتلاه .

ثم زَحف بعضُ الناس إلى بعض ، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفنةً من الحصباء ، فاستقبلَ بها قريشاً وقال : شاهَتِ الوجوه .

ثم قال لأصحابه : شُدُّوا .

ونزلت الملائكةُ ، فجاءت ريحٌ ثم ذهبت ، ثم جاءت ريحٌ أخرى ثم أخرى .

فكان فى الأولى ، جبريل فى ألف .

وفى الثانية ، ميكائيل فى ألف .

وفى الثالثة ، إسرافيل فى ألف .

وكان سِيما الملائكةِ ، عمائمُ خُضْر ، وصفر ، وحمر من نور ، وهم على خيلٍ بُلْقٍ .

وسمع المشركون حَمْحَمة الخيل ، وكان المسلم يَتْبعُ الكافرَ ليقتله ، فيقع رأسُه قبلَ أن يصل إليه .

فـكانت الهزيمةُ .

فقُتل مِن صَنَاديد القوم سبعون ، وأُسِر سبعون ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأسارى .

فقال أبو بكر : هؤلاء بنو العم والعشيرة .

وإنى أرى أن نأخذ منهم الفِدْية ، فتـكون قوة لنـا على الـكفار .

وعسى أن يَهْدِيهم [الله] .

فقال عمر : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولـكنى أرى أنْ تمـكِّننى من فلان — قريب لعمر — فأضربَ عنقه ، وتمـكن عليًّا من عَقِيل فيضربَ عنقه ، وتمـكن حمزة من فلان أخيه ، فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هَوادَةٌ للمشركين ، هؤلاء صَناديدهم وأئمتهم .

فمـالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبى بكر ، فأخذ منهم الفِداء .

● عن عبد الرحمن قال : إنى لواقفٌ يومَ بدر فى الصف .

فنظرتُ عن يمينى وشمالى ، وإذا أنا بَيْنَ غلامين من الأنصار ، حديثةٌ أسنانهما فتمنَّيتُ أنْ لو كنت بينَ أَضْلَعَ(١) منهما .

فغمزنى أحدهما ، فقال لى : يا عم ، هل تَعرف أبا جهل ؟

قلت : نعم ، وما حاجتُك إليه يابن أخى ؟

قال : بلغنى أنه سبّ(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى

---

(١) أضلع : أقوى .　　(٢) وتروى : يسب .

بيده ، لو رأيتهُ لم يفارقْ سوادى(١) سوادَه ، حتى يموتَ الأعْجل .

قال : فغمزنى الآخر فقال لى مثلها . فتعجَّبتُ لذلك .

ثم لم أنشب أنْ نظرت إلى أبى جهل يزول(٢) فى الناس ، فقلت لهم : ألا ترَيان ؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه .

فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، وقال كلٌّ واحد منهما : أنا قتلته .

فنظر فى سيفيهما وقال : كلا كما قتله ، وقضى بسَلَبه ، لمعاذ بن عمرو ابن الجموح .

وهما : معاذ بن عمرو ، ومعاذ بن عَفْراء .

أخرجاه فى الصحيحين .

● عن أبى عبيدة قال : قال عبد الله : انتهيتُ إلى أبى جهل يومئذ ، وقد ضُربت رجله وهو صريع ، وهو يذبُّ الناسَ عنه بسيفٍ له ، فأخذْته فضربته حتى قتلته ، فقلت :

الحمد لله الذى أخزاكَ الله يا عدوَّ الله .

قال [إنْ] هو إلا رجلٌ قتَله قومُه .

فجعلت أتناوله بسيفٍ لى غير طائل ، فأصبتُ يدَه فندر سيفُه(٣) فأخذْته فضربتهُ حتى قتلته .

---

(١) سوادى . المراد : جسمى .
والمعنى : لم يفارق جسمه جسمى حتى يموت الأعجل .

(٢) وتروى : يجول .

(٣) ندر . أى : سقط .

قال : ثم خرجتُ حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنما أُقَلُّ من الأرض فأخبرته فقال : آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فردَّدها ثلاثا .

فقلت : الله الذى لا إله إلا هو .

فخرج يمشى حتى قام عليه فقال :

الحمد لله الذى أخزاك يا عدوَّ الله ، هذا كان فرعونَ هذه الأمة !

• عن عطية بن قيس قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال بدر ، جاءه جبريل عليه السلام على فرس عليه درعه ورمحه ، وقد عصَّب الغبارُ رأسَه فقال :

يا محمد إن الله عز وجل بعثنى إليك ، وأمرنى أن لا أفارقك ، حتى ترْضى . أرضيتَ ؟

قال : نعم رضِيتُ . فانصرف .

الباب السابع

فى إلقاء رءوس المشركين فى القليب

● عن طلحة أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمر بأربعة وعشرين رجلًا من صَنادِيد قريش يوم بدر ، خبيث مُخبَّث .

وكان إذا ظهر على قوم ، أقام بالعَرْصة ثلاثة أيام .

فلما كان ببدر اليومَ الثالث ، أمر براحلته فشُـدَّ عليها رَحْلُها ، ثم [مشى و](١) اتبعه أصحابه ، فقالوا(٢) : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِى(٣) ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم :

يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، أيسرُّكم أنكم أطعتم الله ورسولَه ، فإنا قد وجَدْنا ماوعَدنا ربّنا حقًّا ، فهل وجدتم ماوَعد ربُّكم حقا ؟

فقال عمر : يا رسول الله ، ما تُكلِّم من أجسادٍ ، لا أرواح لها فيها .

فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم :

والذى نفسُ محمد بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم .

قال قتادة : أحياهم الله حتى أسْمَعهم قولَه ، توبيخاً وتصغيراً ، ونِقْمةً وندماً .

أخرجاه .

---

(١) من البخارى . (٢) الأصل : وقال . وما أثبته من البخارى .

(٣) شفة الركى : طرف البئر .

الباب الثامن

في غزوة بني قينقاع

• وكانت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً . وكانوا يهوداً.
فحمل لواءه حمزة ، واستخلف أبا لُبابة .

وكانوا وادَعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غدَروا .

فحاصرهم ، فنزلوا على حكمه ، وأن له أموالهم ولهم النساء والذُّرية .

الباب التاسع

غزاة السويق

• على رأس اثنين وعشرين شهراً . واستخلَف أبا لُبَابة .

وذلك أن أبا سفيان ، حرَّم الدُّسم حتى يَأخذ بثأره من محمد وأصحابه .

فوصل إلى نحو المدينة ، فقتل رجلين ، وحرق أبياتاً ، ورأى أنّ يمينه قد حَلَّت ، فهرب .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فخرج في إثرهم .

وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففّون ، حتى يُلقون جُرُب السَّويق ، فيأخذها المسلمون ، فلم يلحقوه ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم .

الباب العاشر

غزاة قرقرة الكدر

● على رأس ثلاثة وعشرين شهراً .

حمل لواءه علىٌّ ابن أبى طالب ، واستخلف ابنَ أم مكتوم ، فظفر بِنَعَمٍ ، تبلغ خمسمائة بعير ، ورجع .

الباب الحادى عشر

غزوة غطفان

● على رأس خمسة وعشرين شهراً ، واستخلف عثمانَ بن عفان .

وذلك أنه بلغه أن جَمْعاً قد تجمعوا لخرج ، فهربوا منه .

وجاء غَوْرث بن الحارث ، والنبى صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، وبيده سيف فقال :

من يَمْنعك منى ؟ فقال : « الله » فأسلم(١) .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الذى فى الروايات أنه لم يسلم ، وقال : ولكنى لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

الباب الثاني عشر

غزاة بني سليم

• على رأس سبعة وعشرين شهراً ، بناحية الفُرع(١) .

وذلك أنه بلغه أن بها جَمْعاً من بني سُلَيم ، فخرج فتفرقوا .

الباب الثالث عشر

غزاة أحد

• لمّا رجع مَنْ حضر بدراً من المشركين إلى مكة ، وجدوا العِيرَ التي قدِم بها أبو سفيان موقوفةً على دار الندوة ، فمَشَتْ أشرافُ قريش إلى أبي سفيان وقالوا : نحن طَيّبو الأنفُس بأن نجهِّز بِرِبْح هذه العير ، جيشاً إلى محمد .

قال أبوسفيان : أنا أولُ من أجابَ إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي . فباعوها . فصارت ذهباً ، وكانت ألفَ بعير ، وكان المالُ خمسين ألف دينار ، فسلّم إلى أهل العير رءوسَ أموالهم ، وعُزلت الأرباح ، وبعثوا إلى العرب

(١) قال في المصباح : والفُرع وزان «قُفْل» عمل من أعمال المدينة ، والصفراء وأعمالها من الفُرع ، وكانت من ديار «عاد» .

وفي القاموس ، الفرع موضع من أضخم أعراض المدينة .

يَسْتنفرونهم ، وأجمعوا على إخراج الظُّعُن(١) معهم ، ليذكروا بهم بدراً ، فيكون أشدّ لهم فى القتال .

وخرجت قريش ، ومعهم أبو عامر الراهب ، وهم ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وكانت الظُّعُن معهم : خمس عشرة امرأة .

فساروا حتى نزلوا ذا الُحلَيفة .

وكان سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأُسَيد بن حُضَير ، بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة من الناس ، وحُرست المدينة .

وكان رَأْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة .

فطلب فتيانٌ أحداثٌ ، لم يشهدوا بدراً ، أن يخرجوا ، حرصاً على الشهادة .

فصلّى الجمعة ثم وعظهم ، وأمَرهم بالجد والاجتهاد ، ثم صلى العصر ، ودخل بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعَمَّماه وألْبَساه ، وصُفّ له الناسُ .

فخرج وقد لبس لَأْمته وتقلّد السيفَ ، وألقى التُّرْسَ من وراء ظهره ، وعقد ثلاثةَ ألوية ، واستخلف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

ثم ركب فرسه ، وتقلّد القوسَ ، وأخذ قِبلته(٢) بيده ، وفى المسلمين مائة دارع .

---

(١) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة ما دامت فى الهودج ، والمراد : النساء .

(٢) القبلة : صدر القوس .

واعتزَل ابنُ أُبيّ فى ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، وأقبل يسوِّى الصفوف وخلّف « أُحداً » وراء ظهره ، واستقبلَ القبلة ، وأقام خمسين من الرماة .

[وأقام المشركون] على الميمنة ، خالدَ بن الوليد ، وعلى الميسرة ، عكرمة ، وعلى الخيل ، صفوان بن أمية .

وجعل نساء المشركين يضربْنَ الدفوفَ ويقلن :

نَحْنُ بَنَــاتُ طَارِقْ　　نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقْ
وَالْمِسْـكُ فِى الْمَفَارِقْ　　إِنْ تُقْبِـلُوا نُعَانِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ　　فِرَاقَ غَـيْرَ وَامِقْ

فأقبلوا وانكشف المشركون ، وأقبل المسلمون يأخذون الغنائم ، وأقبل جماعة من الرماة .

فنظر خالد بن الوليد إلى خَلَل ، فكَرّ(١) بالخيل ، وتبعه عكرمة ، وانتقضت صفوفُ المسلمين ونادى إبليس لعنه الله : قُتِلَ محمد .

وثبَت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصابة من أصحابه فأصيبت رُبَاعيّته ورماه ابنُ قَمِئة بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشَجّه فى وجهه .

ورمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبيَّ بن خلف بحَرْبة ، فمات منها .

● عن سعد بن أبى وقاص قال :

---

(١) كرّ . أى هجم .

لقد رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويساره ، رجلين عليهما ثياب بيضٌ ، يقاتلان عنه أشدَّ القتال ، ما رأيتهما قبلُ ، ولا بعدُ .

أخرجاه .

● عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كُسِرت رُباعيته يومَ أحد ، وشُجَّ فى وجهه ، جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول :

كيف يفلح قومٌ خَضَبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى ؟!!.

فنزلت هذه الآية : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ(١) » .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبى بشر المازنى قال : حضرتُ يومَ « أحد » وأنا غلام .

فرأيت ابن قَمِئة ، علا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف .

فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقع على كتفيه فى حفرة أمامه ، حتى توارى .

فجعلتُ أصيح وأنا غلام ، حتى رأيت الناسَ يأتون إليه ، فأنظر إلى طلحة ابن عبيد الله ، أخذ بحضنه ، حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن أبى يوسف الفِرْيابى قال: لقد بلغنى أن الذين كسروا رُباعية النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يولد لهم صبى ، فنبتت له رُباعية !

● عن الزبير بن بَكّار قال : قُتل أُمية بن خَلف ببَدْر ، وكان أخوه أُبىّ بن خلف قد أسر يومئذ .

فلما فُدى ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

إن عندى فَرَساً أعلفه كلّ يوم فَرَقاً(١) من ذُرَة ، أقتلك عليه :
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بل أنا أقتلك إن شاء الله) .

فلما كان يومُ أُحُد ، وانحاز المسلمون إلى شِعْب أُحُد ، أبصرَ أُبَيَّ ابن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمل عليه فشدّ ، فحمل عليه الزبير ابن العوام ، ومع الزبير الحربة .

فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فطعنه بها فى تَرْقوته فخرَّ صريعاً.
فأدركه المشركون فأرسوه(٢) وله خوار ، فجعلوا يقولون: ما بك بأس.
قال : أليس قال لى : أنا أقتلك .
فحملوه حتى مات بمَرّ الظَّهْران ، على أميال من مكة .

● عن سعد بن معاذ أنه قال لأمية : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه قاتلُك .

قلت : يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أُمية يوم بدر ، وقتل أُبَيّ بن خلَف يوم أُحد .
ويحتمل أن يكون المعنى : يقتلك أصحابى .

● عن البَراء بن عارب قال : جَعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة يومَ أُحد ، وكانوا خمسين رجلًا ، عبدَ الله بن جُبير ، وقال :
إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ، فلا تَبرحوا حتى أُرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظَهرنا على القوم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم .

فهزموهم ، فأنا والله ، رأيت النساء يشْتَدِدْن على الجبل ، وقد بدَتْ أسوقهن وخلاخيلهن ، رافعات ثيابهن .

---

(١) قال فى المصباح : والفرق بفتحتين (فتح الفاء والراء) مكيال . يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . (٢) أرسوه : أقاموه .

فقال أصحابُ عبد الله بن جبير : الغنيمةَ ، ظَهَر أصحابكم فما تنتظرون ؟

قال ابنُ جُبَير : أنسيتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لَنأتينَّ الناسَ ، فَلَنُصيبنَّ من الغنيمة .

فلما أتوهم ، صُرِفت وجوههم(١) فأقبلوا منهزمين ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير اثنى عشر رجلا ، فأصابوا منهم سبعين رجلا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلا .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً .

فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال: أفى القوم ابن [أبى] قحافة: ثلاثاً. أفى القوم ابن الخطّاب ؟ ثلاثاً :

ثم أقبل على أصحابه فقال : هؤلاء قد قُتلوا ، وقد كُفيتوهم .

فما ملَكَ عمر نفسه أنْ قال : كذبتَ والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عدَدْتَ لأحياء كلهم ، وقد بَقِى لك ما يسوؤك .

قال : ولم يَسُوؤنى ؟ ثم أخذ يرتجز : أُعْلُ هُبَلْ ، أُعْلُ هُبَلْ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟

فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : « الله مولانا ، ولا مَوْلى لكم » .

---

(١) صرفت وجوههم : تحيروا ، فلم يدروا أين يذهبون .

الباب الرابع عشر

في غزاة حمراء الأسد

• على رأس اثنين وثلاثين شهراً ، وذلك أنهم لما انصرفوا من « أحد » بات الناسُ يُداوون جراحاتهم .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، أمر بلالاً ، فنادى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ، فلا يخرج معنا ، إلا من شهدَ القتال بالأمس .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجهه مشجوج ، وشفته قد كُلمت ، فعسكرَ بـ « حمراء الأسد » ، وذهب العدوُّ ، فرجع إلى المدينة .

الباب الخامس عشر

فى غزاة [بنى] النضير

● على رأس سبعة وثلاثين شهراً . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمهم أن يُعينوه فى دية رجلين كان قد أمّنهما ، فقتلهما عمرو ابن أمية ، فقالوا : نفعل .

فقال عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت ، فأطرح عليه صخرةً .

فقال سَلاّم بن مِشْكم : لا تفعلوا ، فوالله ليُخبَرَنَّ بما همَمْتم به .

فجاءه الخبر ، فتربّض(١) سريعاً إلى المدينة ، وبعث إليهم :

أن اخرجوا من بلدى ، وقد أجّلتكم عشرةَ أيام . فتجهّزوا .

فأرسلَ إليهم ابنُ أبىّ : لا تخرجوا ، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم ، وتُمدكم قُرَيظةُ وحلفاؤكم من غَطفان .

فطمع حُيَىّ فقال : ما نخرج .

[فخرج] إليهم ، وعلىٌّ يحمل رايتَه ، واستخلَف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

فقاموا على حصنهم يضربون بالنَّبل والحجارة .

واعتزلتْهم قريظة ، وخذلهم ابنُ أبىّ وحلفاؤهم ، من غطفان .

فحاصرهم ، وقطع نخلهم .

---

(١) تربض : أوى وعاد .

فقالوا : نخرج من بلادك . فتحمّلوا على ستمائة بعير .

فقال : اخرجوا ، ولكم دماؤكم وما حملت الإبلُ إلا الحَلْقة(١) .

فأخذ منهم خمسين درعاً ، وخمسين بَيْضة ، وثلاثمائة وأربعين سيفاً .

وكان ذلك خالصاً له ، لم يُسْهم منه أحداً .

الباب السادس عشر

فى غزاة بدر الموعد

● وذلك أن أبا سفيان قال — لمّا انصرف عن أحد — : الموعدُ بيننا وبينكم بدرٌ الصغرى ، رأسَ الحول .

فلما دنا الموعدُ ، كره أبو سفيان الخروجَ .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وخمسمائة ، وحمل لواءه على بن أبى طالب . وخرجوا ببضائع لهم ، وكانت بدو الصغرى ، سُوقاً يقوم لهلال ذى القعدة ، فانتهوا إليها هلالَ ذى القعدة ، فباعوا وربحوا .

وخرج أبو سفيان حتى بلغ مَرّ الظّهران ، ثم رجع ، وقال : هذا عامُ جَدْب .

قال مجاهد : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ »(٢) قال : هذا أبو سفيان ، قال : يا محمد موعدكم بَدْر ، حيث قَتلتم أصحابنا .

---

(١) الحلقة . أى : السلاح بجميع أنواعه .
(٢) سورة آل عمران . الآية ١٧٣

فانطلق النبيُّ صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزلوا بدراً فوافَوا السوقَ ، فذلك قوله تعالى : « فَانْقَلَبوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء »(١) والفضل : ما أصابوا من التجارة . وهي بدرٌ الصغرى .

الباب السابع عشر

غزاة ذات الرقاع

● على رأس سبعة عشر شهراً . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخبِرَ بأن أ[illegible] قد جمعوا له الجموعَ .

فاستَخْلف عثْمانَ بن عفان ، وخرج حتى أتى محالّم ، بذات الرِّقاع ، وهو جبل فيه بُقَع حُمر ، وسواد وبياض .

فرقِيَ الجبل ، فلم يجد إلا نسوةً فأخذهن ورجع .

وقيل : إن بها جاء غَوْرَث بن الحارث وقال : من يمنعك مني ؟(٢)

---

(١) سورة آل عمران ١٧٤

(٢) سبق ذكر هذا الخبر في الجزء الأول ص ٤٩٤ من هذا الكتاب .

الباب الثامن عشر

في غزوة دومة الجندل

● على رأس تسعة وأربعين شهراً . بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن بها جمعاً كثيراً ، يظلمون مَنْ مرَّ بهم .

فخرج في ألف ، واستخلف سِبَاع بن عُرْفطة .

فهجم على ماشيتهم ، ورِعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب ، ورجع إلى المدينة .

الباب التاسع عشر

في ذكر غزاة المريسيع

• وهو اسم بئر لبني المُصْطَلِق ، وكان سيدهم ، الحارث بن أبي ضِرار ، وكان جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وترامَوا بالنَّبْل ساعةً .

ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ، فحملوا حملةً واحدة .

فقُتل عشرة من العدوّ ، وأُسر الباقون .

ولم يُقتل من المسلمين ، إلا رجل واحد .

وسبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الرجالَ والنساء ، والذرية والنَّعم .

وكانت الإبل ، ألفَيْ بعير ، والشاء خمسة آلاف ، والسَّبْي مائتي أهل بيت .

وجُعلت جُوَيرية بنت الحارث ، في سهم ثابت بن قيس ، وابن عم له ، فكاتَباها .

وقيل : في سهم ثابت بن قيس وحده .

فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، فأدَّى عنها وتزوَّجها .

فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُسْتَرَقُّون !

فأعتقوا ما كان في أيديهم .

الباب العشرون

فى ذكر غزاة الخندق

وهى غزاة الأحزاب .

لمّا أجْلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى النَّضير ، خرج نفر من أشرافهم إلى مكة ، فألّبوا قريشاً ودَعَوْهم إلى الخروج ، واجتمعوا معهم على قتاله ، ثم خرجوا ، فأتوا غطفان و [بنى] سُليم ، ففارقوهم على مثل ذلك .

وتجهزت قريش وجمعوا ، فكانوا أربعة آلاف .

وعقدوا اللواء فى دار الندوة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألفاً وخَمسمائة بعير ، وخرجوا(١) يقودهم أبو سفيان .

ووافتهم بنو سُليم بمَرّ الظَّهران وهم سَبْعمائة ، وخرجت معهم بنو أسد .

وخرجت فَزَارةُ وهم ألفٌ ، وخرجت أشْجع وهم أربعمائة .

وخرجت بنو مُرّة ، وهم أربعمائة أيضاً . وكان جميع مَن وافَى الخندقَ من القبائل ، عشرةُ آلاف ، وهم الأحزاب .

فلما بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وصولُهم من مكة ، ندَبَ الناسَ ، فأشار سَلْمانُ بالخندق ، وعسكرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، إلى سفح سَلْع(٢) ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف . وفرغوا من الخندق فى ستة أيام .

---

(١) فى الأصل «وخرجوا» وهو تحريف . (٢) سلع . اسم جبل بالمدينة .

وعمل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده .

● عن البَراء بن عازب قال : لمّا أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، عَرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاولُ .

فشكَوْنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآها ، ألقى ثوبَه ، وأخذ المِعْول وقال : « بسم الله » .

ثم ضَرَب ضربةً ، فكسر ثلثها ، وقال :

(الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ الشام ، والله إنى لأُبصر قصورَها الحُمْر الساعة) .

ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثها الآخر . وقال : (الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ فارس ، والله إنى لأُبصر القصرَ الأبيض من المدائن) .

ثم ضرب الثالثة وقال : « بسم الله » فقطع بقية الحجر ، وقال :

(الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن . والله إنى لأُبْصِرُ أبواب صنعاء ، من مكانى هذه الساعة) .

قال علماء السِّيَر : كان اشتدّ الخوفُ يومَ الخندق ، وفشل الناسُ ، وخِيف على الذَّرارى والأموال ، وطَلب المشركون مَضِيقاً من الخندق ، يُقْحِمون فيه خيلَهم .

فعبرَ منهم جماعةٌ ، منهم : عمرو بن عبد ودّ . فجعل يدعو إلى البِراز وهو ابن سبعين سنة ، فبارزه علىٌّ فقتله .

فأصبحوا ، فجمعوا كَتيبةً غليظةً ، فيها خالد بن الوليد ، وقاتلوا

إلى الليل . ولم يصلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، ظهراً ، ولا عصراً وقال :

(شَغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم أو قبورهم ناراً) .

وحُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بضع عشرة ليلة .

وقيل : أربعا وعشرين !

وكان نُعَيْمُ بن مسعود قد أسلم ، فمشى بين قريش وقريظة ، فخذَّل(١) بينهم ، وهبَّتْ ريحٌ شديدة .

فقال أبو سفيان لأصحابه : إنكم لستم بدار مُقَام ، قد هلك الخفُّ والحافر ، واختلفت قريظة ، ولقينا من الريح ما ترون ، فارتحلوا ، إلى مرتحل .

وقتل من المشركين يومئذ ، ثلاثة ، ومن المسلمين ، ستة .

---

(١) خذل . أى : فرق بينهم وأحدث فيهم الاختلاف .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر غزاة بني قريظة

● لمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، جاءه جبريل فقال : (إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة ، فإني عامدٌ إليهم ، فأزلزل بهم حصونهم) .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا فرغ من الأحزاب ، دخل المغتسل ليغتسل ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال : (أوَضَعْتُمُ السلاح ؟! ما وضعت الملائكةُ أسلحتها ، وها أنا أَنْهَدُ(١) إلى بني قريظة) .

قالت عائشة : كأني أنظر إلى جبريل من خلل الباب ، قد عصّب رأسه الغبار(٢) .

قال علماء السِّير : [فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً] يُؤَذِّنُ في الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن لا تصلُّوا العصرَ إلا في بني قريظة . واستخلَفَ ابنَ أم مكتوم .

ثم سارَ في ثلاثة آلاف ، فحاصرهم أشدَّ الحصار ، فأرسَلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرسلْ إلينا أبا لُبَابة ابن عبد المنذر . فأرسَلَه ، فشاوروه .

فأشار إليهم بيده : إنه الذبح ، ثم ندم وقال : خُنْتُ الله ورسوله .

---

(١) أنهد : أنهض . (٢) الغنان : الغبار .

فربط نفسه فى المسجد ، ولم يأت حتى أنزل الله توبته .

ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم محمدَ بن مَسْلمة ، فَكُتِّفوا ونُحُّوا ناحيةً ، وعَزَل النساءَ والذرية ، وجُمعت أمتعتهم ، فكانت ألفاً وخَمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألفَيْ رمح ، وخَمْسمائة تُرْس وجُحَفة ، وجِمَالاً(١) كانت نواضح .

وكلّمت الأوسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَهَبَهم لهم ، وكانوا حُلفاءهم ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحُكْمَ بينهم إلى سعد ابن معاذ ، فحكَمَ فيهم أن يُقْتل كلُّ من حَزَّب عليه ، [وتُغْنَم] المواشى ، وتُسْبي النساء والذرارى ، وتُقْسم الأموالُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة)(٢) .

---

(١) الأصل وحماة . وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن سعد .

(٢) الأرقعة : السماوات .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر غزاة بنى لحيان

• وكانوا بناحية غِفَار ، وذلك فى ربيع الأول ، سنة ستّ .

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهربوا فى الجبال .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى غزاة الغابة

• فى ربيع الأول سنة ست أيضاً . وذلك أن عُيَيْنة بن حصن أغار على لِقَاح[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقها وقتل راعيها وجاء الصَّريخُ .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف ابنَ أم مكتوم ، وخلّف سعدَ بن عبادة فى ثلاثمائة ، يحرسون المدينة .

وعقد لواء للمقداد ، وقال : (امض ، فأنا فى أثرك) .

ومضى وراءهم[٢] سلمة بن الأكوع ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له سلمة : يا رسول الله ، إن القوم عِطاش .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَلَكْتَ فأَسْجِح[٣] . ورجع .

(١) اللقاح : الإبل ذوات اللبن ، القريبة العهد بالولادة .

(٢) أى وراء عيينة بن حصن وقومه .

(٣) أى ارفق وارحم ، وكان سلمة يريد قتلهم .

الباب الرابع والعشرون

فى غزاة الحديبية

• فى سنة ست ، استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا ، وخرج واستخلف ابنَ أم مكتوم ، ولم يخرج بسلاح إلا السيوف فى القُرب ، وساق بُدْناً هو وأصحابه ، فصلى الظهر بذى الحُلَيفة .

ثم دعا بالبُدْن مُجلات(١) ثم أشْعَرها(٢) فى الشق الأيمن ، ثم قلّدها(٣) ، وأشْعَر أصحابهُ ، وهى سبعون بَدنة ، فيها جمل لأبى جهل الذى غنمه يومَ بدر ، وأحرمَ ولبَّى .

وبلغ المشركين خروجُه ، فأجْمَعوا على صَدّه ، وعسكروا ببَلْدَح(٤) وقدّموا مائتى فارس إلى كِراع الغَمِيم ، وتقاربوا .

فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، ثم دنا من [مكة(٥)] فبركت به راحلته . فقال المسلمون: حَلْ حَلْ(٦). فزجروها فأبَتْ .

---

(١) جللت : ألبست الجلال جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٢) أشعرها : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة ، فلطخها بالدم ، إشعارا بأنه هدى .

(٣) قلدها : علق فى أعناقها شيئا ، ليعلم أنها هدى .

(٤) بلدح : موضع خارج مكة .

(٥) للمواهب : حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها ، بركت به راحلته .

(٦) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير .

فقالوا : خَلأت(١) القَصْواء .

قال : ما خلأت وإنما حَبسها حابسُ الفيل ! أما والله لا يَسألونى اليومَ خُطةً فيها تعظيمُ حُرماتِ الله ، إلا أعطيتهم إياها .

ثم زجرها فقامت ، فولّى راجعاً عَوْداً على بَدْء ، حتى نزل بالناس على ثَمد(٢) من أثماد الحديبية ، قليل الماء ، فانتزع سهماً من كنانته ، فغرَزه فيها ، فجاشَتْ لهم بالرِّواء ، حتى اغترفوا بأيديهم من البئر .

وجاء بُدَيل بن وَرْقاء فقال : قد جئناك مِن عند قومك ، قد استنفروا لك الأحابيشَ ومَن أطاعهم ، معهم العُوذ المَطَافيل(٣) والنساء والصبيان ، يُقسمون بالله ، لا يُخلون بينك وبين البيت حتى تَستَبيد خضراءهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صَدَّنا عنه قاتلناه .

فرجع بُدَيل فأخبر قريشاً . فبعثوا عروةَ بن مسعود ، فكلمه بنحوٍ من ذلك فأخبر قريشاً ، فقالوا : نَرُدُّه عن البيت فى عامنا هذا ، ويرجع مِن قابل فيدخل ويطوف .

فأرسل عثمانَ بن عفان إلى أهل مكة ، فأخبر أنه قد قُتل ، فبايَع الناسَ بَيعة الرِّضوان تحت الشجرة .

---

(١) خلأت : أى حرنت وبركت من غير علة .

(٢) الثمد : حفرة فيها ماء قليل .

(٣) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن ، معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال ، ولكنه عطف عليها هنا النساء والأطفال ، فقد يكون أراد بها الحقيقة .

ثم أجمعوا على الصلح وكتبوا :

(هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يَأمن فيها الناسُ ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه لا سلاسل(١) ولا أغلال ، وأن بيننا عَيْبة(٢) مكفوفةً .

وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عقد قريش وعَهْدها فعَل .

وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه ، ردَّه إليه .

وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمدٍ لم يردُّوه .

وأن محمداً يرجع عامَه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا مِن قابِلٍ فى أصحابه فيقيم بها .

ولا يَدْخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف فى القُرُب .

شَهد أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، وسعد ، وأبو عبيدة ، وابن مَسْلمة ، وحُوَيطب ، وكتَب علىٌّ) .

وكان هذا الكتاب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونُسْخته عند سُهيل بن عمرو .

وخرج أبو جَنْدل بن سُهيل يَرْسُف فى قيوده .

فقال سُهيل : هذا أولُ ما أقاضيك عليه . فردَّه .

ثم نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هَدْيه ونزل عليه :

« إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحاً مُبِيناً » .

---

(١) ابن هشام : لا إسلال ولا إغلال . والإسلال : السرقة الخفية . فلعل ما هنا تحريف .

(٢) العيبة : موضع السر .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر غزاة خيبر

● خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، فلما وصل دخلوا حصونهم وقاتلوه ، فقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلا .

واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا ، وفتحها حِصْناً حصناً .

وخرج مَرْحَب ، فقتله عليّ . وكان الفتح على يديه .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر غزاة الفتح

لمَّا تجهَّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لغزاة الفتح ، أخْفَى أمره وقال : (اللهم خُذْ على أبصارهم ، فلا يرونى إلا بَغْتَةً) .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب ، أسْلم وغِفَار ، ومُزَينة ، وجُهَينة ، وأشْجع ، وسُلَيم ، وكان المسلمون عشرة آلاف.

واستخلف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

وخرج يوم الأربعاء ، لعشر ليال خلَوْن من رمضان ، وعقَد الألوية والرايات بقُدَيد .

ولم يبلغ قريشاً مسيرُه ، فبعثوا أبا سفيان يَتَجَسَّسُ الأخبارَ ، وقالوا : إنْ لقيتَ محمداً فخذ لنا منه أماناً .

فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورقاء ، فلما رأوا العسكرَ ، فزعوا .

فسمع العباسُ صوت أبى سفيان ، فقال : أبا حنظلة . قال : لبَّيك .

قال : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف .

فأسلَمَ وأجارَه ، ودخل به وبصاحبيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلَما .

وجعل لأبى سفيان : من دخل داره فهو آمن ، ومن أغلَق بابه فهو آمن .

فقال أبو سفيان للعباس : لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيما .

قال : ويحك ! إنه ليس بمُلْكٍ ، ولكنها نُبوَّة .

ونهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال .

غير أنه أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة : عِكْرمة بن أبى جهل فهرب ، ثم استأمنتْ له امرأته ، أمُّ حكيم بنت الحارث ، فأمّنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهَبَّار بن الأسود .

وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، فاستأمنَ له عثمانُ ، وكان أخاه من الرضاعة .

ومقْيس بن صُبَابة ، قتله نُمَيلة بن عبد الله الليثى .

والحُوَيْرث بن نُقَيد ، قتله علىٌّ بن أبى طالب .

وأبو عبد الله بن هلال بن خَطل ، قتله أبو بَرْزة .

وهند بنت عتبة ، فأسلمت .

وسارّة ، مولاة عمرو بن هاشم ، قُتلت ، وقُرَيْبة ، قُتلت .

وفَرْتَنَى ، آمنتْ[1] حتى ماتت فى خلافة عثمان .

وكل جنود رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَلْقَوْا جمعاً غير خالد .

فإنه لقيه صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة ، فى جمع

(١) ذكر الزرقانى الخلاف فى ذلك . انظر شرح المواهب ٢/٣١٤ .

من قريش بالخَنْدَمة(١)، فمنعوه من الدخول ، وشَهروا السلاح ، ورمَوْا بالنَّبل.

فصاح خالد فى أصحابه ، وقاتلهم ، فقتل أربعة وعشرين من قريش ، وأربعة من هُذَيل .

فلما ظهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم أنه عن القتال ؟

فقيل : خالد قوتل فقتل .

وضُربت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة بالحَجُون، ودخل مكة عَنْوة .

فأسلموا طائعين وكارهين .

فطاف بالبيت على راحلته ، وحول الكعبة ، ثلاثمائة وستون صنماً .

فجعل كلما مرَّ بصنم منها ، يشير إليه بقضيب فى يده ويقول :

(جاء الحق وزهق الباطل) فيقع الصنم لوجهه .

وكان أعظمها ، هُبَل ، وهو تجاه الكعبة .

فجاء إلى المقام ، فصلَّى خلفه ركعتين ، ثم جلس ناحية .

ثم أرسل بلالا إلى عثمان بن أبى طلحة ، أن يأتى بمفتاح الكعبة ، فجاء به ، فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتح الباب ودخل الكعبة ، فصلى فيها ركعتين .

ودعا عثمانَ بن أبى طلحة ، فدفع إليه المفتاح وقال :

خذوها يا بنى أبى طلحة ، خالدةً تالدةً ، لا ينزعها منكم إلا ظالم .

ودفع السِّقاية ، إلى العباس .

---

(١) الخندمة : جبل بمكة .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى يومئذ ، ثمانى ركعات ، وأذّن بلال للظهر فوق الكعبة ، وكُسرت الأصنام .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى الكعبة ، صعد الصفا فخطب الناسَ ، فقالت الأنصار بعضهم لبعض :

أمّا الرجلُ ، فأخذته الرأفةُ بقومه والرغبة فى قَرْيته .

فأنزل الله الوحىَ بما قالت الأنصار ، فقال :

يا معشر الأنصار ، تقولون : أما الرجلُ فقد أدركته رأفةٌ بقومه ، ورغبةٌ فى قَرْيته . فمن أنا إذن ! كلا والله إنى عبدُ الله ورسولُه ، معاذ [الله] المحيَا مَحْياكم ، والمماتُ مماتكم .

قالوا : والله يا رسول الله ما قلنا ذلك ، إلا مخافة أن تفارقنا . فقال :

(أنتم صادقون عند الله وعند رسوله) .

قال : فوالله ما منهم إلا من بَلّ نَحْرَه بدموعه .

قال المصنف : لما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، بايع الناسَ على الإسلام ، ثم تتابع الناسُ .

وكان الفتحُ يومَ الجمعة لعشر بقين من رمضان .

وأقام بها ، خمس عشرة ليلة ، وخرج إلى حُنين ، واستعمل على مكة ، عَتّاب بن أسيد ، يصلى بهم ، ومعاذ بن جبل ، يعلمهم السنن والفقه .

الباب السابع والعشرون

فى غزوة حنين

• وهى غزاة هَوَازن . وحنينٌ وَادٍ بينه وبين مكة ثلاث ليال .

وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا فتح مكة ، مشت هوازن وثقيف ، بعضها إلى بعض ، وحشدوا ، وجمع أمرَهم ، مالكُ ابن عوف النَّصْرى .

فَحلُّوا بأموالهم ونسائهم وإمائهم ، حتى نزلوا أوطاس ، وجعلت الأمدادُ تأتيهم .

وأخرجوا معهم ، دُرَيد بن الصِّمة ، وهو أعمى ، وهو ابن سبعين ومائة سنة يُقادُ فى شِجَار ، وهو مركب من أعواد يُهيأ للنساء .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فى اثنى عشر ألفاً .

فلما وصل إليهم ، صَفَّ أصحابه صفوفاً ، وركب بغلته الدُّلْدل ، ولبسَ درعين ، المِغْفَرَ والبَيْضة .

فاستقبلتهم هوازن وحملت حملة واحدة ، فانهزم الناسُ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أنا عبدُ الله ورسوله) .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العسكر ، وثبت معه أبو بكر وعمر وعلىّ والعباس ، والفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة ابن الحارث وأسامة .

● عن عبد الله بن مسعود قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حُنين ، فولى عنه [الناسُ](١) وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار .

فنكَصْنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولِّهم الدُّبُر .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، لم يمض قدماً .

فحادت به بغلته ، فمال على السَّرْج ، فقلت له : ارتفع ، رفعك الله .

فقال : ناولني كفًّا من تراب .

فضرب به وجوههم ، فملأ أعينهم تراباً .

ثم قال : أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت : هم أولاء .

قال : اهتف بهم .

فهتفتُ بهم ، فجاءوا وسيوفهم في أيمانهم ، كأنها الشهب ، ووَلَّى المشركون أدبارهم .

● عن العباس قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُنَيناً .

فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما معه إلا أنا وأبو سفيان ابن الحارث ، فلزمنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نفارقه ، وهو على بغلة شهباء ، أهداها له فَرْوَة بن نُفَاثة الجذاميّ .

فلما التقى المسلمون والكفار ، وَلَّى المسلمون مُدْبِرين .

وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُركض بغلته قِبَل الكفّار .

قال العباس : وأنا آخِذٌ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكُفُّها .

---

(١) من مسند أحمد .

وهو لا يَألوُ ما أسرع نحو المشركين ، وأبو سفيان بن الحارث آخِذٌ بغَرْز(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس نادِ : يا أصحاب الشجرة .

قال : وكنت رجلا صَيِّتاً فقلت بأعلى صوتى : أين أصحابُ الشجرة ؟

فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتى ، عطفةَ البقر على الأولاد ، فقالوا : يا لبَّيك يا لبَّيك !

وأقبل المسلمون واقتتلوا هم والكفّار .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا حين حَمِيَ الوطيسُ .

ثم أخذ حصيات ، فرمى بهن فى وجوه الكفار وقال : انهزموا وربِّ الكعبة .

فوالله ما هو إلا [أن] رماهم بحصياته ، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله تعالى .

وكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته .

● عن أبى عبد الرحمن الفهرى قال :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة حنين .

فكنا نسير فى يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر .

فلما زالت الشمس ، لبستُ لَأْمَتى ، وركبت فرسى وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فسطاطه فقلت :

السلام عليك يا رسول الله ، حان الرَّوَاح ؟ فقال : أجل .

---

(١) الغرز : ركاب من جلد .

فقال : « يا بلال » . فثار من تحت سَمُرة كأن ظله ظلُّ طائر ، فقال : لبّيك وسعديك ، وأنا فداؤك . قال : « أسرجْ فرسى » .

فأخرج سرجاً ، دَفّتاه من ليف ، ليس فيهما أشر ولا بطر ، فأسرج ، فركب وركبنا .

فصاففناهم عشيّتنا وليلتنا .

فولّى المسلمون مدبرين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباد الله ، أنا عبدُ الله ورسوله .

ثم اقتحم عن فرسه ، فأخذ كفًّا من تراب :

فأخبرنى الذى كان أدنى إليه منى ، أنه ضَرَب به وجوههم وقال : شاهت الوجوه ؛ فهزمهم الله تعالى .

قال يعلى بن عطاء : فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا :

لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً ؛ وَسمعنا صلصلة بين السماء والأرض ، كإمرار الحديد على الطّست الحديد(١) .

• عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذٌ بغَرْز النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

• عن يزيد بن عامر قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

---

(١) رواه الطيالسى فى مسنده ، وأبو داود فى سننه .

حنين قبضة من الأرض ، ثم أقبل بها على المشركين فرمى بها فى وجوههم وقال : « ارجعوا » .

فما بقى أحد يلقى أخاه ، إلا وهو يشكو القذى ، ويمسح عينيه .

● عن جُبَير بن مُطْعِم قال : لقد رأيتُ قبلَ هزيمة القوم والناس يقتتلون ، مِثْلَ البِجَاد(١) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فإذا نَمْلٌ أسود مبثوث قد ملأ الوادى ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم .

● قال علماء السِّيَر : نزلت الملائكة يومئذ ، عليها عمائم حمر .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاء وفدُ هَوازن فسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَمُنّ عليهم فيما أخذ منهم .

وقال رجل منهم من بنى سعد بن بكر ، وبنو سعد ، هم الذين أرضعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إنا لو مَلَحْنا(٢) للحارث بن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر ، لَرجونا عطفه . ثم أنشد :

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدَّخِرُ

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(أيُّما أحبُّ إليكم ؟ أبناؤكم ونساؤكم أم أموالكم ؟) .

فقالوا : نساؤنا وأبناؤنا .

فقال : (أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب ، فهو لكم ، فإذا صلّيتُ بالناس فقولوا :

---

(١) البجاد : كساء مخطط . (٢) ملحنا : أرضعنا .

إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا .

فسأعطيكم ، وأسألُ لكم) .

فقاموا ، فقال : (أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم) .

فقال المهاجرون : أمّا ما كان لنا ، فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت الأنصار كذلك .

ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجُمعت .

فكان السّبى ستة آلاف رأس ، وكانت الإبل ، أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أربعين ألفاً ، وأربعة آلاف أوقية فضة .

فأعطى أبا سفيان بن حرب ، أربعين أوقية ، ومائةً من الإبل .

فقال : [ابنى معاوية . فأعطاه كذلك] . فقال : ابنى يزيد . فأعطاه كذلك .

وأعطى حكيمَ بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مرة أخرى . وأعطى جماعة .

فقال ذو الخُوَيصرة : اعدِلْ ، فإنك لم تعدل .

قال : (ويلك ، إذا لم أعْدل فمن يَعْدل ؟ !) .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر غزاة الطائف

● خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائفَ ، وكانت ثَقِيف قد حصَّنت حصنها ، وأدخلت فيه ما يُصْلحها لسنَة ، وتهيأت للقتال .

فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريباً من الحصن ، فرمَوا المسلمين بالنَّبل ، فحاصرهم ثمانيةَ عشر يوماً ، ونصَب عليهم المِنْجَنيق ، ونادَى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيّما عبد نزل إلينا فهو حُرٌّ) فخرج بضعة عشر رجلا ، ونزل أبو بَكْرة فى بكرة .

ولم يُؤْذَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف ، فرجع .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر غزاة تبوك

● كانت فى رجب سنة تسع .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه جُذام ولخم وعاملة وغسّان ، وقدّموا مقدّماتهم إلى البلقاء .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ وأعلمهم المكانَ الذى يريد ليتأهّبوا لذلك ، وبعث إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وذلك فى حرٍّ شديد .

وجاء البكّاءون يستحملونه فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) .

وجاء المعذِّرون فاعتذروا .

واستخلف على المدينة ، محمدَ بن مَسْلمة .

فتخلّف ابنُ أُبَىّ وأصحابُه ، وتخلّف الثلاثة .

فقدِم تبوكاً فى ثلاثين ألفاً ، ومعه عشرة آلاف فرس ، وأقام بها عشرين ليلة ، ثم انصرف ولم يلْق كيداً ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الثلاثون

فى ذكر شعاره فى حروبه

● عن سلمة بن الأكوع قال : كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم : أَمِتْ أَمِتْ .

وقال زيد بن على : كان شعاره : يا منصور أَمِتْ .

● عن المهلّب بن أبى صُفْرة عمن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إنْ لقيتم العدو فإنّ شِعاركم : حَم لا يُنْصَرون) .

أبواب سراياه

عليه الصلاة والسلام

• كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يخرج ، بعث السّرايا .

البابُ الأول

فى عذره عن تخلفه عن السرايا

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لولا أنْ أشُقّ على المسلمين ، ما قعدتُ خِلَافَ سَرِيّة تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعَةً فيتّبعونى ، ولا تطيبُ أنفُسهم فيَتخلفون بَعْدى ، والذى نفسى بيده لَوَدِدْتُ أن أغزو فى سبيل الله فأُقتَل ، ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل » . أخرجاه .

البابُ الثانى

فى عدد سراياه

• بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستّا وخمسين سَرِيّة ، فلم نر أن نطيل بذكرها ، وإنما ذكرنا الغزوات لأنه أمرٌ باشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال أبو الوفاء بن عَقيل : يقول جُهّال الملحدة : إنّ محمداً بُعِثَ بالسيف . وهذا مُحال ، إنما بُعث بالبراهين والحجج ، فلمّا لم يَقْبلوا ، قُتلوا بالسيف مكانَ عذابِ الله للأمم السالفة .

الباب الثالث

فى وصاياه السرايا

• عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سَرِية ، أوصاه فى خاصتَّه ، بتقوى الله عز وجل ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال :

(اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كفَرَ بالله ، اغزوا ولا تغلُّوا ، ولا تَغْدروا ، ولا تمثِّلوا ، ولا تقتلوا واحداً .

فإذا لقيت عدوَّك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيَّتهن ما أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفَّ عنهم .

ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفَّ عنهم .

وادعهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم [إن] فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين .

فإن أبَوْا أن يتحوَّلوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة أو الفَئ شئ ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .

فإن هم أبَوْا ، فسَلْهم الجزية ، فإن هم أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفَّ عنهم .

فإن هم أبَوْا ، فاستعِنْ بالله عز وجل ، وقاتِلْهم .

وإذا حاصَرْتَ أهلَ حصن ، فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيّه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك ، فإنكم أنْ تَخْفِرُوا ذمتكم وذمة أصحابكم ، أهْوَنُ من أن تَخْفروا ذمة الله عز وجل وذمة رسوله .

وإذا حاصرتَ أهلَ حصن ، فأرادوك أن تُنْزِلَهُمْ على حُكْمِ الله ، فلا تُنْزِلْهُمْ على حكم الله ، وَلكن أَنْزِلْهُمْ على حُكْمِك ، فإنك لا تدرى ، أتصيبُ حكم الله فيهم أَوْ لا ؟

الباب الرابع

في إنكاره مالا يصلح من فعل أمير السرايا

● عن سالم عن أبيه قال : بَعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد إلى بنى جُذَيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحْسِنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صَبَأْنا صبأنا .

فجعل خالد يقتل ويَأْسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيراً .

حتى إذا كان يومٌ ، أمرَ خالدٌ أن يَقتل كلُّ رجل منا أسيره .

فقلت : والله لا أقتل أسيرى ، ولا يقتل رجلٌ من أصحابى أسيره ، حتى قَدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له .

فرفع يده وقال :

(اللهم إنى أبْرَأ إليك ممّا صَنع خالد) مرتين .

أبواب مكاتبة الملوك

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه

● بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطِب بن أبى بَلْتعة إلى المقوقس .

فلما وصل ، أكرمه ، وأخذ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب فى جوابه : قد علمتُ أن نبيًّا قد بقى ، وقد أكرمتُ رسولَك .

وأهدى إليه أربع جوارٍ ، منهن : مارية ، وحماراً يقال له عفير ، وبغلةً يقال لها ، الدلدل . ولم يُسْلِم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ضَنَّ الخبيث بمُلْكه ولا بقاء للملكه .

فقبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته ، واصطفى مارية لنفسه ، فولدت إبراهيم ، ونفق الحمار(١) مُنْصَرَفه من حجة الوداع ، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية .

● عن ابن جعفر قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُدَيبية فى ذى القعدة ، سنة ست من الهجرة ، بعث حاطبَ ابن أبى بَلْتَعة إلى المقوقس ، صاحب إسكندرية ، وكتب معه كتابا يدعوه إلى الإسلام .

فلما قرأ الكتابَ ، قال له خيراً ، وأخذ الكتاب ، وكان مختوماً .

---

(١) نفق . أى : مات الحمار وقت انصرافه من حجة الوداع .

فجعله فى حقّ من عاج ، ودفعه إلى جارية له .

وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم جوابَ كتابه ، ولم يُسْلِم .

وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مارية ، وحماره يَعفور ، وبغلته دُلْدل ، وكانت بيضاء ، ولم يكن فى العرب يومئذ ، غيرها .

وقد كان المقوقس يعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم حق ، بما سمع من صفاته من أهل الكتاب ، ولكنه لم يؤمن .

وخرج إليه المغيرةُ قَبْل إسلام المغيرة ، فحدّثه بذلك .

• قال المغيرة فى خروجه إلى المقوقس مع بنى مالك ، وأنهم لمّا دخلوا على المقوقس قال : كيف خلَصْتُم إلىَّ ، ومحمدٌ وأصحابُه بينى وبينكم ؟

قالوا : لَصِقْنا بالبحر ، وقد خِفناه على ذلك .

قال : كيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟

قالوا : ما تبعه منا رجلٌ واحد .

قال : ولم ؟ قالوا : جاءنا بدينٍ مُحْدَث ، لا تَدِين به الآباء ، ولا يدين به الملِك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا .

قال : كيف صنَع قومُه ؟ قالوا : تَبعه أحداثهم ، وقد لاقاه مَنْ خالَفه مِن قومه وغيرهم من العرب فى مواطن كثيرة ، تكون عليهم الدائرةُ مرّة ، وتكون لهم .

قال أمَا(١) تُخْبرونى ، وتَصْدُقونى إلى ماذا يدعو ؟

قال : يدعو إلى أن نَعْبد الله وحده لا شريك له ، ونَخْلع ما كان يعبد الآباء ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة .

---

(١) دلائل النبوة : ألا تخبرونى .

قال : وما الصلاة والزكاة(١) أله(٢) وقت يُعرف ، وعدد ينتهى إليه ؟

قال : يُصلُّون فى اليوم والليلة خمس صلوات كلُّها لمواقيت وعددٍ قد سموه له ، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالا . ثم أخبروه بصدقة الأموال .

قال : فإذا أخذها أين يضعها ؟

قال(٣) : على الفقراء يردُّها على فقرائهم ، ويأمر بصلةَ الرحم ، وإدامة الوفاء بالعهد ، ويحرِّم الربا والزنا والخمر ، ولا يأكل ما ذُبح لغير الله .

قال : هو نبيٌّ مرسَل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبطُ والروم ، تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم .

وهذا الذى تصفون منه ، بُعث به الأنبياء من قبله .

وستكون له العاقبة ، حتى لا ينازعه أحد ، ويظهر دينُه إلى مُنْتَهى الخُفّ والحافر ، ومنقطَع البحار ، ويوشك قومه يدفعونه(٤) بالرِّماح .

فقلنا : لو دخل الناسُ كلُّهم معه ما دخلنا . فأنغَض(٥) رأسَه ، وقال : أنتم فى اللّعب .

[ثم] قال : كيف نَسَبُه فى قومه .

قلنا : هو أوسطُهم نَسباً . .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم ٤٨

(٢) دلائل النبوة : ألها .

(٣) دلائل النبوة : قال : يردها على فقرائهم .

(٤) الدلائل : يدافعونه .

(٥) أنغض رأسه : حركه .

قال : كذلك المسيحُ والأنبياء عليهم السلام ، تُبعث فى نسَب قومها .

قال : فكيف صِدْقُ حديثه ؟ قلنا : ما يُسمَّى إلا الأمينُ مِنْ صِدْقه .

قال : انظروا فى أمركم ، أترونه يَصْدُق فيما بَينكم وبَيْنه ، ويكْذب على الله !

قال : فمن تَبعه ؟ قلنا : الأحداث .

قال : هم ــ والمسيح ــ أتباعُ الأنبياء قبلَه .

قال : فما فعلتْ به يهودُ يثرب ، فهم أهلُ التوراة ؟

قلنا : خالَفوه ، فأوقع بها فقتلهم وسبَاهم ، وتفرقوا فى كل وجه .

قال : هم حَسَدةٌ حسَدوه ، أما إنهم يعرفون من أمره مثلَ ما نعرف .

قال المغيرة : فقمنا مِن عنده ، وقد سمعنا كلاماً ، ذللنا لمحمد وخضعنا .

وقلنا : ملوكُ العجم يصدِّقونه ويخافونه فى بُعْد أرحامهم منه ، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه ، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا !

الباب الثانى

فى ذكر إرساله إلى قيصر وكتابه إليه

● قالوا : أصبح قيصر يوماً مهموماً ، فقالت له بطارقتـه : ما هذا الهمُّ ؟

قال : رأيت فى هذه الليلة أن مُلْك الختان قد ظَهر .

قالوا : ما نعلم أنه تختتن إلا يهود ، وهم فى سلطانك فاقتلهم .

فبَيْنا هم فى ذلك من رأيهم ، أتاهم رسولُ صاحب بُصرى برجل من العرب يقوده ، فقال : يا أيها الملك إن هذا من العرب ، يحدِّث عن أمرٍ حدَث ببلاده ، عجيب .

فقال هرقل لترجمانه : سَلْه ما هذا الحدث الذى كان ببلاده .

فقال : خرج من بين أظهُرِنا رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ ، فاتبعَه ناسٌ وخالفه آخرون ، وكانت بينهم مَلاحمُ ، فتركتهم على ذلك .

فقال : جرِّدوه . فجرَّدوه فإذا هو مختون .

فقال هرقل : هذا أوانه الذى رأيتُ ، أعطوه ثوبَه . انطلق .

ثم دعا صاحبَ شرطته ، فقال له : قلِّب لى الشام ظهراً وبطناً ، حتى تأتينى برجل من قومِ هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى .

قال أبو سفيان : وكنت قد خرجت فى تجارة ، فهجم علينا صاحبُ شرطته ، فقال : أنتم من قوم هذا الرجل ؟ قلنا : نعم . فدعانا .

• عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وبعث بكتابه مع دِحْية الكلبي ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بُصْرى ، ليدفعه إلى قيصر .

وكان قيصر لمّا كشف الله عنه جنودَ فارس ، مشى من حِمْص إلى إيلياء(١) تُبْسط له الزّرابى(٢) .

قال ابن عباس : فلما جاء قيصر كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين قرأه : التمسوا لى رجلا من قومه ، أسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس : فأخبرنى أبو سفيان بن حرب ، أنه كان بالشام فى رجال من قريش ، قَدِموا تُجّارًا ، وذلك فى المدة(٣) التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش .

قال أبو سفيان : فأتانى رسولُ قيصر ، فانطلق بى وبأصحابى ، وأدخلَنا عليه ، فإذا هو جالس فى مجلس مُلْكه ، عليه التاج ، وإذا حوله ، عظماء الروم .

فقال لترجمانه : سَلْهم أيُّهم ، أقربُ نسباً من هذا الرجل ؟ قلت : أنا .

قال : وما قرابتُك منه ؟ قلت ابنُ عمى .

---

(١) إيلياء : مدينة القدس .

(٢) الزرابى : البسط .

(٣) قوله : فى المدة الخ . أى : فى صلح الحديبية حيث اتفق الطرفان ــ النبى ، وقريش ــ على الهدنة ووقف القتال مدة عشر سنوات .

قال أبو سفيان : وليس فى الرَّكْب رجلٌ من بنى عبد مناف غيرى .

فقال قيصر : أُدْنُهْ . ثم أمر بأصحابى ، فجعلوا خلفَ ظهرى ، ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : إنى سائلٌ هذا عن هذا الرجل ، فإنْ كذَبنى ، فكذِّبوه .

قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يَأْثِر(١) أصحابى عنى الكذب ، لكذَبْتُه حين سألنى ولكنى ، استحيَيْت أن يَأْثُروا عنى الكذب ، فصدَقْته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نَسَبُ هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب .

قال : فهل قال هذا القول أحدٌ قبله ؟ قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه مَنْ مَلَك ؟ قلت : لا .

قال : فأشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون .

قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا .

قال : فهل يَغْدر . قلت : لا ، ونحن الآن منه فى مدة(٢) ونحن نخاف ذلك .

---

(١) يأثر . أى : يتحدث أصحابى ويذيعوا أنى كذبت .

(٢) قوله : فى مدة . يعنى : أن قريشا فى هدنة مع النبى .

قال أبو سفيان : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به غيرها ، لأنى أخاف أن يُؤثَر(١) عنى .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟ قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربُه وحربكم ؟ قلت : كانت دُوَلاً سِجَالا ، يُدَال(٢) علينا المرّة ، ونُدَال عليه الأخرى .

قال : فيم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا .

ويأمرنا بالصلاة والصدق ، والعفاف ، والصِّلة والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة .

قال : فقال لترجمانه : قل له : إنى سألتك عن نسَبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو نَسب ، وكذلك الرسل تُبعث فى أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحدٌ قبله . فزعمت أنْ لا . فقلتُ :

لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبله لقلت : رجلٌ يتأسّى بقول قيل قبلَه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبلَ أن يقول ما قال ؟

فزعمت ، أن لا .

فقد عرفت أنه لم يكن ليَذَر الكذبَ على الناس ، ويكذب على الله .

وسألتك : هل كان مِنْ آبائه من ملَك ؟ فزعمت ، أنْ لا .

---

(١) يؤثر . أى : ينقل عنى .

(٢) قوله : يدال الخ أى : ينتصر علينا مرة وننتصر عليه مرة .

[فقلت : لو كان من آبائه ملِك][1] قلت رجلٌ يطلب مُلْك آبائه .

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمتَ أنَّ ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتدَّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فزعمت ، أنْ لا .

وكذلك [الإيمانُ] حين تخالطُ بَشَاشتُه القلوبَ .

وسألتك : هل يَغْدر ؟ فزعمتَ ، أنْ لا . وكذلك الرسل لا تَغْدر .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟ فزعمتَ أنْ قد فعل ، وأنَّ حربَه وحربكم تكون دُوَلاً ، يُدَالُ عليكم مرةً ، وتُدَالون عليه أخرى .

وكذلك الرسل ، تُبْتَلى ، ثم تكون لها العاقبة .

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمتَ أنه يأمركم أنْ تعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً .

وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة .

وهذه صفة نبيٍّ ، قد كنت أعلمُ أنه خارجٌ ، ولكن لم أظن أنه منكم .

وإن يكن ما قلتَ حقًّا ، فيوشك أنْ يملك موضعَ قدميَّ هاتين ، واللهِ لو أعلم أنيِّ أخْلُص إليه ، لتجشَّمتُ لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغَسلتُ عن قدميه .

---

(١) من دلائل النبوة لأبي نعيم .

قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فقرئ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدَى .

أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، اسْلم تَسْلم ، يُؤتك الله أجرَك مرتين ، فإن تولَّيت ، فعليك إثمُ الأريسيين .

و « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

قال أبو سفيان : فلما قضَى مقالته ، علَت الأصواتُ حوله من عظماء الروم ، وكَثُر لغطهم ، فلا أدرى ما قالوا ، وأمر بنا فأُخرِجْنَا .

قال أبو سفيان : فلما خرجت مع أصحابى وخلصْت قلت لهم :

أَمِرَ(١) أمْرُ ابن أبى كَبْشة ! إنه ليخافه مَلِك بنى الأصفر .

قال أبو سفيان : فوالله ما زلتُ ذليلاً مُسْتيقناً أن أمره سيظهر : حتى أدخل الله فى قلبى الإسلامَ ، وأنا كارهٌ .

وقد روينا عن الزُّهرى قال : حدثنى أسقفٌ من النصارى ، أن هرقل قدم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله بين فخذه وخاصرته .

ثم كتب إلى رجل برومية ، وكان يقرأ الكتابَ العِبْرانىّ ، يخبره الخبر .

فكتب إليه صاحبُ روميَّة ، أنه النبى الذى ننتظره لاشك فيه ، فاتَّبعه وصدِّقه .

---

(١) أمر : ظهر وارتفع . وابن أبى كبشة : يريد به : الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان المشركون يسخرون منه بذلك .

فأمر ببطارقة الروم فجُمِعُوا له فى دَسْكَرَة(١) ، وأُغلقت أبوابها .

ثم اطّلع عليهم من عُلِّية(٢) له وخافهم على نفسه . فقال :

يا معشر الروم ، إنه أتانى كتابُ هذا الرجل ، يدعونى إلى دينه ، وإنه - والله - لَلنّبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا ، فهَلُمَّ فلنتبعه ، فتَسْلم لنا دُنيانا وآخرتنا .

فنَخروا نَخْرَة(٣) رجلٍ واحد ، ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكرة ، فوجدوها قد أُغلقت ، فقال ردُّوهم . فقال : يا معشر الروم ، إنما قلت لكم ، لأنظر كيف صَلابتكم فى دِينكم ، فقد رأيتُ الذى أُسَرُّ به .

فوقعوا سُجَّداً له وانطلقوا .

● عن دِحْية بن خليفة قال :

وجَّهنى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى ملك الروم وهو بدمشق .

فناولته كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقبّل خاتمه ، ووضَعه تحت شىء كان عليه قاعداً ، ثم نادَى فاجتمع البطارقة وقومُه ، فقام على وسائد ثُبِّتَت له وكذلك كانت فارس والروم ، لم تكن لها منابر .

ثم خطب أصحابَه فقال : هذا كتابُ النبي الذى بشّرنا به المسيح عيسى ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم . فنَخَروا نَخْرَةً ، فأومأ بيده : أن اسكتوا .

ثم قال : إنما جرَّبتكم ، لأنظر كيف نُصْرتكم للنصرانية .

---

(١) الدسكرة : بناء كالقصر ، حوله بيوت ، أو بيوت الأعاجم .

(٢) العلية : الغرفة المرتفعة العالية .

(٣) نخروا : مدوا أصواتهم وارتفعت .

قال : فبعث إلىّ من الغد سرًا ، فأدخلنى بيتاً عظيما ، فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هى صور الأنبياء المرسلين .

قال : انظر أين صاحبُك من هؤلاء .

قال : فرأيت صورة النبى صلى الله عليه وسلم ، كأنه ينظر ، فقلت : هذا.

قال : صدقت . قال : صورة مَنْ هذا عن يمينه ؟

قلت : رجلٌ من قومه يقال له : أبو بكر الصديق .

قال : فمن ذا عن يساره ؟

قلت : رجلٌ من قومه يقال له : عمر بن الخطاب .

قال : أما إنا نجدُ فى الكتاب أنَّ بصاحبيه هذين ، يُتِمُّ الله الدِّين .

فلما قَدِمتُ على النبى صلى الله عليه وسلم أخبرتُه الخبرَ . فقال : صدَق ، بأبى بكر وعمر ، يُتِمُّ الله هذا الدِّين ، ويَفتح(١) .

• وحكى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدِحْية :

والله إنى لأَعلم أنَّ صاحبك نبىٌّ مُرْسل ، وأنه الذى كنا ننتظره :

ولكنى أخاف على نفسى من الروم ، ولولا ذلك ، لاتبعته .

• وحكى ابن إسحاق عن خالد بن سِنَان ، عن رجل من قدماء الروم ، قال : لما أراد هرقلُ الخروجَ من الشام إلى القُسْطنطينيَّة ـ لما بلغه من أمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جمَع الرومَ وقال :

---

(١) لا نستريح إلى هذا الخبر ، فى وجود صور للرسول وصاحبيه عند هرقل . والواضح فى القرآن ، أن الرسول مذكور عند أهل الكتاب بصفاته فحسب . « يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

إنى عارضٌ عليكم أمراً ، فانظروا . قالوا : ماهو ؟

قال : تعلمون والله [أن] هذا الرجل لنبىٌّ مُرْسل ، نجده فى كتبنا ، نعرفه بصِفته ، فهَلُمّ نتبعه .

قالوا : تكون تحت أيدى العرب ! قال :

فأعطيه الجزية كل سنة ، أكسر عنّى شوكته ، وأستريح من حربه .

قالوا : نُعْطِى العربَ الذُّلّ والصَّغار ، لا والله .

قال : فأعطيه أرضَ سورية ، وهى فلسطين والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وما دون الدَّرْب .

قالوا : لا نفعل .

قال : أما والله لتَرَوُنّ أنكم قد ظَفرتم ، إذا امتنعتم فى مدينتكم .

ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشْرَف على الدَّرْب ، استقبل أرضَ الشام فقال : السلام عليكِ أرضَ سوريّة ، سلامَ الوداع .

ثم ركض على دخل القسطنطينية .

قال المصنف : وقد بعث أبو بكر ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر .

• عن موسى بن عُقْبة أن هشام بن العاص ونُعَيم بن عبد الله ، ورجلا آخر قد سمّاه ، بُعثوا إلى ملك الروم ، فى زمان أبى بكر ، قال : فدخَلْنا على جَبَلة بن الأيهم ، وهو بالغوطة ، وإذا عليه ثيابٌ سُود ، وإذا كلُّ شىء حوله أسود .

فقال : لبستُ هذه نَذْراً ولا أنزعها ، حتى أخرجكم من الشام كلها .

قلنا : فاتَّئِدْ حتى تَمْنع مجلسك ، فوالله لنأخذنّه منك ومن الملِكِ الأعظَم ، إن شاء الله تعالى ، أخبرَنا بذلك نبيُّنا صلى الله عليه وسلم .

قال : فأنتم إذاً السُّمراء . قلنا : السُّمراء ؟ قال : لستم بهم .

قلنا : ومن هم ؟ قال : الذين يصومون النهار ويقومون الليل .

قلنا : نحن والله هم . قال : فكيف صَلاتُكم ؟ فوصَفْنا له صَلاتنا .

قال : فوالله لقد غشيه سوادٌ حتى صار وجهه كأنه قطعةُ طابق(١) .

قال : فقوموا ، فأمر بنا إلى الملك ، فانطَلَقْنا .

فلقينا الرسولُ بباب المدينة . فقال : إن شئتم [أتيتكم] ببغال ، وإن شئتم أتيتكم ببرَاذين .

قلنا : لا والله ، لا ندخل عليه إلا كما نحن .

قال : [فأرسل إليه أنهم يأبَوْنَ . قال](٢) فأرسل : أنْ خَلِّ سبيلهم . فدخلنا مُعْتَمِّين متقلدِين السيوفَ على الرواحل .

فلما كنا بباب الملك ، إذا هو فى غرفة له عالية .

فنظر إلينا ، فرفَعْنا رءوسنا وقلنا : لا إله إلا الله .

قال : فالله أعلمُ : لانتقضت الغرفة كلها ، حتى كأنها عِذْقٌ نفضَتْه الريح .

قال : فأرسل إلينا : أنَّ هذا ليس لكم أن تجْهروا بدينكم عليَّ . وأرسل : أن ادخلوا . فدخلنا .

---

(١) الطابق : ظرف يطبخ فيه .

(٢) من دلائل النبوة : لأبي نعيم .

فإذا هو على فراش إلى السقف ، وإذا عليه ثياب حُمر .

وإذا كل شيء [عنده أحمر وإذا] عنده بطارقة الروم .

وإذا هو يريد أن يكلِّمنا برسول . فقلنا :

لا والله ، لا نكلمه برسول ، وإنما بُعثنا إلى الملك .

فإن كنت تحب أن نكلمك ، فَأْذَنْ لنا ، نُكَلِّمْك .

فلما دخلنا عليه ، ضحك ، وإذا هو رجل فصيح يُحْسن العربية .

فقلنا : لا إله إلا الله .

فالله أعلم ، قد انتقض السقفُ حتى رفع رأسه هو وأصحابه . فقال :

ما أعْظَمُ كلامِكم عندكم ؟ قلنا : هذه الكلمة .

قال : التى قلتموها قبلُ ؟ قلنا : نعم .

قال : فإذا قلتموها فى بلاد عدوِّكم ، انتقضت سقوفهم ؟ قلنا : لا .

قال : فإذا قلتموها فى بلادكم ، انتقضت سقوفهم ؟

قلنا : لا ، وما رأيناها فعلَتْ هذا ، وما هو إلا شيء مُيِّزتَ به .

قال : ما أحسنَ الصدق ! فما تقولون إذا افتتحتم المدائن ؟

قلنا نقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر .

قال : تقولون لا إله إلا الله ليس معه شيء ، والله أكبر ، أكبر من كل شيء ؟ قلنا : نعم .

قال : فما يمنعكم أن تحيُّونى تحية نبيكم ؟

قلنا : إن تحية نبينا ، لا تحلُّ لك ، وتحيتك ، لا تحل لنا فنحييك بها .

قال : وما تحيتكم ؟ قلنا : تحية أهل الجنة .

قال : وبها كنتم تحيُّون نبيكم ؟ قلنا : نعم .

قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا . من كان أقربَ قرابةً .

قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا : نعم .

قال : فأمر لنا بِنُزُل كثير ، ومنزل حسن ، فمكثنا ثلاثاً .

ثم أرسل إلينا ليلا ، فدخلنا عليه ، وليس عنده أحد .

فاستعادَنَا كلامَنا ، فأعَدْنا عليه .

وإذا عنده شِبْه الربعة العظيمة مُذهبة ، وإذا فيها أبواب صغار .

ففتح منها باباً ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء .

وإذا رجل طِوَالٌ أكثر الناسِ شعراً .

فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا آدم .

ثم أعاده ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرةً سوداء ، فإذا فيها صورة بيضاء .

فإذا رجلٌ ضخم الرأس عظيم ، له شعر عظيم كشعر القبط(١) أعظم الناس إلْيتين أحمر العينين . قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : [لا . قال(٢)] هذا نوح .

ثم أعاده ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء . قال : فقلنا : النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الخصائص الكبرى : كشعر القطط .
(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من دلائل النبوة لأبى نعيم .

قال : والله ، هذا محمد رسول الله . قال : فالله أعلم أنه قام وقعد .

[ثم][1] قال : آلله ، بدينكم ، إنه نبيكم ؟

قلنا : الله بديننا إنه نبينا ، كأنما ننظر إليه حيًّا .

ثم قال : أما إنه كان آخر الأبواب ، ولكنى عجلته ، لأنظر ما عندكم .

ثم أعاده وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء فيها صورة بيضاء .

فإذا رجل مقلَّص الشفتين ، غائر العينين ، مُتراكب الأسنان ، كثُّ اللحية ، عابسٌ .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى .

وإلى جنبه رجل يشبهه ، غير أن فى عينيه قبلاً[2] وفى رأسه استدارة .

فقال : هذا هارون .

ثم رفعها ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء .

فإذا صورة حمراء ، أو بيضاء .

فإذا رجل مَرْبوع أشبه من خَلْق امرأة عجوز[3] .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود .

ثم عاد وفتح باباً آخر ، واستخرج منه حريرة سوداء .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم .

(٢) القبل : الحول .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم : أشبه من خلق بامرأة عجيزة ، وخلقاً برجل . وليست فى الخصائص .

وإذا فيها صورة بيضاء .

وإذا رجل راكب على فرس طويل الرجلين [قصير الظهر](١) .

كلُّ شيء منه جناح ، تحفُّه الريح .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان(٢) .

ثم فتح باباً آخر ، واستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء .

فإذا هو شاب ، تعلوه صُفْرَة ، صَلت(٣) الجبين ، حسن اللحية .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى بن مريم .

ثم أعاده وأمر بالربعة فنزعت(٤) .

فقلنا : هذه صورة نبينا قد عرفناها فإنا قد رأيناه ، فهذه الصور التى لم نرها كيف نعرف أنها هى ؟

فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه صورة نبيّ [نبيّ](٥) .

فأخرج إليه صورهم فى خِرَق الحرير من الجنة .

فأصابها ذو القرنين فى خزانة آدم ، فى مغرب الشمس .

فلما كان دانيال ، صوّر هذه الصور ، فهى بأعيانها .

---

(١) من دلائل النبوة .

(٢) الأصل : دانيال . وما أثبته عن دلائل النبوة .

(٣) صلت الجبين . أى : الجبين الواضح . اه قاموس . وفى أساس البلاغة : (صلت الجبين : أملس براق) والمراد : جبينه عريض لامع .

(٤) دلائل النبوة : فرفعت .

(٥) من دلائل النبوة : لأبى نعيم ٢٢

فوالله لو تطيب نفسى بالخروج عن مُلكى ، ما باليت أن أكون عبداً [لأشدكم مِلكة][1] ولكن عسى أن تطيب نفسى .

قال : فأحسن جائزتنا وأخرجنا .

• عن هشام بن العاص قال : بعثنى أبو بكر الصديق ورجل آخر من قريش ، إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام .

فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، ونزلنا على جبلة بن الأيهم .

فذكر الحديث ، وذكر فيه صفة لوط ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، ويوسف .

فلما قدمنا على أبى بكر ، حدثناه ، فبكى أبو بكر وقال : مسكين ، لو أراد الله به خيراً لفعل .

ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود ، يجدون نَعْتَ محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : « يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

---

(١) من دلائل النبوة : لأبى نعيم ٢٢

الباب الثالث

فى ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه

• عن عبد الله بن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الله بن حُذَافة بكتابه إلى كسرى ، فدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه — يعنى كسرى — مزّقه .

قال ابن شهاب : فحسبت أن المسيَّب قال :

فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يُمزَّقوا كل ممزّق .

• عن محمد بن إسحاق قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن حذافة بن قيس إلى كسرى بن هرمز ، ملك فارس ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم فارس.

سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله . أدعوك بدعاية الله .

فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافةً ، لأنذر من كان حيًا ويحقّ القول على الكافرين . فأسلِم تَسْلَمَ ، فإن أبيت ، فإن إثم المجوس عليك » .

فلما قرأ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شقّ كتابه .

ثم كتب كسرى ، إلى باذان ، وهو على اليمن : أن أبعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز من عندك ، رجلين جَلْدَين ، فَلْيأْتيانِى به .

فبعث باذان ، قهرمانه وهو بابويْه ، وكان كاتباً حاسباً ، وبعث معه برجل من الفُرْس ، وكتب معهما كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ويلك انظر حال الرجل وكلمه ، وائتنى بخبره .

فخرجا حتى قدما الطائف . فسألا عنه ، فقالوا : هو بالمدينة . واستبشروا وقالوا : قد نصب له كسرى ، كُفيتم الرجل !

فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابويه وقال : إن شاه شاه ، ملك الملوك ، كسرى ، كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى .

فإن فعلتَ ، كتبتُ فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ، ويكفُّ عنك به .

وإن أبيت ، فهو من قد علمتَ ، هو مهلكك ، ومهلك قومك ، ومُخرِّب بلادك .

وكانا قد دخلا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما وقال : ويلكما من أمركما بهذا ؟! قالا : أمرنا بهذا ربُّنا . يعنيان : كِسْرى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكن ربى أمرنى ، بإعفاء لحيتى ، وقص شاربى . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتيانى غداً .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله سلّط على كِسرى ، ابنَه شيرويه فقتله فى شهر كذا ، فى ليلة كذا وكذا ، لكذا من الليل .

فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما :

إن ربى قتل ربَّكما ليلة كذا وكذا ، لكذا وكذا من الليل .

سلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

فقالا : هل تدرى ما تقول ؟ !

إنا قد نقمنا منك ، ما هو أيسر من هذا ، أفنكتب بها ونخبر الملك ؟

قال : نعم ، أخبراه ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى ، سيبلغ ما بلغ مُلْك كسرى ، وينتهى إلى منتهى الخف والحافر ؛ وقولا له :

إنك إن أسلمت ، أعطيتك ما تحت يديك وملّكْتك على قومك من الأبناء(١) .

ثم أعطى رفيقه الآخر مِنْطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان [فأخبراه] الخبر فقال :

والله ما هذا بكلام مَلك ، إنى لأرى الرجل نبيًّا كما يقول ، ولننظرنّ ما قال .

فلئن كان ما قال حقا ، إنه لنبى مُرْسَل ، وإن لم يكن ، فسنرى فيه رأينا .

فلم يلبث باذانُ ، أن قدم عليه كتابُ شيرويه .

أمّا بعد ، فإنى قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، لما كان يستحلُّ بقتل أشرافهم وَتَجْميرهم فى ثغورهم(٢) .

---

(١) الأبناء : هم بقايا الفرس فى اليمن ؛ الذين كانوا قدموا لإخراج الحبشة منها.

(٢) الأصل : وتجهيزهم فى بنوتهم . وما أثبتـه رواية الطبرى ٢ / ٦٥٦ ومعنى تجميرهم : حبسهم .

فإذا جاءك كتابى هذا ، فخذ لى الطاعة ممّن قِبَلَك ، وانظر الرجلَ الذى كان كسرى كتب لك فيه ، فلا تهِجْه[١] حتى يأتيك أمرى فيه .

فلما انتهى كتابُ ابن كسرى إلى باذان قال : إن هذا الرجل لرسولُ الله . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس ، من كان منهم [باليمن][٢] .

• عن المقْبُرى قال : جاء فيروز الديلمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إن كِسرى كَتب إلى باذان : أن بلغنى أن فى أرضك رجلا نبيًّا فاربطه وابعث به إلىّ .

فقال : إن ربى غضب على ربك فقتله بنوه[٣] سحر الساعة .

فخرج من عنده فسمع الخبر فأسلم وحَسُن إسلامه .

---

(١) لا تهجه . أى : لا تثره ولا تزعجه .

(٢) عن ابن كثير .

(٣) الأصل : مدمة . وهى تحريف . ولم أجد الخبر .

الباب الرابع

فى ذكر إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى وكتابه إليه

• قال ابن إسحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية ، إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، وكَتب معهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى النجاشى ملك الحبشة .

إنى أحمد إليكَ الله ، الذى لا إله إلا هو ، الملِك القدُّوس السلام المؤمن المهيمن .

وأشهد أن عيسى بن مريم ، روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول الطيبة ، فحملت بعيسى .

وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى ، وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله .

وقد بعثت إليه إليك ابن عمى جعفراً ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبعَ الهدى) .

وكَتب النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشى .

سلامٌ عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، الذى لا إله إلا هو ، الذى هدانى إلى الإسلام .

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكَرت من أمر عيسى .

فوربِّ السماء والأرض ، إن عيسى عليه السلام ما زاد على ما ذكَرْت ثُفْرُوقاً(١) ، وإنه كما قلت .

وقد عرفنا ما بعثته إلينا ، وقدم ابن عمك أصحابه ، وأشهد أنك رسول الله .

وقد بايعتُك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثت إليك بابنى ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله .

فإنى أشهد ، أن ما تقول حق .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : فذكر لى أنه بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة .

حتى إذا توسطوا البحر ، غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وقال الواقدى عن أشياخه : كَتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابين إلى النجاشى ، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن .

فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعه على عينه ، ونزل عن سريره ، وجلس على الأرض تواضعاً ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال :

لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته .

وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه ، وإسلامه على يد جعفر .

(١) الثفروق : قمع الثمرة ، أو ما يلتزق به قمعها .

وفى الكتاب الآخر ، يأمره أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان .

وكانت هاجرت إلى الحبشة ، مع عبيد الله بن جحش الأسدى ، فتنصَّر هناك ومات .

وأمره فى الكتاب ، أن يبعث إليه بمن قِبَله من أصحابه ويحملهم . ففعل ذلك .

● عن أبى قتادة قال : قدم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك .

فقال : إنهم كانوا يُكْرِمون أصحابى ، فأحبُّ أن أُكافئهم .

● عن أبى هريرة قال : نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشى ، اليوم الذى مات فيه ، نخرج إلى المصلى ، فصف أصحابه خلفه ، وكَبَّرَ عليه أرْبعاً .

قالت عائشة رضى الله عنها : لما مات النجاشى ، كُنَّا نتحدث أنه لا يزال يُرَى على قبره نور .

وقد روى لنا أن النجاشى الذى كَتَب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بالنجاشى الذى صلّى عليه .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كَتَب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى وإلى كل جبار : يدعوهم إلى الله تعالى .

وليس بالنجاشى الذى صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

الباب الخامس

فى ذكر إرساله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وكتابه إليه

• روى الواقدى عن أشياخه قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاعَ بن وهب الأسدى ، إلى الحارث بن أبى شمر يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً .

قال شجاع : فانتهيت إليه وهو بغوطة دمشق لتهيئة الأنزال والألطاف[١] [لقيصر[٢]] من حمص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إنى رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا .

وجعل حاجبه — وكان روميًا — يسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكنت أحدِّثه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه ، فيرقُّ حتى يَغلبه البكاء ويقول :

إنى قرأت الإنجيل ، فأجد صفة هذا النبى ونَعْتَه ، وأنا أومن به وأصدِّقه ، وأخاف من الحارث أن يقتلنى .

---

(١) الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يهيأ للضيف . والألطاف : الهدايا .

(٢) من شرح المواهب ٢/٢٥٧

فكان يكرمني ويحسن ضيافتي .

وخرج الحارث يوماً ، فجلس ووضع التاج على رأسه ، فأذن لى عليه ، فدفعت إليه كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقرأه ، ثم رمى به وقال : من ينزع مني مُلكى ؟ ! أنا سائر إليه علىّ بالناس .

فلم يزلْ يعرضُ حتى قام ، وأمر بالخيول [أن] تُنعل(١) .

ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى .

[وكتب إلى قيصر يخبره بخبرى] فكتب إليه قيصر : أن لا تسرْ إليه والْهُ عنه ، ووافِنى بإيلياء .

فلما جاء جوابُ كتابه دعانى فقال لى : متى تريد أن تخرج لصاحبك ؟ فقلت غداً .

فأمر لى بمائة دينار ذهباً ، ووصَلنى حاجبُه بنفقة وكسوة وقال :

اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام .

فقدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : بادَ مُلكه .

ومات الحارث بن أبى شمر عام الفتح .

---

(١) تنعل : تلبس نعالا تبقى حوافرها .

الباب السادس

فى ذكر إرساله إلى هوذة بن على الحنفى وكتابه إليه

● روى الواقدى عن أشياخه قالوا ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَلِيط بن عمرو العامرى إلى هَوْذَة(١) بن على الحنفى ، يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحبَاه(٢) .

وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب إليه :

ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتَّبعْكَ .

وأجاز سَلِيط بن عمرو بجائزة ، وكساه ثوباً من نسيج هجر .

فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابه فقال :

لو سألنى سَيَابةً(٣) من الأرض ما فعلتُ ، بادَ وبادَ ما فى يديه .

فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفتح ، جاءه جبريل فأخبره أنه مات .

---

(١) ويروى بضم الهاء ، كما فى الصحاح .

(٢) حباه : أكرمه عند قدمه .

(٣) السيابة : القطعة . وفى القاموس : السيابة : البلح أو البسر ، وهو على تقدير مضاف .

الباب السابع

في ذكر إرساله إلى جبلة بن الأيهم

• كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ، ملك غسان يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم لم يزل مسلماً إلى زمن عمر بن الخطاب ، فطاف بالبيت ، فوطئ إزاره رجلٌ من بني فزارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فلطمه ، فهشم أنفه .

فاستعدى عليه عمرَ فقال له : إما أن تُرْضِي الرجل ، وإما أن أقيده منك .

قال : إذاً أتنصّر . قال : إن تنصّرْتَ ضربتُ عنقك .

قال : سأنظر في أمري الليلة .

فتحمّل في الليل هو وأصحابه ، حتى أتى القسطنطينية ، فتنصّر ومات على ذلك .

وقد شرحنا قصته في كتاب « المنتظم » .

الباب الثامن

فى ذكر إرساله إلى ذى الكلاع

● [وكان] ملكا من ملوك الطائف ، واسمه سَمَيْفع(١) بن حَوشب . وكان قد استعلى حتى ادعى الربوبية .

فكاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على يد جرير بن عبد الله .

ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عَود جرير .

وأقام ذو الكَلَاع على ما هو عليه إلى أيام عمر .

ثم رغِب فى الإسلام ، فوفد على عمر ، ومعه ثمانمائة عبد .

فأسلم هو وعبيده كلهم ، وقال لعمر : لى ذنبٌ ما أظن الله تعالى يغفره .

قال : ما هو ؟ قال : تواريتُ مرةً عمن تعبَّد لى ، ثم أشرفتُ عليهم ، فسجد لى زُهاء مائة ألف .

فقال عمر : التوبة بإخلاص ، يُرْجَى بها الغفران .

● عن علوان بن داود عن رجل من قومه قال : بعثنى قومى بهدية إلى ذى الكَلاع فى الجاهلية ، فمكثت سَنة لا أصِل إليه .

ثم إنه أشرف بعد ذلك ، من القصر ، فلم يره أحد إلاَّ خرَّ له ساجداً .

ثم رأيته بعد ذلك فى الإسلام ، قد اشترى لحماً بدرهم ، فلم يكن معه من يحمله فسمَطه(٢) على فرسه وأنشأ يقول :

أُفٍّ لِلدُّنيا إِذَا كَانَتْ كَذَا ... كُلَّ يَوْمٍ أَنَا مِنْهَا فِى أَذَى

وَلَقَدْ كُنتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ ... أَنعَمُ النَّاسِ مَعَاشاً قِيلَ ذَا

بَدَّلَتْنِى بَعْدَ عِزِّى شَقْوَةً ... حَبَّذَا فِيكَ شَقَاىَ حَبَّذَا

---

(١) فى شرح المواهب : أسميفع ٣/٣٦٧ (٢) سمطه : علقه .

الباب التاسع

في كتاب رسول الله إلى فروة الجذامي

• عن وائل بن عمرو قال : كان فَرْوَة بن عمرو الجذامي عاملا للروم . فأسلم وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، وبعث به مع رجل من قومه ، وبعث إليه ببغلة بيضاء ، وفرس ، وحمار ، وأثواب ، وبقَباء سندس محوّص(١) بالذهب .

وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من محمد رسول الله ، إلى فروة بن عمرو ، أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلتَ به ، وخبَّر عما قِبلك ، وأتانا بإسلامك . قال : وإن الله هداك بهداه) .

وأمر بلالاً فأعطى رسولَه ، اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا(٢) .

وبلغ ملكَ الروم إسلامُ فروة ، فقال له : ارجع عن دينك .

قال : لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنك تعلم أن عيسى بشّر به ، ولكنك تضِنُّ بملكك . فحبسه ثم أخرجه ، فقتله وصلبه .

---

(١) المحوص : المخيط .

(٢) النش : نصف الاوقية .

الباب العاشر

فى ذكر كتاب رسول الله إلى جيفر وعبد ابنى الجَلَنْـدى

• كَتَب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما وهما بعُمان ، يدعوهما مع عمرو بن العاص .

قال : فعمدْت إلى عَبْدٍ فقلت : إنى رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك .

قال : أخى المقدَّم علىَّ بالسنِّ والمُلْك ، وأنا أوصلك إليه .

فدخلتُ عليه ، فدفعتُ إليه الـكتابَ مختوماً ، فقرأه فقال :

دعنى يومى هذا وارجع إلىّ غداً .

فرجعت إليه ، فقال : إنى فـكَّرتُ فيما دعوتنى إليه ، فأنا أضعفُ العرب .

إنْ ملَّـكْتُ رجلاً ما فى يدى [وهو لا تبلغ خيله هاهنا ، وإن بلغت خيله ههنا ، ألْفَتْ قتالاً ليس كقتال من لاقى](١) .

قلت : فإنى خارجٌ غداً .

فلما أصبح ، أرسل إلىّ فأجابَ إلى الإسلام ، هو وأخوه ، وخلَّيا بينى وبين الصدقة فأخذتها ، فرددتها فى فقرائهم .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شرح المواهب ٣/٣٥٥

الباب الحادي عشر

في إرساله إلى المنذر

● بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوَى العبدى بالبحرين .

فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام والتصديق .

الباب الثاني عشر

في كتابه إلى ملوك حمير

● عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال :

قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مَقْدمه من تبوك ، بإسلام الحارث بن عبد كُلال ، ونُعيم بن عبد كلال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومعافر .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومَعافر .

أما بعد ، فإنى أحمد إليكم الله ، الذى لا إله إلا هو .

فإنه وقع إلينا رسولكم قافلاً من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة .

فبلّغ ما أرسلتم ، وأنبأنا بإسلامكم ، وقتْلكم المشركين .

وإن الله تعالى قد هداكم بهدايته ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وأعطيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وخُمس نبيه وصَفيّه ، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة .

ومن كان على يهوديته ، أو نصرانيته ، فإنه لا يُغَيَّر عنها ، وعليه الجزية .

● وقد كتب وأرسل إلى آخرين ، فاقتصرنا على ما ذكرنا ، والله الموفق .

* * *

قال ابن عقيل : من الدليل على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كاتَبَ كسرى وقيصر وغيرهما ، وأمرُه مع قومه كلهم ما استَتِبّ ، فضلاً عن عامة العرب ، ولولا أنه مدفوع إلى المكاتبة ، من جهة مَن إليه حفظُ العاقبة ، لم يفعل ذلك ، فإن ذلك لا يَصْدر عن رأيِ ذى رأيٍ قط .

ثم أفضَى الأمرُ إلى أن قُسمت غنائم كسرى فى مسجده ، وإنما كان يتكلم على ما اطلع عليه من انتشار دعوته وعُلوّها على كل المُلْك ، فذاك الذى أطالَ لسانَه(١) على الكل .

فهل يكون فى الاطلاع على الغيب أوْحَى(٢) من هذا ومن الثقة بالمرسِل له .

فهذا الذى لِلعالم أن يستدلّ به على صدقه .

فما أسَخْف عقولَ الشاكّين فى نبوّته ، مع تَشَعْشُع أنوار صدقه .

---

(١) يريد : أكسبه جرأة وعزة فى الخطاب . (٢) أوحى : أسرع .

أبوابُ ذكر الوفود عليه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر وفد سعد بن بكر

● عن عبد الله بن عباس قال : بَعَثت بنو سعد بن بَكر ، ضِمَامَ ابن ثعلبة وافداً(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقدِم وأناخ بعيره على باب المسجد ، وعقَله .

ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه .

وكان ضمام ، رجلًا جَلْداً ، أَشْعَر ، ذا غَدِيرتين ، فأقبل حتى وقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال :

أيُّكم ابنُ عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : محمد(٢) ؟ قال : نعم .

قال : يا ابن عبد المطلب إنى سائلك ومشدِّد فى المسألة ، فلا تجدَنَّ فى نفسك . قال : (لا أجد فى نفسى سَلْ عما بدا لك) .

قال : أنشدك الله ، إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائنٌ بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : (اللهم نعم) .

قال : فأنشدك الله ، إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت أوثاناً تُعْبَد من دون الله ؟ قال : (اللهم نعم) .

---

(١) الأصل : وفداً . وما أثبته عن ابن هشام .

(٢) ابن هشام : قال أمحمد ؟

قال : فأنشدك الله ، إلهك وإله من هو كائن قبلك ، وإله من هو كائن بعدك . آلله أمرك أن نُصَلِّيَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال . (اللهم نعم) .

قال : ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام ، فريضةً فريضة ، الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها [يناشده عند كل فريضة منها كما[١]] يناشده فى التى قبلها .

حتى إذا فرغ قال :

فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، لا أزيد ولا أنقص .

ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى (إن يَصْدُق ذو العَقِيصتيْن[٢] يدخل الجنة) .

قال : فأتَى إلى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج ، حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال :

بئست اللاتُ والعزّى .

فقالوا : مَهْ[٣] ياضمام ، اتق البرصَ والجذام والجنون !

فقال : ويلكم ، إنهما — والله — لا يضران ولا ينفعان .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) العقيصتين . أى : الضفيرتين . قال فى المختار من الصحاح : عَقْص الشعر : ضفره وليُّه على الرأس وبابه : ضرب (الباب الثانى) اهـ المراد منه .

(٣) مَهْ . أى : اكفف عن هذا الكلام .

إن الله عز وجل قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، استنقذكم [به](١) مما كنتم فيه .

وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

وقد جئتكم من عنده ، بما أمركم به ، ونهاكم عنه .

قال : فوالله ما أمسى فى حاضِره رجلٌ ولا امرأة ، إلا مسلما .

قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضلَ من ضِمَام ابن ثعلبة .

(١) من ابن هشام .

الباب الثاني

في وفد مزينة

• عن كثير بن عبد الله المُزَني قال : كان أول وفدٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر ، أربعمائة من مُزَينة ، وذلك في رجب سنة خمس .

فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال :

أنتم مهاجرون حيث كنتم ، فارجعوا إلى أموالكم ، فرجعوا إلى بلادهم .

الباب الثالث

فى ذكر وفد فزارة

● عن أبى وَجْزة السَّعدى قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، قدم عليه وفدُ بنى فَزَارة، بضعة عشر رجلا.

منهم خارجة بن حصن، والحُرُّ بن قيس، على رِكَاب عِجاف، فجاءوا مُقرِّين بالإسلام.

وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال أحدهم:

أسْنَتَتْ(١) بلادُنا، وهلكت مواشينا، وأجدبَ جَنابنا(٢) وغَرِثَتْ عيالنا، فادع لنا ربَّك.

فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا فقال:

(اللهم اسقِ بلادك وعِبادك، وانشر رحمتك، وأحْيِ بلدك الميت.

اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مَرِيًّا مَرِيعا طَبَقاً(٣)، واسعا، عاجلا غير آجل، نافعاً غير ضار.

اللهم اسقنا سُقْيا رحمة، لا سُقْيا عذاب، ولا هَدْم، ولا غرق، ولا مَحْق.

اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء.

---

(١) أسنتت: أجدبت.

(٢) الجناب: الفناء. وما قرب من محلة القوم وغرثت: جاعت.

(٣) المريع: الخصب. والطبق: الذى يعم الأرض.

فطرت ، فما رأوا السماء سَبْتاً(١) .

فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا وقال :

اللهم حوالَيْنا ولا علينا .

اللهم عَلى الآكام والظِّراب(٢) وبطون الأودية ، ومنابت الشجر .

قال : فانجابَ(٣) السحابُ عن المدينة ، كانجِيابِ الثوب .

الباب الرابع

فى ذكر وفد تجيب

● عن الحويرث قال : قدم وفدُ تُجِيب ، على سول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، وساقوا معهم صدقاتأموالهم .

فَسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقال : مرحباً بكم .

وأكرمَ منزلهم ، وأمر بلالًا ، أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يُجِيزُ به الوفدَ . وقال :

هل بقى منكم أحد ؟

قالوا : غلامٌ خلّفناه على رحالنا ، وهو أحْدَثنا سنًّا .

قال : أرسلوه إلينا .

---

(١) السبت : البرهة . (٢) الظراب : الجبال الصغار .

(٣) قال فى المصباح : انجاب السحاب : انكشف .

فأقبل الغلامُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى امرؤ من بنى أَبْذَى ، الرهط الذين أتوك آنفا ، فقضيتَ حوائجهم ، فاقض حاجتى .

قال : وما حاجتك ؟

قال : تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى ، ويجعل غِناى فى قلبى .

فقال : اللهم اغفر له ، وارحمه واجعل غناه فى قلبه .

ثم أمَرَ له بما أمر لرجل من أصحابه .

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ، ثم وافَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم بـ « مِنَى » سنة عشر فسألهم عن الغلام .

فقالوا . ما رأينا مثله ، ولا أَقْنَع منه ، بما رزقه الله عز وجل .

الباب الخامس

فى ذكر وفد سعد هذيم وهم من أهل اليمن

• عن فروة بن سعيد عن أبيه عن جده قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه وفدُ أهل اليمن . فقالوا : يارسول الله ، قد أحيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس .

قال : وما هما ؟

قالوا : أقبلنا نريدك ، حتى إذا كنا بموضع كذا وكذا ، أخطأنا الماء فلم نقدر عليه .

فانتهينا إلى موضع طلح وسَمُر .

فانطلق كل رجل منا إلى ظل شجرة ليموت فى أصلها .

فبينا نحن فى آخر رمق ، إذا راكب قد أقبل ، فلما رآه بعضنا ، تمثّل :

وَلمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا   وَأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِى(١)

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ الَّتِى عِنْدَ ضَارِجٍ   يَفِىءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِى(٢)

---

(١) الشريعة : مشرعة الماء . والفرائص : جمع فريصة وهما فريصتان ترعدان من الخوف .

(٢) ضارج : موضع ببلاد عبس . والعرمض : الطحلب :

يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء ، خافت على أنفسها من الرماة ، وأن تدمى فرائصها من سهامهم ، عدلت إلى ضارج ، لعدم الرماة على العين التى فيه . اللسان ١٤٩/٣

فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ فقال بعضنا : امرؤ القيس .

قال : هذه — والله — ضارج أمامكم ، وقد رأى ما بنا من الجهد .

فرجعنا إليها ، فإذا بيننا وبينها نحواً من خمسين ذراعاً ، وإذا هي كما وصف امرؤ القيس ، عليها العَرْمض ، يَفيء عليها الظلُّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ذاك رجل مشهور في الدنيا ، خامل في الآخرة ، مذكور في الدنيا ، يجيء يوم القيامة ، معه لواء الشعراء ، يقودهم إلى النار)(١) .

الباب السادس

في ذكر وفد محارب

● عن أبي وجزة السعدي قال : قدم وفد محارب ، سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر ، منهم سواء بن الحارث ، وابنه خزيمة ، فأسلموا .

ولم يكن أحد أفظَّ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

وكان في الوفد رجل منهم ، يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله الذي أبقاني حتى صدَّقتُ بك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذه القلوب بيد الله) ومَسَح وجهَ خزيمة ، فصارت له غرة بيضاء ، وأجازهم كما يجيز الوفدَ ، وانصرفوا .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٨/٢ . وهو حديث ضعيف جداً .

الباب السابع

فى ذكر وفد بجيلة

● عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : قدم جريرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ المدينة ، سنة عشر ومعه قومه ، مائة وخمسون رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (يَطْلع عليكم من هذا الفجّ ، من خير ذى يمَن ، على وجهه مِسْحة مُلْك) .

فطلع جريرٌ على راحلته ، ومعه قومه ، فأسلموا وبايعوه

قال جرير : وبسط رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده ، فبايعنى وقال : (على أن تشهد أن لا إله إلا الله . وأنّى رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتنصح للمسلمين ، وتطيع الوالى ، وإن كان عبداً حبشيًّا) قال : نعم ، فبايعته .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسائله عما وراءه ، فقال: يا رسول الله، قد أظهر الله الإسلامَ والأذان وهَدمت القبائل أصنامها، التى كانت تعبدها .

قال : فما فعل ذو الخَلَصة ؟ قال : هو على حاله .

فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هدم ذى الخَلَصة ، وعقد له لواء .

فقال: إنى لا أثبُت على الخيل .

فمسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال :

(اللهم ثبِّته ، واجعله هادياً مَهْدِيًّا) .

فخرج فى قومه وهم زُهاء مائتين ، فما أطالَ الغيبة حتى رجع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهدَمْته ؟

قال : نعم، وأحرقته بالنار ، والذى بعثك بالحق، وتركتُه كما يسوء أهلَه.

فبارَكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على خيل أحمس ورجالها .

الباب الثامن

فى ذكر وفد نهد

• عن على بن أبى طالب ، أن وفد نَهْدٍ ، قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم طِخْفة بن زهير ، فقالوا :

أتيناك يا رسول الله ، من غَوْرى تِهامة على أكوار المِيس ، ترتمى بنا العيسُ ، نستحلب الصَّبير ، ونَستحلب الخبير ، ونَسْتخيل الرِّهام ، ونَسْتخيل الجَهام ، من أرض بعيدة المَنْطأ ، غليظة الموْطأ ، قد يبس المُدْهن ، ونَشِف الجِعْثِن ، وسقط الأملوج ، ومات العُسْلوج ، وهلك الهَدَال ، ومادّ الودْى .

بَرِئْنا إليك ، يا رسول الله ، من الوَثَن والعَنَن ، وما يُحْدث الزمَن .

ولنا نَعم هَمَل أغفال ، ووَقيرٌ قليل الرِّسْل ، كثير الرَّسَل .

أصابتنا سَنة حمراء ، أكْدَى فيها الزرع ، وامتنع فيها الضّرع ، ليس لها عَلل ولا نَهل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم بارك لهم فى مَحْضها ، ومَخْضها ، ومَذْقها ، واحبس الثمر بيانع الثمر ، وافْجُرْ لهم الثَّمَد ، وبارك لهم فى الولد) .

ثم كتب معه كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى نَهْد ، السلام عليكم . من أقام الصلاة ، كان مؤمناً ، ومن آتى الزكاة ، كان مسلما .

ومن شهد أن لا إله إلا الله ، لم يُكتب غافلا .

لكم فى الوظيفة الفَرِيضة ، ولكم الفارض والفَرِيش ، ما لم تُضْمروا إماقاً ، ولم تَقْطعوا رِبَاقًا ، ولم تأكلوا الربا(١) .

فقلت له : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، نحن بنو أب واحد ، ونشأنا فى بلد واحد ، وإنك لتكلم وفودَ العرب بلسانٍ ما يُفهم أكثره .

فقال : (إن الله أدّبنى فأحسنَ أدبى ، ونشأتُ فى بنى سعد) .

• الأكوار : الرِّحَال . والميس : شجر . والصَّبِير : سحاب أبيض متراكب . ونستحلب بمعنى نحصد . والحبير : النبات . وتستخيل السحابة إذا رأيتها فحسبتها ماء مطر ، وتخيّلت السحابة إذا تهيأت للمطر . والرهام : الأمطار الضعاف التى لا تروى الأرض . ونستخيل الجهام فى الموضعين(٢) . والجهام : سحاب لا ماء فيه . والمبطأ : البعد . والمُدْهن : نقرة واسعة تكون فى الجبل تستنقع . والجعثن : أصل النبات . والأملوج : الغصن . والهدال : ضرب من الشجر . وماد : مات . والودى : الفَسِيل . والمَمَل : المهمَل بلا راع . والوقير : الشاة براعيها . والرِّسل : اللبن . والرَّسَل : ما يرسل منها إلى المراعى . والسَّنة الحمراء : سنة الجدب . وأكدى : انقطع . والنهل : الشُّرب الأول . والعلل : الثانى . والوظيفة : كل ما يُقدَّر . والفَرِيضة : الهرمة ، وهى الفارض . والفارض : المريضة والفريش : التى وضعت حديثاً كالنفساء من النساء . والإماق : الأنفة . والرباق : جمع ربق ، وهو الحبل ، والمعنى : ما لم يقطعوا رباق العهد الذى فى أعناقهم .

---

(١) رواه ابن الجوزى فى العلل ، من وجه ضعيف جدا ، شرح المواهب ٤ /١٦٢

(٢) كذا . ولعلها : باحد فى الموضعين .

الباب التاسع

فى ذكر وفد عامر بن صعصعة

● روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ [بنى عامر ، فيهم](١) عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وجَبّار بن سلمى(٢) ، وهؤلاء الثلاثة رؤساء القوم [وشياطينهم](٣) . وكان قد قال لعامر قومُه : أسْلِم ، فإنّ الناس قد أسلموا .

فقال : والله ، لقد كنت آليتُ أن لا أنتهى ، حتى تتبع العرب عَقِبى ، فأنا أتبعُ عَقِبى هذا الفتى ؟ ! !

ثم قال لأربد : إذا قَدِمنا على هذا الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فاعْلُه بالسيف .

فلما قدموا جعل عامر يكلِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتظر من أرْبَد ما أمره ، فلم يُحِرْ شيئاً .

فقال : أمَا والله لَأَمْلَأَنَّها عليك خيلا جُرْداً ، ورجالاً مُرْداً .

فلما ولّى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اللهم اكفنى عامرَ بن الطُّفيل) .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) الأصل : وحيان بن سليم ، وهو تحريف . (٣) من ابن هشام .

فقال عامر لأربد : أين ما أوصيتك به ويلك ؟ قال :

والله ما هممتُ بالأمر ، إلا دخلتَ بيني وبين الرجل ، أفأضربك بالسيف ؟ !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم .

فبعث الله الطاعون على عامر فى طريقه ، فقتله الله ، وأرسل على أَرْبَد صاعقةً ، فأحرقته .

• عن عامر بن الطفيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَشه وسادة وقال : أَسْلِم يا عامر . قال : على أن لى الوبَر ، ولك المدَر .

فأبَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقام عامر مغضباً وقال :

والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْداً ، ورجالا مُرْداً ، ولأربطَنّ بكل نخلة فرساً .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، لو أسلَم وأسلمت بنو عامر ، لزاحمتْ قريشاً على منابرها » .

ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (يا قوم آمنوا) ثم قال : (اللهم اهد بنى عامر ، واشغل عنى عامرَ بن الطفيل بما شئت وأنّى شئت) .

فخرج فأخذته غُدّةٌ (١) مثل غدة البعير ، ومات فى بيت امرأة سَلُولية ، فقال : يا موت ، ابْرز لى .

وأقبل يشتدُّ ويَنْزو (٢) إلى السماء ويقول :

غُدةٌ (٣) كغُدة البعير ، وموتاً (٤) فى بيت سَلُولية !

---

(١) الغدة : طاعون يصيب الإبل . (٢) ينزو : يثب .

(٣) منصوب بعامل مقدر ، أى أغد غدة ، ويجوز رفعه .

(٤) الأصل : ومات ، وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام .

الباب العاشر

في (ذكر) وفد عبد القيس

● عن ابن عباس قال : إن وفد عبد القيس ، لمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرهم بالإيمان بالله ثم قال :

(أتدْرون ما الإيمـان بالله ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتـــاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تُعْطُوا الُخمُسَ من المغنم) .

أخرجاه .

الباب الحادى عشر

فى (ذكر) وفد بنى حنيفة

• قال ابن إسحاق : حدثنى بعض علمائنا ، أن بنى حنيفة أتوا بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترونه بالثياب ، فأقرّ له بالنبوة ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَسِيب[1] من النخل ، فكلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسأله[2] فقال : (لو سألتنى هذا العسيبَ ما أعطيتك) .

فلما رجعوا إلى اليمامة ، ارتدَّ مسيلمة .

* * *

وقد قدم وفدُ بنى أسد ، ووفد كِلاَب ، ووفد الداريين ، ووفد بنى البكاء ، ووفد طيء ، ووفد سُلامان ، ووفد زبيد ، ووفد عبْس ، ووفد خَولان .

وقد ذكر محمد بن سعد فى الطبقات سبعين وفداً ، فلم نُطل ذكرهم ، وإنما ذكرنا من له حديث مُستطرَف .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قدم عليه الوفد ، لبس أحسنَ ثيابه .

---

(١) العسيب : جريدة النخل .

(٢) قوله : وسأله . أى : طلب من الرسول أن يجعل له من الولاية والسلطان ، فأجابه الرسول بما تقدم .

أبوابُ ما جرى بعدَ رجوعه
صلى الله عليه وسلم
من حجة الوداع

الباب الأول

فى استغفار رسول الله لأهل البقيع

• قد روينا من حديث أبى مُوَيْهِبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ، فاستغفر لأهل البقيع فى المحرّم ، مَرْجِعَه من حجته .

• عن أبى مُوَيهبة ، مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال :

(يا أبا مُوَيهبة ، إنى قد أُمِرْت أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معى) .

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : (السلام عليكم ، يا أهل المقابر ، ليَهْن لكم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناسُ فيه ، لو تعلمون ما نجاكم الله منه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخر شرٌّ من الأولى) .

قال : ثم أقبل على أبى مُوَيهبة فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، وخيِّرت بين ذلك ، وبين لقاء ربى والجنة .

قال فقلت : بأبى أنت وأمى ! فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة .

قال(١) : (يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة) . ثم استغفر لأهل البقيع .

---

(١) الأصل : ثم قال . وما أثبته عن ابن كثير . البداية ٥/٢٢٤

ثم انصرف . فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي قبضه الله فيه حين أصبح .

• عن أبي مويهبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلِّيَ على أهل البقيع ، فصلى عليهم في ليلة ، ثلاث مرات ، فلما كانت الليلة الثالثة قال :

(يا أبا مُوَيهبة ، أسرجْ لي دابتي . حتى انتهى إليهم) .

فنزل عن دابته ، وأمسكتُ الدابة ، ووقف عليهم ، أو قام ، ثم قال :

(ليَهْنكم ما أنتم فيه ، مما فيه الناس . أتت الفتن كقطع الليل المظلم ، يركب بعضها بعضاً ، الآخرةُ شرٌّ من الأولى ، فَلْيَهْنِكُمْ ما أنتم فيه) .

ثم رجع فقال : (يا أبا مويهبة ، إني قد أعطيت ، أو خُيِّرت ، ما فتح الله على أمتي من بعدي ، والجنة ، أو لقاء ربي) .

قال : قلت : يا رسول ، فاختر . قال : (اخترت لقاء ربي) .

فما لبث بعد ذلك إلا سبعاً أو ثمانياً ، ثم قُبض صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى

فى تأميره أسامة بن زيد

قال أهل السِّيَر : دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقال : (سِرْ إلى موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل) فعسكر بالجُرُف(١) وخرج فى عسكره ، أبو بكر ، وعمر . وسعد ، وسعيد ، وأبو عبيدة ، فتكلم قومٌ وقالوا : يستعمل هذا الغلامَ على المهاجرين الأولين ؟ !

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً .

فخرج وقد عصب رأسه بعصابة ، فصعد المنبر وقال :

أما : بعد . فما مقالةٌ بلغتنى عنكم فى تأميرى أسامة .

ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة ، لقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله .

وآيم الله ، إنْ كان للإمارة خليقاً(٢) ، وإن ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة) .

واشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه .

---

(١) قال فى المصباح : الجرف بضم الجيم والراء مخففة : ناحية قريبة من أعمال المدينة على نحو من ثلاثة أميال اهـ ، بتصرف يسير ومثله فى لسان العرب والنهاية لابن الأثير .

(٢) خليقا . أى : جديراً وأهلا لها .

الباب الثالث

فى مجىء الخبر بظهور مسيلمة

● قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبى ، وقال : إنى أشْرِكتُ معه .

فلما رجع إلى بلدِه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلامٌ عليك .

أما بعد ، فإنّى قد أشْرِكْتُ فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فإن الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده(١) .

(١) فى الأصل زيادة : « وقد أهلكت أهل صنعاء ، أقادك الله ومن ضرب معك » . ولم أجدها فى شىء من المراجع ، ويبدو أنها مقحمة على الأصل .

الباب الرابع

فى ظهور الأسود العنسى

• كان الأسود يُشَعبذ ، وكان أوّل خروجه ، بعد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكاتبته مذحج ، وواعده نجران ، وأخرجوا عمرو ابن حزم ، وخالد بن سعيد ، ثم قَوِىَ أمره بمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودانت له سواحل واتقّاه المسلمون ، ثم قتله فيروز .

فأخبر رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الناس .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ، فوضعت فى يدى .

ورأيت فى يدىّ سوارين من ذهب ، فَكَبُرَا علىّ ، وأهمنى شأنهما .

فأوحى إلىّ : أن انفخهما . فنفختهما فطارا .

فأوّلتهما ، الكذابَيْنِ الذين أنا بينهما : صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

الباب الخامس

فى ظهور طليحة بن خويلد بعد الأسود ومسيلمة

• فادعى النبوة ، وتبعه جماعة ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الموادعة ، ثم تناقض أمره ، ثم أسلم ، وقاتل فى نهاوَند ، فقُتل .

أبواب مرضه ووفاته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

في أنه سم صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : إن يهودية جعلت سمًّا في لحم ، وأتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكل منه وقال :

(إنها جعلت فيه سمًّا) .

قالوا : يا رسول الله ، ألا نقتلها ؟ قال : لا .

فجعلت أعرف ذلك في لَهَوَات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

● عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود ، أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة ، فقال لأصحابه : (أمسكوا ، فإنها مسمومة) .

ثم قال : ما حملك على ما صنعتِ ؟ قالت :

أردت أن أعلم ، إن كنت نبيًّا فسيطلعك الله على [ذلك] .

وإن كنت كاذباً ، أريح الناس منك .

● عن أبي سلمة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة :

فأهدت له امرأةٌ من يهود خيبر ، شاةً مَصْلية(١) ، فتناول منها ، وتناول بِشْرُ بن البراء .

---

(١) مصلية : مشوية .

فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ما صنعت ؟

فقالت : إن كنت نبيًا ، لم يضرك شيء ، وإن كنت ملكا ، أرحتُ الناس منك .

فقال في مرضه : ما زالت الأكلة التي أكلتُ بخيبر ، تُعَادُّني(١) ، فهذا أوان انقطاع أبْهَري(٢) .

• عن جابر بن عبد الله قال :

إن يهودية من أهل خيبر ، سَمّت شاة مَصْلِيَّةً ، ثم أهدتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الذراع ، فأكل منها وأكل الرهطُ من أصحابه معه .

ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : (ارفعوا أيديكم) .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها .

أَسَمَمْتِ هذه الشاة ؟

قالت : نعم ، ومن أخبرك ؟

قال أخبرتني هذه . وفي يده الذراع .

قالت : نعم . قال : فماذا أردتِ إلى ذلك ؟

قالت : قلت إن كان نبيًا ، لم تضره ، وإن لم يكن ، استرحنا منه .

---

(١) تعادني : تراجعني ويعاودني ألم سمها .

(٢) الأبهر . قال في الصحاح : الأبهر : عرق إذا انقطع ، مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين اهـ .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعاقبها .

وتوفى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، الذين أكلوا من الشاة .

واحتجم النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة . حجمه أبو هند ، مولى بنى بَيَاضة ، بالقَرْن والشَّفرة .

قال المصنف : اسمُ هذه المرأة التى سَمَّته ، زينب بنت الحارث ، امرأة سلَّام ابن مِشكم .

قال محمد بن سعد : والثابت عندنا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قتلها .

الباب الثانى

فى تقريب أجله له

عن ابن عباس قال : لما نزلت « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : إنى قد نُعِيتُ إلى نفسى .

فبكت فاطمة .

قال : « لا تبكى ، فإنك أول أهلى بى لحوقاً » . فضحكت .

الباب الثالث

فى عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته

عن عبد الله بن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل فى كل رمضان .

فلما كان فى الشهر الذى مات فيه ، عرضه عليه مرتين .

الباب الرابع

فى ابتداء المرض به

• ابتدأ به صُداع فى أواخر صفر ، سنة إحدى عشرة من الهجرة .

قال الواقدى : لليلتين بَقيتا منه . وقال غيره لليلة .

وقيل : بل مُفْتتح ربيع [الأول] .

قالت عائشة : بداية شكواه وهو فى بيت ميمونة ، فخرج فى يومه ، فدخل علىّ فقلت : وارأساه . قال : « بل أنا ، وارأساه » .

ثم رجع إلى بيت ميمونة ، واشتد وجعه ، فاستأذن نساءه أن يُمرَّض فى بيت عائشة ؛ فَأَذِنَّ له فخرج إلى بيتها . تخطُّ رجلاه .

• عن عائشة قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدنى ، وإذا أجد صداعاً وأقول : وارأساه .

قال : وما ضَرَّكِ لو مِتِّ قبلى ؛ فغسلتك ، وكفّنتك ، وصلّيتُ عليك ، ودفنتك .

فقلت : لكأنى بك والله ، لو فعلت ذلك ، لرجعتَ إلى بيتى ؛ فعرَّست فيه ببعض نسائك !

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بدأ به وجعه الذى مات فيه .

• عن عائشة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل فى مرضه : أين أنا غداً ، أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة .

فأذنَّ له أزواجه ، أن يكون حيث شاء .

فكان فى بيت عائشة ، حتى مات عندها ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس

فى سؤال أبى بكر أن يمرضه

• عن ابن سالم قال : جاء أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ائذن لى ؛ فأمرّضك : فأكون الذى أقوم عليك .

فقال : « يا أبا بكر ، إنى لم أحمّل أزواجى وبناتى علاجى ، إن زادت مصيبتى عليهم عظماً ؛ وقد وقع أجرك على الله تعالى » .

الباب السادس

فى أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه
صلى الله عليه وسلم

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يُحمَل فى ثوبه يطاف به على نسائه ، وهو مريض ، يقسم بينهن .

الباب السابع

فى ذكر اشتداد الوجع عليه

• قالت عائشة : جعل يشتكى ويتقلّب على فراشه ، فقلت له : لو فعل هذا بعضُنا ، وجَدْتَ(١) عليه . قال : « إن المؤمنين يُشَدَّد عليهم » .

• عن عبد الله قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعَك ، فمَسَسْتُه فقلت : يا رسول الله ، إنك لتوعك وعَكاً(٢) شديداً .

قال : « أجَلْ إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

قلت : إن لك أجرين .

(١) وجدت . تريد : رقّ قلبك وحزنت عليه .

(٢) وعكا . أى : أذى الحمى ووجعها .

قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، ما على الأرض مُسْلِم يصيبه أذًى من مرض فما سواه ، إلا حَطّ الله عنه خطاياه ، كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها » .

أخرجاه .

• عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً أشدّ عليه الوجع ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن أبى سعيد الخدرى قال :

جئنا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا عليه صالِبٌ(١) من الحمَّى ، ماتكاد يَدُ أحدنا تقَرّ(٢) عليه من شدة الحُمَّى ، فجعلنا نسبّح ، فقال :

« ليس أحدٌ أشدّ بلاء من الأنبياء ، كما يشـدَّدُ علينا البلاء كذلك يُضَاعفُ لنا الأجر » .

فإن قيل : ما وجهُ تشديد البلاء على الأكابر ؟

قال ابنُ عَقِيل : كان له فيهم جواهر مُودَعة ، أحبّ أن يُظْهرها ، ويجعلها حُجَجاً على المتخلّفين عنه ، صبراً على بلائه ، ورضاً بقضائه .

• عن فاطمة عمة أبى عبيدة قالت :

بَيْنا [نحن عند] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء نَعُوده ، فإذا سِقاء يَقْطر عليه من شدة ما يجد من الحمى .

فقلنا : يارسول الله ، لو دعوتَ الله أن يكشف عنك ؟

فقال : « إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمْثَلُ فالأمْثَلُ » .

---

(١) الصالب : رعدة من الحمى .
(٢) تقر . أى : تثبت .

• عن عائشة أنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فيُدْخل يده فى القدح ، ثم يمسح به وجهه ويقول :

(اللهم أعنِّى على سكرات الموت) .

• عن عائشة أيضاً قالت : رأيتُ[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فيُدْخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ويقول :

« اللهم أعِنِّى على سكرات الموت » .

• عن عائشة قالت : لا أغبط أحداً يُهوَّن عليه الموت ، بعدَ الذى رأيتُ من شدة موتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن أنس قال : لما وجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كَرْب الموت ما وجد ، قالت فاطمة : وا كَرْباه لِكَرْبك يا أبتاه .

قال : لا كَرْبَ على أبيك بعدَ اليوم ، إنه قد حضَر من أبيك ، ما ليس بتارك منه أحداً إلا الموافاة يومَ القيامة .

---

(١) الأصل : قال ، وهو تحريف . وما أثبته عن مسند أحمد .

أما بعد ، فإن الأنصار عَيْبَتى(١) التى أويتُ إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم إلا فى حدّ .

ألا إن عبداً من عباد الله ، قد خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله) .

فبكى أبو بكر ، وظن أنه يعنى نفسه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

على (رِسْلك(٢) يا أبا بكر) ، سُدُّوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد ، إلا بابَ أبى بكر ، فإنى لا أعلم امرءا أفضل عندى غداً فى الصُّحبة ، من أبى بكر .

---

(١) عيبتى . قال فى الصحاح : العيبة : ما يجعل فيه الثياب اهـ .

وفى أساس البلاغة : (ومن المستعار : هو عيبة فلان : إذا كان موضع سره).
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كرشى وعيبتى » أى : أضع فيهم أسرارى كما تضع البهيمة العلف فى كرشها اهـ المراد منه .

(٢) رسلك . أى : على هينتك . والمراد هنا : تمهل ولا تعجل .

الباب الثامن

فى أمره أن يصب عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد إلى الناس

● عن عائشة قالت : لمَّا ثَقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدَّ وجعه قال : « هَرِيقوا علىَّ من سَبْع قِرَب ، لم تُحْلَلْ أَوْكِيتهن ، لعلِّى أعهد إلى الناس .

فأجلسناهُ فى مِخْضب(١) لحفصة ، ثم طفقنا نَصُبُّ عليه ، حتى جعل يشير إلينا : أن قد فعلتنَّ . ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم .

● عن عائشة قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه :

(صُبُّوا علىَّ سبعَ قِرَب من سبع آبار شتَّى ، حتى أخرج إلى الناس ، فأعهد إليهم) .

قالت : فأقعدناه فى مِخْضَب لحفصة ، فصبَبْنَا عليه الماء صبًّا أو سَنَنَّا(٢) عليه الماء سَنًّا ، الشك من قِبَل ابن إسحاق .

فوجد راحة ، فخرج وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ودعا لهم ، ثم قال :

---

(١) المخضب : المركن وعاء تغسل فيه الثياب .

(٢) سننا : صببنا .

الباب التاسع

فيما يروى أنه اقتص من نفسه

● عن الفضل بن عباس قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرجت إليه ، فوجدته مُوعكا ، قد عصب رأسه ، فقال : (خذ بيدى) . فأخذت بيده ، فانطلق ، حتى جلس على المنبر ، ثم قال : (نادِ فى الناس).

فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، إنه قد دنا منى خُلوفٌ من بين أظهركم .

فمن كنت جلَدْتُ له ظهراً ، فهذا ظهرى ، فليستَقِدْ منه .

ومن كنت أخذت له مالاً ، فهذا مالى .

ومن كنت شتمتُ له عِرْضاً [فهذا عرضى][(١)] فليستقدْ .

ولا يقولن أحد : إنى أخشى الشحناء من رسول الله .

ألا وإنَّ الشَّحْناء ليست من طبيعتى ، ولا من شأنى[(٢)] .

ألا وإن أحبكم إلىَّ ، من أخذ شيئاً كان له ، أو حَلَّلنى فلقيتُ الله ، وأنا طيِّب النفس .

وإنى أرى أن هذا غير مُغْنٍ ، حتى أقومَ فيكم مِرَاراً .

---

(١) عن ابن كثير : البداية والنهاية ٥/٢٣١

(٢) ابن كثير : ليست من شأنى ولا من خلق .

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم جلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها .

فقام رجل فقال : إذن ، والله ، لي عندك ثلاثة دراهم .

قال : (يا فضل أعطه) .

ثم قال : أيها الناس ، من كان عليه شيء فليؤدِّه ، ولا يقولن رجل : فُضُوح الدنيا ، فإن فضوح الدنيا ، أهْوَنُ من فضوح الآخرة .

فقام رجل فقال : يا رسول الله ، عندى ثلاثة دراهم ، غَلَلتها في سبيل [الله . قال : فلم غلَلْتها ؟ قال :][(١)] كنت محتاجاً إليها .

قال : خذها منه يا فضل[(٢)] .

● عن عبد الله بن أبي بكر قال :

زحمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر ، وفي رجلى نعل كثيفة .

فوطئتُ بها على رِجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فنفَحنى نفحةً بسوطٍ في يده وقال : بسم الله ، أوجعْتَنى .

قال فبتُّ لنفسى لائماً أقول : أوجعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فبتُّ بليلةٍ كما يعلم الله .

فلما أصبحوا ، إذا رجل يقول : أين فلان ؟

---

(١) من ابن كثير : البداية والنهاية ٥/٢٣١

(٢) الحديث أخرجه البيهقى في الدلائل . قال ابن كثير : وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة .

قلت : هذا واللّه ، الذى كان منى بالأمس .

فانطلقتُ وأنا متخوِّف ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنك وَطِئتَ بنعلك على رجلى بالأمس ، وأوجعتنى ، فنفَحْتك نَفْحةً شديدة بالسوط ، فهذه ثمانون رأساً من الغنم ، فخذها بها) .

• عن ابن عمر قال : رغَّب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الجهاد ، ذات يوم ، فاجتمعوا عليه حتى غمُّوه وفى يده جريدة قد نزع سِلاها ، وبقيت سلاةٌ لم نرها ؛ فقال : أخِّروا عنى هذا فقد غَمَمْتمونى .

فأصاب النبىُّ صلى الله عليه وسلم بطنَ رجل فأدْمَاه .

فخرج الرجل وهو يقول : هذا فِعْل نبيِّك بى .

فسمعه عمر ؛ فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(أحقًّا أنا أصبتُك ؟) قال : نعم .

قال : (فما تريد ؟) . قال : أريد أن أستَقيد منك .

فأمكنه من الجريدة ؛ فكشف عن بطنه .

فألقى الجريدةَ من يده ، وقبَّل سُرَّته وقال :

هذا أردتُ ، كَيْما يَنْقَمِعُ الجبَّارون مِن بعدك !

• عن أبى سعيد الخدرى قال :

كان رجل من المهاجرين ، وكان ضعيفاً .

وكانت له حاجةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأراد أن يَلقاه على خَلاء فيسأل حاجته .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معسكراً بالبطحاء ،

وكان يجيء من الليل ، فيطوف بالبيت .

حتى إذا كان وجهُ السَّحر ، صلّى بهم صلاة الغداة .

قال : فحبسه الطوافُ ذات ليلة حتى أصبح .

فلما استوى على راحلته ، عَرض له الرجل ؛ فأخذ بخطام ناقته ؛ فقال :

يا رسول الله ، لى إليك حاجة .

قال : إنك ستدرك حاجتك . فأبى .

فلما خشى أن يحبسه ؛ خفَقه بالسوط ؛ ثم مضى فصلّى بهم صلاة الغداة .

فلما انفتل أقبَل بوجهه على القوم ؛ وكان إذا فعل ذلك ؛ عرفوا أنه قد حدث أمر ؛ فاجتمعوا حوله فقال :

أين الذى جلدتُ آنفاً ؟ فأعادها . إنْ كان فى القوم فليقم .

قال : فجعل الرجل يقول : أعوذ بالله ؛ ثم برسوله !

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أُدْنُهْ أُدْنُهْ) حتى دنا منه .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وناوله السوطَ وقال : (خذ بمَجْلدك فاقتصّ) .

فقال : أعوذ بالله أن أجْلدَ نبيَّه !

قال : (إلا أن تعفو) . قال : فألقَى السوطَ . وقال : قد عفوتُ يا رسول الله .

فقام إليه أبو ذَر فقال : يا رسول الله ؛ تذْكر ليلةَ العقبة ؛ وقد كنت أسوق بك وأنت نائم .

وكنت إذا سُقْتها أبطأتْ ، وإذا أخذتُ بخطامها اعترضَتْ .

فخفقتُكَ خَفقَةً بالسوط وقلتُ : قد أتاك القومُ .

وقلتَ : لا بأس عليك .

خذ يا رسول الله ، فاقتصّ .

قال : قد عفوتُ . قال : اقتصّ ، فإنه أحبُّ إليّ .

فجلَده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلقد رأيته يتضوّر(١) من جَلْد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فوالله لا يَظْلِم مؤمنٌ مؤمناً إلا انتقم الله منه يومَ القيامة .

● عن محمد بن عمر قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الطائف إلى الجِعْرانة ، وأبو زُنَيم إلى جنبه ، على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو زُنيم : فوقع حرفُ نعلي على ساقه فأوجعه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوجعتَني ، أخِّر رجلك) .

وقَرع رجلي بالسوط ، فأخَّرني ما قدّم وما أخَّر ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآنٌ ، لِعظيم ما صنعت .

فلما أصبحنا بالجِعْرانة ، خرجت أرعى الظَّهر ، وما هو يومي ، فرَقاً(٢) أن يأتي للنبيِّ صلى الله عليه وسلم رسولٌ يطلبني .

---

(١) يتضور . قال في المختار من الصحاح : التضور : الصياح والتلوي عند الضرب أو الجوع اهـ ومثله في الأساس .

(٢) فرقا . أي : خوفاً .

فلما روّحت الركاب ، سألت فقالوا : طلبك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَجئت وأنا أرتقب فقال :

(إنك أوجعتنى برجلك ، فقرعتُك بالسوط فأوجعتُك ، فخذ هذه الغنم ، عوضاً عن ضربتى) :

قال : فَرِضَاه عنى ، كان أحبَّ إلىّ من الدنيا وما فيها .

قال : وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، يستَنْفِرهم ، لما أراد تبوكاً .

الباب العاشر

في مدة مرضه وأمره أبا بكر
أن يصلِّيَ بالناس

● كانت مدة مرضه اثنى عشر يوماً . وقيل : أربعة عشر يوماً . وكان يخرج إلى الصلاة . إلا أنه انقطع ثلاثة أيام ، وقال : مروا أبا بكر ، فَلْيُصَلِّ بالناس .

● عن عائشة قالت : لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءه بلال يُؤْذِنه(١) بالصلاة ، فقال : مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيف(٢) وإنه متى يقوم مَقامك لا يُسمع الناسَ ، فلو أمرتَ عمرَ ؟

قال : مروا أبا بكر ، فليصلِّ بالناس .

قالت : فقلت لحفصة : قولى له .

فقالت له حفصة : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيف ، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ؟

قال : إنكن صواحبُ يوسف ، مروا أبا بكر ، فليصلِّ بالناس .

---

(١) يؤذنه . أى : يعلمه ويخبره بدخول وقت الصلاة .

(٢) أسيف . يعنى : يغلبه البكاء والحزن . قال فى الصحاح : الأسيف والأسوف : السريع الحزن الرقيق اهـ المراد منه .

قالت : فأمروا أبا بكر ، فصلى بالناس .

فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، خِفَّةً لمَّا دخل أبو بكر في الصلاة .

فقام يُهادَى بين رَجُلين ، ورِجْلاه تخطَّان في الأرض ، حتى دخل المسجد .
[فلما سمع] أبو بكر حسه ، ذهب ليتأخر .
فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن قُمْ كما أنت .
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً ، وأبو بكر قائماً .
يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والناسُ يقتدون بصلاة أبي بكر .
أخرجاه .

• عن أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلّى بهم ، في وجع النبي صلى الله عليه وسلم ، الذى توفى فيه .

حتى إذا كان يوم الاثنين ، وهم صفوف في الصلاة ، كشف النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، سِتر الحجرة ، ينظر إلينا وهو قائم ، كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسَّم .

فهمَمْنا أن نَفتتن من الفرح ، برؤية النبي صلى الله عليه وسلم .
فنكص أبو بكر على عَقِبيه ، ليَصلَ الصفَّ .
وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إليهم : أن أتمُّوا صَلاتَكم .
وأرخَى الستر ، وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم(١) .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

الباب الحادى عشر

فى كونه أراد أن يكتب لأبى بكر كتاباً
ثم لم يكتب

● عن عائشة قالت : لما ثَقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : (إيتنى بكتف ، أو لوح ، حتى أكتب لأبى بكر كتاباً ، لا يُخْتَلَف عليه .

فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : يأبى الله ، والمؤمنون ، أن يُخْتَلَفَ عليك ، يا أبا بكر(١) .

وقد روى أنه أراد أن يكتب كتاباً ، ولم يذكر أبا بكر .

● عن عبد الله بن عباس قال :

لما حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوفاةُ قال :

هلمّ أكتُبْ لكم كتاباً ، لن تضلُّوا(٢) بعده . وفى البيت رجال ، منهم عمر بن الخطاب .

فقال عمر(٣) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اشتدَّ عليه الوجعُ ، وعندكم القرآن ، حَسْبُنا كتابُ الله .

---

(١) قال ابن كثير : انفرد به أحمد من هذا الوجه .

(٢) البخارى : لا تضلوا .

(٣) البخارى : فقال بعضهم .

فاختلف أهلُ البيت ، واختصموا .

ومنهم من يقول : يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من قال ، مثلَ ما قال عمر .

فلما أكثروا اللَّغطَ(١) والاختلافَ ، وغمُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (قوموا عنى) .

وكان ابن عباس يقول : إن الرزيّة كلّ الرزيّة ، ما حالَ بينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَيْنَ أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، فى اختلافهم ولغطهم .

الباب الثانى عشر

فى ذكر إخراجه شيئا من المال كان عنده

● عن سهل بن سعد قال : كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير ، وضعها عند عائشة ، فلما كان فى مرضه قال :

يا عائشة ، ابعثى الذهب الذى [عندك إلى] علىّ . ثم أُغمِىَ عليه .

وشَغل عائشةَ ما به ، فبعثت به إلى علىّ ، فتصدّق به .

ثم أمسَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين فى جديد الموت .

فأرسلت عائشة إلى امرأة من النساء بمصباحها فقالت :

(١) البخارى : اللغو والاختلاف . واللغط : فيه رفع صوت واختلاف بين المتكلمين .

اقطرى لنا فى مصباحى ، من عُكّتك السمن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسَى جديداً(١) .

● عن المطلب بن حَنْطَب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة وهى مُسْنَدَتُه إلى صدرها :

يا عائشة ، ما فعلت تلك الذُّهَيْبة ؟ قالت : هى عندى .

قال : أنفقيها . ثم أغمى عليه .

فلما أفاق قال : هل أنفقتِ تلك الذُّهَيْبة ؟ قالت : لا .

فدعا بها فوضعها فى كفه ، ثم عدَّها ، فإذا هى ستة ثم قال :

(ما ظنُّ محمدٍ بربه ، أنْ لو لقى الله وهذه عنده !) .

فأنفقها كلها ، ومات فى ذلك اليوم ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث عشر

فى عتقه عبيده عند الموت

● عن سهل بن يوسف ، عن أبيه عن جده ، قال :

أعتق النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، أربعين نفساً .

(١) جديداً : مشرفا على الموت .

الباب الرابع عشر

في إعلامه ابنته فاطمة بموته

• عن عائشة قالت : أقبلت فاطمةُ عليها السلام تمشى ، كأن مشيتها مِشْيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مرحباً بابنتى .

ثم أجلسها ، ثم إنه أسرَّ إليها حديثا ، فبكت .

فقلت لها : استخصَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه ، ثم تبكين !

ثم إنه أسرَّ إليها حديثا ، فضحكت ، فقلت :

ما رأيتُ كاليوم فرحاً ، أقرب من حزن !

فسألتها عما قال ، فقالت :

ما كنت لأفشى سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى [إذا] قُبض سألتها ، فقالت :

إنه أسرَّ إلىَّ فقال : (إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة ، وإنه عارضنى مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجَلى ، وإنك أولُ أهل بيتى لحوقاً بى ، ونعم السَّلفُ أنا لك) .

فبكيت لذلك . ثم قال :

(ألا ترضين أن تكونى سيدةَ نساء هذه الأمة ، أو نساء المؤمنين ؟) .

قالت : فضحكتُ لذلك .

أخرجاه فى الصحيحين .

الباب الخامس عشر

في استعماله السواك قبل موته

● عن عائشة أنها كانت تقول : مِن نِعَم الله عليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سَحْري ونَحْرَي[1] .

وأن الله جمع بين ريقي وريقه ، عند موته .

دخل عليّ عبدُ الرحمن ، وبيده سواك ، وإني مُسْندته إلى صدري ، فرأيته ينظر .

فعرفتُ أنه يحب السواك .

فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه ، أي : نعم .

فليّنْته ، فأخذه فأَمَرّهُ ، وبين يديه رَكْوة أو علبة ، يشك عمرو ، فيها ماء .

فجعل يُدخِلُ يديه في الماء ، فيمسح بهما وجهه ويقول :

(لا إله إلا الله ، إنّ للموت سَكرات) .

ثم نَصب يده فجعل يقول : (في الرّفيق الأعلى) . حتى قُبض .

ومالت يده صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السحر : الرئة . أي : أنه مات مستنداً إلى صدرها .

الباب السادس عشر

فى أنه خير بين البقاء والموت

● عن بشر بن سعيد قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ فقال : (إن الله عز وجل خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله) .

فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه ، أن أَخْبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المخيَّر ، وكان أبو بكر ، أَعْلمنا به .

● عن عائشة قالت : كنت أسمع أن لا يموت نبيٌّ حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة . قالت :

فأصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بُحَّةٌ شديدة فى مرضه ، فسمعته يقول :

(مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً) فعلمت أنه خُيِّر .

الباب السابع عشر

فى جمعه أصحابه وإيصائهم

● عن ابن مسعود قال : نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبى هو وأمى ، ونفسى له الفِداء .

فلما دنا الفراق ، جمعنا فى بيت أمنا عائشة ، فقال :

(مرحباً بكم ، حيّاكم الله ، رفعكم الله ، حفظكم الله ، جبَرَكم الله ، رزقكم الله ، نفعكم الله ، آواكم الله ، وقاكم الله) .

أوصيكم بتقوى الله، وأُوصى الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأحذِّركم الله .

إنى لكم منه نذيرٌ مبين ، أن لا تَعلُوا على الله فى عباده وبلاده ، فإنه قال لى ولكم :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(١) وقال : « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ »(٢) .

قلنا : ، يارسول الله ، متى أجَلُك ؟ قال :

(دنا الفراقُ ، والمُنقَلبُ إلى الله ، وإلى جنة المأوى ، وإلى سِدْرة المنتهى ، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ ، والعيش الأهنَى) .

---

(١) سورة القصص ٨٣ . (٢) سورة الزمر ٣١ .

قلنا : رسول الله من يغسلك ؟ قال : رجالُ أهل بيتى ، الأَدْنى، فالأدنى.

قلنا : يا رسول الله ، فيم نكفّنك ؟ قال :

(فى ثيابى هذه ، إن شئتم ، أو ثياب مصر ، أو فى حلة يمنية) .

قلنا : يا رسول الله ، من يصَلِّى عليك ؟ فبكى وبكينا ، فقال :

مهلًا ، رحمكم الله ، وجزاكم عن نبيكم خيراً ، فإذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى ، فضَعُونى على سريرى هذا ، على شَفير قبرى فى بيتى هذا ، ثم اخرجوا عنى ساعة ، فإنّ أول من يصلِّى علىّ ، حبيبى ، وخليلى ، جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت فى جنود من الملائكة .

ثم ادخلوا علىّ فَوْجاً فوجا ، فصلوُّا علىّ وسلّموا تسليما .

ولا تؤذونى بباكية ، ولا مُرِنّة .

وَلْيَبْدَأْ بالصلاة علىّ ، رجالُ أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعدُ .

واقرأوا السلام على من غاب عنى من أصحابى وعلى من يتبعنى على دينى ، إلى يوم القيامة) .

قلنا . يا رسول الله فمن يُدْخلك القبر ؟ قال :

(أهلى مع ملائكة كثير ، يرونكم حيث لا ترونهم) .

الباب الثامن عشر

فى وصيته بالصلاة عند موته

● عن أنس قال : كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حَضره الموتُ . (الصلاة وما مَلكت أيمانكم) حتى جعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُغَرْغر بها فى صدره، وما يفيض بها لسانه .

● عن أنس قال : كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُغَرْغر بها فى صدره ، وما يكاد يُفيض بها لسانه :

(اتقوا الله ، الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم) .

الباب التاسع عشر

فى أنه ما أوصى به من الدنيا

● عن طلحة قال : قلت لعبد الله بن أبى أوْفَى :

« أوصَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا .

قلت . كيف أمرَ المؤمنين بالوصية ولم يوصِ ؟

قال : أوْصَى بكتاب الله » أخرجاه .

● عن عائشة قالت : ما تركَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ، ولا درهما ، ولا شاةً ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشىء .

أخرجه مسلم .

الباب العشرون

فى تحذيره أن يتخذ قبره مسجدا

● عن ابن عباس وعائشة قالا : لمّا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، طَفِق يطْرَح خَمِيصَةً له على وجهه فإذا اغتَمّ كشفها عن وجهه .

فقال وهو كذلك : (لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذّر مثل(١) ما صنعوا .

---

(١) البخارى : يحذر ما صنعوا .

الباب الحادي والعشرون

في تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأل عن حاله

• عن أبي هريرة ، أن جبريل ، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قُبض فيه فقال : إن الله يُقْرئك السلامَ ويقول لك : كيف تجدك ؟

قال : (أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا) .

ثم جاء من الغد فقال : يا محمد ، إن الله يقرئك السلام ويقول لك : كيف تجدك ؟ قال : (أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا) .

ثم جاء اليوم الثالث ، ومعه ملَك الموت فقال :

يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك . كيف تجدك ؟ قال :

أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا ، مَنْ هَذا معك ؟ قال : ملَكُ الموت ، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك ، وآخر عهدك بها ؛ ولن أُساء على هالكٍ بعدك من بني آدم ، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك .

فوجد النبي صلى الله عليه وسلم سَكْرَةَ الموت ، وعنده قدح ؛ فيه ماء .

وكلما وجد سكرة الموت ؛ أخذ من ذلك الماء ؛ فمسّ به وجهه وهو يقول : (اللهم أعنِّي على سكرات الموت)(١) .

---

(١) ذكره البيهقي في الدلائل ، وأشار إلى ضعفه . شرح للمواهب ٥/٣٢٩ .

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال :

لمّا بقي من أجَل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثٌ ، نزل عليه جبريل فقال :

يامحمد ، إن الله تعالى أرسلنى إليك ، إكرامًا لك ، وتفضيلًا لك وخاصةً .

يسألك عما هو أعلمُ به منك :

كيف تجدك ؟ قال : (أجدنى — يا جبريل — مغمومًا .

وأجدنى — يا جبريل — مكروبًا) .

فلما كان اليوم الثانى ، هبط جبريل فقال :

يا محمد إن الله تعالى أرسلنى إليك ، إكراماً لك ، وتفضيلا لك .

يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟

فقال : أجدنى — يا جبريل — مغمومًا .

وأجدنى — يا جبريل — مكروباً .

فلما كان فى اليوم الثالث ، نزل جبريلُ ، وهبط معه ملَك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ، ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض ، وهو على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل وقال :

يامحمد إن الله أرسلنى إليك ، إكراماً لك وتفضيلا لك ، وخاصة لك .

يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك :

كيف تجدك ؟ قال : أجدنى مغموماً ، وأجدنى مكروباً .

ثم استأذنَ ملك الموت ؛ فقال جبريل : يا محمد ، هذا ملك الموت ؛ يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمى كان قَبلك ، ولا يستأذنُ على آدمى بعدك .

قال : ائذن له .

فدخل ملك الموت ، فوقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، إن الله أرسلنى إليك ، وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى .

إن أمرتنى أن أقبض نفسك ، قبضتُها .

وإن أمرتنى أن أتركها تركتها .

قال : وتفعل يا ملك الموت ؟

قال : بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما أمرتنى .

قال جبريل : إن الله قد اشتاق إليك .

قال : فامض يا ملك الموت ، لما أُمرتَ به .

فقال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر مَوْطئى الأرضَ ، إنما كنتَ حاجتى من الدنيا . فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

---

(١) الحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل ، والطبرانى والشافعى وإسناده معضل . شرح المواهب ٥/٣٢٩ .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت

● عن أبى الحُوَيرث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَشْتَكِ شكوى إلا سأل الله العافية ، حتى كان فى مرضه الذى توفى فيه ، فإنه لم يَدْعُ بالشِّفاء ، وطفِق يقول : (يا نفس مالكِ تَلُوذين كلّ مَلَاذ !) .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعوِّذ نفسه بهذه الكلمات (أَذْهِب البـأس ربَّ الناس ، اشفِ أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك لا يغادرُ سَقمًا) .

قالت : فلما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ، أخذتُ بيده ، فجعلت أمسحه بها وأقولها ، فنزع يده منى ثم قال :

(ربِّ اغفر لى وألحقنى بالرَّفيق) فكان هذا آخر ما سمعتُ من كلامه .

أخرجاه .

الباب الثالث والعشرون

فى صفة خروج روحه الطاهرة

صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ورأسُه بين سَحْرى و نَحْرى ، فلما خرجتْ نفسُه ، لم أجد ريحاً قط ، أطيب منها .

الباب الرابع والعشرون

فى صفة الثياب التى توفى فيها

• عن أبى بُرْدة قال : أخرجتْ إلينا عائشة كِساءً مُلبَّداً ، وإزاراً غليظاً فقالت : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين .

أخرجاه .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر وقت موته

• توفى صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين نصف النهار ، وربما قيل : عند اشتداد الضحى ، لاثنتى عشرة خلَتْ من ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة .

• عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين .

الباب السادس والعشرون

في أن الناس شكوا في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن أبى سلمة ، أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرَس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجدَ ، فلم يكلِّم الناسَ حتى دخل على عائشة .

فَيَمَّمَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو مُغَشًّى بثوب حِبَرة .
فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه ، فقبَّله وبكى ، ثم قال :
بأبى أنت وأمى ! والله ، لا يجمع الله عليك موتتَيْن .
أمَّا الموتة التى كُتبتْ عليك(١) فقد مِتَّها .

(١) الأصل : عليها . وهو تحريف .

قال : وجعلت أمُّ أيمن تبكى ، وقالت : ما أبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا .

ولكنى أبكى على خبر السماء كيف انقطع !

● عن أنس قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

فقام عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ، ولكن ربَّه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة .

وإنى لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى رجال المنافقين ، وألسنتَهم ، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمات .

● عن أنس قال : [لما] دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أضاء منها كلُّ شيء .

فلما كان اليوم الذى مات فيه ، أظلمَ منها كل شيء .

وما نفضْنا الأيدى من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنكرْنا قلوبَنا !

الباب السابع والعشرون

فى ذكر مبلغ سنه
صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : توفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سَنة .

أخرجاه فى الصحيحين .

• عن أنس بن مالك قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين[١] وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة .

• عن دَغْفَل بن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم قُبض ، وهو ابن خمس وستين سنة .

قال المصنف : الصحيح الأول ، ومن قال ستين ، أراد أعشارَ الستين ، فالإنسان قد يقول : سنِّى أربعون . ويكون قد زاد عليها ، إلا أن الزيادة لم تبلغ عَشْراً .

(١) الصحيح أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس ، أن أبا بكر خرج ، وعمر بن الخطاب يكلِّم الناسَ فقال : اجلس يا عمر . فأبَى عمر أن يجلس .

فأقبلَ الناسُ إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر :

أمّا بعدُ : فمن كان يَعْبد محمداً ، فإن محمداً قد مات .

ومن كان يَعْبد الله ، فإنّ الله حىٌّ لا يموت . قال الله تعالى :

« وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل »(١) إلى قوله : « الشاكرين » .

قال : والله ، لَكَأنّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية ، حتى تلاها أبو بكر فتلاها الناسُ كلهم ، فلم أسمع بَشَراً من الناس إلا يَتْلوها .

وأخبرنى سعيد بن المسيَّب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها ، فعَقِرْتُ ، حتى ما تُقِلُّنِي(٢) رجلاى ، وحتى أهويت(٣) إلى الأرض حين سمعته تلاها أخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

انفرد البخارى بإخراجه .

وأخبرنا أبو محمد الدارمىّ قال : فعُقرتُ(٤) حتى ما تُقلّنى رجلاى ، وحتى أهويتُ إلى الأرض ، حين سمعته تلاها .

● عن ابن عباس قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين . فَحُبس بقيةَ يومه وليلته والغد ، حتى دفن ليلة الأربعاء .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) ما تقلنى . أى : لا تحملنى .

(٣) أهويت . أى : سقطت على الأرض .

(٤) فعقرت . أى : فقدت رجلاى القوة من شدة الدهش فسقطت على الأرض .

وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمُتْ ، ولكنه عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى .

فقام عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَمُتْ ، ولكنه عُرج بروحه ، كما عُرج بروح موسى ، والله لا يموت رسول الله ، حتى يقطّع أيدى أقوام وألسنتهم .

فلم يزَل عمر يتكلم ، حتى أزْبد شِدْقاه ، مما يُوعِد[١] ويقول .

فقام العباس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ، وإنه لَبَشر وإنه ليأْسن[٢] كما يَأْسن البشر .

أىْ قوم ، فادفنوا صاحبكم ، فإنه أكرمُ على الله من أن يُميتَه إماتتين .

أيميت أحدَكم إماتةً ، ويميته إماتتين ؟ ! هو أكرمُ على الله من ذلك .

أىْ قوم ، فادفنوا صاحبكم ، فإن يك كما تقولون ، فليس بعزيز على الله أن يبحث[٣] عنه التراب .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، حتى ترك السبيلَ نَهْجاً واضحاً وأحلّ الحلالَ ، وحرَّمَ الحرامَ ، ونكح ، وطلّق ، وحارب ، وسالم .

ما كان راعى غنم يَتْبع بها رءوسَ الجبال ، يَخْبط عليها العضاه ، ويَمْدُر حَوْضَها[٤] بيده ، بأنْصَب ، ولا أدْأبَ من رسول الله كان فيكم .

أى قوم . فادفنوا صاحبكم .

---

(١) يوعد . أى : يهدد . (٢) يأسن : يتغير .

(٣) يبحث : يكشف .

(٤) يمدر الحوض : يسد خصاص حجارته بالمدر . وفى الأصل : يمدر حيضها والتصويب من طبقات ابن سعد ٤/٥٣ ط ليدن .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر ما خلف وحكمه

صلى الله عليه وسلم

● عن عمرو بن الحارث أخو جُوَيْرِية بنت الحارث ، خَتَن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ، ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ، ولا أمة ، ولا شاةً ، إلا بغلته البيضاء ، وأرضاً جعلها صدقة .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نُورَث ، ما تركنا صدقة) .

● عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تَقْسم ورثتى ديناراً ولا درهماً ، ما تركتُ — بعدَ نفقةِ نسائى ومُؤنة عاملى — فهو صدقة) .

● عن أبى بكر الصديق ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نورَث ، ما تركنا صدقة) .

---

(١) ختن . أى : أخو زوجة النبى ، جويرية .
قال فى المختار من الصحاح : الختن : كل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والأخ . وهم الأختان . هكذا عند العرب .
وأما العامة فختن الرجل — عندهم — زوج ابنته . اهـ .

• عن عمر بن الخطاب أنه قال لسعد ، وعبد الرحمن ، والزبير : أَنْشُدُكم(١) بالله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نورَث ما تركْنا صدقةٌ)؟ قالوا : نعم .

فقال للعباس وعليّ أيضاً ، فقالا مثل ذلك .

وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن سهل بن أبى حَثْمة قال :

كانت صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النَّضير [وهى(٢)] سبعة : الأعراف ، والدلال ، والمِيثَب ، وبُرقة ، وحُسْنَى ، ومَشْربة أم إبراهيم .

[وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ، لأن أم إبراهيم مارية(٣)] كانت تنزلها ، وكان ذلك المال لسَلّام بن مِشْكم النَّضِيرى .

وقال عمر بن الخطاب : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صَفَايا ، وكانت بنو النَّضير حبْساً لنوائبه ، وكانت (فَدَك) لابن السبيل ، وكانت خيبر لمُؤْنَة أهله ، وكان الخُمس قد جَزّأه ثلاثة أجزاء : فجزآن للمسلمين ، وجزء كان ينفق منه على أهله ، فإن فَضَل فَضْلٌ ردّه على فقراء المهاجرين(٤) ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنشدكم . أى : أسألكم بالله .

(٢) من طبقات ابن سعد ٢/١٨٣ ليدن .

(٣) من طبقات ابن سعد ٢/١٨٣ ليدن .

(٤) الخبر ، فى الطبقات لابن سعد ٢/١٨٣ ليدن .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر غسله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لما اجتمع القومُ لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في البيت إلا أهلُه : عمُّه العباس ، وعلى بن أبى طالب ، والفضل بن العباس ، وقُثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وصالح مولاه ، اجتمعوا لغسله ، نادى من وراء الباب أنسُ بن خَوْلى الأنصارى — وكان بدريًّا — عليًّا بن أبى طالب . فقال :

يا علىّ . أنشدك الله حقّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له علىّ : ادخل .

فدخل ، فحضر غسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَلِ من غسله شيئاً .

قال : فأسنَده علىٌّ إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس والفضل ، وقُثَم . يَقلبونه مع علىّ .

وكان أسامة ، وصالح ، يصُبَّان الماء ، وجعل علىٌّ يغسله .

ولم يرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، مما يراه من الميت(١) ، وهو يقول : بأبى وأمى ! ما أطيبك ، حيًّا وميتا ! ! !

• عن عائشة قالت : لما أرادوا غسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أى : لم ير عورته .

قالوا : والله ما ندرى ، أنجرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرِّد مَوْتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟

فلما اختلفوا ، أرسل الله عليهم السِّنَة[1] حتى — والله — ما من القوم رجل إلا وذقنه فى صدره نائما .

قالت : ثم كلَّمهم من ناحية البيت هاتفٌ ، لا يَدْرون من هو .

فقال : اغسلوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه ثيابه .

قالت : فقاموا إليه ، فغسلوه وعليه قميصه ، يُفاض[2] عليه الماء والسِّدْر ، ويدلُّكه الرجال بالقميص .

وكانت تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ، ما غسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

● عن جعفر بن محمد قال : كان الماء يَسْتنقع[3] من جفون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان علىٌّ يَحْسوه[4]

● عن ابن عباس قال : جعل علىّ عليه السلام يغسل النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يرَ منه شيئاً مما يراه من الميتْ ، وهو يقول :

ما أطْيَبك حيًّا وميتا !

● عن على ، أنه غسل النبى صلى الله عليه وسلم .

فعصر بطنه فى الوسطى ، فلم يخرج شىء فقال :

---

(١) السنة : النعاس . أى : ألقى عليهم النعاس واستغرقوا فى النوم .
(٢) يفاض . أى : يصب عليه .
(٣) يستنقع : يجتمع .
(٤) يحسوه . أى : يشربه .

بأبى أنت وأمى ، طيِّباً فى الموت ، وطيباً فى الحياة .

● عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال :

غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علىٌّ ، والفضل ، والعباس ، وأسامة بن زيد .

وغُسل ثلاثَ غسلات ، بماء وسِدْر ، من بئر لسعد بن خيثمة ، كان يشرب منها .

وفى رواية : ويقال لتلك البئر : العرس .

● عن الحسن قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدوا فى ثيابه نافِجَة(١) مِسْك ، فطيِّبت بها ثيابُه .

---

(١) النافجة : وعاء المسك .

الباب الثلاثون

فى ذكر كفنه صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : لما غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جفّفوه ، ثم صُنع به كما يُصْنَع بالميت ، ثم أُدْرِج فى ثلاثة : ثوبين أبيضين ، وبُرْد حِبَرة .

● عن ابن عمر قال : كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب ، ثوبين سُحُولتيين[1] وبُرْد حِبَرة .

● عن عائشة قالت : كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سُحُولِيّة ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

(١) السحولية : منسوبة إلى سحول ، قرية باليمن ، أو إلى السحول وهى الثياب القصار .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

● عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : صُلِّيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام ، يدخل المسلمون زُمَرًا(١) يُصَلُّون عليه ويخرجون .

فلما صلّوا عليه ، نادَى عمر : خَلوا الجنازة . وأهلَها .

● عن سهل بن سعد الساعِدى ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُدْرج فى أكفانه ، ووضع على سريره .

فكان الناس يصلون عليه رُفَقاً رُفَقاً(٢) ، لا يؤمُّهم عليه أحدٌ .

دخل الرجال ، فصلّوا علية ، ثم النساء .

● عن الحسين قال : غسّلوه صلى الله عليه وسلم وكفّنوه وحنّطوه ، ثم وضع على سريره ، فدخل عليه المسلمون أفواجاً ، يدخلون ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون ، ويدخل آخرون حتى صلّوا كلهم عليه .

---

(١) زمراً . أى : جماعات . مفرده : زمرة . أى : جماعة .

(٢) رفقا . أى : جماعات جماعات .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر موضع قبره
صلى الله عليه وسلم

• عن ابن جُرَيج قال : أخبرني أبي ، أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يَدْروا أين يَقْبُرُون النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو بكر :

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يُقْبَرْ نبيٌّ إلا حيث يموت .

فأخّروا فراشه ، وحفروا له تحت فراشه .

• عن عائشة قالت : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلفوا في دفنه .

فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ما نسيته .

قال : (ما قبض الله نبيًا ، إلا في الموضع الذي يحب أن يُدْفن فيه) . ادفنوه في موضع فراشه .

• عن أبي بكر الصديق قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما قُبض نبيٌّ إلا دُفن حيث يُقْبض .

• عن عائشة قالت : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر : في الموضع الذي مات فيه .

• عن عبد الرحمن بن سعيد بن يَرْبوع، قال :

لمّا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلفوا فى موضع قبره .

قال قائل : بالبَقِيع، فقد كان يُكْثِرُ الاستغفار لهم .

وقال قائل : عند منبره .

وقال قائل : فى مُصَلّاه .

فجاء أبو بكر فقال :

إن عندى من هذا خَبرا وعلماً، سمعتُ النَّبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(ما قُبض نبيٌّ إلا دفن حيث توفى) .

• عن عائشة أنها قالت لأبى بكر : رأيت فى المنام، كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى .

فقال أبو بكر : خيرٌ .

قال يحيى (١) : فسمعت الناس يتحدثون، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قُبض، دفن فى بيتها .

فقال أبو بكر : هذا أحدُ أقمارك .

• عن عائشة قالت : لما قُبض النبى صلى الله عليه وسلم، اختلفوا فى دفنه .

فقالوا : أين يُدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال علىٌّ : إنه ليس فى الأرض بقعةٌ أكرم على الله من بقعة قُبِضَ فيها نفس نبيه، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو يحى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب . طبقات ابن سعد ٧١/٣ ليدن .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر لحده

● عن ابن عباس قال : لمّا اجتمعوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا العباسُ رجلين فقال : ليذهبْ أحدكما إلى أبى عبيدة بن الجراح . (وكان أبو عبيدة يَضْرح[1] لأهل مكة) .

ولْيَذْهَبِ ، الآخر إلى أبى طلحة (وكان أبو طلحة يَلْحد[2] لأهل المدينة) .

قال : ثم قال العباس حين سرّحهما : اللهم خيْر[3] لنبيك .

فلم يجد صاحبُ أبى عبيدة ، أبا عبيدة .

ووجد صاحبُ أبى طلحة ، أبا طلحة .

فلحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن جرير بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحدوا ولا تشقُّوا ، فإن اللحدَ لنا والشق لغيرنا) .

● عن عامر بن سعد [بن أبى وقاص ، أن سعداً حين حضرته الوفاة قال[4]] : الحدوا [لى][4] لحدًا ، وانصبوا علىَّ اللَّبِن نصباً ، كما صُنع برسول الله صلى الله عليه وسلم . انفرد بإخراجه مسلم .

(١) يضرح : يحفر الضريح ، وهو الشق ، وسط القبر .

(٢) يلحد : يشق اللحد ، وهو الشق يكون فى عرض القبر .

(٣) قوله (خير) لعلها (خر) بكسر الخاء وحذف الياء من الوسط . أى : اختر لنبيك خير الرجلين لهذا العمل . هذا ما تدل عليه معاجم اللغة . وما تقتضيه القواعد النحوية ومنه يعلم أن ما فى الأصل تحريف . والله أعلم .

(٤) من صحيح مسلم ، وطبقات ابن سعد ٣/٢٤

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر ما نزل فى قبره

• عن ابن عباس قال : جُعل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء . قال وكيع : هذا للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة .

• عن الحسن قال : جُعل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يومَ خيبر . قال : جعلوها لأن المدينة ، أرضها سَبخة .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر وقت دفنه صلى الله عليه وسلم

• عن جعفر بن محمد قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

فمكث ذلك اليومَ وليلة الثلاثاء ، ودُفن من الليل .

• عن عائشة قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوتَ المساحى ليلة الثلاثاء فى السَّحَر .

• عن جابر بن عبد الله قال : رُشَّ على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر الذين نزلوا قبره
صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عمر قال : نزل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : علىٌّ ، وعباس ، وعَقِيل بن أبى طالب ، والفضل ، وشُقْران :

● عن أبى عَسِيب ، أنه شهد الصلاةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كانوا يدخلون من هذا الباب ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر .

فلما وضع فى لحده قال المغيرة : قد بقى من رجليه شىء لم يصلحوه .

قالوا : فادخل فأصلحه .

فدخل ، وأدخل يده ، فمسَّ قدميه ، وقال : أهيلوا علىَّ التراب .

فأهالوا عليه ، حتى بلغ أنصاف ساقيه ، ثم خرج .

فكان يقول : أنا أَحْدَثكم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر قبره صلى الله عليه وسلم وصاحبيه

اعلم أن قبره وقبر صاحبيه ، فى صُفّة بيت عائشة رضى الله عنها .

وقد اختلفت الرواية فى صفة قبورهم ، فَرُوِىَ أنها على هذا الشكل :

رسول الله	عمر
أبو بكر	

ورَوَى آخرون ، أنها على هذا الشكل :

رسول الله
أبو بكر
عمر

وقد اختلفت الرواية هل هو مُسَنّم(١) أو مسطَّح ، فَرُوِىَ الصُّنعان جميعاً .

(١) التسنيم : ضد التسطيح .

الباب الثامن والثلاثون

في فضل قبره عليه الصلاة والسلام

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من حَجَّ فزار قبري بعد موتي ، كان كمن زارني في حياتي(١) .

(١) هذا الحديث موضوع وأحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة جداً لا يعتمد على شيء منها في الدين ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئاً منها . وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما .

وهذا الحديث كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين . فإن من زاره في حياته وكان مؤمناً به ، كان من أصحابه . والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة مهما عمل من الواجبات كالحج والصلاة ونحوهما . فكيف يبلغ مبلغ الصحابة بعمل يعمله ليس بواجب باتفاق المسلمين وهو زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا شرع السفر إليه ، بل هو منهي عنه . وأما السفر إلى مسجده للصلاة فيه فهو مستحب ومشروع .

وبالجملة أحاديث زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كلها واهية وبعضها أوهى من بعض فمن أراد أن يتحقق الحق من هذه الأحاديث فليرجع إلى كتاب (الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي) للحافظ محمد بن عبد الهادي . هذا ما يتعلق بتحقيق الحق من ثبوت هذه الأحاديث . وأما زيارة القبور على وجه العموم — فسنة ثابتة ولكن ينبغي للمؤمن أن تكون أعماله جارية على السنة الصحيحة . فالمشروع شد الرحل إلى أحد المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى . فحينما يصل الإنسان إلى المسجد النبوي ويتمتع بالصلاة في الروضة الشريفة يزور — تبعاً للمسجد — قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وشهداء أحد ===

عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) .

• عن أنس بن مالك قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى بالمدينة محتسباً ، كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة) .

• عن ابن أبى مُلَيكة أنه قال : من أحب أن يقوم وِجَاه(١) النبى صلى الله عليه وسلم ، فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه .

• عن ابن أبى فُدَيك قال : سمعتُ بعضَ من أدركتُ يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية :

« إنَّ الله وملائكته يُصلون على النبى »

فقال : صلى الله عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرة ، ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك حاجة .

وقال بعض زوّار قبره :

أَتَيْتُكَ رَاجِلًا وَوَدِدْتُ أَنِّى ... مَلَكْتُ سَوَادَ عَيْنِى أَمْتَطِيهِ
وَمَالِى لَا أَسِيرُ عَلَى الْمَآقِى ... إِلَى قَبْرٍ رَسُولُ اللهِ فِيهِ

= فبذلك يكون عمله جارياً على الوجه الشرعى . كما قال الفضيل بن عياض . دين الله أخلصه وأصوبه) فلما سئل عن معنى قوله هذا أجاب : أخلصه أن يكون العمل خالصاً لله . وأصوبه : أن يكون على الصورة التى صحت عن رسول الله وصحابته الكرام .

(١) وجاه : تجاه .

الباب التاسع والثلاثون

في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم

• عن أبى الجَوْزاء قال : قَحِط أهلُ المدينة قحطاً شديداً ، فشكَوْا إلى عائشة فقالت : انظروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كَوًّا(١) إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا .

فمطروا مطراً ، حتى نبت العشبُ ، وسَمِنت الإبل حتى فُتقت(٢) فسمى عام الفتق .

• عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحَرَّة(٣) لم يؤذَّن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ولم يُقَمْ .

---

(١) الكوة : الخرق . وهذا الأثر عن عائشة ضعيف رواية ودراية والواقع يكذب هذه القصة ، وذلك أنه لم يكن للبيت كوة فى زمن عائشة ، لما ثبت فى الصحيحين عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى العصر والشمس فى حجرتها ، لم يظهر الفيء بعد ، ولم تزل الحجرة بعضه مسقوف وبعضه غير مسقوف ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك ، حتى إذا كانت إمارته زاد الحجرة النبوية مع بقية الحجرات فى المسجد النبوى . ومن رام إرواء غليله فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة) لابن تيمية ، وكتاب (التوسل ، أنواعه وأحكامه) لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، بارك الله فى حياته الغالية ، وأبقاه ذخراً للإسلام وأهله فإنه قد شفى ووفى الموضوع حقه بما لا مزيد لمستزيد ، والعقائد والعبادات لا تبنى على الأحاديث الضعيفة بالإجماع ، ومبنى الشرع على الاتباع لا الابتداع .

(٢) فتقت : سمنت .

(٣) الحرة : وقعة كانت فى أيام يزيد بن معاوية بينه وبين أهل المدينة ، بسبب خلعهم له . .

ولم يَبرح سعيد بن المسيِّب من المسجد، فكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهَمْهمة يسمعها من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● عن أبي بكر المِنْقَريّ قال: كنت أنا والطَّبراني وأبو الشيخ في حَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا على حالة، فأثَّر فينا الجوع !! فواصَلْنا ذلك اليوم.

فلما كان وقت العشاء، حضرتُ قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت:

يا رسول الله: الجوع الجوع ! ! وانصرفت.

فقال لي أبو الشيخ: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت.

قال أبو بكر: فنمت أنا وأبو الشيخ، والطبرانيُّ جالسٌ ينظر في شيء.

فحضر الباب عَلَوِيٌّ، فدقّ الباب، فإذا معه غلامان، مع كل واحد منهما زنبيل كبير فيه شيء كثير.

فجلسنا وأكلنا، وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقي.

فلما فرغنا من الطعام قال العلوى:

يا قوم، أشكوتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فإني رأيت رسول الله في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم !

الباب الأربعون

في ذكر ندب فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : لمّا ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشّاه الكَرْب ، فقالت فاطمة : وا كرب أبتاه .

فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم .

فلما مات قالت : يا أبتاه ، أجاب ربًّا دعاه ، يا أبتاه ، جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه .

ثم لما دُفن قالت فاطمة : يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تَحثُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ(١) !

● عن علي عليه السلام قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءت فاطمة عليها السلام ، فأخذت قبضة من تراب القبر ، فوضعته على عينيها ، فبكت وأنشأت تقول :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

● عن عطاء قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا أصابت أحدكم مصيبة ، فليذكر مصابه فيّ ، فإنها من أعظم المصائب)

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ٢/٢٨٢ .

الباب الحادى والأربعون

فى فضل الصلاة عليه

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من صلي عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من صلى عليّ واحدةً صلى الله [عليه] عشر صلوات ، وحطَّ عنه عشر خطيئات) .

• عن أُبيّ بن كعب قال : قال رجل : يا رسول الله ، إنى جعلت صلاتى كلها عليك . قال :

(إذاً يكفيك الله ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك) .

• عن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم ، والبُشْرَى فى وجهه ، فقال :

(أتانى المَلَكُ فقال : يامحمد ، إن ربك عز وجل يقول لك : أما يرضيك أنه لا يُصَلِّى عليك أحدٌ من أُمّتك إلا صَليت عليه عشراً ؟ قال : بلى) .

• عن عامر بن ربيعة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من صلى عليّ صلاة ، لم تزل الملائكة تصلى عليه ، ما صلَّى عليّ ، فليُقِلّ مِن ذلك أو يُكثر) .

• عن عبد الرحمن بن عوف قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مسجده ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخرّ ساجداً ، فأطال السجود ، حتى ظننا أن الله تعالى قد قبض نفسه فيها . فدنوت منه ثم جلس ، فرفع رأسه فقال :

من هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟

قلت : يا رسول الله ، سجدتَ ، فخشيت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها .

فقال : (إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله تعالى يقول لك :

من صلّى عليك ، صليتُ عليه ، ومن سلّم عليك ، سلمتُ عليه ، فسجدتُ لِلهِ شكراً) .

• عن أبى طلحة الأنصارى قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيِّبَ النفس يُرى فى وجهه البشر .

فقالوا : يا رسولَ الله ، أصبحت اليوم طيب النفس ، فى وجهك البشر .

قال : (أجل ، أتانى آت من ربّى فقال :

من صلّى عليك صلاةً ، كتب الله له بها عشرَ حسنات ، ومحا عنه عشرَ سيئات ، ورفعَ له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها) .

• عن أبى طلحة قال : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيتُ من بشره وطَلاقته ما لم أره على مثل تلك الحال .

فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتك على مثل هذه الحال ؟ فقال :

(وما يمنعنى ، يا أبا طلحة ، وقد خرج جبريل من عندى آنفاً ، فأتانى ببشارة من ربى تعالى ، بعثنى يبشِّرك ، أنه ليس أحدٌ من أمتك يصلِّى عليك صلاةً ، إلا صلى الله عليه وملائكته عشراً) .

• عن سهل بن سعد الساعدىّ قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بأبى طلحة .

فقام فتلقاه ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى لأرى السرور فى وجهك .

قال : (أجل ، أتانى جبريل آنفاً فقال :

يا محمد ، من صلى عليك مرة — أو قال واحدة — كتب الله له عشرَ حسنات ، ومحا عشرَ سيئات ، ورفع له عشر درجات .

قال محمد بن حبيب : ولا أعلمه إلا قال : وصلّت عليه الملائكة عشر مرات .

• عن أبى طلحة قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم . فلم أره قط أشدّ فرَحاً ولا أطيب نفساً منه يومئذ ، فقلت :

يا رسول الله ، صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى ، إنّى لم أرك قط أشدّ فرحاً ولا أطيب نفساً منك اليوم .

قال : (يا أبا طلحة وما يمنعنى ألا أكون كذلك ، وإنما فارقنى جبريلُ آنفاً ، فقال : يا محمد إن ربى بعثنى إليك وهو يقول :

إنه لن يصلِّيَ عليك أحدٌ من أمّتك صلاة إلا ردَّ الله مثلَ صلاته عليك وإلا كتب الله له بها عشر حسنات ، وحطَّ عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات . ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش .

لا تمر بملَك إلا قال : صلُّوا على قائلها ، كما صلّى على محمد صلى الله عليه وسلم .

• عن أبى طلحة قال : دخلتُ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأساريرُ وجهه تَبْرق(١)، فقلت : يارسول الله ما رأيتك أطيب نفساً منك ولا أظهرَ بِشْراً منك فى يومنا هذا .

قال : (وما لى لا تطيب نفسى ، ويَظْهر بِشْرى ، وإنما فارقنى جبريل الساعة ، فقال : يا محمد ، من صلى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها عشرَ حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وقال له الملَك ، مثلَ ما قال .

قلت : يا جبريل وما ذلك الملَك ؟ قال :

إن الله تعالى وكّل بك ملكاً من لَدُنْ خَلَقَك ، إلى أن يبعثك ، لا يصلِّى عليك أحدٌ إلا قال : (وأنت صلىّ الله عليك) .

عن أبى بكر الصديق قال : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أفضل من عِتْق الرِّقاب ، وحُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفضلُ من ضرب السيف فى سبيل الله . أو كما قال .

---

(١) تبرق : تلمع .

الباب الثانى والأربعون

فى تبليغ الملائكة إليه الصلاة والسلام

● عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى عَلَىَّ صلاة صلى الله بها عليه عشر صلوات ، واسْتَبَق مَلَكان يبلِّغان روحى منه السلام) .

● عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ لله ملائكة سَيَّاحين فى الأرض يبلِّغونى عن أمتى السلام) .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صَلَّى عَلَىَّ عند قبرى وُكِّل به ملَكٌ يبلِّغنى ، وكُفِيَ أمر دنياه وآخرته ، وكنت له شهيداً — أو شفيعاً — يوم القيامة) .

● عن عَمَّار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله أعطى ملكا من الملائكة أسماع الخلائق ، فهو قَيِّم على قبرى إلى يوم القيامة .

لا يصلى عَلَىَّ أحد إلا سَمَّاه باسمه واسم أبيه ، فقال :

يا محمد صلى عليك فلان بن فلان .

وتكفّل لى الربُّ عز وجل أن يردَّ إليه بكل صلاة عشراً) .

الباب الثالث والأربعون

فى كيفية الصلاة عليه

● عن ابن أبى ليلى قال : لقينى كعب بن عُجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا :

يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟

قال : (قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم إنك حميد مجيد) .

أخرجاه .

● عن كعب بن عُجرة قال : لمَّا نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسَلِّموا تسليما »(١) قلنا : يا رسول الله قد عَلِمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال :

(قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦

الباب الرابع والأربعون

في ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه

• عن على بن الحسين عن أبيه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
(البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلّ علىّ).

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَعد المنبر فقال:
آمين، آمين، آمين.

فلما نزل قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين، آمين، آمين.

(قال: إن جبريل أتانى فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فمات، فدخل النار، فأبعدَه الله. قل آمين. فقلت آمين.

ومن أدرك أبَوَيْه أو أحدهما، فلم يبرّهما فمات، فدخل النار، فأبعده الله قل آمين. فقلت آمين.

ومن ذُكرتَ عنده فلم يصلّ عليك فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين.

فقلت: آمين).

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
(ما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَة(١)، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غَفَر لهم).

---

(١) الترة: التبعة والذنب.

الباب الخامس والأربعون

فى ذكر ما سمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن على بن أبى طالب قال : لما قُبض رسول الله صلى الله علية وسلم جاء آتٍ ، يُسْمع صوته ، ولا يُرى شخصُه فقال :

السلام عليكم ورحمة الله ، إن فى الله عِوضاً من كل مصيبة ، وخَلفاً من كل هالك ، ودَرَكاً من كل فائت .

فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المحروم من حُرم الثواب . والسلام .

الباب السادس والأربعون

فى أنه لا يَبلى صلى الله عليه وسلم

● عن أوس بن أوس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبِض ، وفيه النفخة ، وفيه الصَّعْقَة .

فأكثروا من الصلاة عَلَيَّ فيه ، فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ) .

قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت ، أى : بليت ؟ قال (إن الله حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .

الباب السابع والأربعون

فى عرض أعمال أمته عليه

• قد سبق فى حديث أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(إن أعمالكم تُعرض علىّ يومَ القيامة)(١) :

• عن بكر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حياتى خيرٌ لكم تُحدِّثون ويُحدَثُ لكم ، فإذا أنا مِتُّ ، كانت وفاتى خيراً لكم ، تُعرَض علىّ أعمالكم ، فإنْ رأيتُ خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شراً استغفرت لكم) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حياتى خير لكم ، يَنزل علىّ الوحىُ من السماء ، فأخبركم بما يحِلُّ لكم وما يَحْرُم عليكم .

وموتِى خير لكم ، تُعرض علىّ أعمالكم كُلَّ خميس ، فما كان من حسَن حمدت الله عليه ، وما كان من ذنب ، أستوْهِبُ الله ذنوبَكم) .

(١) كذا ، والذى سبق فى حديث أوس قريباً : يوم الجمعة .

الباب الثامن والأربعون

في رؤيته في المنام

• عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من رآني في المنام ، فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثّل بي) .

• عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من رآني فقد رأى الحقّ ، فإن الشيطان لا يتكوّن بي) .

انفرد بإخراج هذا ، البخاري ، واتفقا على الذي قبله .

• عن أبي مالك الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من رآني في المنام فقد رآني) .

أبواب بعثه وحشره

وما يجري له

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أولُ الناس خروجاً إذا بُعثوا) .

● عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إن الناس يُصْعَقون يوم القيامة ، فأكون أول من يرفع رأسه من التراب .

فأجد موسى عند العرش ، لا أدرى أكان فيمن صُعق أم لا) .

أخرجاه .

● عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ ولد آدم ، وأول من تنشقُّ عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفَّع) .

● عن عبد الله بن سلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ولا فخر) .

● عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرض ، يوم القيامة ولا فخرَ) .

البابُ الثانى

فى حشر عيسى بن مريم مع نبينا صلى الله عليه وسلم

• عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ينزل عيسى بن مريمَ إلى الأرض ، فيتزوج ويولد له ، ويمكث خمساً وأربعين سنة ، ثم يموت ، فيدفن معى فى قبرى .

فأقوم أنا وعيسى بن مريم ، من قبر واحد ، بين أبى بكر وعمر .

البابُ الثالث

فى كيفية حشره صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشقُّ عنه الأرضُ يوم القيامة ، فأخرج من قبرى وحولى المهاجرون والأنصار ، يَنْفضون التراب عن رءوسهم) .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشقّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى أهل البقيع ، فيُحْشرون معى ، ثم أنتظر أهل مكة) . زاد المطرز : فأحشر بين الحرَمين .

● عن كَعْب الأحبار قال : ما من فجرٍ يطلع ، إلا وينزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفّوا بالقبر ، يَضْربون بأجنحتهم ، ويصلُّون على النبى صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا أمسَوا عرَجوا ، وهبط مثلُهم ، فصنعوا مثل ذلك .

حتى إذا انشقت الأرض ، خرج فى سبعين ألفاً من الملائكة ، يزفُّونه صلى الله عليه وسلم .

● عن يونس بن سيف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يُحشر الناس رجالاً وأُحشر راكباً على البُراق ، وبلالٌ بين يدىّ على ناقة حمراء .

فإذا بلَغنا مَجْمَع الناس ، نادى بلال بالأذان .

فإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، صدّقه الأولون والآخرون) .

الباب الرابع

في ذكر لوائه

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لواء الحَمْد بيدى) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لواء الحمد بيدى ولا فخر ، آدمُ ومَن دونه من النبيين ، تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر) .

الباب الخامس

في أنه أكثر الأنبياء تبعاً

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يجىء النبىُّ يوم القيامة ، ومعه الرجلُ ، ويجىء النبى ، ومعه الرجلان ، وأنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة » .

الباب السادس

فى ذكر حوضه

● عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن قَدْر حوضى ما بين أَيْلَة(١) وصنعاء من اليمن .

وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء :

● عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حوضى مسيرةُ شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم(٢) السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً) .

● عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا فَرَطكم(٣) على الحوض ، من ورَد شَرب ، ومن شرب لم يَظمأ أبداً » .

● عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا فَرَطكم على الحوض وليَختَلِجُنّ(٤) رجالٌ دونى فأقول :

يا رب ، أصحابى فيقال : إنك لا تَدْرى ما أَحْدَثوا بعدك) .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أيلة : جبل بين مكة والمدينة .

(٢) قوله : (كنجوم .. الخ) يريد : كعدد نجوم السماء . بدليل ما بعده .

(٣) الفرط : السابق .

(٤) يختلجن : يجتذبون : ويقتطعون .

(إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين جَرْباء وأذْرح)[١] .

● عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟

قال : (والذى نفسي بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة الظَّلْماء المُصْحية ، آنية الجنة ، من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه ، يَشْخب[٢] فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عُمَان إلى أيْلة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل .

● عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن حوضى لأبعد من أيلة إلى[٣] عدن ، والذى نفسي بيده ، إنى لأذُود عنه الرجال ، كما يذود الرجل الإبلَ الغريبة عن حوضه) .

قالوا : يا رسول الله ، وتعرفنا ؟

قال : (نعم ، تَرِدُون علىّ غُرًّا مُحَجَّلين)[٤] .

انفرد بإخراج هذا الحديث والذى قبله مسلم ، واتفقا على ما قبل هذا من الأحاديث .

---

(١) جرباء : قرية بجنب أذرح .

(٢) يشخب : يسيل .

(٣) الأصل : من ، وهو تحريف وأيلة : مدينة معروفة فى عراف الشام على ساحل البحر .

(٤) غرا : معروفين .

الباب السابع

فى ذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

قد سبق فى حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(أنا أول شافع وأول مُشفَّع) .

● عن أبى هريرة قال : أُتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم ، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نَهْسَةً(١) ثم قال :

(أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، يُسْمعهم الداعى ، ويَنْفُذهم البصر ، وتدنو الشمسُ فيبلغ الناس من الغم والكرب ، ما لا يطيقون ، ولا يحتملون .

فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغ بكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم عز وجل ؟ !

فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .

فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خَلَقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرَ الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك عز وجل ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ !

فيقول آدم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً ، لم يغضب قبلَه مثلَه ،

---

(١) نهس : أخذ بمقدم أسنانه منها .

ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، سَمَّاك عبداً شكُوراً ، فاشفع لنا إلى ربنا .

ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فيقول نوح : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة ، دعوت على قومى ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون :

يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض .

اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول لهم إبراهيم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وذكر كِذباته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك .

ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول موسى : إن ربى قد غضب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده ، وإنى قتلت نفساً ، لم أومر بقتلها ، نفسى نفسى .

اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه . [قال : هكذا هو](١) وكلمت الناسَ فى المهد .

فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ !

فيقول لهم عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذَنْباً ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسولُ الله وخاتم النبيين ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ !

فأقوم ، فآتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى عز وجل .

ثم يفتح الله علىَّ ويُلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ، فيقال :

يا محمد ارفع رأسك ، سَلْ تُعْطَه ، واشفع تُشَفَّع .

فأقول : يا رب أمتى أمتى ، يا رب أمتى أمتى .

فيقول : يامحمد أَدْخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ، من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب .

ثم قال : والذى نفسى بيده لما بيْن مصراعين من مصاريع الجنة ، لَكما بين مكةَ وهَجَر ، وكما بين مكة وبُصْرَى) .

● عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ليست فى الصحيحين .

(يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيُلْهمون ذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا تبارك وتعالى ، فأراحنا من مكاننا) . قريباً مما فى الحديث قبله .

إلى أن قال :

(فأقوم فأستأذن على ربى فَيُؤْذَن لى ، فإذا رأيت ربى ، وقعتُ ساجداً لربى ، فيدَعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال :

يا محمد ، ارفع رأسك ، وسَلْ تُعْطَه ، واشفع تُشَفَّع .

فأرفع رأسى فأحمده بتحميدٍ يعلِّمنيه ، ثم أشفع فَيُحَدُّ لى حدًّا ، فأدخلهم الجنة(١) .

ثم أعود الرابعة ، فأقول : يا رب ، ما بقى إلا من حبسه القرآن) أى وجب عليه الخلود .

فحدثنا أنس مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

[يُخرج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة(٢)] .

ثم يُخْرَج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرّةً .

ثم يُخرج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن بُرّة) .

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .

---

(١) الرواية فى الصحيحين : ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة .
(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من صحيح مسلم ١/١٢٥ ط استانبول .

(إن لكل نبي دعوة قد دعا بها ، فاستُجِيبت له ، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة) .

الأحاديث الثلاثة في الصحيحين[١] .

• عن أُبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا كان يوم القيامة كُنت إمام الناس وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، ولا فخر) .

• عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط ؛ إذ جاءني عيسى فقال :

هذه الأنبياء قد جاءتك — يا محمد — يسألون .

أو قال : يجتمعون إليك ، ويدعون الله أن يفرق جميعَ الأمم إلى حيث يشاء الله ، لِعِظَم ما هم فيه ، فالخلق مُلْجَمون في العرق .

فأما المؤمن ، فهو عليه كالزكيبة ؛ وأما الكافر ، فيغشاه الموت .

فقال : انتظر حتى أرجع إليك .

فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقام تحت العرش ، فلقي ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفًى ولا نبي مرسَل .

فأوحى الله إلى جبريل : أن اذهب إلى محمد فقل له :

ارفع رأسك ، سَلْ تُعْطه ، واشفع تشفع .

فشفعت في أمتي أن أُخرِجَ من كل تسعة وتسعين ، إنساناً واحداً .

---

(١) انظر صحيح مسلم « كتاب الإيمان » ١/١٢٤ — ١٣٢ وصحيح البخاري كتاب « الرقاق والاعتصام » .

فما زلت أردِّد إلى ربى عز وجل ، فلا أقوم منه مقاماً إلا شُفِّعت .

حتى أعطانى الله من ذلك أن قال :

يا محمد أدخل من أمتك من خَلْق الله ، من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ، ومات على ذلك .

● عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يخرج من النار قوم بشفاعة محمد ، فَيُسَمَّوْنَ الجهنميين) .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(شفاعتى لأهل الكبائر من أُمتى) .

● عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(خُيِّرت بين الشفاعة ، وبين أن يَدْخل شَطْر أُمتى الجنة .

فاخترت الشفاعة لأنها أعمُّ وأَكْفَى .

أفترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين) .

● عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن لكل نبى دعوة يُعجِّلها فى الدنيا .

وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأُمتى يوم القيامة ، للمذنبين المتلطِّخين) .

● عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وأنا أول شافع يوم القيامة ، ولا فخر) .

● عن جابر عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إن لكل نبي دعوة دعا بها فى أمته ، وخبأتُ دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة » .

أخرجه البخارى ومسلم .

● عن أبىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، ولا فخر) .

الباب الثامن

فى ذكر المقام المحمود

● عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يُبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتى على تلٍّ ، ويكسونى ربى حُلةً خضراء ، ثم يُؤْذَن لى فأقول ما شاء الله أن أقول . فذلك المقام المحمود) .

● عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنى لأقوم المقام المحمود ، قال : ذاك إذا جيء بكم حُفاةً عراة غُرْلاً(١) فأقوم مقاماً محموداً . قال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى) .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) غرلا : غير مختتنين .

(يقيمنى ربُّ العالمين مقاماً لم يقمه أحد ، فبكى ، ولن يقيمه أحداً بعدى) .

• عن ابن عباس فى قوله تعالى : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً »(١) قال : يُقْعده على العرش .

فإن قيل : ما معنى قوله « محموداً » ؟

قلنا : إن قلنا يُقعده على العرش ، فذلك مقام يَحْمَده هو ، لرفعته على الخلْق .

• عن ابن عباس فى قوله تعالى :

« عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً » .

قال : إن لمحمد من ربه مقاماً ، لا يقومه نبىٌّ مرسل ، ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ، يبين الله عز وجل للخلائق ، فضلَه على جميع الأولين والآخرين .

• عن على بن حسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا كان يوم القيامة ، مُدَّت الأرض مَدَّ الأديم ، حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(فأكون أولَ من يُدْعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها .

فأقول : ربِّ إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىَّ .

فيقول الله تبارك وتعالى : صدق .

ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك فى أطراف الأرض ، فهو المقام المحمود) .

---

(١) سورة الإسراء . الآية : ٧٩

الباب التاسع

فى تخليصه المؤمنين على الصراط

• عن أبى هريرة قال : يُضرب الصراط على جسر جهنم .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فأكون أول من يجوزه) .

أخرجاه .

وفى أفراد مسلم من حديث حذيفة وأبى هريرة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (نبيكم قائم على الصراط يقول : ربِّ سَلِّمْ سلم) .

• عن أنس قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يَشفع لى يوم القيامة قال : أنا فاعل .

قلت : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبى الله ؟

قال : اطلبنى أولَ ما تطلبنى على الصراط .

قال : قلت : فإن لم ألقَك على الصراط ؟

قال : فأنا عند الميزان .

قال . قلت فإن لم ألقك عند الميزان ؟

قال : فأنا عند الحوض ، لا أخطئُ هذه الثلاثة المواطنَ .

الباب العاشر

في ذكر أن نبينا صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة

● عن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(آتى بابَ الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن :

من أنت ؟ فأقول محمد .

فيقول : بك أُمرتُ لا أفتح لأحد قبلَك) .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من يَقرع بابَ الجنة ، فيقول الخازن :

من أنت ؟ فأقول : أنا محمد .

فيقول : أقوم فأفتح لك ، فلم أقم لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك) .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن حذيفة قال : قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إبراهيم خليلُ الله وموسى كلَّمه الله تكليما ، وعيسى كلمة الله وروحه ، فماذا أعطيتَ ؟ قال :

(ولدُ آدم كلهم تحت رايتي يوم القيامة ، وأنا أول من تُفتح له أبواب الجنة) .

• عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرِّمت على الأممِ حتى تدخلها أمتى) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا شافعهم إذا حُبسوا ، وأنا مُبشِّرهم إذا أَبْلَسُوا[١] ، ومفاتيح الجنة بيدى) .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنما أنا أولُ من يدخل الجنة ، ولا فَخْر) .

الباب الحادى عشر

فى ذكر فضل أمته

• عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .

بَيْد أنهم أوتوا الكتابَ مِن قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم .

فهذا يومهم الذى فُرض عليهم ، فاختلَفوا فيه .

فهدانا الله له ، فهم لنا تبَع .

فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد) .

---

(١) أبلسوا : أيسوا .

• عن بَهْز بن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن جده قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا إنكم تُوفون سبعين أمةً ، أنتم خيرها وأكرمُها على الله تعالى) .

• عن حُذَيفة بن اليمان قال :

سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدةً فظننا أن نفسه قد قُبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال :

(إن ربى خيَّرنى فى أمتى ، ماذا يَفعل بهم ؟

قلت : ربِّ هم خَلقُك وعِبادك .

فخيَّرنى الثانية ، فقلت له : كذلك .

قال : لا أُخزيك فى أمتك ، يا محمد ، وبشَّرنى أن أولَ من يدخل الجنة من أمتى معى ، سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب .

ثم أرسل إلىّ فقال : أُدْعُ تُجَبْ ، وسَلْ تُعْطَ .

فقلت لرسوله : أَوَ مُعْطِىّ ربى سُؤْلى ؟

فقال : ما أَرسلنى إليك إلا ليعطيك .

ولقد أعطانى ربى ولا فخر ، وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر .

وأعطانى أن لا تَجُوع أُمتى ولا تُغْلَب .

وأعطانى الكوثر ، وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى .

وأعطانى العز والنصر والرعب يسير بين يدىْ أُمتى شهراً .

وأعطانى أنى أول الأنبياء أدخل الجنة ، وطَيَّبَ لى ولأُمتى الغنيمة .

وأحلَّ لنا كثيرًا مما شدَّد على مَنْ قَبلنا ، ولم يجعل علينا من حَرَج) .

الباب الثانى عشر

فى ذكر علوّ منزلته على الخلق فى الجنة

• عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الوسيلة درجةٌ عند الله تعالى ، ليس فوقها درجة ، فَسَلُوا الله أن يؤتينى الوسيلة) .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا صليتم علىَّ ، فاسألوا الله لى الوسيلة) .

فقيل : يا رسول الله ، وما الوسيلة ؟ قال :

(أعلَى درجة فى الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو) .

• وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(صلُّوا علىّ ، فإنها زكاة لكم ، وسَلُوا الله لى الدرجة الوسيلة من الجنة . وهى لرجل ، وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل) .

• عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلُّوا علىَّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سَلُوا الله عز وجل لى الوسيلةَ .

فمن سأل الله لى الوسيلة ، حلّت عليه الشفاعة) .

• عن رويفع بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من قال : اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرّب عندك فى الجنة . حلّت له شفاعتى يوم القيامة) .

آخر ز(١) : تم الكتاب المبارك ، وهو تأليف الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزى الحنبلى رحمه الله تعالى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

آخرت(٢) : آخر الكتاب المسمى بـ « الوفا فى سيرة المصطفى » للشيخ الإمام والحبر الهمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى تغمده الله برحمته ، وأسكنه فراديس جنته ، ولله الحمد والمنة ، وذلك بتاريخ ثالث جمادى الثانية من شهور سنة ١١٨٢ هـ والحمد لله،وصلى الله على محمدالنبى، على يد العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن أحمد البودرى .

---

(١) حرف (ز) رمز للنسخة المخطوطة فى مكتبة الأزهر .

(٢) حرف (ت) « « « فى المكتبة التيمورية .